

د/ عائض القرني

مقامات القرني

تقديم

د. ناصر بن مسفر الزهراني

مكتبة العبيكان

ح) مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القرني، عائض عبدالله

مقامات القرني . - الرياض .

٦٠٢ ص؛ ١٦،٥ X ٢٤ سم .

ردمك: ٥ - ١٢٣ - ٤٠ - ٩٩٦٠

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - العنوان

٢٢ / ٥٠٨٠

ديوي ٢٤٠

ردمك: ٥ - ١٢٣ - ٤٠ - ٩٩٦٠

رقم الإيداع: ٢٢ / ٥٠٨٠

الطبعة السادسة

وهي الطبعة الثالثة الخاصة بمكتبة العبيكان

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



o b e i k a d . c o m

obeikandi.com

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٥	الفهرس
٩	الإهداء
١١	عنوان المؤلف
١٣	مقامة المقامات د/ ناصر بن مسفر الزهراني
٣٣	ثورة الحبب د/ ناصر بن مسفر الزهراني
٣٧	مقدمة المقامات
٤١	بين يدي المقامات
٤٥	مقامة التوحيد
٥٣	المقامة الإلهية
٦٧	المقامة النبوية
٨٣	المقامة الكونية
٩٥	المقامة القرآنية
١٠٣	المقامة الحديثية
١١١	المقامة العلمية
١٢٣	المقامة السلفية
١٣١	المقامة اليوسفية
١٣٧	المقامة السليمانية
١٤٣	المقامة الحسينية
١٥١	المقامة التيمية

١٦٥	مقامة الإمام محمد بن عبدالوهاب
١٧١	مقامة الملك عبدالعزيز آل سعود
١٧٩	المقامة البازية
١٩١	المقامة الدعوية
١٩٩	المقامة الوعظية
٢١٣	المقامة الجهادية
٢١٩	المقامة الزهدية
٢٢٥	المقامة الأدبية
٢٥٣	المقامة الخطابية
٢٤١	مقامة التوبة
٢٥١	المقامة التاريخية
٢٥٧	المقامة السلطانية
٢٦٣	المقامة الجامعية
٢٧١	المقامة الشيطانية
٢٧٩	المقامة الأبوية
٢٨٥	المقامة الفضائية
٢٩١	مقامة القلم
٢٩٧	مقامة الكتاب
٣٠١	المقامة الطبية
٣٠٧	المقامة التجارية

٢١٢	مقامة المتنبي
٢٢٥	المقامة الشفائية
٢٤١	المقامة الرمضانية
٢٤٧	المقامة الإخبارية
٢٥٢	مقامة الحُب
٢٦٥	المقامة النحوية
٢٧٢	مقامة الجَمال
٢٨١	المقامة الفقهية
٢٨٥	المقامة الجغرافية
٢٨٩	المقامة البوليسية
٢٩٢	مقامة الهمة
٤٠١	مقامة البخلاء
٤٠٧	مقامة السعادة
٤١١	مقامة الفرج بعد الشدة
٤١٩	المقامة الشبائية
٤٢٧	المقامة السياسية
٤٢٣	المقامة المكئية
٤٤٢	المقامة المدنية
٤٤٩	المقامة النجدية
٤٥٧	مقامة الجزيرة

٤٦٥	المقامة الجنوبية
٤٧٣	المقامة الخليجية
٤٧٩	المقامة اليمانية
٤٩٣	المقامة المصرية
٤٩٩	المقامة الدمشقية
٥٠٧	المقامة البغدادية
٥١٣	المقامة الفلسطينية
٥٢٣	المقامة الأندلسية
٥٢٩	المقامة الأفغانية
٥٣٥	المقامة الأمريكية
٥٤٩	مقامة النساء
٥٥٩	مقامة المعارض
٥٦٣	مقامة الحيوان
٥٧٧	مقامة العولة
٥٨٥	مقامة الفراق
٥٩٩	الخاتمة
٦٠١	كتب للمؤلف.



الإهداء

إلى رحابك وبتجنا رسائلنا
تكد تشرق من أشواقنا لهبا
يا قارئ الحرف أهديناك أحرفنا
وقبلها قد بعثنا الدمع منسكبا
شوقاً إليك فهل ترضى محبتنا
مسرّاً ولا بعثنا القلب والهـدبا
فغيرنا بمداد الحبر قد كتبوا
ومن دمانا كتبنا الشعر واخطبا



obeikandi.com

عنوان المؤلف

أنا الحجاز أنا نجد أنا يمن

أنا الجنوب بها دمعي وأشجاني

وفي ربي مكة تاريخ ملحمة

على تراها بنينا العالم الثاني

في طيبة المصطفى عهدي وموعظتي

هناك ينسج تاريخي وعرفاني

«بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا»

بالرقمتين وبالفسطاط جيراني،

النيل مائي ومن عمّان تذكرتي

وفي الجزائر إخواني وتطواني

والوحي مدرستي الكبرى وغار حرا

بدايتي وبه قد شع قرّاني

وثيقتي كتبت في اللوح وانهمرت

آياتها فساقرأؤوا يا قوم عنواني

«فأينما ذكر اسم الله في بلدٍ

عددت ذلك الحمى من صلب أوطاني،

obeikandi.com

تقديم

د/ ناصر بن مسفر الزهراني

مقامة المقامات

سلام لمن صاغ المقامات إنها

بيان به الأزواج تسلو وتطرب

ستبقى عبيراً زاكياً فائق الشذى

وفي دفتر الأمجاد للدهر تكتب

مزيج من الإيمان والحب والهوى

لها من هدى الباري طريق ومذهب

سلام لمن أسدى إلينا روائعاً

وشهداً من الإبداع في الروح يسكب

أنا من رحاب البيت أزجي تحية

ولفظاً من المكنون في القلب يُعرب

تُحيُّيك يا شيخ المروءات زمزم

وغار حراء والصفاء والمحصب

فأنتم منى قلبي وسلوان خاطري

وحبي لكم من ذائب الشهد أعذب

عائض آية من آيات الله في الأرض، تراه فتعجب، وتسمعه فتطرب،
وتقرأه فتُجذب، عظيم الحفظ، بهي اللفظ، ابن جوزيِّ الوعظ، ألف وصنّف،

وأبدع وأمتع، وأفاد وأجاد، ولونّ وتفنن، أخذ من كل علم روحه، ومن كل فن زلاله، ومن كل شهد سلافه، ومن كل بستان ثماره، كل ذلك في همة عالم، وخفة ظل، وأريحية فؤاد، ورحابة صدر، ورهافة كلمة، وصفاء عبارة، وذكاء إشارة، وذكاء منهج.

إن علم أنار الأذهان، وإن خطب هز الوجدان، وإن وعظ أبكى القلوب، وإن أنشد أطرب النفوس وإن كتب فهو شهد مذاب، وجنى مستطاب:

يقبس النور من بهاء الداري

ويصوغ القريض صوغ اللالي

صوراً حية ومعنى زكياً

ويباناً عذباً وبدع خيال

يملك السمع والقلوب بما يرسل

من شعره السني العالي

وعلى منبر الخطابة يشدو

وهو فيه يصول كل مصال

إنه يعمد إلى أزهار العلوم، وثمار الفنون، فيرشف منها جميعاً، ثم يخلطها بروحه، ويمزجها بدمه، فينطق فمه، ويدون قلمه، روائع من العلم وبدائع من الأدب فيها شفاء للناس، وهدى وموعظة لقوم يتفكرون، وها هو اليوم يطلق قمره الإبداعي في أفق العلم، وفضاء الأدب، فيبث في مسمع الزمان مائة مقامة استقبلتها أطباق القلوب، ووعتها خوالج النفوس، ورقصت الأفتدة على

أنغامها، وتضوعت الأرواح بأنسامها، واحتفظت الشاعر بأفلامها، فهي في الضمائر مطبوعة، وفي الخلجات مزروعة، وفي الأرواح مرفوعة.

يا أخا الود يا نجي الليالي

يا سنا البشر في الوجوه الصَّبَّاح

ها هنا يسبح الخيال ويسري الفك

ر طلقاً في جوّه الفيّاح

ويفيض البيان من منهل الخد

اطر حمداً للواهب الفتحاح

لقد همّت سماء الفكر بغيث هنيء سح غدق، سقيا رحمة لا سقيا عذاب، وتفجرت ينابيع العلم عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وأرسلت الأرواح واردها فتعاطى فشكر.

لقد ابتلي عطشى الأدب، وظمأى الفكر، بأناس يوهمونهم أنهم يحملون ماءً حتى إذا جاءه الظمآن لم يجده شيئاً، ولكن عائضاً شق لنا نهراً فراتاً، ونبعاً زلالاً، يروي الغلّة، ويشفي العلة، ويطرده عن النفوس ظمأها، ويزيل عن القلوب صدأها.

أنت مع هذه المقامات مقيم بجسمك مسافر بروحك، تنتقل من بلد إلى بلد، ومن فن إلى فن، ومن دوح إلي دوح، سفر ممتع، ومتنقل رائع، بينما أنت محلوق في أجواء اليمن، إذا بك هابط في دمشق، وبينما أنت تتلقى الإشارات من مدرجات القاهرة، إذا بك تتجول في متاحف الأندلس، وبينما أنت على

شاطئ دجلة أو الفرات إذا بك تشرب من زمزم، بينما تعيش في كنف نبي مرسل، إذا بك تنتقل إلى رحاب شاعر ملهم، ثم فجأة وأنت في دار عالم جهبذ وبينما أنت في غمرة السرور إذا بك تتفجر بالبكاء، وتغرق في الهموم، وبينما أنت في دوح خصيب، وقطوف دانية، وأزهار زاكية، إذا بك في صحراء قاحلة، وبيداء قاتلة، وبينما أنت تمتع سمعك بنغم جميل، وصوت بديع، إذا بك تسمع هدير الدبابات، وصريف الصواريخ، ودوي القنابل، فرح وترح، نغم وألم، روعة ولوعة، هناء وعناء، سلوان وأحزان، ألوان وأفنان.

كم هائل من المعرفة، وأنهار متدفقة من العلم، وجداول رقراقة من الأدب، وحدائق غناء من الشعر، ووميض بناء من الطهر، أثارت سحاباً من الفكر ثم جعلته ركاماً فتري ودق العلم يخرج من خلاله، فساقه مؤلفة إلى قلوب ميتة فأحيهاها به الله بعد موتها، ولكن ليس ذلك بغريب من رجل يستلهم القرآن، ويحفظ آلاف الأحاديث النبوية الطاهرة، ويحفظ الآلاف من الأشعار العربية الزاهرة. قرأ الفقه، واستلهم التاريخ، ونخل الأدب، وهضم التفسير، فسالت أودية بقدرها، هذا ما عرفناه عن قرب، وعلمناه عن كثب، وما شهدنا إلا بما علمنا.

هنا تجلت الأخوة الصادقة، والمزج الرفيع، بين العلم والأدب، والدين والفن، والفقه والسلاسة، والحديث والخيال، والشعر والنقد، ولو أنفق بعض الناس ما في الأرض جميعاً ما ألف بينها، ولكن عائض ألف بينها، فأصبحت بموهبته إخواناً، وكانت على شفا حفرة من الفرقة فأنقذها منها.

يا من اتانا بالبيان مفرداً

هش الحمى لما دخلت إلى الحمى

وصفوك بالتقوى وقالوا جهبذُ

علامةٌ ولقد وجدتكم مثلما

لفظ أرق من النسيم إذا سرى

سحراً وحلو كالكري إن هوما

وإذا نطقت ففي الحوار ونشوة

هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما

وإذا كتبت ففي الطروس حدائقُ

وشئ حواشيها اليراعُ ونمنما

وإذا وقفت على المنابر أوشكت

أخشابها للزهو أن تتكلما

حقيقة المقامة:

المقامة في اللغة كالمقام موضع القيام كمكانة ومكان؛ استعملت في المجلس، ثم في الجماعة الجالسين، ثم سميت الأحدث من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة لسماعها. قال الشريشي: «والمقامات المجالس، واحدها مقامة؛ والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يُسمى مقامة ومجلساً، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارةً ويجلس ببعضه أخرى، قال الأعلام: «المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضُّ على فعل الخير». والمقامة في الجاهلية مجتمع

القبيلة، وهي في العهد الأموي أحاديث زهدية تروى في مجالس الخلفاء. جاء في «الرسالة العذراء» لابن المدبر أن أهل القرن الثالث الهجري كانوا يعرفون نوعاً من المحاورات الأدبية يُسمى المقامات، وهو يوصي المتأدب ويقول: «وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب». ويريد بالمقامات الخطب أو المواعظ التي كانت تلقى في حضرة الخليفة. ثم انتقل بعد ذلك معنى المقامة إلى كلام الكدية والاستجداء بلغة مختارة، وتناول بديع الزمان الهمذاني اللفظة مع ما التصق بها من معنى التسول الأنيق، وأنشأ مقاماته التي سنرجع إليها في الصفحات التالية.

نشأة فن المقامة:

المقامة ثمرة تيارين في الأدب العربي: تيار أدب الحرمان والتسول الذي انتشر في القرن الرابع للهجرة، وتيار أدب الصنعة الذي بلغ به المترسلون مبلغاً بعيداً من التأنق والتعقيد. أما الحرمان فقد كان نصيب الكثرة الكثيرة من الناس في القرن الرابع، وكان أدب التسول صورة لطائفة كبيرة من الناس تنكرت لها الأيام فلجأت إلى ألوان من الحيل لكسب العيش. والكدية قديمة عد العرب، عرض لها الجاحظ ثم بسط موضوعها البيهقي في أوائل القرن الرابع ووصف المكدين، وذكر طبقاتهم وأعمالهم ونواديرهم وشاع التكدى في القرن الرابع شيوفاً شديداً.

أما أدب الصنعة والتمميح فقد بلغ أوجه في هذا العصر مع ابن العميد (٩٧٠م / ٣٦٠هـ) وأبي بكر الخوارزمي (٩٩٣م / ٣٨٣هـ) وأبي إسحاق الصابي (٩٩٤م / ٣٨٤هـ) والصاحب بن عباد (٩٩٥م / ٣٨٥هـ)، حتى أن التزويق أصبح

غاية، وحتى أن الكتابة أصبحت مزيجاً من زخرف أنيق وموسيقى لفظية غنية، وحتى أصبحت تطريزاً تصويرياً موسيقياً. وشاعت صناعة التضمين، كما نزع الأدباء إلى تضمين الأدب ألواناً من المعارف، وإلى جعل الأدب مطية لتلك المعارف، كما نزع الأدب إلى اللفظية والحرفية التي أغرقت المعنى الضئيل في بحر زاخر من الأسجاع والاستعارات وشتى ضروب البديع.

وكان في هذين التيارين مصدراً طبيعياً لظهور فن المقامة، أي القصة القصيرة التي يودعها صاحبها ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون، في أسلوب الزخرفة والتأنق والتصنيع؟.

هدف المقامة:

هدف المقامة تعليمي، وقد انحصر هذا التعليم في اللغة والبيان أولاً ثم تناول شتى المعارف الشائعة في كل عصر. والمقامة في النثر أشبه شيء بالمنظومات الشعرية التي كانت تُنظم قديماً في موضوعات النحو والعروض والبيان والمنطق تسهيلاً للحفظ، وقد أجريت على أسلوب السجع الموسيقي لهذه الغاية نفسها؛ وهي، وإن كانت ذات غاية تعليمية، فقد أصبحت شيئاً فشيئاً ميداناً واسعاً لإظهار البراعة، وبسط المعرفة، والتباهي بالمحصول العلمي ولا سيما اللفظي.

وهي وإن غلب على موضوعاتها تصوير الكدية والمكدين (أي الشحاذة والشحاذين) فقد جمعت موضوعات أخرى كالمدح، والوصف، والنقد، والوعظ، والفكاهة، وغيرها.

بديع الزمان الهمداني:

بديع الزمان الهمداني المتوفى عام (٣٩٨هـ) هو أول من ابتدع المقامات، فعرف بها وعرفت به، وقد لقيت انتشاراً كبيراً، وترحيباً عظيماً، طارت في الآفاق، واشتهرت في الأرجاء، لما فيها من جدة وطرافة، وطرفة وملاحة، وعدوبة وسلاسة، ولما فيها من بث مباشر، ونقل حي لكثير من الصور الاجتماعية، والأحداث الجياشة، ولما حوته من النقد، ونقلته من السخرية، ووعته من القصص، ثم هي مع ذلك ثروة لغوية، وكنوز بيانية، وقدرات بلاغية، والمعلومات التي انطوت عليها المقامات أكثر من أن تحصى، فهناك القاموس اللغوي، بجميع فروعه وامتداداته من ألفاظ غريبة، وتعبيرات قديمة، وألغاز وأحاجي، وأمثال وحكم؛ وهناك القاموس العلمي من طب وفلك وما إلى ذلك؛ وهناك القاموس التاريخي وفيه أيام العرب وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية، وأحوال الشعوب التي جال فيها المؤلف بمقاماته، وهناك القاموس النحوي والعروضي والبياني؛ وهناك أمور أخرى كثيرة.

وقد اخترع بديع الزمان بطلين لمقاماته سمي أحدهما عيسى بن هشام، وثانيهما أبا الفتح الاسكندري، وجعل الأول الراوي والثاني البطل المغامر، وبلغت مقامات الهمداني إحدى وخمسين مقامة.

القاسم بن علي الحريري:

ثم جاء بعده أبو محمد القاسم بن علي الحريري (١٢٢م / ٥١٦هـ) الذي وضع خمسين مقامة عارض بها مقامات الهمداني، وجعل بطها أبا زيد السروجي وراويها الحارث بن همّام، وسار بها سيراً متسلسلاً، في ظاهر

قصصي، وفي غاية لغوية بيانية رمى إليها الحريري بكل قوة رغبة منه في مجازاة عقلية العصر التي مالت إلى التعقيد الشديد وإظهار البراعة عن طريق هذا التعقيد نفسه وعن طريق الإغراب اللفظي، والإغراق في استعمال الألفاظ والأحاجي، والتضمنين للأبيات الشعرية والأمثال السائرة وما إلى ذلك. هذا كان هدف الحريري، فراح يسبك عباراته سبكاً في روعة فريدة، ويضمنها ضروباً من الألعاب اللغوية والبيانية، ويتصرف بأساليب السجع تصرفاً فريداً، وهذا والحريري أبدأً متين السبك، شديد الضبط للألفاظ، شديد الدقة في استعمالها.

وقد اشتهرت مقامات الحريري أكثر من شهرة مقامات بديع الزمان، لما حوت من الغريب في اللفظ، والتنوع في الشواهد، حتى أنها كانت تدرس في أماكن الدرس، وتلقن في جامعات الأندلس، وكان من يتقنها يجيزه أساتذته، ولم يقف الأمر بمقامات الحريري بذيووعها عند العرب وحدهم، بل ترجمت إلى اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

وذيووع مقامات الحريري وانبهار الناس بها واهتمامهم بشأنها فتح الباب أمام عدد من العلماء والأدباء لكي يحذو حذوه، ويتبعو أثره، ولكن لم يصل أحدهم منزلته أو يبلغ شأوه، جاء بعده السَّرْقُسطي، والزَمَخْشَرِي، والسيوطي، وكذلك في العصر الحديث: ناصيف اليازجي في (مجمع البحرين) وإن كان هذا الأخير قد نال شهرة ذائعة، ومنزلة رائعة.

وفي أواخر القرن التاسع عشر قضت المقامات نحبها، وأسلمت الروح إلى ربها فلم يبق لها قائمة، أو تلح لها بارقة حتى كاد اسمها ينسى، وذكرها

يمحى، حتى أطل علينا عائض القرني فبعثها من شتات، وأحياها من موات، كانت هامة فأرسل عليها غيث الأدب، وودق العلم، فاهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ميزة المقامات القرنية:

مقامات القرني مقارنة بالمقامات السابقة مثلها مثل فاكهة الجنة ليس فيها مما في الدنيا إلا الأسماء، وكذلك المقامات القرنية، ليس فيها من المقامات السالفة إلا الموافقة في الاسم، والمشابهة في الرسم، والمماثلة في الشكل، وليس هذا غرضاً من شأن المقامات السابقة فإن فيها من القدرات اللغوية، والقوة البيانية ما يثير العجب، ويبعث الطرب، إضافة إلى ما حوته من قصص جميلة، وأخبار بديعة، ومعارف قيمة، ونصائح خالدة، ولكن مقامات القرني خرجت عن السياق، واختلفت في المذاق، فجاءت مناسبة لعصرها، ملائمة لوقتها.

وهي مقامات علمية ربانية، إيمانية نورانية، توقد من شجرة مباركة محمدية، لا شرقية ولا غربية، يكاد لفظها يضيء ولو لم تلمسه نار، فهي قد أخذت كثيراً من سمات المقامات، والتزين بزينة الوعظ.

كما أنها تميزت بالوضوح في فكرتها وأسلوبها وألفاظها، ولئن كان أصحاب المقامات يظهرون مقدرتهم اللغوية، وكنوزهم اللفظية من خلال مقاماتهم، فإن عائضاً قد أظهر مقدرته العلمية، واستعرض حافظته الموسوعية، وإشراقاته البيانية، وقدراته الوعظية.

إن مقامات القرني تأليف جديد، وطرح فريد، وعمل مجيد لا يقلل من قيمة الأول، ولا يفض من شأنه، بل يكمل مسيرته، ويهذب سيرته، ويبعث ما اندرس من روعته.

قارئ المقامات السابقة أكثر ما يفيد منها المتعة الفنية، والسياحة البيانية، وهي تحمل في طياتها نصائح، وفي ثناياها مواعظ، ولكن ذلك ليس عنوانها، ولا ميدانها، ولا بنيانها، بل إن بعض المقامات ضُمَّت شيئاً من المجون، وحُمِلت نكراً من الشؤون، وحدثت الناس بما لا يعرفون، وهي مقامات لا يجيد فهمها إلا أرباب اللغة، وعباقرة الأدب، أما المقامات القرنية فما هي إلا سفينة جديدة من سفن الدعوة تمخر عباب بحر الفكر حاملة درر الوعظ، ولآلئ النصح، وروائع المعرفة، مع ما فيها من المتعة الفنية، والحلية البيانية.

إنها العلم في بردة قشبية، والوعظ في حلة جديدة، إنها نغمات مبتكرة لهز أوتار القلوب، واستثارة معتبرة لكوامن النفوس، وإذا أردت أن تعرف صدق مضامينها فتأمل في عناوينها: مقامة التوحيد، المقامة النبوية، المقامة القرآنية، المقامة السلفية، المقامة الدعوية، المقامة الوعظية، المقامة الجهادية، المقامة الزهدية... إلخ، أما المقامات السابقة لمقامات القرني فليس فيها لذلك أثر، ولا عنه خبر، وإنني هنا لست بصدد دراسة نقدية، أو تحليلات موضوعية، لهذا العمل الرائد، والجهد السائد، مع يقيني أن هذا الإبداع ظاهرة فريدة تستحق دراسة جادة، وتحليلاً مفصلاً، وتبياناً مكملًا، وما هذه الكلمات إلا مقدمة بين يدي نجوى هذه المقامات.

لقد شرفني أخي وصديقي بأن اختارني لأنثر الورد في طريق مقاماته،
وأهد الدرب لموكب نضاته، وأعزف أوتار الهوى ليصدق عليها بنغماته، فإني
وهو سواءً في الهوى، شركاء في الجوى، فجزاه الله خيراً على ما نوى.

هات يا شعرباهرات المعاني

وانظم الدر في عقود البيان

ثم زين بهن جيد الذي ط

وق جيد بالفضل والإحسان

واصدق اليوم معلناً عن سرور

بحبيب فيه تطيب الأغاني

من روابيه أزهر الفكر واف

تتر عن الحسن في بهي المعاني

قطع العمردائباً ينصر الح

ق ويجلو غياهب البهتان

وسقى الأنفس الظلماء فروأه

بافيض من ريقات البيان

ملهم بالبيان سحرأ وبالحك

مة نورأ يشع بالإيمان

وتغنى بذكر مولاه عندأ

ويحب للمصطفى العدنان

عائض وأسرار النجلى

وراء كل عظيم أسباب دفعت به إلى مصاف العظماء، فالعظمة ليست وصفة تباع، أو حلة تشتري، أو هبة توهب، أو عطية بلا سبب، أو رُقياً بلا تعب، بل لا بد لها من مؤهلات، ولا تنال إلا بصفات وسمات، وقد تربع عائض على العرش مع المشاهير في العصر الحاضر، وتردد اسمه في الأرجاء، ولمع ذكره في الأنحاء بتوفيق من الله جل وعلا، ثم بخصائص جمعها، وسمات عشقها، ومواهب رزقها، وليست هذه ترجمة موسعة، أو سيرة مفصلة، ولكنها قطر من نهر، وغيض من فيض، وذكر لبعض المميزات، وعرض لطرف من السمات:

١ - الموسوعية العجيبة: ما رأيت في حياتي مثله في موسوعيته، فهو بقدر ما يحفظ من القرآن بقدر ما يحفظ من الحديث، بقدر ما يحفظ من الشعر، بقدر ما يحفظ من التاريخ، بقدر ما يحفظ من القصص، بقدر ما يحفظ من عجائب العالم، وحوادث الدنيا، وهذه ميزة عظيمة، وسمة كبرى، ولكن سلبيتها على المرء أنها لا تجعله يتخصص في فن واحد فيلزم بكل أطرافه، ويحيط بجميع أبعاده، ويحصي كل مسأله دقيقتها وجليلها، ولكنه يأخذ من كل فن بنصيب، وإن كانت السمة العظمى للشيخ أنه صاحب حديث.

يا فقيهاً تعجبُ الضقه منه

ومضى فيه حاملاً للواء

سأبراً غوره بفهم ذكي

واختيار موفق وانتقاء

أنت في النحو وعالم لا يبارى

أو يجارى أذكرتنا بالكسائي

ومعان من التفاسير مثلى

تتحدى معاني الفراء

وعرفناك واعظاً لودعياً

بات أزكى نهجاً من الإحياء

وحديثاً عن سيد الخلق يُروى

كنت فيه كمسلم والنسائي

عطروحي عن جابروابن صخر

ومعناذ وعن أبي الدرداء

١ - حسن التعامل مع النصوص، فهو لا يهتم بمجرد الحفظ، بل يتميز بفهمه الثاقب، ونظره العميق، وتشقيقه للنص وتفصيله للمسائل، قد يشرح سورة قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات، فيطول به المقام، ويعذب منه الكلام. ويتناول حديثاً من كلمتين، فيخرج منه درراً، ويظهر منه كنوزاً، يُجمل النص، ويقربه إلى الذهن، ويفتح المعاني.

العلم شعله خير نافع هببط

من السماماء بأنوار وبرهان

ومَزَقَّتْ عن وجوه الجهل أغشيةً

وعن ظلام الليالي بؤس كضران

العلم نور إلهيٍّ وحامله

يسير في الناس يهدي كل ولهان

٣- التجديد في الطرح: لم يكن الشيخ جموداً مقلداً، أو أنموذجاً مكرراً، أو رتيباً مملاً، بل كسر سور الجمود، وحطم أواصر التقليد، وفك الأغلال التي كانت في أعناق الخطباء، فأصبح مدرسة تحتذى، وأنموذجاً يقتضى، جمل الشريط الإسلامي للناس، وحببه للملا، وقربه للبشرية، وهو في كتابته لا سيما في هذه الخمس سنوات الأخيرة، قد عمد إلى التجديد في الطرح، والتحسين في العرض، والتميق في العبارة، والتزويق في الألفاظ، وله تنوعات مائعة، وتأليفات رائعة، تتجلى فيها الجدة والطرافة والروعة والعدوبة، ومنها كتاب: «لا تحزن»، وكتاب: «حدائق ذات بهجة»، وكتاب: «ترجمان القرآن»، و«ترجمان السنة».

سأل السائلون هل من جديد

يتغنى به رواه القصص يد

أين سحر البيان يجلو المعاني

في ائتلاف الندى وزهو الورود

أيها الشيخ قد صحبت الليالي

راضياً من وفائها بالوعود

وتمايلت في رباها فـراشاً

يتدنى للزهر في كل عود

وترنحت طائراً يعـتلي الأيـ

ك ويلهـ وبغـصنه الأملود

مرسلاً في الفضاء لحناً شجياً

يمزج الحب فيه بالتفريد

٤ . الذوق الرفيع: فهو ممن يتذوق الكلمة، ويسكن حروفها، وتسكن في دمه، يهزه البيت من الشعر فلا يزال يترنح ويترنم ويقوم ويقعد ويضرب كفاً بكف، يقف مع كلمة من كلمات القرآن فتهزه هزاً، وترجه رجاً، فتدعه هباءً منبثاً. مولع بحفظ روائع الشعر، ونفائس النثر، حتى غدا فكره كالبيستان الخلاب، والحديقة الغناء، والجنة الفيحاء، حتى إذا دخلت جنته قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

يا نصير الهداة أذكيت فيهم

قبساً من هداية الرحمن

فأفاضوا على القلوب ضياءً

يرسل النور في دجى الحيران

٥ . المزاح والمداعبة: البسمة الصادقة دليل على صفاء النفس ورقة الطبع، وحسن الطوية. والمداعبة اللطيفة، برهان على حسن الخلق، وشاهد على جميل الأدب، وتأكيداً لشفافية الروح، والفكاهة الحلوة، تجلو صداً النفس، وتزيل عبء الهم، وتطفئ وقدة الغم، ولقد بلغ الشيخ في ذلك مبلغاً عظيماً، فالفكاهة والدعابة والبسمة تجري في دمه، وتسكن في أعصابه، وتقطن في خلاياه، لا يستطيع التخلي عنها إلا كما تتخل الشمس عن الإشراق، أو البدر عن الإضاءة، ولا يعيش بدونها إلا كما يمكن أن يعيش السمك في الصحراء، وهي منه مألوفة مقبولة، حسنة محبوبة، وهو لا يستغني عنها حتى في أكثر

المواقف جدية، وأعظمها صعوبة، ولقد عاتب نفسه أحياناً كثيرة، وتألّم من كثرة المزاح وتعدد المداعبة، فيعاقب نفسه ويلزمها الصمت وعدم الضحك أسبوعاً كاملاً ليتعود الجدية الصارمة، والمواقف الحازمة، فلا يكاد ينتهي الأسبوع إلا بخروج روحه معه، فيأخذ نكال الآخرة والأولى ويضحك ويمزح في يومين بما يكفي لشهرين قادمين، فأيقن أنه لا يمكن أن يتخلى عن طبيعته، أو يتقمص غير شخصيته.

كم من ليالٍ قضيناها برفقته

في دوحه من مسيرات وسلوان

تراه كالبدر والأخلاق زينته

واللفظ يأتيك من دروعه قيان

له ابتسامه طهر لا تضارقه

ولا ترى منه إلا كل إحسان

هذه ومضات من هذا الكوكب المنير، والبدر المتألق، إنها إلماحة عابرة لشيء من جوانب العظمة، ودلائل الروعة، وإمارات التفوق، أما السليبيات فلا يخلو منها أحد، ولا يسلم منها بشر؛ إلا من عصمه الله تعالى، ولكن في حياة الشيخ بعض الأمور التي سببت له المتاعب، وعرضته للمصاعب، وتكاد تكون هذه سمة من سمات كثير من العباقرة، فهم إلى جانب ما يأتون به من الخوارق، ويكون لهم من الخصائص، ترى في حياتهم عجائب، ومن تصرفاتهم غرائب، ونحن هنا جرينا على طريقة: إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بألف شفيح

أنا وعائض

اتردد كثيراً حينما أود الكتابة عن عائض القرني؛ لأنني أشعر أنه أنا وأنا هو، فكيف يكتب المرء عن نفسه، ويتحدث عن ذاته، مع اعترافي له بالفضل، وتسليمي بالسبق، ولكنني أدون شيئاً من شجى الروح، وفيوض القلب، وهمس الفؤاد، وخلجات المشاعر.

أنا وعائض روحان في جسد، أنا هو غير أنه إياي، أواصر حب عريقة، وجذور ود عميقة، تربعتُ على عرش فؤاده، وسكن في سويداء قلبي، بيني وبينه أكثر بكثير مما بين الولد ووالده، والأخ وأخيه. شريت من زلال محبته حتى رأيت الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر (ابني).

بيننا صفات متشابهات، وسمات متشاكلات، وقواسم مشتركات، توافق عجيب، وتشابه غريب، يفهمني وأفهمه، يقرأ أفكاري، وأعرف أسراره، ويحفظ أخباري، وأفهم أطواره، ومع ذلك فبيننا تباين شاسع في أمور كثيرة، وقد علم كل أناس مشريهم.

ولو رأيتنا أحياناً لوليت منا فراراً ولملت منا رعباً، نتناقش حتى يحتد النقاش، وترتفع الأصوات، وتحمر الوجوه، وكأن الواحد منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، حتى لنكاد نأخذ بتلابيب بعض.

ثم قبل أن يرتد إليك طرفك ترانا في صرح من الحب ممرد من قوارير، لطيفين هادئين هانئين ضاحكين كالنسيم العليل، والجدول الهادئ.

إذا ضاقت به الهموم، وادلهمت الأمور، فإنه لا يعرف من الناس إلا ناصراً، وناصر كذلك الشأن.

أكون في بيته وكأنتي في بيتي، ويكون في داري وكأنه في داره، ألبس
ثوبه، يرتدي غتري، أتصل من جواله، ويرد على هاتفي، يحاسب من جيبي
وأمتطي سيارته، نقضي أيامنا إذا التقينا كما يقضي الحجاج أيام منى: أنس
وسرور وأكل وشرب، وذكر لله عز وجل.

ما اختلفنا في الهوى إلا على

أينا أكثر حباً يا أخياً

وهو لا يدري وقد أظلمه

أنه أغلى من العمر علينا

قد نهلنا من شراب واحد

نتساقاه مريراً وشهياً

وسبحنا في خيال واحد

تلتقي أفكارنا فيه سويًا

يا رفيقي في غدوي بالضحي

وواحي آخر الليل شجياً

ونجياً في حديث لم أذع

منه إلا لك دون الناس شيئاً

وسمعي حين ألقى ما سرى

في مناجاتي سحراً بابلياً

طالما ألهمتني ما صُفِّتُهُ

فاسمع اليوم الذي سقت إليّ

أعذب الشعر الذي أنشده

ما أنا جيك به اليوم حفيّا

تُقبل الدنيا فلا يسعدني

غير أن القاك بالدنيا هنيّا

أيها الشيخ الحبيب.. بارك الله جهدك، وأعظم رفدك، وأدام سعدك،
وشرح صدرك، ويسر أمرك، ورفع ذكرك، وإلى اللقاء في عطاءات خيرهِ،
وإبداعات نيرة، والله يحفظكم.

د/ ناصر بن مسفر الزهراني

ثورة الحب

شعر

د/ ناصر بن مسفر الزهراني

هذه همسات من حديث الحب، ونفحات من عبير الود، فاضت بها النفس،
وجاد بها القلب، وسطرها البيان، وترجمها البنان، أزفها لأبر حبيب، وأعز صديق،
في يوم مناقشته لرسالة الدكتوراه. إنه الدكتور عائض بن عبدالله القرني.

فأنسُ على أنسٍ وشهدُ على شهدِ
وفي الصبر مفتاح لبوابة السعدِ
وتُعزفُ الحان المسرات في نجدِ
وهذي تهانينا لما نلت من مجدِ
وفيها عبير الشيخ والزهر والندِ
فكل بحور الشعر والفضن من جندي
ويغنيك عما صاغه الشاعر الكندي
ووارثه صفواً عن الأب والجدِ
ونبراسكم: علمٌ من المهد للحدِ
ففي طيها فيض من الخير والرغدِ
وأفضل حالٍ خيرة الله للعبدِ
إذا لم يكن بعد المعاناة والكدِ
فطوراً إلى جزر وطوراً إلى مدِ
ويوماً على وصل ويوماً على صدِ
يقين وإخلاص لذي الفضل والحمدِ

جنينا ثمارَ البذل والفضل والجهدِ
وهذا غراس المجد يؤتي ثماره
يغني الجنوب اليوم أنساً وبهجِ
ويا شيخنا المقدام هذا دعاؤنا
حروف من الأشواق والحب والرضا
إليك القوافي دانيات غصونها
أغنيك ما ينسيك أشعار أحمدِ
وأنت ربيب العلم من يانع الصبا
ومنهاجكم: عشقُ المروءات والعلما
وان مرفي الأيام سُودٌ كوالحِ
يريد الفتى أمراً ويسعى لنيله
وما لارتقاء المجد طعم ولذة
وذي شرعة الأيام والدهر قلبُ
ويوماً أفانين من الأتس والرضا
ولكن أزكى ما يباهي به الفتى

تنادي بصوت العزم: يا أزمة اشتدي
 وما ضر سيف العز أن بات في الغمد
 وجاءتك أصناف المزايا بلا عد
 ويسري عبير الفضل من واحة الفهد
 وأضحيت والقربي بديلاً عن البعد
 وكل ينادي: شيخنا شيخنا عندي
 لتسقي قلوباً من لظى الجذب تستجدي
 هنيئ مريء صادق البرق والرعد
 سروراً بما تُهدي إليه وما تُسدي
 ووعظ يبث الروح في الجامد الصلد
 بعلم زلالٍ وارف الظل مُمتد
 وأوصيك بالإخلاص والصدق والزهد
 وما الفوز إلا في رضا الخالق الضرد
 إذا أودع الإنسان في ظلمة اللحد
 مع أوفر الإكرام في جنة الخلد
 أمامك واستجرار ما مرّ لا يجدي
 بأهل الهوى والصدّ والنقد والرد
 فما ضره النكران من أعين رُمد
 وفي مهجتي أضعاف أضعاف ما أبدي
 لما بيّنت ما في فؤادي من الود
 وقدوتنا في درينا المصطفى المهدي

لقد كنت رغم الهم دهرأ كأنما
 وما غيرت منك التصارييف همة
 صبرتم وصابرتم فحيّتكم المنى
 فهذا أبو تركي يواسيك لطفه
 يُزفُ لك الإكرام عذباً مرتلاً
 تُغازلك الشاشات شوقاً ورغبة
 وفاضت بحور العلم بعد احتباسها
 وتاقت لك الأرواح ترنو لوابل
 وتهزيا عذب السجاياء مشاعر
 بنهج حديثي ووجدان شاعر
 تضمّخت الأرجاء والقصر مزهر
 فسر في طريق المجد في ثوب عزة
 فما هذه الدنيا بدار مقامة
 وليس بريق المجد والمال نافعاً
 وماذا تساوي دارهم وفتنة
 ودع ماضي الأيام فالدرب نير
 تقدم على نور الهدى غير آبه
 إذا أرسل البدر المنير ضياءه
 وعذراً لكم يا شيخ فالحرف خاشع
 ولو كانت الأتهار حبراً لريشتي
 عزفنا نشيد الحب في عذب سيرة

وما عشتُ يوماً أدعي أنني وحدي
وأحمل عنكم من ليالي الضنى جهدي
بنور الهدى والعلم في قالب وردي
وما زاغ قلبانا عن الوعد والعهد
ولا ضير إن غنى لك الناس من بعدي

تشاطرني همماً وغمماً وفرحةً
وأحبوك عطر اللطف والعطف والهوى
وكم من ليالٍ قد عمرنا ظلامها
قضيها عهداً نحتسي خمرة الهوى
أنا الصاحب السبّاق في كل منزل



obeikandi.com

مقدمة المقامات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَلَهَا ﴾

الحمد لله وليّ النعمة دافع النعمة، ما غرّد طائر بنعمة، وهبّ صبح بنسمة، وتلألأت على ثغرِ بسمة، والصلاة والسلام على مَنْ زَيْنَ ببيانه الكلام، وأذهلَ بفصاحته الأنام، وطَرَقَ بوعظه الأيام، سلالة النجب، وصفوة العرب، أجلُّ مَنْ خطب، صاحب الحَسَبِ والنَّسَبِ، محطَّم الأَصْنَامِ والنُّصَبِ، وعلى آله والأصحاب، ما لمع سراب، وهمع سحاب، وقُرِيَءَ كتاب، وبعُد:

فقد أشار عليّ الشيخ الأريب، والشاعر الأديب، الدكتور/ أحمد بن علي القرني الأستاذ بالجامعة الإسلامية بكتابة مقامات، هي على الفضل علامات، فقلت له: صاحب ذلك قد مات، ولم يبقَ إلا حاسدٍ وشَمَات.

فذكّرني بشريط «مصارع العشاق»، وقال: كلُّ لئله مشتاق، فإنه للقلوب تريق، وليس لك عذرٌ ولو التفتّ الساق بالساق، وأحضر لي من حرصه الدفاتر، والخاطر قبل مجيئه فاتر، فأجلتُ تفكيري، وقد اشتعل في ليل رأسي صُبح نذيري، وقد سبقني لهذا الهمداني والحريري، ولكن على الله المعول، وكما قال الأول:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَأهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً

لَكُنْتُ شَفِيئَتِ النَّفْسِ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ

بُكَاءَا فَكَانَ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقد قلت لصاحبنا: لا جرم أنك استسمنت ذا ورم، وهذه سنة أهل الكرم،
والخاطر شذر مذر، من شجون لا تبقى ولا تذر، ولا أقول بعدت علينا الشقة،
ولكن كما قال أبو الطيب: لولا المشقة.

واعرف أن من البشر، كشجرة العشر، أعدى من السوس، وأشأم من
البسوس، يأتي على غرة، ويبحث عن العثرة، ويقص الجرة، ولو اعتذرت لنا
عنده سبعين مرة.

فأقول للمادحين: كونوا ناصحين، وكما قيل: فعين الرضا، والمحب يمشي
على جمر الغضا.

وأقول للقادحين: كونوا مازحين، وتذكروا: وإذا أتتك مذمتي، واجعلوا
الخطأ في ذمتي، فقد شابت لمتي، فإن عثر جواد بياني، وتلعتم لساني،
فالعيب من زماني، فما أدركت حسن، وما صاحبت سبحان، وما دخلت على
النعمان، وما لقيت صناع الألفاظ في سوق عكاظ؛ ولكنني مع أقوام، على
الأدب أيتام، كلما لمع فيهم متكلم وظهر، وقال: إن الله مبتليكم من البيان بنهر،
قالوا: إنما يعلمه بشر، ولولا سواه ما اشتهر، فيقول الحال: لكل عين قذى،
ولن يضرّوكم إلا أذى، فجدوا كما جدوا، أو سدوا المكان الذي سدوا. فكم نال
الحساد صاحب الأدب، وأنه ليس له في البلاغة نسب، وما له في الفصاحة
حسب، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

وكم انبعث من أهل البلادة أشقاها، فصاح بهم رسول البيان: ناقة الله
وسقياها. وعسى عصا موسى البيان، تكسر رأس فرعون الطغيان.

وإذا أُلقيَ قميصُ يوسفِ الملاحه، على بصر يعقوب الفصاحه، نادى لسان
حال المتكلمين: ادخلوا مصر الإبداع آمين. وقد طاولت بهذه المقامات قامات،
ولامست بها هامات، وكلما قابلني هامات وطامات، قلت: أعوذ بكلمات الله
التامات.

وسوف يقرؤها صاحب ورع بارد، وذهن جامد فيتأفف، ويتأسف، ويقول:
الرجل تكلف وتعسف.

فأقول: ليس هذا بعشك يا حمامة فادرجي، فقد جعلت القلم واللسان
أوسى وخزرجي، وعلمت أنه مع كل بان هادم، ومن راقب الناس فهو الندام،
وقد عاب الخالق، فقال تعالى: «يَسُبُّنِي ابْنُ آدَمَ».

وإذا أراد الله لعمل بشر أن ينتشر، قيض الله له أهل خير وشر، فصاحب
الخير له نصير، وظهير، وخفير، ووزير. وصاحب الشر سباب عياب، له من
الحسد ناب، وله من العداوة مخلاب.

وانظر إلى المعصوم، كيف ابتلي بالخصوم، شق الله له القمر، فقالوا: هذا
﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ولما جمع قريشاً وخطبها، قالوا: أساطير الأولين اكتبها.

وأسأل الله أن يجعل هذه المقامات، بكل فضل ملّمت، وأن يجعلها
بالحُسن رائعتة، وبالفضل ذائعتة، وبالبر شائعتة، وبالأنس مآتعة، وبالنور ساطعة،
وبالجمال لامعة، ولكل خير جامععة، وعن كل سوء مانعة، وللجدل قاطعة.

مُحَلَّاةً بالفوائدِ، مُزِينَةً بالقلائدِ، متَوَجَّهَةً بالفَرَائِدِ، مُزْدَانَةً بالشُّوَارِدِ، كالماءِ
الزَّلَالِ لكلِّ صَادِرٍ ووَارِدٍ، تَضَمَّرَهَا العَقَائِدِ، وَتَشْرَهَا القِصَائِدِ، وَصَلَّى اللهُ
وَسَلَّمَ عَلَى صَفْوَةِ الحَوَاضِرِ وَالبِوَادِي، الَّذِي تَشْرَفَتْ بِذِكْرِهِ النُّوَادِي، فَهُوَ
الهِادِي، وَإِلَى كُلِّ فَضْلٍ مُنَادِي، وَعَلَى آلِهِ البِرَّةُ، وَالأَرْبَعَةُ الخَيْرَةُ، وَبِقِيَّةِ
العَشْرَةِ. وَأَهْلِ الشَّجَرَةِ.



بين يدي المقامات

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

إلهي: أسألك بالاسم الأعظم، والوصف الأكرم، أن تُنيرَ لي الطريق المظلم. أسألك نعمةً تدفعُ بها نِقْمَةً، وعلماً تؤيِّده رحمة، وموهبة تقيدها حكمة، وأملاً يدفع اليأس، ورعاية تردُّ اليأس، اللهم ارحم العبرة، وأقلِّ العثرة، وأزل الحسرة، واكشف عنا حُجُب الضلالة، وسُحَب الجهالة، حتى نبصر آيات عظمتك بعيون اليقين، ونقرأ أسطر صنْعك ببصائر الموحدين، اللهم أيدنا بعزِّ سلطانك، وأكرمنا بفهم برهانك، أعودُ بك من زَلَّة تُوجب ذلَّة، وعثرة قدم تُوجب الندم، ونسألك إخلاص النية، وكرم الطوية، وندعوك بلسان الاضطرار، أن تفتح لحكمتك منّا الأسماع والأبصار، وأن تُنيرَ بوحيك مُظلم الأفكار، وما اسودَّ من الأسرار.

وبعد: فقد سبقني إلى هذا الفن أعلام، لهم في الحكمة أقدام، وفي حومة البيان أعلام، وفي طروس الفصاحة أقلام. فمنهم من خصَّ بمقاماته الأدب، وثانٍ في ذكر من ذهب، وثالث في الحب، ورابع في الطب.

أما أنا فأطلقت للقلم زمامه، وسرَّحت خطامه، وأزحت لثامه، ليكتب في فنون، ويسيل في شجون، ذاكرًا من سلف ومن خلف، آخذًا من كل حكمة بطرف، وربما لمحت في المقال بعض الخيال، فلا تُبد لنا قسوة، فلي في ذلك أسوة، فإن الأمم استنطقت الجمادات، واستفهمت العجاوات، وقولت الكلام

الحيوانات، وكلمت الأطلال، ونسبت الحديث إلي الشَّجَرِ والتلال، تعريضاً وتلميحاً، ونسبة وتصريحاً.

وللعجم من ذلك ما يُبهر، ككتب بزرجمهر، وللروم في ذلك تأليف، وللهند في هذا الفن تصانيف، ورأيت كتب اليونان، وصاحب الإيوان، والمناوية من أسلاف اليابان، كلها تنسب القول للحيوان، وتُضيف وتنقل الخطاب بغير الإنسان، حباً للسلامة، وخوفاً من التندامة.

ثم جاء العرب، رواد الأدب، فأطربونا بكلام الحمام، في الحب والغرام، ونقلوا في الأمالي، عتاب الطلِّ البالي، وأتحفونا بحوار الأطيوار، وإظهار أسرار الديار، حتى أسندوا الأخبار للأشجار.

فيا صاحب الدراية، إن رأيت في هذه المقامات رواية، فقد قصدت النفع، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل، وقد أحلتك على ما سلف، ومن أحيل على مليء فليقبل.

وقد جانبت في هذه المقامات التَّجريح، سواء بالتلميح أم بالتصريح، ودَبَّجَتْهَا بالثناء والمديح، لأن القول اللين، والخلق الهين، يجلب الودَّ ويُزيل الصدَّ، وكسر القلوب غَلَط، وجرح المخاطب شَطَط، فهنا مُلاينة لا مُداهنة، وليس الخبر كالمعاينة، ومدارة لا مجارة، ولي في هذه المقامات رسائل، ومن العلم مسائل.

وفيها عبرٌ وسيرٌ، وأشعار وأخبار، وشجون وفنون، وفكاهات ومُلاطفات، ومشجيات ومُبيكات، ومحفوظات وعظّات، فلا تحكم بمقامة على كل

المقامات، بل طالع الجميع ليكون حكمك موات، فإن الروض ألوان، والشجر صنوانٌ وغير صنوان، والتنويع مدعاةٌ لإثارة الذهن البارد، ولن نصبر على طعام واحد.

وقد جَانِبَت فيها الهمز، والغمز واللمز، فلا مصلحة لنا في التعرّض للأشخاص والأجناس، أو تتبّع عثرات الناس، بل نحن أحوج إلي جبر القلوب، ودفن العيوب، لأن مرد الكل إلى علام الغيوب، ومن وجدَ نقصاً فليعفُ عنّا، ومن غشنا فليس منا.

خُذْهَا مِنْ الْقَلْبِ لَوْ أَنَّ الدُّجَى صَبِغَتْ

ثِيَابَهُ بِسَنَاهَا الْمَشْرِقُ الْغَالِي

لصَارَ نُورًا كَانَ الشَّمْسُ طَلَعَتْهَا

والبدر ومضتها في حُسن إجلالٍ

وقد قرأت هذه المقامات على علماء وأدباء، وشعراء وفضلاء، طلباً للاستفادة وحرصاً علي الزيادة، وقد استفدت من كل جمع ضمّ مجلسنا، وشاورت كل صاحبٍ كان يُؤنِّسنا، لأن مشاورة الأخيار، تَلْقِيحٌ للأفكار، وفي يوم الثلاثاء الموافق للحادي والعشرين من الشهر الخامس لعام ألف وأربعمئة وعشرين من هجرة سيد المرسلين، اجتمعنا بشيخنا العلامة الفطين، صاحب «الدّرّ الثمين» محمد الصالح بن عثيمين، وكان اللقاء في الرياض، والأنسُ قد فاض، فقرأت عليه مقدمة المقامات، فاستحسن ما أوردته من كلمات، ثم قرأت عليه المقامة النحوية، وبها لطائف ندية، فأضاف بعض الإضافات،

وأتحفنا ببیت من المحفوظات، نقلته في تلك المقامة، من ذلك العلامة، وقرأت المقامة الأمريكية على شيخنا العلامة عبدالله بن جبرين، فكان من المعجبين، وذكّرنا بما قاله الحريري واليازجي من الأدباء البارعين، وقد كتبت هذه المقامات في أربعة أشهر متواليات، والفضل كله لربّ الأرض والسماوات، وتركت ذكر المراجع خوفاً من الإثقال، وأعرضت عن الحواشي لتلافي الإملال، وعسى ربي أن ينفعني بما كتبت، وأن يحقق لي ما أملت، من الفوز برضوانه، وسكنى جنانه، فقد اتصف بالعمو وكتبه، ورحمته سبقت غضبه:

وَلَوْ سَفِكْتَ مِنَّا الدَّمَاءُ بِحُبِّكُمْ

لَطَرْنَا مَعَ الْأَشْوَاقِ مِنْ لَذَّةِ الْقَتْلِ



مقامة التوحيد

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾

فيا عجباً كيف يعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحد؟

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

التوحيد، هو حقُّ الله على العبيد، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وبه كلُّ كتاب نزل، وهو أصل الأصول، والطريقُ للوصول، وبه عُرِفَ المعبود، وعُمِرَ الوجود، ولأجله أُعِدَّت الجنة والنار، وسُلَّ السيف البتار، وقُوتِلَ الكفار، ولإقامته في الأرض دَعَت الأنبياء، وعَلَّمت العلماء، وقُتِلَ الشهداء، وهو أول مطلوب، وأعظم محبوب، وهو أشرف المقاصد، وأعذب الموارد، وأجلُّ الأعمال، وأحسن الأقوال، وهو أول الأبواب، وبداية الكتاب، وأعظم القضايا، وأهم الوصايا، وخير زاد، يحمله العباد، ليوم التتاد، وهو قُرَّةُ عيون الموحِّدين، وبهجة صدور العابدين، وهو غاية الآمال، وأنبُل الخِصال، بل هو أعظم الكفَّارات، وأرفع الدرجات، وأكبر الحسنات، وهو منشور الولاية، وتاج الرعاية، والبداية والنهاية، وهو الإكسير الذي إذا وُضِعَ على جبال الخطايا ذابت، والسلاح الذي إذا حُورِبَت به الأعداء هَابَت.

وعلى هذا حديث «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

وهو الذي هزّ في طرفة عين قلوب السحرة، فقالوا بعزم ماض: اقض ما أنت قاض.

والمرأة التي سقت الكلب، فغفر لها الذنب، كان معها توحيد الربّ.
والرجل الذي قتل مئة رجل، وذهب إلى القرية على عجل، فأدركه الأجل، غفر له بتوحيد الله عزّ وجلّ.

والتوحيد هو الكنز الجليل، الذي كان في قلب الخليل، فقال لما شاهد الكرب الثقيل: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

ولمّا قال الصديق في الغار، لسيّد الأبرار، لو نظّر أحدُهم لآرنا، ولسمعنا، قال: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾، إنما قال ذلك بلسان الموحّد، وقد سدّد بتوفيق الله وأيد.

وما فلق الله البحر للكليم، إلا لأنه صاحب توحيد عظيم، ونهج كريم.

ولو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان، ولا إله إلا الله في كفة، لكان لها الرجحان.

ولو كانت في حلقة حديد لفصمتها، وفي صخرة لفجرتها. ولا إله إلا الله مفتاح الجنان، وله أسنان من الواجبات والأركان، وصاحبها لا يُخلد في النار، ولا يلحق بالكفار.

وقد قالوا لأحد العلماء وقد سُجِن، وفي سبيل هذه الكلمة ذاقِ المِحَن:

قل كلمة التوحيد، قال: من أجلها وُضِعَتْ في الحديد.

وقالوا لأحد الأولياء وقد رُفِعَ على خشبة الموت، وقرب منه الفوت، قل: لا

إله إلا الله ولا تغفل، قال: من أجلها أُقْتَل.

وسمع أحد الصالحين رجلاً يقول: لا إله إلا الله ومدَّ بها صوته فبكى

وقال:

وَأِنِّي لَتَعَرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَّةً

كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلِلَّةِ الْقَطْرِ

وسمع أحد العلماء رجلاً يقول: لا إله إلا الله، فقال: صدقت، وبالحق

نطقت.

فيا أيها العباد خذوا من التوحيد قَطْرَهُ، وضعوه على فِطْرِهِ، وولّوا

وجوهكم شطره. ويا من أثقله الهمّ، وأحاط به الغمّ، وهزه الألم الجَمّ، قل: لا

إله إلا الله.

ويا من أثقلته الديون، أو غيّبته الشجون، وبات وهو محزون، قل: لا إله إلا

الله. ويا من اشتدَّ به الكرب، وعلاه الخطب، اذكر الربَّ، وقل: لا إله إلا الله.

هِيَ أَجْمَلُ الْكَلِمَاتِ قُلُّهَا كَلِّمًا

ضَجَّ الْفُؤَادُ وَضَاقَتِ الْأَزْمَانُ

اقرأها بعين الروح، قبل أن تقرأها بعينك في اللوح، واكتبها في سويداء قلبك، لتحملها إلى ربك، وتتخلص من ذنبك.

ولما قيل لفرعون: قل: لا إله إلا الله، تلثم الحمار وتعثر، فدرس أنفه في الطين وتدنر. وقيل لأبي لهب قل: لا إله إلا الله، قال الخسيس: أبي عليّ الجليس، والأخ الرئيس إبليس. تقياً شاعرُ البعثِ المخذول، فقال:

أمنتُ بالبعثِ ربّاً لا شريكَ لهُ

وبالعُروبةِ ديناً ما له ثاني

قلنا: يا شاعر البعث، وعزة ربي ليخزينك يوم البعث. يا شاعر الخمر والحشيشة، قد أرغم أنفك أبو ريشة فقال:

أمتي كم صنم مجّده

ثم يكنّ يحمل طهر الصنم

من يأخذ تعاليمه من باريس، حشر مع شيخه إبليس.

يا مسكين، تتعلم حروف الهجاء من بكين، وتهجر رسالة نزل بها الروح الأمين، على سيد المرسلين، من رب العالمين.

يرضع الوليد حليب التوحيد، حتى يأتيه الحليب الصناعي من مدريد، ليرتد المرید.

صوت التوحيد يرتفع على كل صوت، وقوته خير من كل قوت، لخصه أبو بكر فقال: من كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت.

لولا أن كلمة أحد، في قلب بلال مثل جبل أحد، ما صمد.

التوحيد له كتاب، وله قلم جذاب، ومداد جميل، وكاتب جليل، فكتابه الكون وما فيه، وقلمه قلبك النبیه، ومداده دمك المترقق، والكاتب إيمانك المتدفق.

التوحيد له رسالة أبدية، ودعوة سرمدية، ولأصحابه إلى مستقرهم ممر، وبعد مرورهم مستقر.

فرسالة التوحيد أفراد الباري بالألوهية والربوبية، ودعوته اتباع سيد البشرية، ورسول الإنسانية. وممر أصحابه الصراط المستقيم، ومستقرهم جنات النعيم.

للتوحيد منبر، ومخبر، ومظهر، ومسك وعنبر. فمنبره القلب، إذا أخلص للرب، ومخبره النيات الصالحات، ومظهره عمل الأركان، وخدمة للديان، ومسكه الدعاء والأذكار، وعنبره التوبة والاستغفار.

للتوحيد عين وبستان، وحرس وسلطان، وسيف وميدان. فعينه النصوص الواضحة، وبستانه الأعمال الصالحة، وحرسه الخوف والرجاء، وسلطانه واعظ الله في القلب صباح مساء، وسيفه الجهاد، وميدانه أعمال العباد.

وللتوحيد قضاة وشهود، وأعلام وجنود، وحدود وقيود. فقضاته الرسل الكرام، وشهوده العلماء الأعلام، وأعلامه شعائر الدين، وجنوده فيلق من الموحدين، وحدوده ما جاء به الخبر، وصح به الأثر، وقيوده ما ورد من شروط، للتوحيد المضبوط.

من دعائم التوحيد، عدم صرف شيء من العبادة لغير الله المعبود، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود، وركيزته إخلاص ليس فيه رياء، وعلامته إخبارات ليس معه ادعاء.

فلا تُعبد النجوم ولكن يُعبد مُركبها، ولا تعبد الكواكب بل يُعبد مكوّبتها، ولا يُؤلّه حجر ولا بشر ولا شجر ولا مدر، بل يُؤلّه من فجر الماء من الحجر، وأوجد الأحياء، وعبده الأولياء، فسبحان ربّ الأرض والسماء.

الوحي هزّ أبا جهل هزّاً، لأنه يتهزى، وسجد للآت والعزى. قاتل الله هبل، ومن طاف حوله ورمل، أو نذر له أيّ عمل. يا من خاف على نفسه من الحريق، والدمار والتمزيق، احذر من الشرك ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، إذا أخلصت التوحيد جاءك النصر، وأدخر لك الأجر، ومُحي عنك الوزر.

سمع أحد العباد قارئاً يتلو: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فقال: أواه، وارتفع بكاه. وكان أحد الملوك الصالحين، يسمع أحد القراء يقرأ بتلحين ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فجلس يبكي ويقول: وأنا أشهد مع الشاهدين.

قال أبو معاذ الرازي: لو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار، وخطبت الأطيّار، لقات: لا إله إلا الله الملك القهار. ولما قال فرعون للعين: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾؟ قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فكأنما لكمه بالجواب، ولطمه بالخطاب. ولما قال إمام التوحيد للنمرود العنيد: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، بُهت وكُذّب، وخسر وعُدّب. وهذا لظهور آيات

التوحيد وقوة سلطانه، وعزة أهله وأعوانه. وقد صبغ يحيى بن زكريا التوحيد بدمائه، ومزج حمزة التوحيد بأشلائه. ولما ذاقه جعفر، تقطع وبالرمل تعفر، وذبح الخلفاء على بساطه، وضرب الأئمة على التوحيد بأيدي الظلم وسياطه، ونحر الشهداء على فراش التوحيد وبلاطه. وكم من مؤحدٍ وُضع في الزنزانة، لما أعلن إيمانه.

ولما نطق حبيب بن زيد بكلمة التوحيد، عند مُسيلمة الكذاب العنيد، قطعته بالسيف فما أن، ولا قال له تأن، بل اشتاق إلى الجنة وحنَّ. ولما ذهبوا بعبدالله بن حذافة إلى القدور، والجثث فيها تدور، والتوحيد في قلبه يمور، بكى وقال: يا ليت لي بعدد شعر رأسي أرواحاً، لتذوق في سبيل الله سيوفاً ورماحاً.

وضرب طلحة يوم أُحد بالسيوف والرماح، فما شكى ولا صاح، حتى سأل بالدم جبينه، وشلت يمينه، وثبت دينه، لأن التوحيد قرينه. وقاتل مصعب قتال الأسود، حتى وسد اللُحود، لأنه وحد المعبود. ولما حضر عبدالله بن جحش معركة أُحد، دعا واجتهد، بكلام يبقى إلى الأبد، فقال: اللهم هب لي عدواً لك شديد حرده، قوي بأسه، فيقتلني فيك فيجدع أنفي، ويبقر بطني، ويفقأ عيني، ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب فقلت لي: يا عبدالله لم فعل بك هذا؟ قلت: فيك يا رب. فهل سمعت نشيداً كهذا النشيد، وهل أطربك قصيد كهذا القصيد، لأنه من ديوان التوحيد.

وضع أحد الظلمة أحد الأولياء، بين يدي الأسد ليمزقه أشلاء، شمه الأسد، ثم تركه وذهب، قيل للولي: لماذا تركك؟ قال: بسبب التوحيد وهو أعظم سبب، قالوا: فماذا كنت تفكر؟ قال: كنت أفكر في سؤر الأسد هل هو طاهر أم نجس لا يظهر.

واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء، في الليلة الظلماء، في ذروة الشتاء، يتوضأ بالماء، ويقطع الليل بالصلاة والدعاء، والمُنْجاة والبكاء. وحرارة التوحيد أيقظت في الصالحين، ذكر الله كل حين، فلهم بالتسبيح زَجَلٌ وحنين. وعزيمة التوحيد دفعت المُنْفِقين، وجعلتهم بأموالهم متصدقين، على الفقراء والمساكين.

إذا ناداك نوح التوحيد، وقال: اركب معنا أيها العبد الرشيد، فلا تفوتك سفينة الحميد المجيد. وَجَدَ إبراهيم بن أدهم ورقة مكتوب فيها: الله، وقد سقطت في الطريق فبكي وحملها، وطهرها وطيبها، فطهر الله نفسه، وطيب اسمه، وقد أوصي ﷺ معاذ بن جبل، أن يكون أوَّلَ ما يدعو إليه توحيد الله عزَّ وجلَّ. وكان يبدأ بالتوحيد خطبه، ويخطُّ به كتبه، ويدعو إليه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً.



المقامة الإلهية

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾

« سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ »

تأمل في نبات الأرض وانظر

إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات

بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

الله رحيم لطيف، الله بيده الأمر والتصرف، الله أعرف المعارف لا يحتاج إلى تعريف، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، ولا نرجو سواه، عظيم السلطان والجاه، أفلح من دعاه، وسعد من رجاه، وفاز من تولاه، سبحان من خلق وهدى، ولم يخلق سدى، عظم سلطانه، ارتفع ميزانه، وجمل إحسانه، وكثر امتنانه.

إليك وإلا لا تشدُّ الركبائبُ

ومنك وإلا فالْمُؤْمَلُ خائبُ

وفيك وإلا فالغرام مُضِيْعٌ

وَعَنكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبٌ

علام الغيوب، غفّار الذنوب، ستار العيوب، كاشف الكروب، ميسر الخطوب، مقدر المكتوب، عظمت بركاته، حسنت صفاته، بهرت آياته، أعجزت بيناته، أفحمت معجزاته، جلت أسماؤه، عمت آلاؤه، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه، كثرت نعمائه، حسن بلاؤه. ما أحسن قبيله، ما أجمل تفصيله، ما أبهى تنزيله، ما أسرع تسهيله، ليس إلا الخضوع له وسيلة، وليس لما يقضيه حيلة.

قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي

فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا

وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ نَفْسِي مَعَاهِدَكُمْ

إِلَّا رَأَيْتَ دُمُوعَ الْعَيْنِ هَتَّانَا

يسقي ويطعم، يقضي ويحكم، ينسخ ويبرم، يقصم ويفصم، يهين ويكرم، يروي ويشبع، يصل ويقطع، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يرى ويسمع، ينصر ويقمع، وليه ماجور، والسعي إليه مبرور، والعمل له مشكور، وحزبه منصور، وعدوه مدحور، وخصمه مبتور، يسحق الطغاة، يحق العصاة، يدمر العتاة، يمزق من آذاه.

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالْجِبَاهِ لَهُ

عَلَى لَظَى الْجَمْرِ وَالْمَحْمِي مِنَ الْإِبْر

لم تبلغ العُشْرَ من مِقدَارِ نِعْمَتِهِ

ولا العُشَيْرَ ولا عَشْرًا مِنَ العُشْرِ

من انتصر به ما ذلّ، ومن اهتدى بهُداه ما ضلّ، ومن اتقاه ما زلّ، ومن طلب غناه ما قلّ، له الكبرياء والجبروت عزّ وجلّ. تمّ كماله، حَسُنَ جماله، تقدّس جلاله، كُرِّمَت أفعاله، أصابت أقواله، نصر أوليائه، خذل أعدائه، قَرَّبَ أحبائه. اطلّع فستر، علم فغفر، حلم بعد أن قدر، زاد من شكر، ذكر من ذكر، قضم من كفر.

يَا رَبُّ أَوَّلُ شَيْءٍ قَالَهُ خَلْدِي

أَنِّي ذَكَرْتُكَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

فَوَالَّذِي قَدْ هَدَىٰ قَلْبِي لِطَاعَتِهِ

لَأُذْهِبَنَّ بِوَحْيِ مَنْكَ أَحْزَانِي

لو أن الأقلام هي الشجر، والمداد هو المطر، والكتبة هم البشر، ثم أتى عليه بالمدح من شكر، لما بلغوا ذرّة مما يستحقه جلّ في علاه وقهر. أعمُرُ جَنَانِكَ بِحُبِّهِ، أصلح زمانك بقربه، أشغل لسانك بحمده، احفظ وقتك بتسبيحه. العزيز من حماه، المحظوظ من اجتهابه، الغنيّ من أغناه، السعيد من تولاه، المحفوظ من رعاه. أرسل الرُّسل، أفنى الدول، هدى السبل، أبرم الحيل، غفر الزلّل، شفى العلل، ستر الخلل.

مَهْمَا كَتَبْنَا فِي عَمَلِكَ قِصَائِدًا

بِالدَّمْعِ خُطَّتْ أَوْ دَمَ الأَجْفَانِ

فَلَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ مَدِيحِي كُلِّهِ

وَأَجَلُ مَمَّا دَارَ فِي الْحُسْبَانِ

في حبك عذب بلال بن رباح. وفي سبيك هانت الجراح، لدى أبي عبيدة بن الجراح. ومن أجلك عرض مصعب صدره للرمح. وإعلاء كلمتك قطعت يدا جعفر، وتجنّدت على التراب وتعفّر. ومزّق عكرمة في حرب بني الأصفر.

أحبك حنظلة فترك عرسه، وأهدى رأسه، وقدم نفسه. وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء، وجرت منه الدماء، وشيئته الملائكة الكرماء، واهتز له العرش من فوق السماء.

وأحبك حمزة سيد الشهداء، فصال في الهيجاء، ونازل الأعداء، ثم سلم روحه ثمناً للجنة هاء وهاء. من أجلك سهرت عيون المتجهدين، وتعبت أقدام العابدين، وانحنت ظهور الراكعين، وحلقت رؤوس الحجّاج والمُعتمرين، وجاعت بطون الصائمين، وطارت نفوس المجاهدين.

يَا رَبُّ حَمْدًا لَيْسَ غَيْرُكَ يُحْمَدُ

يَا مَنْ لَهُ كُلُّ الْخَلَائِقِ تَصْمُدُ

أَبْوَابُ كُلِّ مُمْلِكٍ قَدْ أُوصِدَتْ

وَرَأَيْتُ بَابَكَ وَأَسْعَا لَا يُوصَدُ

أقلام العلماء، تكتب فيه الثناء، صباح مساء. الرّمح في ساحة الجهاد، والسيوف الحداد، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد، جلّ عن الأكفاء والأنداد.

للمساجدِ دَوِيٍّ بِذِكْرِهِ، للطيورِ تغريدٍ بِشُكْرِهِ، وللملائكةِ نُزُولٍ بِأَمْرِهِ، حَارَتِ
الأفكارِ فِي عُلُوِّ قَدْرِهِ، وَتَمَامِ قَهْرِهِ.

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله، لمرضاتك أنفق أمواله
وأعماله. وفي محبتك قُتِلَ الفاروق ومُرِّقٌ، وفي سبيلك دمه تدفق، ومن
خشيتك دمه ترقق. ودفع عثمان أمواله لترضى، فما ترك مالا ولا أرضا،
جعلها عندك قرضا. وقدم عليُّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهدج، وفي
بيتك يتعبد فما تردد.

أرواحنا يا رب فوق أكفنا

نرجو ثوابك مغمما وجوارا

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو

نصب المنايا حولنا أسوارا

كنا نرى الأصنام من ذهب فنأه

دمها ونهدم فوقها الكفارا

تفردت بالبقاء، وكتبت على غيرك الفناء، لك العزة والكبرياء، ولك أجلُّ
الصفات وأحسن الأسماء. أنت عالم الغيب، البريء من كل عيب، تكتب
المقدور، وتعلم ما في الصدور، وتبعثر ما في القبور، وأنت الحاكم يوم النشور.
ملكك عظيم، جنابك كريم، نهجك قويم، أخذك أليم، وأنت الرحيم
الحليم الكريم.

من الذي سألك فما أعطيته؟ ومن الذي دعاك فما لبّيته؟ ومن الذي استتصرك فما نصرته؟ ومن الذي حاربك فما هزمته؟ لا عيب في أسمائك لأنها الحسنى، لا نقص في صفاتك لأنها العليا. حيٌّ لا تموت، حاضر لا تفوت، لا تحتاج إلى القوت، لك الكبرياء والجبروت، والعزّة والملكوت.

لو أن أنفاس العباد قصائدُ

حفّت بمدحك في جلال علاكما

ما أدركت ما تستحقّ وقصرتُ

عن مجدك الأسمى وحسن سناكما

كسرت ظهور الأكاسرة، قصرت آمال القياصرة، هدمت معقل الجبابرة، وأرديتهم في الحافرة. من أطاعك أكرمته، من خالفك أدبته، من عاداك سحقته، من نادك محقته، من صادق مزقته.

تصمد إليك الكائنات، تنعو إليك المخلوقات، تُجيب الدعوات، بشتى اللغات، وبمختلف اللهجات، على تعدد الحاجات، تُفرج الكُرُبات، تُظهر الآيات، تعلم النيات، وتُظهر الخَفِيات، تُحيي الأموات. دعاك الخليل وقد وُضع في المنجنيق، وأوشك علي الحريق، ولم يجد لسواك الطريق، فلما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظلّ ظليل، بقدرتك يا جليل. وفلقت البحر للكليم، وقد فرّ من فرعون الأثيم، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم. ودعاك المختار، في الغار، لما أحاط به الكفار، فحميته من الأشرار، وحفظته من الفجار. قريب تُجيب كل حبيب.

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما

أنت القوي الواحد القهار

ما خاب من يرجوك عند ملمة

صمدت إليك البدو والحضار

لو أن الثناء، لرب الأرض والسماء، كُتِبَ بدماء الأولياء، على خُدود الأحياء، لقرأت في تلك الحدود، صحائف من مدح المعبود، صاحب الجود، بلا حدود.

ألسنة الخلق أقلام الحق، فما لها لا تنطق بالصدق، وتوحده بذاك النطق.

لا تمنّ عليه دمة في محراب، فقد مزق من أجله عمر بن الخطاب، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تُشير، وقد نُشِرَ الأولياء في حبه بالمناشير.

فاز بلال لأنه ردّد أحدُّ أحد، ودخل الجنة لأنه أحبَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ومدح سبحانه نفسه فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، وردّ على المشركين فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

سبحان من تحدّى بالذُّباب المشركين، وضرب العنكبوت مثلاً للضالّين، وذكر خلقه للبعوض إزراءً بالكافرين، وحمل الهدد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين، وأهلك من أجل ناقته أعداء المعارضين. خلق الأبرار والفجار، والمسلمين والكفار، والليل والنهار، والجنة والنار، وأنزل كل شيء بمقدار. في القرآن

برهانه، في الكائنات امتتانه، للمؤمنين إحسانه، في الجنة رضوانه، عمَّ الكون سلطانه، اللهمَّ يا ذا العرش المجيد، أنت المبدئُ المَعِيد، أنت الفعلُ لما تريد، أنت ذو البطش الشديد، لا كفاءَ لك ولا نَدِيد، كوَّرت الليل على النهار، وجعلت النور في الأبصار، وحبَّبت العبادَةَ إلى الأبرار، وأجريت الماء في الأشجار، أنت الملك الجبَّار، والقوي القهَّار، والعزیز الغفَّار، أسألك بالأسماء التي هي بالحسن معروفة، وأسألك بالصفات التي هي بالسموِّ موصوفة.

عن كل عيب تنزَّهت، وعن كل نقص تقدَّست، وعلى كل حال تباركت، وعن كل شينٍ تعاليت. منك الإمداد، ومن لدنك الإرشاد، ومن عندك الاستعداد، وعليك الاعتماد، وإليك يلجأ العباد، في التوازل الشداد. حبَّوت الكائنات رحمةً وفضلاً، ووسعت المخلوقات حكمةً وعدلاً. لا يكون إلا ما تريد، تُشكر فتزيد، وتُكفر فتُبيد. تفرَّدت بالملك فقهرت، وتوحَّدت بالربوبية فقدرت. تزيد من شكرك، وتذكر من ذكرك، وتمحق من كفرك. حارت في حكمتك العقول، وصارت من بديع صنْعك في ذُهور. أدهشت بعجائب خلقك الأبواب، وأذهلت الخلائق بالحكم والأسباب. باب جود عطائك مفتوح، ونوالك لمن أطاعك وعصاك ممنوح، وهباتك لكل كائن تغدو وتروح. لك السُّودد، فمن ساد فبمجدك يسُود، وعندك الخزائن فمن جاد فمن عطائك يجود، صمدٌ أنت فأليك الخلائق تصمد، مقصودٌ أنت فأليك القلوب تقصد، تُغلق الأبواب عن الطالبين إلا بابك، ويُسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك، خصَّصت نفسك بالبقاء فأهلك من سواك، وأفردت نفسك بالملك فأهلك من عداك، لا نعبد إلا إياك، ولا نهتدي إلا بهُداك، أقمت الحُجة فليس مُعترض كلام،

وأوضحت المحجة فليس لضالِّ إمام. شرَّعتَ الشرائعَ فكانت لك الحُجة
 البالغة على الضلالِّ، وبينت السننَ فما حاد عنها إلا الجهال، نوَّعت العقوبة
 لمن عصاك، وغايرت بين التكال لمن عاداك، جعلت أسباب حياته مماته، علة
 إنطاقه إسكاته، أحييت بالماء وبه قتلت، وأنعشت الأرواح بالهواء وبه أمتَّ،
 أشهد أنك مُتوحد بالربوبية، متفرد بالألوهية، أنت الملك الحق المبين، وأنت
 إله العالمين، وكف المستضعفين، وأمل المساكين، وقاصم الجبارين، وقامع
 المُستكبرين.

ولمَّا جعلت التوحيد شِعاري، مدحت ربِّي بأشعاري، فقلت في الثناء
 على الباري:

هذا أريجُ الزهرِ من بُستَانِه

شِعْرُ كَأَنَّ الفجرَ في أجفَانِه

السُّحرُ من إخوانِه والحُبُّ من

أخْدَانِه والحُسْنُ من أعمْوَانِه

أنا ما رويتُ الشعرَ من رُومِنا

وما رتلتُ أي الحُسْنِ من لِبْنَانِه

كلَّأ وما سَاجلتُ من عِمران

أو حَطَّان أو مجنون أو قِيبَانِه

دَعْ لَامِرِي الْقَيْسَ الْغَوِيَّ ضَالَاهُ

يُلْقِي: «قِفَانِكَ» عَلَى شَيْطَانِهِ

ضَلَّ الْهَدَايَةَ شَكْسَبِيرَ مَا رَوَى

إِلَّا نَزِيفَ الْوَهْمِ مِنْ هَدْيَانِهِ

لَمَّا دَعَوْتُ الشَّعْرَ جَاءَ مُلْبِيًّا

يَسْقِي كُؤُوسَ الشَّعْرِ مِنْ حَسَانِهِ

فَعَقَفْتُ عَنْ مَدْحِ الْأَنَامِ تَرْفُعًا

لَا تَمْدَحُنَّ الْعَبْدَ فِي طُغْيَانِهِ

لَا سَيْفٌ ذِي يَزْنٍ يُتَوَجُّ مَدْحَتِي

أَوْ شُكْرُ نَابِغَةٍ عَلَى نَعْمَانِهِ

أَوْ عَادٍ أَوْ شَدَادٍ أَوْ دُوٍّ مَنْصِبِ

يُنْمَى إِلَى عَدْنَانَ أَوْ قَحْطَانِهِ

مَلِكِ الْمُلُوكِ قَصْدَتُهُ وَمَدْحَتُهُ

فَتَرَكَضَ الْإِبْدَاعُ فِي مَسِيدَانِهِ

وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ صَحِيفَةٌ

وَالْمُزْنَ يُمَطَّرُهَا عَلَى إِبَانِهِ

والدُّوحَ أَقْلَامٌ وَقَدْ كَتَبَ الْوَرَى

مَدَحَ الْمُهَيْمَنَ فِي جَلَالَةِ شَأْنِهِ

لَمْ يَبْلُغُوا مَا يَسْتَحِقُّ وَقَصُرُوا

وَزَنَ الْهَبَاءَ ضَاعَ فِي مِيزَانِهِ

لَوْ تَسْتَجِيرُ الشَّمْسُ فِيهِ مِنَ الدُّجَى

لَفَدَا الدُّجَى وَالضُّجْرُ مِنْ أَكْضَانِهِ

أَوْ شَاءَ مَنَعَ الْبَدْرَ فِي أَفْلَاكِهِ

عَنْ سَيْرِهِ مَا سَارَ فِي حُسْبَانِهِ

حَتَّى الْحَجَارَةُ فَجَرَتْ مِنْ خَوْفِهِ

وَالصَّخْرُ خَرَّ لَهُ عَلَى أَذْقَانِهِ

وَتَصَدَّعَتْ شُمُ الْجِبَالِ لِبَأْسِهِ

وَالطَّلَعُ خَوْفًا شَقَّ مِنْ عِيدَانِهِ

وَتَفَتَّحَ الزَّهْرُ النَّدَى بِصُنْعِهِ

يَزْهَوُ مَعَ التَّسْبِيحِ فِي بُسْتَانِهِ

وَالْحُوتُ قَدَّسَهُ بِأَجْمَلِ نَغْمَةٍ

لُغَةٌ تُبْرِزُ الْحُسْنَ مِنْ سَحْبَانِهِ

حتى الضَّفَادِعُ فِي الْغَدِيرِ تَرْنَمَتْ
 بِقَصَائِدِ التَّقْدِيسِ فِي غُدْرَانِهِ
 هَذِي النُّجُومُ عِرَائِسُ فِي مَحْفَلِ
 تُمْلِي حَدِيثَ الْحُبِّ فِي سُلْطَانِهِ
 يَا مَسْرَحَ الْأَحْبَابِ ضِيَعَتِ الْهَوَى
 وَضَلَلْتَ يَا ابْنَ الطَّيْنِ عَنْ عُنْوَانِهِ
 مَجْنُونُ لَيْلَى مَا اهْتَدَى لِرِحَابِهِ
 مُتَهَتِّكاً عِبْثاً مَعَ مُجَانِهِ
 أَوْ مَا تَلَاعَنَهُ الْوَثِيقَةَ مَوْثِقاً
 فِيهَا حَدِيثُ الصِّدْقِ مِنْ قُرْآنِهِ
 الشَّمْسُ تُسْجِدُ تَحْتَ عَرْشِ الْإِلَهِنَا
 وَالْبَدْرُ رَمْزُ الْحُسْنِ فِي أَكْوَانِهِ
 وَالْهُدَى أَحْتَمَلُ الرُّسَالََةَ غَاضِباً
 يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ إِيْمَانِهِ
 غَضِباً عَلَى بَلْقِيسَ تَعْبُدُ شَمْسَهَا
 فَسَعَى لِنَسْفِ الْمَلِكِ مِنْ أَرْكَانِهِ

لَوْلَاهُ نَوْحٌ مَّا نَجَّانَا يَوْمَ الرَّدَىٰ

فِي فَلَكِهِ الْمَشْحُونِ مِنْ طُوفَانِهِ

لَمَّا دَعَاهُ يُونُسُ لُبَّأَاهُ فِي

قَاعِ الْبَحَارِ يَضْحُجُ فِي حَيْتَانِهِ

لَمَّا نَجَّاهُ ذُو النُّونِ وَهُوَ مَغْيِبٌ

فِي الْبَحْرِ لَا بِلَ فِي حَشَى حَيْتَانِهِ

اللهم صلِّ وسلم على نبيك خاتم المرسلين، ورسول الناس أجمعين، وعلى

آله وصحبه والتابعين.



obeikandi.com

المقامة النبوية

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

صَلَّىٰ عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الْهُدَىٰ

وَاسْتَبَشَّرْتَ بِقَدُومِكَ الْأَيَّامُ

هَتَفَتْ لَكَ الْأَرْوَاحُ مِنْ أَشْوَاقِهَا

وَأَزَيَّنْتَ بِحَدِيثِكَ الْأَقْلَامُ

ما أحسن الاسم والمسمى، وهو النبي العظيم في سورة عمّ، إذا ذكرته

هلت الدموع السواكب، وإذا تذكّرت أقبلت الذكريات من كل جانب.

وَكُنْتَ إِذَا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوَىٰ

وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَقْصَمُ

أَعْلَلُ نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ

وَأُوهِمَهَا لَكِنَهَا تَتَوَهَّمُ

المتعبد في غار حراء، صاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء، والحنيفية

البيضاء، وصاحب الشفاعة والإسراء، له المقام المحمود، واللواء المعقود،

والحوض المورود، هو المذكور في التوراة والإنجيل، وصاحب الغرة والتحجيل،

والمؤيد بجبريل، خاتم الأنبياء، وصاحب صفوة الأولياء، إمام الصالحين، وقدوة

المفلحين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

السموات شِيَقَاتُ ظِمَاءُ

وَالْفَضَا وَالنُّجُومُ وَالْأَضْوَاءُ

كُلُّهَا لَهْفَةٌ إِلَى الْعِلْمِ الْهَاءُ

دِي وَشَوْقٌ لِدَاتِهِ وَاحْتِيفَاءُ

تُنظَمُ فِي مَدْحِهِ الْأَشْعَارُ، وَتُدَبِّجُ فِيهِ الْمَقَامَاتُ الْكِبَارُ، وَتُنْقَلُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ السِّيَرُ وَالْأَخْبَارُ، ثُمَّ يَبْقَى كَنْزاً مَحْفُوظاً لَا يُوقِيهِ حَقُّهُ الْكَلَامُ، وَعِلْمُهُ شَامِخاً لَا تُنْصَفُهُ الْأَقْلَامُ، إِذَا تَحَدَّثْنَا عَنْ غَيْرِهِ عَصَرْنَا الذِّكْرِيَّاتِ، وَبَحَثْنَا عَنِ الْكَلِمَاتِ، وَإِذَا تَحَدَّثْنَا عَنْهُ تَدْفَقُ الْخَاطِرُ، بِكُلِّ حَدِيثٍ عَاطِرٍ، وَجَاشَ الْفَوَادُ، بِالْحَبِّ وَالْوَدَادِ، وَنَسِيَتْ النَّفْسُ هُمُومَهَا، وَأَغْفَلَتْ الرُّوحُ غُمُومَهَا، وَسَبَّحَ الْعَقْلُ فِي مَلَكُوتِ الْحُبِّ، وَطَافَ الْقَلْبُ بِكَعْبَةِ الْقُرْبِ، هُوَ الرَّمْزُ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَهُوَ قِبَةُ الْفَلَكَ لِلخِصَالِ الْجَمِيلَةِ، وَهُوَ ذَرْوَةُ سَنَامِ الْمَجْدِ لِكُلِّ خِلَالٍ جَلِيلَةٍ.

مَرْحَباً بِالْحَبِيبِ وَالْأَرِيبِ وَالنَّجِيبِ الَّذِي إِذَا تَحَدَّثْتَ عَنْهُ تَزَاحَمَتِ الذِّكْرِيَّاتُ، وَتَسَابَقَتِ الْمَشَاهِدُ وَالْمَقَالَاتُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى ذَاكَ الْقَدْوَةِ مَا أَحْلَاهُ، وَسَلَّمِ اللَّهُ ذَاكَ الْوَجْهِ مَا أَبْهَاهُ، وَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى ذَاكَ الْأَسْوَةِ مَا أَكْمَلَهُ وَأَعْلَاهُ، عَلَّمَ الْأُمَّةَ الصِّدْقَ وَكَانَتْ فِي صَحْرَاءِ الْكُذْبِ هَائِمَةً، وَأَرْشَدَهَا إِلَى الْحَقِّ وَكَانَتْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ عَائِمَةً، وَقَادَهَا إِلَى النُّورِ وَكَانَتْ فِي دِيَابِجِ الزُّورِ قَائِمَةً.

وَشَبَّ طِفْلُ الْهَدْيِ الْمَحْبُوبِ مَتَشَحّاً

بِالْخَيْرِ مَتَزَرّاً بِالنُّورِ وَالنَّارِ

في كَفِّهِ شُعْلَةٌ تَهْدِي وَفِي دَمِهِ

عَقِيدَةٌ تَتَّحِدِي كُلَّ جَبَّارٍ

كانت الأمة قبله في سُبَاتٍ عميق، وفي حضيض من الجهل سحيق، فبعثه الله على فترة من المرسلين، وانقطع من النبيين، فأقام الله به الميزان، وأنزل عليه القرآن، وفرق به الكفر والبُهتان، وحطمت به الأوثان والصُّلْبَان. للأمم رموز يخطئون ويُصيبون، ويسددون ويفلطون، لكن رسولنا ﷺ معصوم من الزَّلَل، محفوظ من الخلل، سليم من العلل، عصم قلبه من الزيغ والهوى، فما ضل أبداً وما غوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين، أما قائدنا وسيدنا فمعصوم من الانحراف، محفوف بالعبادة والألطف.

فُصارى ما يطلبه سادات الدنيا قصور مشيدة، وعساكر ترفع الولاء مؤيدة، وخيول مُسومة في ملكهم مقيدة، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلدة، وخدم في راحتهم معبدة.

أما محمد ﷺ فغاية مطلوبه، ونهاية مرغوبه، أن يُعبد الله فلا يُشرك معه أحد، لأنه فرد صمد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

يسكن بيتاً من الطين، وأتباعه يجتاحون قصور كسرى وقيصر فاتحين، يلبس القميص المرقوع، ويربط على بطنه حجرين من الجوع، والمدائن تُفتح بدعوته، والخزائن تُقسم لأمته.

إِنَّ الْبَرِيَّةَ يَوْمَ مَبِيعَتِ أَحْمَدِ

نَظَرَ إِلَيْهِ لَهَا فَبَدَّلَ حَالَهَا

بَلْ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ حِينَ اخْتَارَ مِنْ

خَيْرِ الْبَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهَلَالَهَا

لَبَسَ الْمُرْقَعَ وَهُوَ قَائِدُ أُمَّةٍ

جَبَتِ الْكُنُوزَ وَكَسَّرَتْ أَغْلَالَهَا

لَمَّا رَأَاهَا اللَّهُ تَمْشِي نَحْوَهُ

لَا تَبْتَغِي إِلَّا رِضَاهُ سَعَى لَهَا

ماذا أقول في النبي الرسول؟ هل أقول للبدر حييت يا قمر السماء؟ أم أقول للشمس أهلاً يا كاشفة الظلماء، أم أقول للسحاب سلِّمتَ يا حامل الماء؟ اسلك معه حيثما سلك، فإن سنَّته سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك، نزل بزُّ رسالته في غار حراء، وبيع في المدينة، وفصل في بدر، فلبسه كل مؤمن، فيا سعادة من لبس، ويا خسارة من خلعه فتعس وانتكس، إذا لم يكن الماء من نهر رسالته فلاتشرب، وإذا لم يكن الفرس مُسوِّماً على علامته فلا تركب، بلال بن رباح صار باتِّباعه سيِّداً بلا نَسَب، وما جداً بلا حسب، وغنياً بلا فضة ولا ذهب، أبو لهب عمّه لَمَّا عصاه خسر وتبَّ، ﴿سَيَلْنِي نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

الْفُرسُ وَالرُّومُ وَالْيُونَانُ إِنْ ذُكِرُوا

فَعِنْدَ ذِكْرِكَ أَسْمَالٌ عَلَى قَزَمٍ

هُمُ نَمَقُوا لَوْحَةً بِالرَّقِّ هَائِمَةً

وَأَنْتَ لَوْحُكَ مَحْفُوظٌ مِنَ التُّهَمِ

وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، وإنك لعلی خُلق عظيم، وإنك لعلی نهجٍ قويم، ما ضلّ، وما زلّ، وما ذلّ، وما غلّ، وما ملّ، وما كلّ. فما ضلّ لأن الله هاديه، وجبريل يكلمه ويناديه، وما زلّ لأن العصمة ترعاه، والله أيّده وهداه، وما ذلّ لأن النصر حليفه، والفوز رديفه، وما غلّ لأنه صاحب أمانة، وصيانة، وديانة، وما ملّ لأنه أُعطي الصبر، وشرّح له الصدر، وما كلّ لأن له عزيمة، وهمّة كريمة، ونفساً طاهرة مستقيمة.

كَأَنَّكَ فِي الْكِتَابِ وَجَدْتَ لَاءَ

مُحَرَّمَةً عَلَيْكَ فَلَا تَحِلُّ

إِذَا حَضَرَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ

وَإِنْ حَلَّ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ

صلى الله عليه وسلم ما كان أشرح صدره، وأرفع ذكره، وأعظم قدره، وأنفذ أمره، وأعلى شرفه، وأربح صفقة من آمن به وعرفه، مع سعة الفناء، وعظم الآناء، وكرم الآباء، فهو محمد الممجّد، كريم المحتد، سخيّ اليد، كأن الألسنة والقلوب رِيضت على حبه، وأنست بقربه، فما تتعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بحمده، ولا تسبح إلا في بحر مجده.

نُورُ الْعَرَارَةِ نُورُهُ وَنَسِيمُهُ

نَشْرُ الْخُزَامِي فِي اخْضِرَارِ الْأَسْرِ

وَعَلَيْهِ تَاجُ مَحَبَّةٍ مِنْ رَبِّهِ

مَا صَيَغُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ مَاسٍ

إن للفرط السليمة، والقلوب المستقيمة، حباً لمنهاجه، ورغبةً عارمة لسلوك
فجاجة، فهو القدوة الإمام. الذي يهدي به الله من أتبع رضوانه سُبُلَ السلام.

صلى الله عليه وسلم، علّم اللسان الذكر، والقلب الشكر، والجسد
الصبر، والنفس الطُّهر، وعلّم القادة الإنصاف، والرعيّة العفاف، وحبّب للناس
عيش الكفاف، صبر على الفقر، لأنه عاش فقيراً، وصبر على جُمُوع الغنى
لأنه ملّك مُلكاً كبيراً، بُعث بالرسالة، وحكم بالعدالة، وعلّم من الجهالة، وهدى
من الضلالة، ارتقى في درجات الكمال حتى بلغ الوسيلة، وصعد في سُلّم
الفضل حتى حاز كلّ فضيلة.

أَتَاكَ رَسُولُ الْمَكْرُمَاتِ مُسَلِّمًا

يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ أَعْظَمَ مُتَّقِي

فَأَقْبَلَ يَسْعَى فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى

إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الشَّمْسِ يَرْتَقِي

هذا هو النور المبارك يا من أبصر، هذا هو الحُجَّةُ القائمة يا من أدبر،
هذا الذي أنذر وأعدر، وبشّر وحذّر، وسهّل ويسّر، كانت الشهادة صعبة

فسهّلها من أتباعه مُصعَب، فصار كل بطل بعده إلى حِياضِهِ يرغب، ومن مورِدِهِ يشرب، وكان الكذب قبله في كل طريق، فأباده بالصدّيق، من طلابه أبو بكر الصّدّيق، وكان الظُّلم قبل أن يُبعث مُتراكماً كالسحاب، فزحزحه بالعدل من تلاميذه عمر بن الخطاب، وهو الذي ربّى عثمان ذا النورين، وصاحب البيعتين، واليمين والمتصدّق بكل ماله مرتين، وهو إمام علي حيدرة، فكم من كافر عفره، وكم من محارب نحره، وكم من لواء للباطل كسره، كأن المشركين أمامه حُمُرٌ مستنفرة، فرّت من قسورة.

إِذَا كَانَ هَذَا الْجَيْلُ أَتْبَاعَ نَهْجِهِ

وَقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ فِي الْبِدْوِ وَالْحَضَرِ

فَقُلْ كَيْفَ كَانَ الْمُصْطَفَى وَهُوَ رَمَزُهُمْ

مَعَ نُورِهِ لَا تُذَكِّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

كانت الدنيا في بلابل الفتنة نائمة، في خسارة لا تعرف الريح، وفي اللهو هائمة، فأذن بلال بن رباح، بحيّ على الفلاح، فاهتزّت القلوب، بتوحيد علام الغيوب، فطارت المهج تطلب الشهادة، وسبّحت الأرواح في محراب العبادة، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة.

كُلُّ الْمَشَارِبِ غَيْرُ النَّيْلِ أَسِنَّةٌ

وَكُلُّ أَرْضٍ سِوَى الزَّهْرَاءِ قَيْعَانُ

لَا تَنْحَرُ النَّفْسُ إِلَّا عِنْدَ خِيَمَتِهِ

فَالْمَوْتُ فَوْقَ بِلَاطِ الْحُبِّ رِضْوَانُ

أرسله الله على الظلماء كشمس النهار، وعلى الظمأ كالغيث المدرار، فهزّ
بسيوفه رؤوس المشركين هزاً، لأن في الرؤوس مسامير اللات والعزى، عظمت
بدعوته المنن، فأرساله إلينا أعظم منة، وأحيا الله برسالته السنن، فأعظم
طريق للنجاة اتباع تلك السنّة. تعلّم اليهود العلم فعطلّوه عن العمل، ووقعوا في
الزيغ والزلل، وعمل النصارى بضلال، فعملهم عليهم وبال، وبعث عليه الصلاة
والسلام بالعلم المفيد، والعلم الصالح الرشيد.

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له

وانت أحييت أجيالاً من الرّم

أنصت ليمية جاءتك من أمم

مِدادها من معاني نون والقلم

سألت قريحة صباً في محبتكم

فيضاً تدفق مثل الهاتل العمم

كالسيل كالليل كالفجر اللحوح غدا

يطوي الروابي ولا يلوي على الأكم

أجش كالرعد في ليل السعود ولا

يشابه الرعد في بطش وفي غشم

كدمع عيني إذا ما عشت ذكركم

أو خفق قلب بنار الشوق مضطرم

يزري بنا بغسة النعمان رونقها

ومن زهير وماذا قال في هرم؟

دع سيف ذي يزنٍ صفحاً ومادحهُ

وتُبَّعاً وبنِي شداد في إرم

ولا تعرِّجْ على كسرى ودولته

وكلُّ أصيدٍ أو ذي هالةٍ وكمي

وانسخ مدائح أرباب المديح كما

كانت شريعته نسخاً لدينهم

رصع بها هامة التاريخ رائعة

كالتاج في مفرق بالمجد مرتسم

فالهجر والوصل والدينا وما حملتُ

وحبُّ مجنون ليلى ضلةً لعمي

دع المغاني وأطلال الحبيب ولا

تلمح بعينك برقاً لاح في أضم

وانس الخمائل والأفنان مائلة

وخيمة وشوّهات بني سلم

هنا ضيَاءٌ، هنا ريٌّ، هنا أملٌ

هنا رواء هنا الرضوان فاستلم

لو زينت لامرئ القيس انزوى خجلاً

ولو رآها لبيدُ الشعر لم يقم

ميمية لو فتى بوصير أبصرها

لعوذوه برَبِّ الحِلِّ والحِجْرَمِ

سل شعر شوقي أروي مثل قافيتي

أو أحمد بن حسين في بني حكم

ما زار سوق عكاظٍ مثلُ طلعتها

هامت قلوبُ بها من روعة الكلم

أثني على من؟ أتدري من أبجلُّه؟

أما علمت بمن اهتديتُه كَلِمِي

في أشجع الناس قلباً غير منتقم

وأصدق الخلق طراً غير مُتَّهم

أبهى من البدر في قلب التمام وقل

أسخى من البحر بل أرسى من العلم

أصفى من الشمس في نطقٍ وموعظةٍ

أمضى من السيف في حكمٍ وفي حكمٍ

أغرَّت شروق من عينيه ملحمةً

من الضياء لتجلو الظلم والظلم

في هممةٍ عصفت كالدهر واتقدت

كم مزقت من أبي جهل ومن صنم

اتي اليتيم أبو الأيتام في قدرٍ

أنهى لأمتيه ما كان من يتم

محررُ العقل باني المجدِ باعِثنا

من رقدةٍ في دنارِ الشركِ واللَّمَم

بنور هديك كحلنا محاجرنا

لما كتبنا حروفها صُغمتها بدم

من نحن قبلك إلا نقطةٌ غرقت

في اليمِّ بل دمةٌ خرساءُ في القدم

أَكَادُ أَقْتَلَعِ الْأَهَاتِ مِنْ حُرْقِي

إِذَا ذَكَرْتُكَ أَوْ أَرْتَاعُ مِنْ نَدَمِي

لَمَّا مَدَحْتُكَ خَلَّتْ النَّجْمُ يَحْمِلُنِي

وَخَاطِرِي بِالسَّنَا كَالْجَيْشِ مُحْتَدِمِ

شَجَعْتُ قَلْبِي أَنْ يَشْدُو بِصَافِيَةٍ

فِيكَ الْقَرِيضُ كَوَجْهِ الصُّبْحِ مُبْتَسِمِ

صَهْ شَكْسَبِيرٍ مِنَ التُّهْرِيحِ أَسْعَدَنَا

عَنْ كُلِّ الْيَاذَةِ مَا جَاءَ فِي الْحِكْمِ

الْفُرسُ وَالرُّومُ وَالْيُونَانُ إِنْ ذُكِرُوا

فَعِنْدَ ذِكْرِهِ أَسْمَالٌ عَلَى قَزَمِ

هُمُ نَمَقُوا لَوْحَةَ لَلرَّقِ هَائِمَةً

وَأَنْتَ لَوْحَكَ مَحْفُوظٌ مِنَ التُّهْمِ

أَهْدَيْتَنَا مِنْبَرَ الدُّنْيَا وَغَارَ حِرًّا

وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ وَالْإِسْرَاءِ لِلْقِمَمِ

والحوض والكوتر الرقراق جئت به

أنت المزمّل في ثوب الهدى فقم

الكون يسأل والأفلاك ذاهلة

والجين والإنس بين اللاء والنعم

والدهر مؤتلق والجو مبتهج

والبدر ينشق والأيام في حلم

سرب الشياطين لما جئتنا احترقت

ونار فارس تخبّو منك في ندم

وصفد الظلم والأوثان قد سقطت

وماء ساوة لما جئت كالحمم

قحطان عدنان حازوا منك عزتهم

بك التّشرف للتأريخ لا بهم

عقود نصرك في بدر وفي أحد

عدلنا فيك لا في هيئة الأمم

شادوا بعلمك حمراء وقرطبة

لنهرك العذب هب الجيل وهو ظمي

ومن عمامتك البيضاء قد لبست

دمشق تاج سناها غير منثلهم

رداء بغداد من برديك تنسججه

أيدي رشيد ومأمون ومعتصم

وسدرة المنتهى أولتك بهجتها

على بساط من التبجيل محترم

دارست جبريل آيات الكتاب فلم

ينس المعلم أويسه ولم يهم

اقرا ودفترك الأيام خط به

وثيقة العهد يا من برفي القسم

قريت للعالم العلوي أنضسنا

مسكتنا متن حبل غير منصرم

نُصرتَ بالرُّعبِ شهراً قبلَ موقِعةِ

كانَ خِصَمَكَ قبلَ الحَرَبِ في صَمَمِ

إذا رأوا طِفْلاً في الجِوِ أذهَلَهُمُ

ظَنُوكَ بينَ بُنُودِ الجِيشِ والحِشَمِ

بِكَ اسْتَفْضَنا على صُبحِ يُورُوقِهِ

بِلالُ بالنَّغَمَةِ الحِرا على الأَطَمِ

إن كانَ أَحَببْتُ بَعْدَ اللهِ مِثْلَكَ في

بدوِ وحَضْرٍ ومن عُربٍ ومن عَجَمِ

فَلا اشْتَفَى ناظِرِي من منظرِ حَسَنِ

ولا تَفَوَّهَ بالقولِ السَّديدِ فَمِي



obeikandi.com

المقامة الجونية

﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

وَكِتَابِي الْفَضَاءُ اقْرَؤُوا فِيهِ

سُوراً مَا قَرَأْتَهَا فِي كِتَابٍ

صُوراً تَدْهِيهِ الْعُقُولَ وَحُسْنًا

يَسْكُبُ السُّحْرَ فِي الصُّخُورِ الصُّلَابِ

سبحان من له في كل شيء آية، ليس لملكه نهاية، وليس لعظمته غاية،
اقراً آيات القدرة في صفحة الكون، وطلع معجزة الخلق في الحركة
والسكون، في ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾، في السمك
السَّارِبِ، في النَّمْلِ الدَّائِبِ، في هالة النور تتشر رداء السَّناء في الفضاء، في
النهار يتمواج، في البحر هائج، في النحل يلثم الأزهار، في الليل يُعانق النهار،
في الدمع يتفرق، في الدماء تتدفق، في الزهر يتشقق، في الدواب السائمة،
في الوحوش الهائمة، في الطيور الحائمة، في الحيتان العائمة، في العود
يشتد، في الظل يمتد، في الجبال ترتدي عمائم الثلوج، في القمر يهرول في
البروج، في الشمس تتبرج سافرة على العالم، في النَّبْتِ ما بين نائم وقائم.

في الأسرار تكنزها الضمائر، في الأخبار تختزنها السُّرائِرُ.

في الصخور كأنها تنتظر خبيراً من السماء وهي صامته، في الحجارة
يكسرها الإنسان بفأسه وهي ساكته، في الفجر يطلق من عباءته النور،

في الأذهان بالأفكار تمور، في الماء ينهمر من السماء، ويفوص في الرّمضاء،
يُقبل بالخُضرة والنّماء، ويدلف بالحياة للأحياء، يهيج أحياناً ويهدر، ويزحف
ويدمرّ، لاتحدّه الحدود، ولا تردّه السُّدود، وعظمته سبحانه في خلق الإنسان،
وتركيبه في أحسن كيان، حيث جعل في العينين سراجاً من النور، وأنشأ في
القلب بصيرة تدرك الأمور، وخلق العقل يقود هذا الكائن، ويوجّهه وهو ساكن،
في النبتة تشقّ طريقها إلى الفضاء، وترفع رأسها إلى السماء، في العندليب
يرتجل على الفصن كالخطيب، في الحمّام يشدو بأحسن الأنغام، يشكو الحبّ
والهيام، والعشّاق والغرام، في الغراب يخبئ رزقه في الخراب، ويدفن خصمه
في التراب، في الأسد يطارد القنيصة، ويمزّق الفريسة. في النحل يتنّ،
والذُّباب يطنّ، في الزنبور يرنّ.

في عالم النبات، آلاف المذاقات، ومئات الطّعمومات، أخضر يعانق أحمر،
وأصفر يضمّ أغبر، في الأوراق تميزُّ في الطلّ، في الحشرات تهرب
إلى الظلّ.

في الناقة تحنُّ إلي وليدها، وتشتاق إلى وحيدها، في الليل يخلع ثيابه
على الأفاق، في الضباب يخيم على الأرض كالإطباق، في النار تحرق، في
الماء يُغرق.

في الضياء يسطع، في الضوء يلمع، في العين تدمع، في البرق يكاد
يذهب سناؤه بالأبصار، في الصواعق تقصف الصخور والأشجار، في الرعد
يدويّ فيملاً العالم ضجيجاً، في الرّوض يفوح فيعبق به الجوّ أريجاً.

في أهل السلطان بين ولاية وعزل، وأسر وقتل، وهزيمة ونصر، وسجن

وقصر، في الموت يخترم النفوس، ويسقط على الرؤوس، ويأخذ الرئيس والمرؤوس، ويبرز العريس والعروس، ويهدم الأعمار، ويعطل الأفكار، ويدخل كل دار، ويخلي الديار.

في صنف من البشر، يعيشون البطر، له أموال كالجبال، وآمال كأعمار الأجيال، قصور تُشاد، كأنها لن تُباد، وحدائق غناء، وبساتين فيحاء.

وفي صنف آخر فقير، في دنياه حقير، لا يملك الفتيل ولا القطمير، يبحث عن الرغيف، وينام على الرصيف، ولقلبه من خوف الفقر رجيف.

في أهل العافية يمرحون، وفي نعيمهم يسرحون، وبما أوتوا يفرحون.

وفي أهل البلاء، وفي أصحاب الضنك والشقاء، في ظلمات المحيطات، وفي متاهات الغابات، وفي مجاهل الفلوات. أرض تمتد بلا بشر، صحارٍ قاحلة ليس فيها شجر، وعوالم موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر.

نجوم تسقط، وكواكب تهبط، ونيازك تلتهب، ترمي بشرر ولهب، مجرات سُميَّة، ومنازل قمرية، حدائق بأثواب الحُسن تُسرُّ الناظرين، ومشاهد في الكون جميلة تأخذ أبواب المُبصرين، رياض أنيقة تسرح فيها الغزلان، باقات من الورود بهيجة يلعب بها الولدان.

كلُّ في فلكٍ يسبح، وكلُّ في عالمٍ يمرح، شمس تجري كأنها تبحث عن مفقود، قبل أن تطلع وتسجد للمعبود، آية باهرة، وحكمة ظاهرة، في خلق الإنسان، ذلك الكيان، الذي يحمل جامعات من السُّكنات والحركات، فذهنٌ متوقد، وقلب متجدد، وخيال يطوي الزمان والمكان، ويُناقل الإنسان، بين خوف وأمان، وذاكرة حافظة، وألسنة لأفظة، وشركات في كل الأعضاء، منها يجذب

الهواء، ويسحب الماء، ويهضم الغذاء، ويجلب الدواء، ويذهب الداء، ما بين دفع وضغط، وإخراج وشفط، ومؤسسات تشارك في بناء الجسم، وفي قيام الرسم، ليكون في أحسن تقويم، وأكمل تنظيم، في الطير وهو يبحث عن طعامه، ويعود إلى مستقره ومنامه، في الكائنات وهي في صراع محموم، وفي هُموم وغموم، لتحصل على رزقها المقسوم، وعيشها المعلوم، في الإنسان وهو يفكر ويقدر، ويقدم ويؤخر، ويخطط وينظر، في الجبال واقفة في هيبة وجلال، في الروابي الخضراء آية في الجمال، في العافية والأسقام، في الحقيقة والأحلام، في اليقين والأوهام، في الإقدام والإحجام، في السحاب والسراب، والضباب والرّضاب.

في الأحياء وحبها للبقاء، ومدافعتها للأعداء، فهذا بمخلبه يصُول، وهذا بنابه يجول، وهذا بمنقره يُناضل، وذاك بريشه يقاتل، وآخر بسُمّه يدفع، وغيره بجناحه يردع، منهم من يطير، ومنهم من يسير، ومنهم من يسبح، ومنهم من يمرح، ومنهم على رجلين، ومنهم على يدين، ومنهم من يطير بجناحين، هذا يزحف، وذاك يخطف، وهذا في قيده يرسُف، في التقاء الأحباب والفراق في الضمّ والعناق، وفي الرُّكود والانطلاق.

في النجمة هائمة في صفحة السماء تبسم في حنادس الليل، في البدر تفتيه الليالي ويُدركه المحاق كأنه قتيل، في روعة الإشراق، وقد نشرت الشمس ضفائرها ونشرت جدائلها على التلال، وبثت سحرها على الجبال.

في الطبيب يشفي - بإذن الله - من الداء، فإذا أدركه الفناء، بارَ فيه الدواء، وعجز في علاجه الأطباء، في المريض بيأس من العافية، وتحارُ فيه

الأدوية الظاهرة والخافية، ثم تدركه من الله عناية شافية، ورحمة كافية، في البراكين تثور بالدمار، في الزلازل تهزّ الديار، في السُّمُّ يُصنع منه الدواء، في الماء يكون سبباً للفناء، في الهواء يعصف فيدمر الأشياء، في الريح تكون رخاءً فتلقح الثُّمار، وتسوق الأمطار، وتُزجي السفن في البحار، ثم تكون عاصفة هوجاء، فتقتل الأحياء، وتتقل الوياء.

في النخل باسقاتٍ لها طلع نضيد. في الجبال تثبت الأرض وقد كادت تميد، في اللبن يخرج من بين فرثٍ ودم، في كل مخلوق كيف وُجد من العدم، في الإبل كيف خلقت، في السماء كيف رُفعت، في الجبال كيف نُصبت، في الأرض كيف سُطحت، في الضحى إذا ارتفع، في الغيث إذا همع، في خلق الإنسان كيف ينكس، وفي عمره كيف يعكس، يعمّر فيعود كالطفل، فلا يُفرّق بين فرضٍ ونفل، في الطائر كيف يجمع القشّ، ويبني العُشّ، ويختار عيضه، ثم يضع بيضه، في العجاوات ما بين جائع وبطين، في الدود تبحث عن طعامها في الطين، في البُلبُل يُحبس في القفص فلا يبيض، ويعيش بجناح مهيب، في الحية وهي في الصحراء، تنصب جسمها كأنه عود للإغراء، فيقع عليها الهدد، يظنّها عوداً، فيكون طعامها، بعد أن رأى قيامها.

في الثمرة تُحمى بأشواك، كأنها أسلاك، في الأطعمة ما بين حلو وحامض، وقلوي وقابض، في الناس ألف كواحد، وواحد كجيش حاشد.

في البشر ما بين عاقل حصيف، وطائش خفيف، وتقياً متمسكاً، وفاجر متهتك.

في الأرواح كيف تتألف وتتخالف. في اختلاف الأصوات، وتعدّد اللهجات،

وتباين النغمات، وكثرة اللغات. في الحرّ يكاد يُذيب الحديد، وفي البرد يحوّل الماء إلى جليد. في الأرض يعلوها من الغيث بُرد أخضر، ويكسوها من القحط رداءً أغبر.

في المعادن تذوب بالنار، فتسيل كأنها أنهار. في السماء تتلبّد بالغيوم، ولها وجوم، كأن وجهها وجه مهموم، أو طلعة مغموم. في الشمس تكسف، في القمر يخسف، في كل ما ننكر ونعرف، في كل مولود حين يُوضع، كيف يهتدي إلى الثدي فيرضع. إن عاش الحيوان في جوّ معتدل كساه بالشعر، وإن عاش في بردٍ قارص غطّاه بالوبر، وإن عاش في الصحاري دثّره بالصوف، ليُقاوم الحُتوف، حيوان الغاب يزوّده بنّاب، وطير العريش يقويه بريش ليعيش. ينبت في الصحراء شجرة جرداء، تصبر لحرارة الرمضاء، ووهج البيداء، ويزرع في البستان شجرة ذات رواء وأغصان، نديّة الأفنان، مختلفة الطعوم والألوان، جعل الصيد في البید، ليحمي نفسه من التهديد، علّم العنكبوت، كيف تبني البيوت، وهدى النملة لادّخار القوت، جعل فوق العينين حاجبين، ليحميها من ضرر المعتدين، وجعل أمامها رمشين، لتكون في حرز أمين، وجعل فيهما ماء تغتسلان به كل حين، يسلّط الرياح على السحاب، فيقع التلاقح والإنجاب، إن شاء جعل الهواء عليلاً، يحمل نسيماً جميلاً، وإن شاء جعله ريحاً عاصفةً، مدمّرة قاصفة، سبجان من حكم الكون بالقهر، مع علو القدر ونفاذ الأمر.

له الملكوت والجبروت، وهو حيٌّ لا يموت، أحسن كل شيء خلقه، وتكفل بكل حيٍّ يوم رزقه، أوجد الحبّ وقلقه، تسمّى بأحسن الأسماء، وأنصف بأجمل الصفات والآلاء، عطاؤه أنفع عطاء، جلّ عن الشركاء، نصر الأولياء، وكبّت الأعداء، عبادته فرض، والصدقة عنده قرص، وسلطانه عمّ السماء

والأرض، يعلم الغيوب، ويقدر المكتوب، ويمحو الذنوب، ويستتر العيوب، ويهدي القلوب، وينقذ المكروب، نعمه لا تُعدّ، ونقمه لا تُصد، وعظمته لا تحد، وعطاياه لا ترد، منصورٌ من والاه، سعيدٌ من دعاه، موفقٌ من رجاه، مخذولٌ من عصاه، ومدحورٌ من عاداه.

من الذي قد استوى

للكه قد احتوى

ومن هو العظيم

والمُنعمُ الكريم

ومن يُجيبُ الداعي

لأشرفِ المساعي

ومن يرى البرية

ووسع البرية

من أنزل الكتاب

وعلم الصواب

من كسّر الأكاسرة

من قصّر القياصرة

من خلق الإنسانانا
 علمه البيانانا
 من أسدل الظلاما
 ونشر الغماما
 من أطعم الخليقة
 وأوضح الطريقة
 الخيرُ قد أسداه
 والعبيدُ قد هداهُ
 والشُرُكُ قد أباده
 والحقُّ قد أعاده
 وهو عظيمُ القدرة
 فقدرنُ قدره
 يفعلُ ما يريدُ
 ويطشهُ شديدُ
 وهو المسمى بالصمد
 فقل هو الله أحد

يُعْرَفُ بِالْأَلَاءِ

وَالْوَصْفِ وَالْأَسْمَاءِ

فَلَا تُكَيَّفُ فِي الصُّفَةِ

وَعَلَطِ الْمَكْيِفَةِ

وَلَا تُجَادِلُ فِيهِ

كَمَنْزِهِ السُّنْفِيهِ

وَقُلْ نَعَمْ سَأْمَنَا

يَا رَبَّنَا عَلْمَنَا

وَاتَّبِعِ الرَّسْمَ وَلَا

وَلَا تَكُنْ جَاهُ وَلَا

وَكُنْ عَلَى نَهْجِ السَّلَفِ

وَاحْتَرِمْ أَخِي مِنَ الْخَلْفِ

وَاحْتَرِمْ الصَّحَابَةَ

وَالْأَلَّ وَالْقَرَابَةَ

وَكُنْ تَقِيًّا وَاتَّبِعْ

وَلَا تُطِيعْ أَهْلَ الْبَيْدِ

وعظم الحديثنا

وسرله حثيثاً

واطلب هديتِ علمنا

حبائك ربي الفهمنا

أوله التوحيد

يعرفه العبيد

واجتنب الكلامنا

والزور والأثامنا

ومنطقنا وفلسفتنا

فكل هاتيك سنة

واتبع الأئمة

فهم نُجُوم الأئمة

كالخلفاء الأربعة

أهل العُلا والمنفعة

كنا أبوحنيفة

علومه شريفة

ومالك بن أنس

في العلم كالمؤسس

والشافعي محمد

في علمه مجود

وأحمد بن حنبل

إمامنا الأب جل

وشيخنا سفيان

يزهدهم زدان

والبارع الأوزاعي

قد جد في الساعي

وأحمد الحراني

العالم الرياني

ويعده محمد

في نجد جا يجد

وهذه وصية

أبياتها محصية

موجزة لطيفة

في لفظها خفيفة

نظمتها على عجل

أرجو الرضا من الأجل

فهو أحق من ذكر

وهو أجل من شكر

أسأله التوفيقا

والفهم والتحقيقا

وأشرف الصلاة

لصاحب الآيات

المصطفى وصحبه

آنسنا بحبه



المقامة القرآنية

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

أتى على سِرِّ التَّوْرَةِ فَانْهَزَمَتْ

فَلَمْ يُفِدْهَا زَمَانُ السَّبْقِ وَالْقِدَمِ

وَلَمْ تَقُمْ مِنْهُ لِلْإِنْجِيلِ قَائِمَةٌ

كَأَنَّهُ الطَّيْفُ زَارَ الْجَفْنَ فِي الْحَلَمِ

كلُّ مؤلِّفٍ له عنوان، والقرآن كتاب الرحمن. كلُّ مؤلِّفٍ إذا أُلِّفَ كتاباً، أو دَبِحَ خطاباً، اعتذر في مقدمته إذا خالف صواباً، إلاَّ الله فإنه تحدَّى فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فعجز كلُّ ذي فيه، تقرأ المصنِّفات، وتطالع المؤلِّفات، وتسمع القصائد، وتعجبك الفوائد، تُشجيك الشُّوارد، ثم تسمع القرآن المرتل، فإذا هو الأكمل والأجمل والأنبل. قرآن يخاطب النفس فتخشع، والقلب فيخضع، والروح فتقنع، والأذن فتسمع، والعين فتدمع، ولو نزل علي صخر لتصدَّع. له حلاوة وعليه طلاوة، لا يشبع منه العلماء، ولا يروى منه الحكماء، أفحم الخطباء، وأخرس الفصحاء، وأسكت الشعراء، وأدهش الأذكياء، وتحدَّى العرب العرباء. قوة برهان، وإشراق بيان، ووضوح حجة، واستقامة محجَّة، تتحاكم العقول إليه ولا يقاس أيُّ كتابٍ إليه، حارت الأذهان في وصفه، وعجبت البشرية من سبكه ووصفه، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، تلاوته تُذهب أحزانك، وتُشير أشجانك، وترفع شأنك، وتُثقل ميزانك، وتخسئ شيطانك، وتثبت إيمانك.

مصاحبته تُذهب كل داء، وتطرد كل بلاء، وتبيد كل شقاء، وتدفع كل
ضراء، وتُزيل كل بأساء وهو هُدًى وشفاء.

مُسَامَرَتُهُ حياة، واتباعه نجاة، واقتفاؤه صلاح، واتباعه فلاح، والعمل به
نجاح، قارئه ينتظر الرحمات، ويرتقب البركات، وكل حرف بعشر حسنات،
يبهر العقل، ويرفع الجهل، وهو فصل ليس بالهزل، حسن نظام، وجميل إحكام،
ودقة انسجام، هو كتاب الرحمة، ودستور الحكمة، والطريق إلى كل نعمة،
والصَّارف لكل نقمة، أذهلَّ العرب، هيمن على الكتب، أتى بالعجب، كشف
الحُجُب، سحَق النصب، علم الأدب، بيَّن حلاله وحرامه، وبديعة أحكامه،
قويُّ إفحامه.

القرآن مالٌ من لا مال له، وعشيرةٌ من لا عشيرة له، وذخر من لا ذخر له،
وكنز من لا كنز له، هو السلوة في الغربة، والأنيس في الوحشة، والعزاء عن كل
أحد، والجلاء لكل ريب، والشفاء لكل مرض، والدواء لكل داء، سمير وأنيس،
صاحب وجليس، تلاوته أجر، وحروفه حسنات، ومطالعتة بركات، وتدبره
رحمات، والعمل به نجاة، والتحاكم إليه فلاح، والرضا به سعادة، والاستغناء به
ثروة، ومصاحبته غنيمة، شافع مشفع، وصاحب حجة مقبول، وناصح أمين،
ورفيق موافق، ومحدث ممتع، هدى لا ضلالة بعده، ونور لا ظلمة فيه، وشفاء
لا سقم عنده، يُونسك في القبر، يحفظك في الحشر، يُنجيك على الصَّراط،
يُوصلك الجنة، يبعدك عن النار، يحميك من غضب الجبار، يُذهب همك، يجلو
غمك، يُزيل تعبك، يطرد نَصَبك، يشرح صدرك، يرفع ذكرك، يُعلي قدرك، هو قُرَّة
العيون، وسلوة القلوب، وبهجة النفوس، وحلية الأولياء، ومأدبة العلماء، يعصم من
الغي، يحمي من الضلالة، يُحصن من الجهالة، يمنع من الغواية، قلب بلا قرآن

ملعون، وعبد بلا قرآن مخذول، وعين بلا قرآن خائنة، ويد بلا قرآن جانبية، وأذن بلا قرآن آثمة، وقلم بلا قرآن مارد، وصحيفة بلا قرآن لاغية، وحفل بلا قرآن زور، ومجلس بلا قرآن لهو، وحديث بلا قرآن لغو، وكاتب بلا قرآن أفاك، وشاعر بلا قرآن كذاب، وتاجر بلا قرآن غشّاش، وحياة بلا قرآن موت، وحضارة بلا قرآن لعنة، وثقافة بلا قرآن مهزلة، والقرآن كلام الله، وأمانة جبريل، ورسالة محمد ﷺ، ودستور أمة، ومنهج حياة، ومشروع حضارة، ومُنطلق دعوة، ووثيقة إصلاح، وحلّ لمشكلات البشرية، وشفاء لأسقام الإنسانية، طُهر للضماير، وعمارة للسرائر، وهدى للناس، وبشرى للمؤمنين، ودعوة للعالم، وغيث لأهل الأرض، فيه قصة الإنسان، ومسيرة الخلق، وتوحيد الخالق، وصفات الرُّسل، وخبر الملائكة، ونعيم الجنة، وعذاب النار، وهو رسالة السماء إلى الأرض، وخاتم الكتب، ومعجزة النبوة، وأعجوبة الدهر، ونبأ الغيب، وحديث الآخرة، صدق في الخبر، عدل في الحكم، وسط في الطريقة، صحة في المثل، إعجاز في القول، حُسن في الحديث، جمال في السبّك، قوّة في الحجة، إشراق في البيان، سداد في النصّح ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، وهو المعجزة الخالدة، والمجد الباقي، والشرف المنيف.

هو الشافي الكافي، الجامع الشافع، فيه خبر القرون، وقصة فرعون وهامان وقارون، وحديث ثمود وعاد، وإرم ذات العماد، وفيه ذكر الأنبياء، وصفات الأولياء، وخاتمة الشهداء، ونعيم السعداء، وعذاب الأشقياء، ومصير الأبرار، ونهاية الفُجّار، وعدّ ووعيد، وبشارة وتهديد، وجنة ونار، وفوز ووبوار، تحدى بالذُّباب، وضرب المثل بالبعوضة، وشبّه بالعنكبوت، وتحدّث عن النملة،

وتعجز بالنحلة، وأهلك بالناقة، وشبه بالحمار، وأفحم بالبقرة، وقص بالفراغ، فيه الفاتحة الكافية الشافية الصافية الوافية، وفيه البقرة الحافظة بالأحكام، والحلال والحرام، في أبداع نظام وأروع كلام، وفيه المنجية من عذاب القبر وروعة الحشر، وضيق الصدر، وفيه آية الكرسي الحافظة من كل شيطان، والمانعة من كل غي، الحارسة من كل مارد، الحامية من رجس.

فيه سورة الإخلاص التي فيها صفة الرحمن، ومدح الديان، والثناء على ذي العزة والسلطان، وفيه المعوذات والمحصنات من الشرور والسيئات، تلاوته تكفر الخطيئات، وتطهر من السيئات، وقراءته تستجلب رضى من أنزله، ومحبة من تكلم به، فهو الكتاب الذي بزّ الكتب بياناً، وفاقها فصاحة، يدفع الشك باليقين، والوهم بالحقيقة، والجهل بالعلم، والشبهة بالبرهان، فهو زاد العبد الصادق في سفر الحياة، وهو قوت القلب المؤمن في رحلة العمر، وهو متعة العقل الحصيف، ومدد الإنسان الضعيف، أحرف من النور تكشف زيف الباطل، وكلمات من الطهر تجتاح معاقل البهتان، وفيض من القداسة يروّي ظمأ الروح، يُقال لصاحبه في الجنة اقرأ وارتنق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وفي الحديث: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه»، «وخيركم من تعلم القرآن وعلمه»، والقرآن حجة لك أو عليك، فطوبى لمن صاحب القرآن، ورافقه وأحبه وتلاه وتدبره وأنس به، واسترشد بوعظه، واهتدى بهداه، وعكف عليه، وتغنّى به، وأحيا به ليله، وأجرى به دمه، وأذهب به همّه، وأزال به غمّه، وطرد به حزنه وكفر به ذنبه، وأبرد به لهيب روحه، وسكن به خوفه، فهذا هو السعيد الناجي، والفائز الظافر، والولي الصادق، فهذا القرآن هو مادبة الله وضيافته ومائدته، فمن قبل الضيافة نال التكريم وحظي بالزلفى وحصل على الفوز وأدرك الفلاح.

قيل للقرآن: نَعَمْ عند السلف فنالوا به الشرف، وحصلوا به على التُّحَفِ.
وقيل للقرآن: لا عند الخلف، فوقعوا في التَّرفِ، وأُصيبوا بالتَّلَفِ،
وحصلوا على الخيبة والأسف.

قيل للقرآن: نعم في المآثم والأعياد والموالد والمهرجانات والاحتفالات.
وقيل للقرآن: لا في أمور الحياة، وقضايا الإنسان، ومعاهدات الدول،
ومواثيق الشعوب، وهموم الأمة.

قال الجزائريون للقرآن: نعم زمن ثورتهم العارمة، وجهادهم العظيم،
وكفاحهم الحيّ، ونضالهم الدّامي، واستبسالهم المُشرق فدفعوا على دويّ
القرآن نفوسهم، وقدموا على صوت القرآن رؤوسهم، وسكبوا على تلاوة
القرآن دماءهم، فلما حكمهم بعض بني جنسهم، وسأسَهُم أناس من أنفسهم
قالوا للقرآن: لا، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا
وَعَدُوهُ﴾.

وقال آخرون: نعم للقرآن، فحكموا العالم وأقاموا خلافة، وبنوا مجداً،
وصنعوا حضارة، وأسَّسوا كياناً، وصلُّوا به في صنعاء، وتهجَّدوا به في كابل،
وفسَّروه في تونس، وشرحوه في دمشق، وخشعوا له في بغداد، فلما قَدِمَ
«كمال» أشقاهم قال للقرآن: لا، فأصبح قومه أجانِب على الشعوب، غرباء
على الدنيا، يتوسَّلون المنظمات الدولية ليكونوا بها أعضاء، ويشحذون
الهيئات العالمية لتقبلهم مُشاركين، وأصبحوا لأعدائهم تابعين بعد أن كانوا
خلفاء فاتحين.

وقالت طائفة منهم للقرآن: نعم فجاهدوا وضحّوا، وبذلوا وأعطوا، فلما وصل منهم من وصل إلى سُدَّة الحُكْم عَزَلَ القرآن عن الحياة، ونفى القرآن عن مسرح الأحداث، وعَطَلَ القرآن عن التحكيم، فخرج جيل في أعداد الرمل، وكثرة الحَصَى لا يعرف أحدهم إلا طعامه وشرابه وذهابه وإيابه.

عَدَدُ الحَصَى والرَّمْلِ في تَعْدَادِهِم

فإِذَا حَسَبْتَ وَجَدْتَهُمُ أَصْفَاراً

وقال أكثر العالم للقرآن: نعم في افتتاح المؤتمر وختام الجلسة وعلى القبر، وعند عقد النكاح، وعلى روح الميت.

وقالوا للقرآن: لا في أول مادة القانون، وفي بداية الدستور، وعند إصدار الحُكْم وزمن التنفيذ، فَتَنَعَمَ للقرآن عندهم في المسجد والمقبرة والصلاة والمولد والمآتم، ولا للقرآن في القصر والميدان والمصنع والشركة والجيش والمحكمة والاقتصاد والسياسة والفكر والفن، فَتَنَعَمَ للقرآن عند الموت، ولا للقرآن عند الحياة ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

واحسرتاه يوم نُحِيَ القرآن عن العالم كيف عُدِبَ وَسُحِقَ وَمُحِقَ وَمُزَّقَ، ولو كان القرآن معهم لما قامت الحرب الأولى ولا الثانية؛ لأن القرآن ينادي ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولو كان القرآن في قلوب الأمريكان لما دَمَرُوا البشر وأزهقوا الأرواح في نجزاكي وهيروشيما لأن القرآن ينادي ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

ولو شَعَّ نور القرآن في قلوب الرُّوس والصَّرْب لما أبادوا الحَرثَ والنَّسلَ في البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان؛ لأن القرآن يحرم هذا الصنيع والفعل الشنيع والعمل الفظيع. ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

يا مجلس الأمن حَفِظْ أعضائك آية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لينقلوها لشعوبهم التي عطلت القرآن وصدت عنه وهجرته فذاقت لباس الجوع والخوف والبأساء والموت ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

واحسرتاه يوم عَزَلَ العلم عن القرآن فصار علماً طاعناً باغياً كافراً فاجراً ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

وواأسفاه يوم أبعَد الفن عن القرآن فصار فنّاً ممسوخاً مسلوخاً تافهاً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ويوم قُصِلَ الأدب عن القرآن خرج أدباً مشوهاً متخلفاً مقبياً فاحشاً ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

ويوم قُصِلت السياسة عن القرآن بَزَغَ سَاسَةَ طُغَاةِ عُنَاةِ قُسَاةِ جِبَارُونَ سَفَاكُونَ سَفَاحُونَ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

ويوم قُطِعَ الاقتصاد عن القرآن نتجت أموال ملوثة وتجارة محرمة ومعاملات ربوية ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

ويوم فقدت التربية روح القرآن وبركته ونوره شبَّ جيلٌ عاقٌّ ماردٌ متهتكٌ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ .

يا حملة الأقلام، يا رجال الإعلام، عبّوا من مورد القرآن العذب الزُّلال ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ لَتُعِدُّوا الأمة بحديثكم وتصلحوا الناس بكلامكم ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ .

اكتب على مستشفيات العالم نصيبها من القرآن ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ اكتب على العيادات النفسية ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وسطر على المحاكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ وانقش على القلوب ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وانحت على الذاكرة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ عميت عيون لم تكتحل بالقرآن، وصممت آذان لم تشنّف بالقرآن، ومزقت أفئدة لاتحبّ القرآن، وهدمت بيوت لاتدويّ بالقرآن، ومُحقت شعوب لا تتحاكم إلى القرآن، وهانت أمة لا تعمل بالقرآن.



المقامة الحديثية

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

من زار بابك لم تبحر جوارحه

تروي أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والنفس عن صلة

والقلب عن جابر والسَّمع عن حسن

جاءني عطاء الله السمرقندي، فبات عندي، وكان أحد المحدثين، ويكره المحدثين في الدين، فقلنا: أيها الإمام، عليك السلام، الوقت حثيث، فحدثنا عن علم الحديث، فتأوه ثم قال: مات حفاظه، فكادت تُنسى أفاضله، وأهل الحديث هم الركب الأخير، أحباب المختار، قوم تصدقوا بالأعمار على الآثار، وقضوا الحياة في الأسفار، لجمع كلام صفوة الأبرار:

في كل يوم لنا في الأرض مُرتحل

نغدوا بدار ونمسي بعد في دار

شدوا العمائم، وجدوا في العزائم، وتسلحوا بالصبر الدائم، فلو رأيتهم وقد فتحوا الدفاتر، وقربوا المحابر، وكتبوا: حدثنا مسدد بن مسرهد، أو رواه أحمد في المسند، أو أخرجه البخاري، وشرحه في فتح الباري، لهانت عندك الدنيا بما فيها، وركبت سفينة الحديث وناديت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا ﴾، ولأقبلت على العلم والكتب، وهجرت اللهو واللعب، واللغو والطرب.

يفوح من فم المُحدِّثِ المسكُ التُّبِّي، لأن عليه سيماء «نضراً الله امرأ سمع
مني مقالتي» أنفاس المحدثين تنضح بالطيب، لأنها حملت اسم الحبيب:

يكونُ أجاجاً دونكم فإذا انتهى

إليكم تلقى طيبكم فيطيبُ

بنفسي ذلك المحدث إذا جلس على الكرسي، وقد حفّ به الطلاب، ونشر
الكتاب ثم قال: حدثنا محمد بن شهاب، عندها يرتحل قلبك، ويكاد يطير
لُبُّك، شوقاً لصاحب التَّرَكَّة، لما جعل الله في كلامه من البركة.

فتصبح الدنيا رخيصة مرفوضة، لاتساوي جناح بعوضة، وتشتاق النفوس
إلى الجنة، لما غشيتها أنوار السُّنة.

إنِّي إذا احتوشتني الفأحبرة

يكتبنَ حديثني طوراً وأخبرني

نادت بحضرتي الأقلامُ معلنة

تلك المكارم لا قُعبان من نبن

أما أخبار المحدثين في الأسفار، وقطع القفار، وامتطاء البحار، وركوب
الأخطار، فقد حفلت بها الأسفار. ولكنهم في سفرهم يقرؤون كتاب الكون، في
كل حركة وسكون، فإن المحدث يجد المتعة في ارتحاله، والبهجة في انتقاله،
من نادٍ إلى نادٍ، ومن جبل إلى وادٍ، فهو يعبّ من المناهل، ويسرّح طرفه في
المنازل، ويطلق بصره إلى دساكر الأقطار وغيابضها، وحدائق الديار ورياضها،

فيلمح عجائب البلدان، ويتصفّح غرائب الأوطان، ويأنس بنغم الطيور في كل
بُستان، فهو في تنقل بين حيطان وغيطان، ووديان وأفنان وألوان، تمرّ به
الصُور والمشاهد، ويبيت في المساجد، ويعبّ الماء النّمير، من كل غدير، له في
كل بلدة أصحاب، وله في كل قرية أحباب.

يفترش الغبراء، ويلتحفُ السّماء، سلّم في سفره من أذى الجيران،
وضوضاء الصبيان، والثقل من الإخوان، ينام على التراب، في الخراب خارج
القرى، مركوبه رجلاه، وخادمه يداه، البسمة لا تغادر محياه:

ومُشَتَّت العزّماتِ لا ياوي إلى

سكن ولا أهل ولا جيران

الف النوى حتى كأن رحيله

للبين رحلتُهُ إلى الأوطان

وقيل للفلاسفة: من سندكم؟ قالوا: ابن سينا عن سرجيس بن ماهان، عن
أرسطاليس من اليونان.

وقيل لعلماء الكلام: من سندكم؟ قالوا: محمد بن الجهم من خراسان، عن
الجهم بن صفوان.

وقيل للمحدثين: من سندكم؟ قالوا: طاوس بن كيسان، عن ابن عباس

ترجمان القرآن، عن الرسول سيّد ولد عدنان، عن الرحمن، كان المحدث إذا
ودّع أولاده، وترك بلاده، وحمل زاده، يجد من راحة البال، وطيب الحال، ما
يفوق فرحة أصحاب الأموال، وما يربو على سرور من ملك الرجال.

إذا جمع بعضهم كلام الفلاسفة، أهل الزيف والسّفه، الذي يورث الجدل
والمعاسفة، جمع المحدثون كلام الذي ما ضلّ وما غوى، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

وإذا تفاخر أحدهم بجمع كلام علماء الكلام، أهل الشقاق والإسفاف،
والفرقة والخلاف. تفاخر المحدثون بحديث خير الأنام، أزكى من صلّى وصام،
وحجّ البيت الحرام. قال الشافعي: إذا رأيت مُحدثاً فكأنني رأيتُ أحد أصحاب
محمد، قلت: لأن نهجهم مسدّد، وعلمهم من الله مُؤيّد.

وَقَدْ أَطَالَ تَنَائِي طُولَ لَيْسِيهِ

إِنَّ التَّنَاءَ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالُ

أنا لا أريد سندي من إيوان كسرى أنو شروان، ولا من الرومان، ولا من
اليونان، أريد سندي عن سفيان، أو سليمان بن مهران، أو سلمان عن رسول
الإنس والجان.

تعلمني كلام الناس بلا دليل، ولا تأصيل، وتقول هذا كلام جميل، وعندني
التنزيل!

قيل للحمار: لماذا لا تجترّ؟ قال: أكره الكذب.

وقيل للجمل: لماذا لا ترقص؟ قال: لا أعرف الطّرب.

وتعلمني الفلسفة والمنطق، وأنا ما عندي وقت للعب.

أريد أن أسمع في المجلس، حدّثنا سبعين مرة، لتكتمل المسرّة.

أهل الحديث هم أهل النبي وإن

لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

الحديث النبوي كلام، لم يخمر في عقول فلاسفة اليونان، ولم يتعفن في أدمغة فلان وفلان، ولم يأت من أهواء أهل الطفيان، وإنما قاله من أتى بالقرآن، تقرأ استتباط أهل الفهوم، وتطالع كتب أرباب العلوم، ثم تتلو حديث المعصوم، فإذا ماء الوحي يترقرق في جنباته، ورحيق العصمة يتدفق في قسامته، فكان كل علم قرأته قبله نُسي وانتهى، لأنه لا يقاوم كلاماً أتى من عند سدرة المنتهى.

ما أحسن الضمّ والعناق، لجملة حدثنا عبدالرزاق، كلما قلت أخبرنا علي ابن المدني، حفظت ديني، سهمي لكل مبتدع يسدّد، إذا قلت حدثنا مسدّد بن مسرهد.

أشرفت أمامي المسالك، كلما قرأت موطأ مالك، سقيم الإرادة العلمية له علاج، عند مسلم بن الحجاج، أدمع كل منحرف بذّي، بسنن الترمذي، أنا في صباحي ومسائي، أدعو للنسائي.

هاجر المحدثون إلى الله لطلب كلام رسوله الأمين، فوجدوا في أول الطريق ثواب نية الصادقين، ووجدوا في وسطه نضرة البهاء التي دعا بها سيّد المرسلين، ووجدوا في آخر الطريق جنة عرضها السماوات والأرضين أُعدت للمتقين.

كل صاحب فن، ينسب إلى صاحب ذلك الفن، إلا المحدثون فإنهم ينسبون إلى من أتى بالسّنن، وأهدى لنا المتن، وتعمّت بعلمه الفطن.

مَا أَرَوَعَ الْهَمَّ الْكِبَارَ لَيْلَةً

مَعْرُوفَةً بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ

يَتَصِيدُونَ كَلَامَ أَكْرَمٍ مُرْسَلٍ

يَنْفُونَ عَنْهُ سَبِيكَةَ الْبُهْتَانِ

سافر أحمد بن حنبل من بغداد إلى صنعاء، يمتطي الرَّمضاء، ويركب الظلماء، يترك الأهل، يدفعه الجبل إلى السهل، تشيعه الدموع، يرافقه الجوع، لأن الرجل مشتاق، وأحد العشاق، لذاك الترياق، من قوارير عبدالرزاق.

دخل مكحول القرى والبوادي، وطاف على النوادي؛ يطلب حديث النبي الهادي، فصار ريحانة الشام، وشيخ الإسلام.

ومشى أبو حاتم، ألف فرسخ على الأقدام، لطلب حديث سيّد الأنام، فأصبح بذلك أحد الأعلام.

تَهُونُ خُطَانَا لِلْمُحِبِّ فَلَوْ مَشَى

إِلَيْكُمْ فُوَادِي كَانَ أَبْرَدَ لِلشُّوقِ

المحدثون هم عسكر الرسالة، وجنود البسالة، ظهروا على البدع بكتائب حدثنا، وسحقوا الملاحدة بجيوش أخبرنا.

لولا كتابة الحديث في الدفاتر، وحمل المحدثين للمحابر، لخطب الدجال على المنابر.

كم من أنف لمبتدع أرغم بصحيح البخاري، وكم من صدر لمخالف ضاق بفتح الباري.

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين: رواية ودراية، بداية ونهاية، متون وأسانيد، صحاح ومسانيد، تراجم ومعاجم.

من ركب هذه السفينة نجا من غرق الضلالة، وسَلِمَ من بحر الجهالة، ووصل شاطئ الرسالة.

انطلقت هذه السفينة من المدينة ربّانها المصطفى، والركّاب الصحابة الأوفياء، نحن على مائدة المحدثين أضياف، فلعلنا نُعدُّ منهم، لأن المضاف إليه يأخذ حُكم المضاف، لكل طائفة رئيس، والمحدثون محمد ﷺ رئيسهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ليتني خسرت ذهباً مثلاً ثهلان، بمجلس واحد مع سفيان.

المحدثون بيوتهم المساجد، وعصا التسيار التوكّل، وزادهم التقوى، وكلامهم حدّثنا وأخبرنا، يريدون وجهه، والمطلب الجنة، والمقصد رضوان الله، والعمل الذبّ عن الملة، والنسبة محمديون.

هذه الطائفة: «دَعَهَا فَإِنَّ مَعَهَا حِذَاءَهَا وَسِقَاءَهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَرعى الشجرَ، حتى يلقاها ربُّها، في جناتٍ ونَهْرٍ، في مقعدٍ صدقٍ عندَ ملكٍ مقدرٍ.

سلام على المحدثين، ورحمة ربّ العالمين، ورضوان عليهم في الخالدين، وجمعنا بهم في الصالحين، وإلى لقاء بعد حين:

إن كانَ قد عَزُفَ في الدُّنيا اللِّقاءُ فِفي

مواقِفِ الحَشْرِ نَلقَاكم وَيَكفِينَا



obeikandi.com

المقامة العلمية

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا

لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا

وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بُونُ

سَتَتَعْلَمُهُ إِذَا طَهُ قَرَأْنَا

العلم أشرف مطلوب، وأجل موهوب، والعلماء ورثة الأنبياء، وسادة الأولياء، والشهداء على الألوهية، والدعاة إلى الربوبية، تستغفر لهم حيتان الماء، وطيور السماء، وتدعو لهم النملة، وتستغفر لهم النحلة، ولآيتهم لا تقبل العزل، وأحكامهم ليس فيها هزل، مجالسهم عبادة، وكلامهم إفادة، يوقعون عن رب العالمين، ويفضلون الناس أجمعين، وكما يُهتدى بالنجوم في ظلم البر والبحر، فهم منائر الأرض يُهتدى بهم في كل أمر، العلم في صدورهم، والله يهدي بنورهم، ويُنزل عليهم الرضوان في قبورهم، هم حَمَلَة الوثيقة، والشهداء على الخليفة، كلامهم محفوظ منقول، وحكمهم ماضٍ مقبول، بهم تصلح الديار، وتعمر الأمصار، ويكتب الأشرار، وهم عز الدين، وتاج الموحددين، وصفوة العابدين، هم أنصار الملة، وأطباء العلة، يذودون عن حياض الشريعة، ويزجرون عن الأمور الفظيعة، وينهون عن المعاصي الشنيعة، هم خلفاء الرسول، ثقات عدول، ينفون عن الدين تأويل المبطلين، وتحريف الجاهلين وأقوال الكاذبين، مذاكرتهم من أعظم النوافل، ومرافقتهم من أحسن الفضائل،

وهم زينة المحافل، بهم تُقام الجماعات والجمع، وبهم تُقَمع البدع، هم الكواكب في ليل الجهل، وهم الغيث يعمّ الجبل والسهل، عالمٌ واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد، لأنّ العالم يدرك الحيل، ولا تختلط عليه السُّبل، يكشف الله به تلبيس إبليس، ويدفع الله بهم كل دجال خسيس، أحياء بعد موتهم، موجودون بعد فوتهم، علمهم معهم في البيوت والأسواق، ويزيد بكثرة الإنفاق، أقلامهم قاضية، على السيوف الماضية، بصائرهم تنقب في مناجم النصوص، وعقولهم تركب الدرّ في الفصوص، الناس يتقاسمون الدرهم والدينار، وهم يتوزعون ميراث النبي المختار، لو صلّى العابد سبعين ركعة، ما عادلته من العالم دمة، فهم أهل العقول الصحيحة، وأرباب النصيحة.

العلم شرف الدهر، ومجد العصر، وذهب الملك بحراسه، وبقيت بركة العالم في أنفاسه، فنيّ السلاطين، ووَسدوا الطّين، وخذل ذكر أهل العلم أبدأً، وبقي ثناؤهم سرمداً، العلم أعلى من المال، وأهيب من الرجال، به عُبد الديّان، وقام الميزان، وبه نزل جبريل، على صاحب الغرّة والتّحجيل، وبه عُرفت شرائع الإسلام، وميَّز بين الحلال والحرام، وبه وُصلت الأرحام، وحلّ كلُّ نزاع وخصام، وبالعلم قام صرح الإيمان، وارتفع حصن الإحسان، وبينت العبادات، وشُرحَت المعاملات، وهو الذي جاء بالزّواجر، عن الصفائر والكبائر، وفقّه الناس به الفرائض والنّوافل، والآداب والفضائل، ونُصبت به معالم السُّنن، وكُشف به وجه الفتن، ودلّ به على الجنّة، ودُعيّ به إلى السُّنة، وهو الذي سَحَقَ الوثنية، وهدم كيان الجاهلية، ونهى عن سبيل النار، ومُوجبات العار، ووسائل الدمار، وبه حُورب الكفرة، وطُوردَ الفجرة، وهو من العلل دواء، ومن الشكوك شفاء، ينسف الشُّبهات، ويحجب الشهوات، ويصلح القلوب، ويُرضي

علام الغيوب، وهو شرف الزمان، وختم الأمان، وهو حارس على الجوارح،
وبوابة إلى المصالح، وصاحبه مُهاب عند الملوك، ويخدمه الغني والصلعوك،
وحامله ممجد مسودّ، ولو كان عبداً أسود، يجلس به صاحبه على الكواكب،
وتمشي معه المواكب، وتخدمه السادة، وتهابه القادة، تُكتب أقواله، وتُقتفى
أعماله، وتحترمه الخاصّة والعامّة، ويُدعى للأمور الهامّة، مرفوع الهامّة،
ظاهر الفخامة، عظيم في الصدور، غني بلا دور ولا قصور، الله بغيته، والزهّد
حليته، مُسامرته للعلم قيام، وصمته عن الخنا صيام، رؤيته تذكّر بالله، لا يعجبه
إلا الذكّر وما والآه، عرف الحقيقة، وسلك الطريقة، به تُقام الحجّة، وتُعرف
المُحجّة، وهو بطل المنابر، وأستاذ المحابر، والمحفوظ اسمه في الدفاتر.

العلم زين وتشريفٌ لصاحبه

فاطلب هُديت فنون العلم والأدب

لا خير فيمن له أصلٌ بلا أدب

حتى يكون على ما زانه حادباً

كم من حسيبٍ أخي عيٍ وطمطمة

فدمٌ لدى القوم معروف إذا انتسباً

في بيت مكرمةٍ آباؤه نُجباً

كانوا رؤوساً فامسى بعدهم ذنباً

ومُقَرَّفٍ خَامِلٍ الْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ
 نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 أَضْحَى عَزِيزًا عَظِيمَ الشَّانِ مُشْتَهَرًا
 فِي خَدِّهِ صَعَرَ قَدْ ظَلَّ مُحْتَجِبًا
 الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ
 نَعِمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبَ صَحْبًا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالًا ثُمَّ يُسَلِّبُهُ
 عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
 وَجَامِعَ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
 وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْفُوتَ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعِمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
 لَا تَعْدِلُنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا

والعلم وسام لا يُخلع، وهو من الملك أرفع، وهو إكليل على الهامة، ونجاة
 يوم القيامة، يُنقذ صاحبه من ظلمات الشك والريبة، ويخلصه من كل مصيبة،
 وهو علاج من الوسواس، وفي الغربة رضا وإيناس، وهو نعم المجلس والأنيس،
 وهو المطلب النفيس.

يُغْنِيكَ عَنِ الْمَسْوَمَةِ مِنَ الْخَيْلِ، وَالْبَاسِقَاتِ مِنَ النَّخِيلِ، وَيَكْفِيكَ عَنِ
الْقَنَاظِيرِ الْمَقْنَطِرَةِ، وَالِدَوَاوِينِ الْمَعْطَرَةِ.

هَذَا هُوَ الْعِلْمُ لَا طِينٌ وَلَا حَجَرٌ

وَلَا خَيْوَلٌ وَلَا عَيْسٌ وَلَا بَقْرٌ

هُوَ النِّجَاةُ هُوَ الرِّضْوَانُ فَاحْظْ بِهِ

وَمَا سِوَى الْعِلْمِ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ

وحسبك به كفاية عن كل بناء، وعن الحداثق الغناء، والبساتين الفيحاء،
وهو الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً، والمُلك الذي من أُعطيهِ
فقد أُعطي مُلكاً كبيراً، وصاحب العلم غنيُّ بلا تجارة، أمير بلا إمارة، قويُّ بلا
جنود، والناس بالخير له شهود.

لَكِنَّهُ الْعِلْمُ يَسْمُو مَنْ يُحَاصِلُهُ

عَلَى الْأَنَامِ وَلَوْ مِنْ جَدِّهِ مُضَرٌّ

مات القادات والسادات، وذكرهم معهم مات، إلا العلماء فذكرهم دائم،
ومجدهم قائم، فألسنة الخلق، أقلام الحق، تكتب وتخطّ لهم الثناء، وأفئدة
الناس صُحُفٌ تحفظ لهم الحب والوفاء، كان أبو حنيفة مولى يبيع بزّاً، ولكنه
بعلمه هزّ الدنيا هزّاً، وكان عطاء بن أبي رباح، خادم لامرأة في البطاح، فقال
بعلمه الإمامة، وأصبح في الأمة علامة، وابن المبارك عبد الله المولى الإمام
الأواه، والأعمش ومكحول، كانوا من الموالى ولكنهم أئمة فُحُول، فالعلم يرفع
صاحبه بلا نسب، ويشرفه بلا حسب.

وإنما يحصل العلم بخدمته كلَّ حين، وطلبه ليعبَد به ربَّ العالمين، وطىُّ الليل والنهار في تحصيله، والسهر على تفصيله، ومذاكرته كل يوم، والاستغناء به عن حديث القوم، ومطالعة مصنَّفاته، ومُدارسة مؤلَّفاته، وتقييد أوابده، وحفظ شوارده، وتكرار مُتُونه، ومعرفة عيونه.

سَهْرِي لَتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الذَّلِي

مَنْ وَصَلَ غَانِيَةً وَطَيْبَ عِنَاقِ

وَدُمُوعُ عَيْنِي فَوْقَ قِرطَاسِي لَهَا

هَمْسُ كَهَمْسِ الْحُبِّ فِي الْأَعْمَاقِ

فمن طلبه بصدق، وحرص عليه بحق، فهو مهاجر إلى الله ورسوله، تفتح له أبواب الجنة عند وصوله، وهو مُرابط في ثغور المرابطين، وجواد في صفوف المُعطين، ومداده في الأوراق، كدماء الشهداء المهرق، لأنه مقاتل بسيف النصوص، قطع طريق الملة واللصوص، وقد يجمع الله به الأشرار، ما لا يقوم به جيش جرَّار، فإن الله يجري حجته على لسانه، ويُسير موعظته في بيانه، فينزح الله بكلامه حظَّ الشيطان من النفوس، ويجتثُّ به خَطرات الزَّيغ من الرؤوس، ويفسل الله بمعين علمه أوساخ القلوب. وينفض بنصائح أدران الذنوب، فكلما بنى إبليس في الأرواح ضلالة جاء العالم فأزهمها، وكلما نسج في الأنفس خيمة للباطل قام العالم فمزَّقها.

صاحب المال مغموم مهموم، خادم وليس بمخدوم، حارس على ماله، بخيل على عياله، وصاحب العلم سيّد مسرور، يعمره الحبور، ويملاً فؤاده النور،

تعلم من السؤدد غايته، ومن الشرف نهايته، تُجبى إليه ثمرات كل شيء من لطائف المعارف، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهو واقف، يأتيه طلببة العلم من كل فج عميق، كأنما يؤمّون البيت العتيق، في قلبه نصوص الشريعة، ينزل عليه ماء الفقه فتهتز وتربو، وتبت من كل زوج بهيج، فتري العالم يجول فكره في الملأ الأعلى والناس في أمر مريج، فقلب العالم له جولان في فضاء التوحيد، وقلب الجاهل في غابات الجهل بليد، أشرقت في قلب العالم مشكاة فيها مصباح، وتنفس في نفسه نور الصباح، أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها، فاحضرت روضة العالم على أثرها.

صيد الكلب المعلم حلال، وصيد الكلب الجاهل حرام ووبال، وما ذاك إلا لشرف العلم حتى في البهائم، ومكانة المعرفة حتى في السوائم. والهدهد حمل علماً إلى سليمان، فسطر الله اسمه في القرآن، فهو بالحجة دمع بلقيس، وأنكر عليهم عبادة إبليس، وحمل من سليمان رسالة، وأظهر بالعلم شجاعة وبسالة.

فعليك بالعلم، والفهم.. الفهم، وتصدق عليه بنوم الجفون، وأنفق عليه دمع العيون، واكتبه في ألواح قلبك، واستعن على طلبه بتوفيق ربك، وأتعب في طلبه أقدامك، وأشغل بتحصيله أيامك، وإذا سهر الناس على الأغاني، فاسهر على المثاني، وإذا وقع القوم في الملهات، وأدمنوا الشهوات، فاعكف على الآيات البينات، والحكم البالغات، وإذا احتسى العصاة الصهباء، فاكرع من معين الشريعة الغراء، وإذا سمعت اللاهين يسمرون، وعلى غيهم يسهرون، فصاحب الكتاب، فإنه أوفى الأصحاب، وأصدق الأحباب، وإذا رأيت الفلاح يفرس الأشجار، ويفجر الأنهار، فاغرس شجر العلم في النفوس، وفجر ينابيع

الحكمة في الرؤوس، وإذا أبصرت التجار يصرفون الفضة والذهب، فاصرف الحجة كالشهب، وأطلق الموعدة كاللهب.

يكفيك أن العلم يدعيه غير أهله، وأن الجهل ينتفي منه الجاهل وهو في جهله، يُرفع العالم الصادق بعلمه على الشهيد، لأنه يُقتل به كل يوم شيطانٌ مريد، العالم سيوفه أقلامه، وصُحفه أعلامه، ومنبره ظهر حصانه، وحلقته حلبة ميدانه، العالم يفر من الدنيا وهي تلحقه، ويأبى المناصب وهي ترمقه، والعلم هو العصب المهتد ليس ينبو، وهو الجواد المضمّر الذي لا يكبو، ولكن المقصود بهذا العلم علم الكتاب والسنة، الذي يدلّك على طريق الجنة، وهو ما قادك إلى الاتباع، ونهاك عن الابتداع، فإن كسرك وهصرك ونصرك، فهو علم نافع، فإن أعجبك وأطربك وأغضبك فهو علم ضارٌّ، ما كسرك عن الدنيا الدنيّة، والمراكب الوطيّة، والشهوات الشهية، وهصرك عن العلو في الأرض، ونسيان يوم العرض، ونصرك على النفس الأمّارة، والأمانى الغدّارة، فهذا هو العلم المفيد، والعطاء الفريد.

وإن أعجبك فتكبّرت، وأطربك فتجبّرت، وأغضبك فتهورت، فاعلم أنه علم ضارٌّ، وبناء منهار.

علم لا يلزمك تكبيرة الإحرام مع الإمام، فهو جهل وأوهام، وعلم لا يدعوك إلى الصدق في الأقوال، والإصلاح في الأعمال، والاستقامة في الأحوال، فهو وبال، العلم ليس مناصب ومواكب ومراكب ومراتب ومكاسب.

بل العلم إيمان وإيقان وإحسان وعرفان وإذعان وإتقان، فهو إيمان بما جاء به الرسول، وإيقان بالمنقول والمعقول، وإحسان يُجوّد به العمل، ويحدّر به

من الزلّ، وعرفان يحمل على الشكر، ويدعو لدوام الذكر، وإذعان يحمل على العمل بالمأمور، واجتناب المحذور، والرّضا بالمقدور، وإتقان تصلح به العبادة وتطلب به الزيادة.

وهذه قصيدة العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني الأديب النابغة حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرّة تاج الأدب، جمع بين خطّ ابن مقلة ونثر الجاحظ، ونظم أبي تمام، وقصيدته هذه هادرة بالقيم، مليئة بالشّمم، ومرصّعة بالهمم، وهي بديعة ذائعة، فريدة رائعة، عجيبة شائعة، إنها تثب إلى قلبك، وتغوص إلى أعماقك، وتسافر في دمك، وتصل إلي خلدك في سرعة الضوء، ورقّة الغيث، وديب السحر، إنها مسك وعنبر، وياقوت وجوهر، وريحان معطر ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أدعها بين يديك فاقرأها بلا نثور، وارجع ﴿ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴾، ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ فليسافر القارئ مع شوارد الإيمان يوم يرسلها العلماء الأفاضل في سماء المثل، وفي دنيا السّجايا الحميدة، وإنها قصيدة أخّاذة، ثائرة خلّابة، فيها أسرار، وحديث لا ينتهي، وشجون لا تنقضي، وذكريات تمور مور الموج الصاحب، الهادر الفاضب، وتمرّ مرّ السّحاب المتدافع المتلاحق، وتسعى سعي الريح الهائجة.

وهكذا فليكن الشعر عذوبة ورقّة وجزالة، وسموّاً ونبلاً وإيحاءً وتأثيراً، والآن أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وأترككم مع القاضي الشاعر المؤثر الجرجاني:

يقُولون لي: فيك انقباضُ وإنما

رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحجمًا

أرى الناسَ من دأناهمُ هانَ عندهمُ

ومن أكرمتَه عزَّةُ النفسِ أكرما

ولم أقضِ حقَّ العلمِ إن كنتَ كلِّمًا

بدا طمعُ صيِّرتَه لي سأمًا

وما زلتُ مُنحازًا ببعضي جانبًا

عن الذُّلِّ أعتدَّ الصيانةَ مغمًا

إذا قيل: هذا منهلٌ قلتُ: قد أرى

ولكنْ نفسَ الحرِّ تحتَمَلُ الظُّمًا

أنزَّهها عن بعضِ ما قد يُشِينُها

مخافةَ أقوالِ العدا: فيمَ أوِّمًا

فأصبحُ عن عيبِ اللئيمِ مُسلِّمًا

وقد رُحِتُ في نفسِ الكريمِ مُعظِّمًا

واني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبتُ

أقلبُ كضيِّ أثره مُتندِّمًا

ولكنَّهُ إن جَاءَ عَفْوَاً قَبِلْتُهُ
 وإن مَالٌ لَمْ أَتْبِعْهُ هَلْأَ وَلِيْتَمَا
 وَأَقْبِضْ خَطْوِي عَنِ حُطُوطِ كَثِيرَةٍ
 إِذَا لَمْ أَنْهَهَا وَأَفِرَّ الْعَرِضَ مُكْرَمًا
 وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أَضْأَحِكَ عَابِسًا
 وَأَنْ أَتَلْقَى بِالْمَدِيحِ مُسْتَهْمًا
 وَكَمْ طَالِبِ رَقِي بِنِعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ
 إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ الْمُعْظَمًا
 وَكَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْحُرِّ نِقْمَةً
 وَكَمْ مَغْنَمٍ عِنْدَهُ الْحُرِّ مَغْرَمًا
 وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
 لِأَخْدَمِ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأَخْدَمَا
 أَشَقَى بِهِ غَرَسًا وَأَجْنِيهِ ذَلَّةً
 إِذَا فَاتَبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
 وَإِنِّي لِرَاضٍ عَنِ فَتَى مُتَعَفِّفٍ
 يَرُوحُ وَيَغْدُو لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا

يبيت يُراعي النجم من سوء حاله
ويصبحُ طلقاً ضاحكاً متبسماً
ولا يسألُ المثريين ما بأكفهم
ولو مات جوعاً عِفَّةً وتكرماً
فإن قلت: زندُ العلمِ كَابٍ، فإنما
كبا حين لم نحرس سَمَاهُ وأظلمَا
ولو أن أهلَ العلمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
ولو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظْمَا
ولكن أهانُوهُ فَهَانُوا وَدَسُّوا
مُحِيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا
وما كُلُّ بَرَقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي
ولا كُلُّ فِكْرِي مُنْجِدًا ثَمَّ مَتَهَمَا
إلى أن أرى ما لا أغضُّ بِذِكْرِهِ
إذا قلتُ: قد أسدى إلي وأنعمَا



المقامة السلفية

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا

أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ

وَلَوْ حَاوَلُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

قال الراوي: نراك صاحب تحف، فحدثنا عن مذهب السلف، ليقتدي به

الخلف، فملاؤه السرور، وحضره الحبور، وغشيه النور، ثم أنشد:

دَعَا دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى

فَهَيْجَ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي

دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا

أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

ثم قال: ذكّرتمونا خير القرون، ونون العيون، فحديثهم ذو شجون.

فهم أهل الاتباع لا الابتداء، وأهل الرواية والسّماع، والألفة والاجتماع، نزل الوحي بناديبهم، وسارت السنّة من واديبهم، شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، قولهم سديد، وفعلهم رشيد، ومنهجهم حميد، ومذهبهم فريد، اعتصموا بالدليل، وتركوا القال والقيل، فهم صفوة كل جيل، وخلاصة كل قبيل.

هُمُ النُّجُومُ إِذَا اعْتَلَّتْ مَسَائِلُهَا

عَلَيْكَ عِنْدَ السُّرَى يَا صَاحِبِي السُّبُلُ

اتَّبِعْ طَرِيقَتَهُمْ وَاعْرِفْ حَقِيقَتَهُمْ

وَاقْرَأْ وَثِيقَتَهُمْ بِالْحُبِّ يَا رَجُلُ

السَّلفُ أَهْدَى النَّاسِ سَبِيلًا، وَأَصْدَقُهُمْ قِيْلًا، وَأَرْجَحُهُمْ تَعْدِيلًا.

هم أعلام يُهْتَدَى بهم في بیداء الضلالة، وهم أقمار يُسْتَضَاء بها في ليل الجهالة، هم الموازين الصادقة للمذاهب، وهم المعين العذب لكل شارب، وهم الرعيل المختار المُقْتَدِي به كل طالب. تركوا التشدُّق، والتفیهق، والتشقق، والتحذلق، والتمزُّق. وهجروا التعسُّف والتكلف، لهم منَّا الحبُّ الصادق، والعهد الوثاق، والإجلال والتقدير، والإكرام والتوقير، والنصرة والتعزير، شرف الله تلك الأقدار، وأنزلهم منازل الأبرار، وأسكنهم أجل دار، وأحسن قرار، لو كتبت دموعنا على خدودنا لما كتبت إلا حُبَّهُمْ ولو تمنَّت قلوبنا غاية الأمانی ماتمنَّت إلا قُرْبَهُمْ.

أَمَّا وَالذِّي شَقَّ الْقُلُوبَ وَأَوْجَدَ الـ

مَحَبَّةً فِيهَا حَيْثُ لَا تَتَصَرَّمُ

وَحَمَلَهَا قَلْبَ الْمُحِبِّ وَإِنَّهُ

لَيَضَعُفُ عَنِ حَمَلِ الْقَمِيصِ وَيَأْتُمُ

لَأَنْتُمْ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَيُعَدُّهَا

أَحِبَّتَنَا إِنْ غَبْتُمْ أَوْ حَضَرْتُمْ

سَلُّوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمَا قَدْ تَحَمَّلْتِ

مَحَبَّةَ صَبِّ شَوْقِهِ لَيْسَ يُكْتَمُ

السلف خيرٌ منّا، ارتفع قدرهم عنّا، سبقوا بالإيمان، وحبّ الدين، والعمل بالقرآن، ونيل درجة الإحسان، هم أهل الهجرة والجهاد، والصبر والجلاد، عندهم خير زاد، ليوم المعاد، وهم صفوة العباد. السلف ليسوا مُعطلّة، ولا معتزلة، ولا مؤوِّلة، ولا مُجهّلة، ولا مخيِّلة: لأنّ المعتلّة عطّلوا الباري مما دلّت عليه الأحاديث والآيات، والمعتزلة نفوا الصفات، والمؤوِّلة أوّلوا ما أتت به النصوص الواضحات، والمُجهّلة قالوا: إن الرُّسل ليس عندهم إلا تخيِّلات، فضلّ الجميعُ في العقليات، وجهلوا النقليّات، فهدى الله أهل السنّة لأحسن الأقوال في الظنيّات واليقينيّات، وفي الصفات، والذات.

والسلف ليسوا خوارج أقوالهم كضرية، وليسوا جبرية، ولا قدرية، ولا أشعرية.

لأنّ الخوارج كفّروا بالكبيرة، وأخرجوا المسلم من الدين بالجربة، وحملوا السيف على أئمة الحيف، وخذلّوا الفاسق في النار مع الكفّار.

والجبرية قالوا: إن العباد جُبروا على الذنوب، وقُهرُوا على معصية علّام الغيوب.

والقدرية قالوا: لم يسبق القدر علم ولا كتاب، والأمر مستأنف خطؤه والصواب.

والأشعرية أثبتوا الأسماء وسبعاً من الصفات، وأوّلوا الباقيات، ولهم

مقالات زائفات.

والسلف قابلوا النصوص بالإذعان والتسليم، والتوقير والتكريم، فأمرؤها على ظاهرها كما جاءت من غير تمثيل، وقبلوها من غير تعطيل، وعرفوها من غير تكيف، وفهموها من غير تشبيه ولا تزييف.

وأنا إلى السلف أنتسب، لأنني رَضَعْتُ مِنْهُمْ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والمبتدعة ليسوا منا ولا إلينا، لأن البقر تشابه علينا. إذا أتاني كتاب مختوم، عليه توقيع المعصوم، لثمته بدموعي وأنفاسي، ووضعتة على رأسي، وقلت: سمعاً وطاعة، لصاحب الحوض والشفاعة.

وإذا جاءني كتاب بالباطل منمرق، وبالبدعة مزمرق، وبالبهتان ممخرق، مزرقته كل ممزق. واعط الله في كل سريرة، فإذا ألقيت قميص يوسف على يعقوب البصيرة. عاد القلب بنور الوحي بصيراً، وارتد طرف الباطل حسيراً، وانفل حدّ الزور كسيراً. سلام على السلف من الخلف، ما غرد حمام وهتف، وما حن حبيب لحبيب وعطف، وما رقص قلب صبّ ورجف، وما همع دمع ووكف.

جمرك البضاعة بختم محمد، واكتب على البطاقة لأستبدل ولا يُجدد، واقرأ على الكيس خرج من مدينة الرسول، وحامل الكيس هو المسؤول، واحذر من التزوير، فإن موزع البريد بصير، وقارئ الرسائل خبير، إذا طلع فجر البشري من المدينة أدنًا، وإذا رأينا الركب من طيبة أعلنًا، وإذا سمعنا الهتاف المحمدي أمنا، وكلنا حول رايته دندنا.

حُبزُ كانون الرسالة أبيض، لا يأكله كلّ معرض، الدقيق بالصدق مطحون، فلا يأكله المبطون، ما لك لا تهدي في المسالك؟ وتقع في المهالك؟ تُناديك إلى أحمد بن حنبل، فتذهب إلى أحمد بن أبي دؤاد المغفل، ونقول: رافق إبراهيم بن أدهم،

فترافق الجعد بن درهم، تهجر الصادق السلفي يحيى بن معين، وتُصاحب ابن سينا وابن سبعين، ويعجبك كلام ابن الراوندي اللعين، عليك بمجلس مالك وسفيان، واهرب من الجهم بن صفوان، عندنا حماد بن زيد، وعندهم عمرو بن عبيد، احذر من الكشاف، فإنه ليس بكافٍ شافٍ، أهدرك الفصوص، فإن بين أسطره اللصوص، السلف أبرياء من الاختلاف واللجاج، وظلم الحجاج، وخرافات الحلّاج.

السلف أطهر من ماء الغمام، وأزكى من المسك والخزام، حسبهم تزكية الملك العلّام، جمعنا الله بهم في دار السلام، هجروا العلوم المنطقية، والقضايا السفسطية، والعقائد القرمطية، ولزموا الطريقة الوسطية.

السلف صادقون لا يكذبون، عدول لا يظلمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، ولهذا أمر أبو بكر الصديق بقتل مُسيلمة الكذاب، فمزق بالحِراب، عندنا خالدان: سيف الله خالد بن الوليد، وخالد القسري ذو البطش الشديد، فخالد ذبح مُسيلمة في اليمامة، وخالد نحر الجعد بن درهم وهو في محراب الإمامة.

لدينا أحمدان، ولديهم أحمدان، صادقان، وكاذبان، عندنا أحمد بن حنبل، إمام السنّة المُبجل، وعلاّمة الحديث المفضل، وأحمد بن تيمية، مجدد الأمة الإسلامية، صاحب التدمرية والحموية.

وعندهم أحمد بن أبي دؤاد، صاحب البدعة والعناد، والخلاف والفساد، وأحمد غلام مرزا قاديان، حامل الزور والبُهتان، والدجل والطغيان.

عندنا حمّادان، وعندهم حمّادان، عندنا حمّاد بن زيد، الراوية المفيد،
والمحدث المجيد، وحمّاد بن سلمة، نصب للصدق علمه، وأجرى في العلم قلمه،
وعندهم حمّاد عجرد، الشاعر المعرب، والضالّ الملحد، وحمّاد الراوية،
صاحب الأفكار الخاوية، أمه هاوية.

لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيْنَ فِي النَّدَى

يَزِيدِ بْنِ عَمْرٍو وَالْأَعْرَبِ بْنِ حَاتِمِ

فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيّ إِتْلَافُ مَا لِه

وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ

السُّلْفُ كَالْعَيُونِ، عَلاجِهَا أَنْ لَا تُمَسَّ، وَكَالدَّرِّ جَمَالُهَا أَنْ لَا يُدَسَّ،
وَالسُّلْفُ كَالْمَاءِ الزَّلَالِ لَا يَشْوِبُهُ الطِّينُ، وَكَلَامُهُمْ مُبَارَكٌ مَتِينٌ، لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا
فَطِينٌ.

السُّلْفُ أَعْلَمُ، وَأَحْكَمُ، وَأَسْلَمُ، وَأَحْلَمُ، وَأَكْرَمُ، وَالْمَبْتَدِعَةُ أَظْلَمُ، وَأَغْشَمُ،
وَأَشْأَمُ، وَأَجْرَمُ، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ وَالْقَحْطُ وَالصَّيْبُ.

الدُّبَابُ إِذَا وَقَعَ فِي الْإِنَاءِ، فَاغْمَسَهُ فَإِنْ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ، وَفِي الْآخَرِ
دَوَاءٌ، وَإِذَا وَقَعَ الْمَبْتَدِعُ فِي إِنْاءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَاهْرَقَهُ بِالْكَلِيَّةِ، لِأَنَّ فِي جَنَاحَيْهِ
كِلَيْهِمَا بَلِيَّةٌ.

الْكَلْبُ الْمُعْلَمُ كُلُّ مَا صَادَهُ، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعِلْمَ زَادَهُ، وَإِذَا جَاءَكَ الْمَبْتَدِعُ بِصَيْدٍ،
فَقُلْ: حَرَامٌ صَيْدُكَ يَا بَلِيدٌ، لِأَنَّكَ مَفْسُدٌ رَعِيدٌ.

بشّر من سبّ السلف بكل تلف، مزّق الله قلباً لا يحبّ الأسلاف، وأزهق
الله روحاً تهوى المبتدعة الأخلاف، نفسٌ لا تحترم السلف مريضة، وروحٌ لا
توقّر السلف بغيضة، جزاء علماء الكلام الجريد والنّعال، والسّيّاط الطّوال،
والقيّد والأغلال، لأنهم اشتغلوا بالقشور وتركوا اللّبّاب، وفارقوا السنّة
والكتاب، وخالفوا الأصحاب.

السلف: موحدون، مسددون، مقتصدون، عابدون، مجاهدون، زاهدون،
متحدون، متوادون، متهجّدون.

والمبتدعة: متفرّقون، متحدلقون، متطّعون، متفيهقون، متشدّقون، قلقون،
متمزّقون.

نوح الهداية، ينادي ابن الغواية: اركب معنا، فإنّ الفلك يسعنا، فقال الهبل:
ساوي إلى جبل، وما علم أنّ أعظم جبل، أتباع سيّد الرُّسل، وطاعة الملك
الأجلّ، والعمل بما نزل.



obeikandi.com

المقامة اليوسفيّة

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾

كَانَ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ بِجَبِينِهِ

وَفِي جِيدِهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ

وَلَوْ نَظَرْتَ شَمْسُ الضُّحَى فِي خُدُودِهِ

لَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مَا يُوسُفُ بَشَرٌ

كنّا نجلس كل يوم مع قوم، ينتقون من الحديث ذرره، ويذكرون لنا العالم بحره وبره. فدلف علينا يوماً من الأيام، شيخ ممشوق القوام، كثير الابتسام، فصيح الكلام، فنظر في وجوهنا وتوسّم، ثم تبسّم وسلّم، ثم جلس واتّكأ، وتأوّه وشكى.

قلنا: ما الخبر، أيّها الشيخ الأغر؟ قال: تذكّرت من غبر، من أهل الأخبار

والسير، فعلمت أننا بالأثر، قلنا: ما الاسم، فقد أعجبنا الرّسم؟

قال: أنا عبيدالله بن حسان، من أهل ميسان، قلنا: كلامك محبوب، فقصّ

علينا قصة يوسف بن يعقوب، فقال: مهما اهتمّ العالم بالحفظ وحرص، لكن

الذهن فتر والخاطر نكص. وكفى بقصص الله وهو يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، لكن سوف أخبركم بوقفات، والعضو عمّا نسيناه وفات.

لَمَّا نصح يعقوب يوسف أن لا يقصَّ ما رأى، لأنه يخشى عليه ما جرى، فإنه ما خلا جسد من حسد، وكم من قلب بنعم الغير فسد، فيا أيها العبد استر جمال يوسف النعم، خوفاً من أن تُلقى في غيابة جبّ النقم، فيسلط عليك ذئب البغضاء، لا ذئب الصحراء.

عَوَى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عَوَى

وَصَوَّتْ إنسانٌ فكدتُ أطيْرُ

لا تعتذر للمخالف، فيأخذ العذر منك وأنت واقف، أما ترى يعقوب، يوم خاف على ابنه الخُطوب، قال: أخاف أن يأكل الذئبُ يوسف، فقالوا: أكله الذئب فلا تأسف، فكأنه هياً لهم الحجّة، حينما ضلّوا في المحجّة.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، لأن الذئب لا يخلع الثوب، بل يشقه ويسحب، والذئب لا يفتح الأزرار، بل يمزقها بلا وقار:

يا مُمعِناً في السُّوءِ والعِيبِ

لا يَنْفَعُ التَّهْذِيبُ في الذُّبِ

لو علمت القافلة بمكانة يوسف، ما قالوا: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾، بل لقالوا: يَا بُشْرَى هذا إمام، ووليّ مقدام، وسيّد همام، ولكن ما أدرى الليل ببدر التمام؟

يوسف لديه جمال وجلال، فردعه وازع الجلال، عن نوازع الجمال، لَمَّا قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، حماه ربه وتولاه.

لو ترك يوسف كلمة ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ وذكر هو ربّه، لكشف كربّه،
وأزال خَطْبَه، وأسعد قلبه.

يوسف ما نسي إيمانه، سُئِلَ عن الرُّؤْيِ وهو في الزنزانة، فدعا إلى
التوحيد، لأن التوحيد حياة العبيد، لا يردّه قيد ولا يمنعه حديد.

قَد قُلْتُ لِلذَّنْبِ الْوَفِي لِيصْحَبِهِ

يَا صَاحِبَ الْأُظْفَارِ وَالْأَنْبِيَاءِ

أَكَلْتَ يُوسُفَ فِي الْعَرَاءِ بِخِلْسَةٍ

وَدَمِ النَّبِيَّةِ سَمَّالٍ فِي الْأَثْوَابِ

فَأَجَابَنِي وَاللَّهِ لَمْ أَهْمِمِ بِهِ

هَذَا مَعَاذَ اللَّهِ غَيْرُ صَوَابِ

إِنِّي أَحَبُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمُهْجَتِي

تَفْسِدِي النَّبِيَّ وَمَقَلَّتِي وَهَابِي

الذئاب ما تأكل الأنبياء، ولا تلطخ أفواهها بدماء الأولياء، لأنهم أصفياء
أوفياء، وإنما يقتل الأنبياء ذئاب الخليفة، إذا عميت عليهم الحقيقة، وأظلمت
عليهم الطريقة.

الذَّنْبُ أَكْرَمُ عِشْرَةٍ مِنْ ثُلَّةِ

خَانُوا عُهُودَ مَوَدَّةِ الْإِخْوَانِ

في سورة يوسف قميص بريء من الذئب، وقميص بريء من العيب،
وقميص مضمخ بالطيب.

فالأول: قميص يوسف وقد مرَّقه الإخوان، والثاني: قميصه وقد مرَّفته
امرأة السلطان، والثالث: قميصه وقد ألقى على يعقوب فأبصرت العينان.

كَأَنَّ كُلَّ نِدَاءٍ فِي مَسَامِعِهِ

قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْزَانِ يَعْقُوبِ

لَمَّا قَالَ إِخْوَةَ يُوسُفَ لَهُ: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، نسوا أنهم هم الذين أوقعوه
في همٍّ كثير، فهو بسبب ما فعلوه في حُزنه أسير، وفي بيته كسير، فهم
يحتجُّون به وقت الحاجة، وينسونه وقت اللجاجة.

لَمَّا قَالَ يَعْقُوبُ: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾، لأنه خاف الحاسد، فهو في
مكان النعيم قاعد، فإذا أقبلوا في حملة، قتلهم جملة، فعمَّ على الحسود
الأمر، لتضع في عينيه الجمر.

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَى

إِلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

مَا لِي إِلَيْهِ خَطِيئَةٌ أَوْ زَلَّةٌ

إِلَّا تَرَادَفُ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ

وَأَبَى فَمَا يُرِضِيهِ إِلَّا ذَلَّتِي

وَذَهَابُ أَقْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي

الدنيا وجهها نحس، يُباع فيها يوسف بثمن بخس، وحزن يعقوب يكاد يذهب بالنفس، والفراعنة بملكهم يفرحون، وفي دنياهم يمرحون، وفي نعيمهم يسرحون. لكن انظر إلى العواقب، عندما تكشف عن الأولياء النوائب، وتزول عنهم المصائب، فإذا الفرحة الغامرة، والحياة العامرة، والنعيم في الآخرة. أما الفجّار، فسحابة نهار، وراحة حمار، ثم نکال في أسوأ دار.

همّ يوسف همّة، فتذكّر علوّ الهمة، وإمامة الأمة، فضر إلى الباب، يطلب الطريق إلى الوهاب، بعد ما هيئت له الأسباب، لأن يوسف من سلالة الأطياب، فتاب وأناب.

يوسف شابٌّ من العزّاب، تعرّضت له امرأة ذات منصب وجمال، وحسن ودلال، فغلقت الأبواب، ورَفَلت في أبهى الأثواب، فتذكّر يوم القيامة، وساعة الندامة، فقال أوّاه معاذ الله، فمنعه الله وكفّاه، وأنت تتعرّض للنساء صباح مساء، غرّك الوجه المبرقع، والحسنُ المُرَقّع، ولا تحذر وتنتوِّع.

هب نظرتك التي أرسلتها

عادت إليك مع الهوى بغزال

نظر المهيمن فيك أسرع موقعا

فخف العظيم الواحد المتعالي

في قلب يوسف من الوحي نصوص، وفي قلبك من المعصية لصوص، في

شرايين يوسف دماء الإمامة والدين، وفي شرايينك شهوة الماء والطين.

يوسف تخرَّج من جامعة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾،
وأنت تخرَّجت من جامعة: يشكو العيون السود قلبي والهوى.

يوسف تربيته على شريعة، وأخلاقه رفيعة، وبعضهم يُربى على مجالات
خليعة، وآداب شنيعة، ودشوش فظيعة.

وأسفي على منهج يوسف، في هذا الواقع المؤسف، صورة عارية، وكأس
وجارية، وشهوات سارية، كلها تقول: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ وليس عند الجيل صرخة
﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾.

﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ وبيان الفرق، فيا شباب الصدق، قولوا في
أحسن نطق: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾، من أراد السَّناء، والثَّناء، والعلاء، وأن يحمي نفسه
من الفحشاء، والفِعلة الشَّنعاء، فليحفظ متن الأولياء: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾. من عاذ
بالله أعاده، وأكرم ملاذه.



المقامة السليمانية

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته

يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه

والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له

والجن والإنس فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها

من كل أوب عليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب

لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ما مر من قديم الزمان، ملك كملك سليمان، فقد علم منطلق الطير بلا
 ترجمان، وقد اجتمعت في غيبته الحيوانات والطيور، في يوم فرح وسرور،
 وهناء وحُبور، فقالت البهائم للأسد: أيها الأمير، اجلس على السرير، فإنك
 أبونا الكبير، فترجع جالساً، ثم سكت عابساً، فخاف الجميع، وأصبحوا

في موقف فظيع، فقام الحمار، أبو المغوار، فقال: يا حيدرة، سكوتك ما أنكره، فقال الأسد: يا حمار البلد، يا رمز الجلد، سكتُ لأن الثعلب غاب، وقَسَمًا لو حضر لأغرزنَّ في رأسه النَّاب، فقام الذئب يتكلم وهو خطيب مُصيب، فقال للأسد: يا أبا أُسامة إن الثعلب قليل الكرامة، عديم الشهامة، فليتك تُورده النَّدامة، فهو لا يستحق السلامة، وكان أحد التِّيوس مع الجلوس، فانسَلَّ إلى الثعلب فوجده يلعب فقال: انتبه أيها الصديق، فالكَمين في الطريق، إن الأسد يتوعدك بالذبح، فاجتهد معه في الصلح، فقال الثعلب: فمن الذي دهاني عنده، وغير عليّ ودّه، قال التَّيس: هو عدوك وعدوى، الذي في كل وادٍ يدوي، هو الذئب الغادر، صاحب الخيانة الفاجر، قال الثعلب: أنا الداهية الدهياء، لأنثُرَنَّ لحمه في العراء، أما سمعت الشاعر أحمد، إذ يقول في شعر مسدد:

الرأي قبل شجاعة الشُّجعان

هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثُّلثَانِي

فلما حضر الثعلب إلى الأسد، ودخل مجلسه وقعد، قال أبو أُسامة، والثعلب أمامه: ما لك تأخرت يا بليد، تالله إن الموت أقرب إليك من حبل الوريد.

قال الثعلب: مهلاً يا أبا أُسامة، أبقاك الله للزعامة، سمعت أنك مريض، فذهبت إلى البلد العريض، ألتمس لك دواءً، جعله الله لك شفاءً، قال: أحسنت، وسهلت عليّ الأمر وهَوَّنت، فماذا وجدت؟ قال: وجدت أن علاجك في كبد الذئب مع حفنة من زبيب، فقال الأسد للذئب: أمرك عجيب، وشأنك غريب، علاجي لديك، وقد سبق أن شكوت عليك، فلما دنا الذئب واقترب،

سحبه الأسد فانسحب، فخلع راسه، وقطع أنفاسه، ثم سلخ لبدته، وأخرج كبده، فصاح الهدهد، وهو فوق بعض الأخشاب، يا أبا أسامة، ما تترك الظلم والغشامة، فردّ عليه الأسد، اسكت سدّ الله فاك، أنسيّت أنك عصيت أمر مولاك.

قال الهدهد: يا ظلوم يا غشوم يا مشؤوم، أنا الذي دلّ على بلقيس يا خسيس، وجئت سليمان ملك الإنس والجانّ، نبياً من سبأ، وحملت الرسالة في بسالة، ودعوت للتوحيد، وهو حق الله على العبيد، فبلقيس أسلمت بسببي، وحسبي معروف ونسبي، ثم أنشد الهدهد:

ولقد حَمَلتُ رسالةً مَخْتومةً

يهدى سُلَيْمانُ بها بلقيسا

فوضعتها في حجرها متلطفاً

كانت تُقدس شمسها تقديسا

فأعرض أبو أسامة، وقطع كلامه، وإذا بحية لها فحيح، أقبلت تصيح، قد ذُبل شعر رأسها وشاب، وما بقي لها إلا ناب، فقال الأسد: من بالباب؟

قالت الحية: أنا أم الجلباب، فقال: ما اسمك يا حية، وما معك من قضية؟ قالت: اسمي لس، وخبري عليّ ظاهر فقس، أنا كنت أسكن في قرية من قرى فلسطين، رأسي في الماء، وذنبي في الطين، فعصى أهل القرية خالقهم، وكفروا رازقهم، فسافني إليهم، وسلّطني عليهم، فمذفت في بئرهم من سمي زعافاً، فماتوا آلفاً، وهلكوا أصنافاً، وردّم الله عليهم القرية، لأنهم أهل فرية.

فلما ملك سليمان، اختفت القرية عن العيان، فأراد أن يرى القرية رأي العين، فاستدعى الرياح في ذلك الحين، فقال للريح الشمالية: هبّي قوية، وأخرجي لنا تلك البئر المطوية، والقرية المنسيّة، قالت: يا نبيّ الله أنا أضعف من ذلك بكثير، أنا خلقتني ربّي لتقليح الثّمار، بقدره القدير، فقال للغربية: أنت لا زلت فتية، فهبّي على هذه الديار، لنرى ما تحتها من الآثار، قالت: يا نبيّ الله، أنا خلقتني ربي لتلطيف الهواء، وتبريد الماء، ولكن عليك بالدّبور، فإنها التي أهلكت كل كفور.

فقال سليمان: أيّها الدّبور، بأسك مشهور، وبطشك مذکور، فأخرجي لنا القرية المنكوبة، لنرى كل أعجوبة، فهبتّ ولها هرير، وزلزلة وصرير، فنسفت التراب والحجر، واقتلعت الشجر، حتى خرجت القرية واضحة المعالم، كل شيء فيها قائم، فوجد الحيّة في البئر، بناب واحد صغير، فسّمى القرية باسم البئر وناب الحيّة، فصار اسمها (نابلس) كما في السيرة المروية.

فقال الأسد للحمامة: يا أمّ يمامة، حدّثينا عن ملك سليمان، فلن يملك أحد مثله إلى يوم القيامة، قالت: حُباً وكرامة، يا أيها الهزير، ليس الخبّر كالخبّر، اعلم أنه ما أصبح يفرح بالملك بعد سليمان، لما أعطاه الله من الملك والسلطان، ملك الإنس والجان، والطير والحيوان، وكلّم الوحوش بلا ترجمان، بُنيت له القصور من القوارير، ونحتت له من الجبال المقاصير، وحُزنت له في البحر القناطير، وسخر الله له الرياح، تحمله كل صباح، فملكه فوق ما يصفه الواصفون، ولا يعلم ذلك إلا العارِفون:

ما عادَ يفرحُ بالولايةِ بعدهُ

أبدأ ولا يهنا بعيشِ ناعمٍ

دُنِيَا مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا

أَبَكْتَ غَدَاً مِنْ قَاتِلِ أَوْ هَادِمِ

ثم مرّت النملة تقفز قفزاً، وتهمز همزاً، وهي تقول: أما علمتم بخبري المنقول، أنا التي كلمها سليمان، وأعطاهما الأمان، وسُجِّلت قصتي في القرآن، أنا قلت للنمل: ادخلوا مساكنكم، واحفظوا أمانكم، ثم أنشدت:

لَا تَحْقِرَنَّ صَفِيرَ الْجِسْمِ تَحْسِبُهُ

بِالْجِسْمِ يَبْلُغُ آفَاقاً وَأَمْجَاداً

لَكُنَّهَا هَمٌّ تَسْمُو بِصَاحِبِهَا

وهِمَّتِي ذَكَرْتَ بِي الدَّهْرَ أَحْفَاداً

ثم مرّ الكلب، رمز السُّلب والنَّهب، قال: يا جماعة، اسمعوا مني ساعة، فأنا مقصود بالمدح والهجاء، وما زالت الأشراف تُهَجَّى وتمدح كما ذكر صاحب الإنشاء، فأنا أصيدُ الصيد، وأقيدُه بِقَيْدٍ، وحِفظي للبيت شديد، وبأسي لصاحبي شديد، لكنني دائماً بخس محدث، كما ورد إن تحمل عليه يلهث، فلي إصابات وغلطات، والحسنات يُذهبن السيئات، فلا تظنوا أني آية في الخساسة، ومضرب المثل في النجاسة، بل أنجس منِّي، وهذه فائدة خذوها عنِّي، من ترك العمل بما علم، وأعرضَ عن التقوى بعد الفهم، وأسرف في الظلم. ثم انفضَّ المجلس وقد امتلأت بالأنس الأنفس.

واعلم أيها الملهم أن سليمان أعظم من ملك من بني الإنسان، وأقصر

رسالة في الحديث والقديم:

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

حتى سليمان ما تم الخلود له

والريح تخدمه والبدو والحضر

دانت له الأرض والأجناد تحرسه

فزاره الموت واشتاقت له الحفر



المقامة الاسينية

﴿ رَحِمَتْ اللّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

مَرَحِباً يَا عِرَاقُ جِئْتَ أَغْنِي

كَ وَبِعَضٍ مِّنَ الْغِنَاءِ بِكَاءُ

مَرَحِباً مَرَحِباً أَتَعْرِفُ وَجْهاً

نَحَاتَتْهُ مَصَائِبُ دَهْيَاءُ

فَجِرَاحِ الْحَسَنِ بَعْضُ جِرَاحِي

وَيَصْدَرِي مِنَ الْأَسَى كَرِيلاءُ

يَا دَمَ الطُّهُورِ غَسَّلَ الْأَرْضَ مِمَّا

قَدْ عَلَاهَا فَأَنْتَ طَيِّبٌ وَمَاءُ

أنا سنيّ حسينيّ، جعلت ترحمي عليه مكان أنيني، أنا أحبّ السّبطين، لكني أقدمّ الشيخين، ليس من لوازم حبّ الشمس أن تكره القمر، وموالاته الحسن والحسين تقتضي موالاته أبي بكر وعمر، لأنه يحبّهم ويحبّونه، ويحترمهم ويحترمونه.

قاتل الله عبيدالله، يحرّج على رؤوس العظماء في سوق المزاد.

الحسين لا يمجّد بضريح، ولا بالإسراف في المديح، لكننا نصدق في حبه، إذا اتبعنا جدّه، وحملنا وده، وليس بأن نعكف عنده.

بعض الناس ذبابة، يجفو القرابة، ويسب الصحابة.

عظماؤنا ما بين مقتول ومذبوح، ومسجون ومبطوح، ومضروب ومجروح.

وما مات منّا سيدٌ حتف أنفه

ولكن بحدّ السيفِ في الرّوع نُقتلُ

يا صاحب الفطن، تريد أن تدخل الجنة بلا ثمن، يا من يريدون الغروس والعروس، ابدلوا النفوس، وقدموا الرؤوس.

تريد شراء الجنة بصاع من شعير، وهو لا يكفي علوفاً للبعير، ولا فطوراً للبعير، إذا ناداك المسكين، كأنه طعنك بسكين، وأنت تتمنى على الله الأمانى، وتشتاق لمثل تلك المغاني. أنت من سنين، تبكي على الحسين، من يحبّ الحسين ابن علي، فليطع الولي، هذا هو الحبّ الجليّ.

أنت مثل شيخ فزارة، حينما قطع أزراره، قالوا ما لك؟ قال: أفدي بها أخي أبا عمارة.

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمد

مُتَزَمِّلاً بدمائه تزميلاً

ويكبُّرون بأن قُتلت وإنّما

قتلوا بك التكبير والتهايلاً

تركوك في الصحراء ثم كأنما

قتلوا بقتلك عامدين رسولا

أنا أعلن صرخة الاحتجاج، ضدّ ابن زياد والحجاج، يا أرض الظالمين
ابلعي ماءك، ويا ميادين السفّاحين اشربي دماءك.

آه ما أطوله من يوم للقتلة، إذا جاء المقتول ومن قتله، في يوم لا يكون
الحاكم فيه إلا الواحد، ولا الملك إلا للماجد، وقد خاب فيه الجاحد المعاند.

الحسين شهيد، على رغم أنف العنيد، ما قتل وما نهب، وما ظلم
وما سلب.

وقد أخطأ ابن خلدون حينما نقل أن الحسين قتل بسيف الشريعة، وهذا
النقل من الأمور الشنيعة، بل قال شيخ الإسلام، علم الأعلام: قُتل الحسين
بسيف الظلم والعدوان، وقتله مصيبة يُوجر عليها من استرجع من
أهل الإيمان: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وإنّا لرسوله عند المصائب لتابعون.

إلا إن عينا لم تجد يوم واسط

عليك بغالي دمعتها لجمود

إن كان قتل الحسين من العدل، فقد ألغى مدلول النقل والعقل، وما عاد
في الدنيا ظلم، وما بقي في الأرض إثم، وإذا احتاج إثبات النهار إلى كلام،
فقل على الدنيا السلام.

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

في كربلاء، كرب وبلاء، على تراها قلب ذكي، ودم زكي.

كَانَ قَتَلَكَ يَا ابْنَ الطَّيِّبِينَ لَنَا

سَيْفٌ مِنَ الْبَغِيِّ فِي الْأَعْنَاقِ مَشْهُورٌ

كَانَمَا دَفَنُوا الْإِسْلَامَ فِي كَفْنٍ

مِنَ الْمَصَاحِفِ حَاكَمَتْهُ الْمَقَادِيرُ

الحُسين ليس بحاجة إلى ماتم وولائم، تزيد الأمة هزائم إلى هزائم.
الحُسين على نهج جدّه محمد ﷺ، وعلى مذهب أبيه المسدّد، تقوى تمنع
من الانحراف، وعدل يحمل على الإنصاف. ولو أن الحُسين صاحب دُنيا، لما
بكينا، ولو أنه طالب جاه ما اشتكينَا، ولكنّه من البيت الطاهر، صاحب النسب
الباهر، أمانته رصينة، وأخلاقه حصينة.

عَفَاءٌ عَلَى دُنْيَا رَحَلَتْ لِغَيْرِهَا

فَلَيْسَ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مُعْرَجٌ

كَدَابٍ عَلَيَّ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا

أَبِي حَسَنٍ وَالغُصْنِ مِنْ حَيْثُ يُخْرَجُ

صحّ الخبر في السنّة، أن الحسن والحُسين سيّدا شباب أهل الجنة، فإذا
قتل السيد كيف حال الأسود، وضحية الحاسد هو المحسود، وقال جدّهما
المعصوم: «هما ريحانتي من الدنيا»، فهم بهذه التزكية في الدرجة العليا،
والريحانة تُشَمُّ ولا تُقَطَّع، وتمسح ولا تُقَلَع، جاؤوا بالرأس إلى ابن زياد في
العراق، والدم مهراق، ثم لم تبك للظلمة عيون، ولم تتحرّك شُجون، وهذا
برهان على أن قلوب الظلمة كالحجارة، وأن نفوسهم ملئت بالمرارة.

إذا لم تُبكِ من هذبي الرزايا

ولم تُضجِعَكَ قاضيةَ القضايا

فمُتْ كمدًا فما في العيش خيرُ

إذا جمعَ البرايا كالمطايا

لما أُغمد سيف الجهاد، سلَّه ابن زياد، على العلماء والعباد. لو كانت الأمة شاركت في قتل الحسين لكانت ظالمة، ولو رضيت بذلك لأصبحت آثمة، وقعت الأمة بين فكِّي زياد ويزيد، يدوسون الجماجم ويقولون: هل من مزيد، وتصفَّق له أراذل العبيد. ليل الحسين صلاة وخشوع وبكاء، وليلهم رقص وطرب وغناء، نهار الحسين تلاوة وذكر وصيام، ونهارهم لهو وعشق وغرام. ولهذا وقع الخلاف وعدم الإنصاف.

إذا عيّر الطائي بالبخل مادرُ

وعيّر قسًا بالفهامة باقلُ

وقال الدجى للشمس أنت كسيفةُ

وقال السهى للبدر وجهك حائلُ

وطاوت الأرض السماء سفاقةُ

ونافست النجم الحصى والجنادلُ

فيا موت زُر إن الحياة دَميمةُ

ويا نفس جدي إن دهرك هازلُ

يا أهل العقول، إن قتل سبط الرسول، وابن البتول، أمرٌ مهول، فلا تُخبروا أعداء المِلَّة، بهذه الزَّلَّة، فإنها للأمة ذلَّة. الحُسين ليس بحاجة إلى وضع أشعار، ولكن إلى رفع شعار، دعنا من ترديد القصيد، والتباكي بالنشيد، ولكن تابع الحُسين في تجريد التوحيد، وتوقير الشيخين أهل الرأي الرشيد.

العظماء يقتلون بالسيف أعزَّاء، والظلمة يموتون على فُرشهم أذلاء جبناء. فالعظيم قتل بتذكية شرعية، والجبان مات ميتة بدعية. ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾.

تَأخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وَلَيْسَ عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُّومُنَا

وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا

فاتت الحُسين الشهادة في بدر لأنه صغير، فَعَوَّضَهُ اللهُ بِهَا فِي صَحْرَاءِ الْعِرَاقِ وَهُوَ كَبِيرٌ، الرَّجُلُ يَرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ اسْمَهُ بِدَمٍ، وَهُوَ يَحِبُّ الْبَيْعَ لَا السَّلْمَ، وَمَنْ يَشَابَهُ أَبَهَ فَمَا ظَلَمَ. الَّذِينَ يَنْوَحُونَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَيَقُولُونَ قَتَلَ وَهُوَ مَظْلُومٌ، قُلْنَا: هَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ كِفَاكُمُ بِالنِّيَاحَةِ جَهْلًا. فَهَلْ كَانَ قَتْلُ عُمَرَ وَعَثْمَانَ وَعَلِيٍّ عَدْلًا؟! النِّيَاحَةُ فِي الدِّينِ غَيْرُ مُبَاحَةٍ، لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلْمَأْمُورِ، وَفِعْلٌ لِلْمَحْظُورِ، وَتَسْخَطُ بِالْمَقْدُورِ، لَوْ لَمْ يُقْتَلِ الْحُسَيْنُ لَمَاتَ. أَهْتَوَحُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ كَسَبَ عِزَّ الْحَيَاةِ، وَسَعَادَةَ الْوَفَاةِ.

من أحبَّ الحُسين فليُفعل فِعْلُهُ فِي حِفْظِ الدِّينِ، وَكَرَاهِيَةِ الظَّالِمِينَ، وَحُبِّ

المساكين.

قَتَلَ الحُسَيْنَ دَلِيلَ عِظَمَةِ الإِسْلَامِ، لِأَنَّ مَهْرَهُ رُؤُوسَ تُقَطَّعَ، وَأَرْوَاحَ
تُدْفَعُ، وَضَرْبِيَّتَهُ دَمٌّ يَسِيلُ، وَرَأْسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِيلُ، الإِسْلَامَ كَالْأَسَدِ هَمَّتَهُ
لَيْسَتْ سَخِيفَةً، وَلِذَلِكَ لَا يَأْكُلُ الْجَيْفَةَ، لِعِظَمَةِ الشَّمْسِ أَصَابَهَا الْخَسُوفُ،
وَلِجَلَالَةِ الْقَمَرِ رُمِيَ بِالْكَسُوفِ، وَالْعِظْمَاءُ غَرَضٌ لِلْحَتُوفِ.

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفُ الدَّهْرِ عِيْرْنَا

هَلْ حَارَبَ الدَّهْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفُ

وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ دُرُ

وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا

وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

رَحِمَ اللَّهُ السُّبُطَيْنِ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فِي الْخَالِدِينَ.

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



obeikandi.com

المقامة التيمية

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْبَحْرُ الَّذِي

لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لَجٍّ سَاحِلٌ

أَفْخَرُ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ

مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ

قال الراوي: نراك مُتَيِّمٌ بابن تيمية، تذكره باليومية، ولك إليه ميل وحمية، فقال: ليس عروس إلا بمهر، وحديثنا عن ابن تيمية غدوة شهر ورواحه شهر، وحسبك أنه عالم الدهر، ألف الواسطية فذبت في حبها، ودبج الحموية فتذوقت من لبها، وجمع التدمرية تدمر كل شيء بأمر ربها، آه يا أحمد بن تيمية، يا من اهتدى بسميته، فنصر السنة وهزم الجهمية، بذل للطالبيين بحره، وعرض للسيوف نحره، ابن تيمية بطل، هزّ الدول، وأتبع القول العمل.

رَأَيْتَهُ فَرَأَيْتُ النَّاسَ فِي رَجُلٍ

كَالْفَجْرِ فِي شَرْفٍ وَالدَّرُّ فِي صَدَفٍ

حُرُوفُهُ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَوْ قَطُرَتْ

الْفَاطَةُ قُلْتَ هَذَا الزَّهْرُ فِي تَرْفٍ

ابن تيمية للشريعة ابنُ بارٍّ، هجر الدرهم والدينار، وهو لأعداءِ الملة سيف
بِتَّارٍ، جنَّته في صدره، وهو وحيد عصره، وفريد دهره. وقتله شهادة، لأنه
مجتهد في العبادة، كثير الإفادة، أَرَهَبَ عِبْدَةَ الأصنام، وأذلَّ خصوم الإسلام،
وسلَّ على كل مُلحد الحُسام، كلامه شُهْبٌ، ورُدوده لهب، وألفاظه ذهب.

لَهُ مَوْقِفٌ يَحْمِي بِهِ الدِّينَ ذِكْرَهُ

تَشِيدُ بِهِ الرُّكْبَانَ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

أَقَامَ عَمُودَ الدِّينِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى

وَسَلَّ حُسَاماً فَاتَكَ الْوَقْعَ بِالْكَفْرِ

تعطلَّ به سوق الباطل وكسد، وخافه كلُّ من عصى وفسد، لأن قلبه قلب
أسد. الرجل موحد متعبّد متهجّد متفرّد مجدّد، زاهد عابد ساجد ماجد
حامد رائد مجاهد، كم أزال من بدعٍ، وأظهر من ورع، وكم من مُلحد قمع،
سيفه على الضلال مسنون، وقلبه عن حبِّ الدنيا مسجون، وهو صاحب فنون
ومُتُون وشُجُون.

سارت في الآفاق أخباره، طارت في البقاع أشعاره، كُتِرَ في الحق أنصاره،
هو مدرسة الاعتدال، وجامعة الاستقلال، ورمز النضال، لا يهاب ولا يرتاب ولا
يفتاب.

لِلَّهِ دَرْكٌ مَا تَرَكْتَ رِسَالَةَ

يَوْمَ السُّوْغَى وَيِدَاكَ فِي الْكُلَابِ

أنفقت عمرك للمعالي مثلما

أنفقت هذا العلم للطلاب

ابن تيمية فريد، لا يخضع للتقليد، وما هو بليد، ولكنه عبقرى رشيد .
لكلامه حلاوة، وعلى كتبه طلاوة، نصر المعصوم، وأفحم الخصوم، والرجل
رجل كفاح، وإمام إصلاح، مناضل يحب المناضلين، ويحارب المفضوب عليهم
والضالين، همّة وثابة، وذاكرة خلاية، ولسان جذابة، هو إمام التحرير والتحرير
والتتوير، ليس بجامد ولا جاحد، ولكنه علامة صامد مجاهد عابد .

أخذ بالعزائم وتورّع في الرخص، وتجرّع من أجل الإسلام الفصص .

إن كان يرضيك أن تهوي جماعنا

على التراب فهذا الفعل يرضينا

ما تخجل الشمس إلا من مواقفنا

ولا تهاب العدى إلا مواضينا

هذا الإمام كأنه بكل فضل مخصوص، أعاد الأمة للنصوص، وأراحنا من
ضلال صاحب الفصوص . مرة يهيل التراب على القدرية، وأخرى يلقي الموت
على النصيرية، سجن الاعتزال، في زنزانة الإهمال، خرج على التتار بالنار،
وحضر ذاك العراك، فأذاق هولاء الهلاك، الرجل منصور، وخصمه مقهور .

ترك المطاعم الشهية، والمراكب الوطية، والمناظر البهية، له مع القرآن

سمر، ومع الذكر سهر، وله جلسة في السحر:

قُلْتُ يَا لَيْلُ بَجْـ وَفَكَ سَرُّ

عَامِرُ بِالْحَدِيثِ وَالْأَسْرَارِ

قَالَ لَمْ أَلْقَ فِي حَيَاتِي حَدِيثاً

كَحَدِيثِ الْأَحْبَابِ فِي الْأَسْحَارِ

صرامة في الحق، وإصرار على الصدق، وعلم في رفق.

زهد: فكان الذهب تراب، والجواهر أخشاب، والدنيا خراب.

شجاعة: فكان الموت عطية، والهلاك مطية، والمنية هدية.

علم: فكان البحر زخر، والمحيط انفجر، والغيث انهمر.

تواضع: فهو أرق من النسيم، رحيم بالمسكين واليتيم، هذا الإمام جادٌ

وليس بهازل، وعن مبدئه لا يتنازل، ولهذا سكن أعلى المنازل.

أخلاق طاهرة، وسنة عليه ظاهرة، وهمّة بين جنبه باهرة.

لَهُ هِمَّةٌ لَوْ أَنَّ لِلشَّمْسِ عَشْرَهَا

لَمَا غَرِبَتْ حَتَّى يَجِيءَ لَهَا الْغَرْبُ

فَيَوْمًا مَعَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِمَسْجِدِ

وَيَوْمًا نَدِيمٌ لَلْقَنَا وَالْوَعَى حَرْبُ

ما هذا العمق والتأصيل، وأتباع الدليل، وغزارة التحصيل؟ لو أن ابن

تيمية مبتدع ما فهمناه، ولو انصرف للدنيا لآتهمناه، لكن الرجل صاحب سنة،

يريد الجنة، له عقل صحيح، ولسان فصيح، يفلج الخصوم بالحجة، ويدلّ الناس على المحجة، نعم الله عليه تامة، وهو في العلوم هامة، ثم هو رجل عامّة، علامة الصدق في العالم العزوف عن الدنيا، وعدم الخوف من المنيا، وجمع السجايا، وكذلك كان ابن تيمية.

ودليل فلاح العالم، لزوم أحسن طريقة، والفؤوس على الحقيقة وحبّ الخليفة، وكذلك كان ابن تيمية.

وبرهان رفعة العالم، خشية الملك العلام، وزهد في الحطام، ورفق بالأنام، وتعليم للعوام، وكذلك كان ابن تيمية.

فَتَى قَدْ حَبَّاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعَاً

كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ نَجَابَتِهِ سُورُ

وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعَارَ ثِيَابَهُ

تَرَدَّى رِداءً وَاسِعَ الْجِيبِ وَأَتَزَرُّ

ابن تيمية تفنّن في العلوم، ودفع الخصوم، ولم يتعلق بالرسوم.

ليس العلم عند ابن تيمية جبة مدوّرة، ولا عمامة مكوّرة، ولا هيئة مصوّرة، بل العلم تقى عميق، ودليل بتحقيق، وفهم دقيق. وليست المنزلة عند ابن تيمية مراتب ومناصب وتكالب؛ بل تضحية وجهاد، ونفع للعباد، وإصلاح للبلاد. سفينة علمه لعباب الجهل ماخرة، فاتاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

معالم علم الرجل: فهم للسور، وأتباع للأثر، وجمع للدرر، وإيمان بالقدر، وجهاد لمن كفر، جعله الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ليس بقليل علمٌ فهو يغرف من معين، ولم يتزوج فهو خاطب الحور العين، بطح البطائحية، وجعل المعطلة ضحية، مزق الزنادقة، وأغرق بالحجج كل فرقة مارقة، صار كالحاصب، والعذاب الواصب على النواصب، وأبرم الردود والنقائض للروافض، كسر ظهور النصيرية في كسروان، وأبطل خرافات الجهل بالقرآن، وحل ألفاز الحلولية، ورد كيد الاتحادية، حضر لحداً للملاحدة، وأخذ كل واحد منهم على حدة، ذاكرته أصابها وابل الرسالة، حملت البراعة والجزالة، وهمته جمعت الحكمة والبسالة، يشفي بعلمه الجهل، ويعم سيله الجبل والسهل، ويروي بفتواه الجموع الوافدة، ويخطب في الجموع الحاشدة، يفسر الآية في أشهر، فينفجر منه أنهر، له صولات وجولات، وعزمات، وثبات وإخبات. واجه المغول في شقحب، فذكرنا قصة علي ومرحب، عجب بعضهم من شجاعته في تلك المشاهد، وقال عنه: في الليل أحسن عابد، وفي النهار أشجع مجاهد.

في الليل رهبانٌ وعند لقائهم

لعدوهم من أشجع الفرسان

هذا ابن تيمية الذي عزت به

هذي الشريعة آخر الأزمان

إذا تكلم قالوا القرآن بين عينيه، والسنة كلها لديه، والحكمة تنتزل عليه، له كلام خالد، ولفظ شارد، يقول: كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل نفس لا تتصر على الهوى فهي نفس مسجونة، وكل مهجة لا تبصر الحق فهي مهجة مغبونة. ويقول: المعاصي تمنع القلب من الجولان في فضاء التوحيد، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود.

هذا الإمام بالحق يقول، وله قبول، جمع بين المنقول والمعقول، له قريحة حية، لا تقبل زيف القوانين الأرضية، ونية صادقة، معه حجة ناطقة، ونفس للحق عاشقة، نفس تعاف الذل لغير الله حتى كأنه الكفر، ويد بيضاء بالعطاء ومن وسخ الدنيا صفر، رجل للملة مديون، وعمره للشرع مرهون، وقلبه عن الدنيا مسجون، وله عند ربه أجر غير ممنون. هذا الشيخ ليس بالمتكلف، ولا للنصوص متعسف، عنده صفاء ذهن يفوس على الحقائق، وقوة خاطر يدرك بها الدقائق.

رد على أهل التصوف، ونهاهم عن الانحراف والتكلف، والزم النواصب حب القربة، واحترام الصحابة، وأنكر على الرافضة الغلو والشطط، وبين لهم الخطأ والغلط، وله الكلمة البديعة، إذ يقول: لا يسع أحد مهما كان أن يخرج عن الشريعة. ويقول: ليس أحد يدور معه الحق حيثما دار، غير النبي المختار ﷺ، وهو القائل: كل يوم وأنا أجدد إسلامي، وأكثر لنفسي اتهامي.

أبدأ بسفر المكرمات تدبج

وتحيط برد الصالحات وتنسج

لك في المعالي دولة وولاية

انت الذي هدي الرسول متوج

شيئت صرح الدين يا علم الهدى

بالعلم والإخلاص أنت مدجج

نعم، كان يرى أنه لا يسع أي أحد الخروج على الشريعة، وأن الأحوال والأقوال والأفعال المخالفة لها إنما هي أمور شنيعة، ويقول في المنطق، وهو قول عارف محقق: لا ينتفع به البليد، ولا يحتاج إليه الذكي الرشيد.

وهو لحم جمل، غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقى ولا وعرفيتقى،
والرجل له حُسَاد، لأنه تفرّد وساد، وجاهد لإصلاح كل فساد.

وهو صاحب أحوال عجيبة، وآراءٍ مُصيبة، وله مقامات جليلة، ومذاهب
جميلة، حلم عمّن حسده، وأكرم من قصده، خاطب السلطان بأثبت جنان،
وأفصح لسان، وطلبه بحمل الناس على السنّة النبويّة، والأخلاق المحمديّة،
وشفع لأهل الحاجات، وأرباب الضرورات.

كان يكتفي بالقليل، ويراه كافياً لمن عزم على الرحيل، وكان يعيش على
شَطَف، مُقتدياً بمن سلف، ويرى أن الزائد على القوت إشغال، وأن الدنيا دار
أهوال، وكان يُنفق كلما وجد، ولم يحجب معروفه عن أحد، وكان الغريب يجد
عنده الترحيب والتقريب، والمؤانسة وعدم التثريب.

وكان يعظّم السنّة أجلّ تعظيم، ويسعى في صيانتها عن كل مُعتدٍ أثيم،
وقد رُزق السعادة في التآليف، وأعطاه الله الحظّ في التصنيف، وقد طرقت
العالم رسائله، وأذنت في أذن الدنيا مسأله، وشرقت كتبه وغربت، وسهلت كل
صعب وقربت، وفيها من حُسن السبّك، ومتانة الحبّك، ما يُدهش العقول، مع
جمعها بين المعقول والمنقول. وكان يعتصم بالبرهان، ويعود إلى تحقيق وإتقان،
وأقرّ بعبقريته المخالف والموافق، وعجّب من سرعة بديته المؤمن والمنافق.

وقد نشر الله علومه، وقهر خصومه، وثبّت بالحق جنانه، وسدّد بالصدق
لسانه، مع تمام ديانة، وكمال أمانة، وحُسن صيانة، وعظيم مكانة.

والرجل كالقمر الوهاج، والبحر الشجاج، شديد المنهاج، قوي الاحتجاج، وهو صاحب قيام وتهجد، وأذكار وتعبّد، يُلازم المسجد، ويحبّ أحياناً العزلة والتوحد، لا يُفاخر، ولا تعجبه المظاهر، ولا يُكابر، ولا يُكاثر.

وهو الذي صالَ وجالَ، وغلبَ الرجال، في المحافل المشهودة، والمجامع المحمودة، وكان يرهبه الملوك مع أنه يتواضع لكل مسكين وصلوك.

وقرّع بوعظه أسمع الظلمة، حتى أهدروا دمه، وعرض نفسه للأخطار، وخاض الأهوال الكبار، وحسبه الواحد القهار.

وكان هذا الإمام للدينا عين إنسانها، وهدية إحسانها، ضنّت بمثله الأعصار، وطنّت بذكره الأمصار، نحو سيبويه من شفّيته ينساب، ولغة الخليل في فمه تذاب، كأن المُرني قطرة من مُرّنه، والكسائي درهم في رده، طأبب خصومه بقتله فصفح، وظفّر بهم فعفا وسمح، لو رآه ابن معين، لقال هذا إنسان العين، ولو أبصره أحمد، لقال هذا المجتهد المتفرد، عرف من الحديث المتن والسند، وما وقف على الظاهر وجمد، بل غاص في المعاني، وقطف من أغصانها الدواني، وكان بمورد الشريعة بصيراً، وقد تضلّع بها وعبّ منها ماءً نَميراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً، ولو أدركه الثوري لكان عنده أثيراً، وقد مدحه ابن كثير كثيراً، وقد ذهب الذهبي بفضل مذهبيه، وبِعظم مواهبه، وكان يكتب العقود، ويحلّ القيود، ويُقيم الحدود، أقام الحسبة في الأسواق، ونشر معتقد السلف في الآفاق، وقد انجبر به كسر الدين، ورُفِع به علم الموحدين، وكُسِرَت به قناة الأكاسرة، وأرغمت بدعوته أنوف الجبابرة، وربما خطب عند الولاة بصوت مرتفع، تكاد القلوب منه تتخلع، سجن المرّي فأطلقه، وجادل البطائحي فأغرقه، وردّ على الإخنائي فأشرقه.

ألف الاستقامة فأحيا بها سوق الاتباع وأقامه، وأثف درء التعارض، وردّ على ابن الفارض، وما نسينا اعتراضه على ابن سينا، ودحض بالرأي المصيب، أخطاء الرازي وابن الخطيب، وحذر من كذب الشعراء، وزجر عن الظلم الأمراء، وأخبر أن في الصوفية أخطاراً خفية، مخالفة للسنة المصطفوية، ودفع بالدليل أهل التأويل، وبالتأصيل أهل التعطيل، وبحسن التحصيل أهل التجهيل والتخييل، وهو متكلم بارع، لكل خير مسارع، مُتَّبِعٌ للشَّارِعِ، وله إشراق في العبارة، ولُطْفٌ في الإشارة، مع سلامة صدر، وارتفاع قَدْرٍ، وربما كتب في الجلسة عدّة كرارس، يأتي فيها بكل مفيد نفيس، وكان يُطالع في الآية أكثر من مائة تفسير، ثم يقلّب بعد ذلك التفكير، فيأتي بعد ذلك بعلم كثير، وكان يمرغ جبهته ساجداً، ويدعو الله جاهداً، فيفتح عليه الفتح العليم، بكل معنى كريم، ورأي مستقيم، وكان يُكثر من الابتهاال والسؤال، ويلجأ إلى الله في كل حال، كثير التذلل لمولاه، كثير الخشوع له إذا دعاه، وكان يُطيل الصلاة، مُخَبِّتٌ أوّاه، دائم الإلحاح والمناجاة، والرجل محفوظ بعين الرعاية، غنيٌّ عن الإعلان والدعاية، ترجم له حتى الخصوم، والرجل ليس بالمعصوم، لكن الله فتح عليه فتوح العارفين؛ فكان آيةً للساثلين، وقد كشف أخطاء صاحب الكشاف، وبيّن مخالفته للأسلاف، وأظهر للأحياء، أغلاط صاحب الإحياء، وزيف كتاب الفتوحات، وأبرز ما فيه من أمور قبيحات، وأغار على أساس التقديس، وأخرج منه نزغات إبليس، وسقى كأس الندامة، صاحب منهاج الكرامة، وشرح مذهب الوسطية، في الرسالة الواسطية، وأظهرَ لدينه حَمِيَّةً، في كتاب الحموية، ودمّر صروح أهل المنطق في التدمرية، وردّ على الفلاسفة، وأخبر أنهم أهل سفه، وأنهم أخطؤوا في الاسم والصفة، وغلط التلمساني العفيف،

وأثبت ضلال القونوي صاحب التصنيف، وزندق الحلاج، وذم الحجاج، وانتقد الغزالي، وذكر أخطاء أبي المعالي، ولأم علماء الكلام، وأهل الجور من الحكام، وله رسالة في السياسة الشرعية، وسفر في الأمور البدعية، وله رسائل طويلة، في التوسل والوسيلة.

تكاثر عليه أهل البدع، وسجن فما رجع، وكان الله معه فما وقع، وجمعوا له العلماء فبزهم، وهددوه فهزهم، وقد خوفوه السلطان، وأخرجوه من الأوطان، فما لانت له عريكة، وما ذابت له سبيكة، وعرضوه للموت، فرفع على الباطل الصوت، وحاولوا أن يرشوه، وبالمال أن ينعشوه، فأبى واستعصم، وحلف وأقسم، لا يبيع دينه بعرض، ولا يكون له دونه غرض، وكان يطلب الشهادة، ويجود للأخرة زاده، ويضمم للجنة جواده، وامتنح في سبيل الله أكثر من مرة، وحصل له الجاه فما غره، والعصاة كانوا يتوبون على يديه، وتزدحم الوفود عليه، وكان يتكلم بكلام يدهش الحاضرين، ويذهب لبب المناظرين.

وكانت الطوائف تحضر درسه، فيذهلهم بكثرة علومه في جلسة، وأقسم بعضهم ما رأينا مثلك، وما أبصرنا شكلك، وكانت العامة تقف إجلالاً له في الطريق فيقابلهم بخلق رقيق، وقد آذى الحساد أحاباه، ونالوا أصحابه، فما زادهم به إلا تعلقاً، وعليه إلا تحرقاً، والكل عليه مشفق، والعالم على حبه مطبق، وليس في تركته دينار ولا درهم، فأنسى الناس بزهد إبراهيم بن أدهم، وكلما حصل له من مال، أنفقه ذات اليمين وذات الشمال.

وهو الذي أفتح القبورية، ونشر معتقد السلف في سورية، وألزم الحكام بشريعة الإسلام، ودفع من قرمط في النقلات، وسفست في العقليات، وهو

الذي قعد للعقيدة القواعد، ودبج تلك الفوائد الفرائد، وكلامه يتميز على كلام سواه، وقد نصره الله على من عاداه، وظهرت على يديه كرامات، وعليه من السنّة علامات، وذكر المزي أنه ما سمع بمثله من خمسمئة عام.

وأقسم الذهبي أنه ما رأى مثله من سائر الأقوام، ولو طلب منه أن يحلف بين الركن والمقام، وترجم ابن كثير لأبي العباس، فنسي الدولة والناس، وكتب عنه المستشرقون، وعلى أخباره يتسابقون.

وله سيرة طويلة في دائرة المعارف، ومخطوطات كثيرة في المتاحف، وتُرجمت كتبه إلى اللغات الأجنبية، واستفادت من أفكاره الحضارة الغربية، والناس في كتبه ما بين مختصر ومعتصر، وناقد ومنتصر، وقادح ومادح، ومخرّج وشارح، وأتى عليه المستشرق جولد زهير، وألّفت فيه عشرات الدكتوراه والماجستير، وهو صاحب أثر، وكتبه غزر، ذبّ عن القرابة، وأتى على الصحابة.

له ذاكرة وقادة، وطبيعة منقادة، وذهن حادّ، وعزم جادّ، إذا قصد باطلاً أزهبه، وإذا اعترض على قول مزّقه، وقد طالعت من بعد القرن الثالث إلى زمانه، فلم أجد مثله في علمه وذكائه وإتقانه، ولا يغمط فضله إلا مكابر، ولا يُعاديّه إلا مُبتدعٍ ماكِر، وله نوافل وأوراد، وأيامه بالطاعة أعياد، فغفر الله ذنبه، ولقي بالرضا ربّه، وأنزله منازل الصديقين، وجمعنا به مع النبيين والمرسلين، آمين.

انظّم الدّمع أيّها الموتُ شعراً

مِثْلَمَا تَمَلَأُ الْمَحَاجِرَ جَمراً

فَفُوَادِي مُضَرَّجٍ بِسِهَامٍ
قَد رَمَتْهُ الْأَيَّامُ شَفْعاً وَوَتْرًا
لَيْتَ مَلِيُونٌ مُهْجَةً سَبَقَتْهُ
لِلْمَنَايَا وَقَدْ تَأَخَّرَ شَهْرًا
فَبِقَاءِ الْعَظِيمِ فِي الْأَرْضِ نَفْعُ
وَذَهَابِ الْكَلِيمِ يُذْهِبُ عُسْرًا



obeikandi.com

مقامة الإمام محمد بن عبد الوهاب

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

أغرَّتْ شَرْقُ مِنْ عَيْنِيهِ مَلْحَمَةٌ

مِنَ الضِّيَاءِ لِتَجْلُو حَنْدَسَ الظُّلْمِ

فِي هِمَّةٍ عَصَفَتْ كَالدَّهْرِ وَاتَّقَدَتْ

كَأَنَّهُ الْغَيْثُ يُسْقِي الْأَرْضَ بِالْدِيمِ

الإمام المجدد شيخ الإسلام الموحد، الذي جدّد دين النبي محمد ﷺ.

أصبح في الإسلام علماً معروفاً، وصار بالإمامة موصوفاً. دَعَا إِلَى

التوحيد أصل الأصول، وتابع الرسول، وجمع بين المنقول والمعقول.

خرج في زمن أحوج ما يكون إلى مثله، في علمه وعقله، فذكّر الخلف، عقيدة

السلف، تدرّج بالعلم في فترة ركنت العقول إلى الجهل، وتسلّح بالصبر في زمن قلّ

الناصر لأهل الفضل، وذكّر الناس بأعظم مسألة دعا إليها الأنبياء، وهي أهم

قضية عند العلماء، فصحّح للناس أصل المعتقد الحق في ربهم تبارك في علاه،

ونفض عن عقول أهل زمانه ما نال جناب التوحيد وشوّه محيآه.

فحمى جناب التوحيد، وسدّ كلّ ذريعة تُفضي إلى الشرك بالوليّ الحميد،

لم تكن دعوته صوفيّة، بُنيت على شفا جرف هارٍ من المخالفات البدعية، التي

تُنافي الأصول الشرعية، بل كان صاحب أثر ودليل، وتحصيل شرعي وتأسيس.

ولم تكن دعوته فكرية تُبنى على افتراضات العقول، بل أثرية سلفية تقوم على ما صحَّح من المنقول.

هذا الإمام، لم يشغل الأمة بعلم الكلام، بل أسعد الناس بميراث سيّد الأنام. لم يتشدد بعلم المنطق، بل سأل بيانه بالعلم الموثق، وجرى لسانه بالقول المحقق. وسلّمه الله من طيش الفلاسفة، أهل الزيغ والسّفه، فكان صاحب حجة قاضية، على سنّة ماضية، على طريقة من سار، من السلف الأبرار، يعرض المسألة في سهولة ويسر، مُجانباً المشقة والعُسْر، فدنا إليه قطاف الملة المحمديّة، وجبى إليه ثمار الشريعة المحمديّة.

عرف الجادة فوصل، ودعا إلى ما دعا إليه الرُّسل. كان في زمنه علماء، وفي عصره فقهاء، لكن منهم من ظن أن السلامة في السكوت، ولزوم البيوت، وطلب القوت، ومنهم من كان في علمه لوثّة من البدع، فكيف يدعو الناس إلى ما أنزله الله وشرع، ومنهم من اشتغل بالمناصب، عن أداء الواجب، فهُمّه ثمن بخس دراهم معدودة من الحطام، يأخذها ثمناً لفتاوى يتخذ بها جاهاً عند الطغام.

أما هذا الإمام المحفوظ بالعناية، المُحاط بالرعاية، فأشرق شمس من مطالع السنّة، وصارت قافلته الميمونة إلى الجنة.

هذا المجدد لم يأتِ بمرسوم من الأستانة، ولم يطلب المنزل لدى العامّة والمكانة، بل جاء مُصلحاً يُعيد الأمة إلى سيرتها الأولى الريانية، وإلى ما كانت عليه من المحاسن الإيمانية، وجد في زمن هذا الإمام، في بلاد الإسلام، مشايخ لهم عمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج. تُفعل أمام أعينهم كل طامّة، وهمّه تجميل العامّة، يجبُون الأموال بالاحتتيال، فلا يفتي أحدهم إلا بثمن

معجل، أو برهان مؤجل، ليصبح العلم لديهم عمامة مكورة، وجبة مدورة، يعظم بها لدى الرعاع، ويسكت عن كل شرك وابتداع، يرى أحدهم الجهال يطوفون بالقبور، فلا يغضب ولا يثور، لأن دماء حب الدنيا في عروقه تجمد، فهو تائه مقلد، بارد متبلد.

فجاء هذا الإمام الذي ما تدنس بالدنيا جلبابه، ولا اتسخت بالبدعة ثيابه، وقد عقد العزم، واتصف بالحزم، تحدوه همّة عارمة، وعزيمة صارمة، فدعا إلى تجديد ما اندرس من الدين، وإظهار ما خفي من دعوة سيّد المرسلين.

فكان الناس معه أقسام ثلاثة: فأصحاب حسد: ضلّ رشدهم وفسد، لسان حالهم: لماذا اختير هذا من بيننا، إنه يدعو إلى غير ديننا؟ فكبتهم الله بنصر هذا الإمام، وتآكل حسدهم في صدورهم على مرّ الأيام.

وأصحاب بدعة وهوى، سقط نجمهم وهوى، ذاق منهم الأمر، فاحتسب الأجر وصبر.

وأصحاب قلوب حية، وفطر نقية، عرفوا أن دعوته دعوة مرضية، سلفية سنية، فركبوا في سفينة التجديد، مع هذا الإمام الرشيد، حتى وصلوا معه إلى شاطئ الإصلاح، وساحل الفلاح. فإذا رأيت من ينال هذا الإمام، ويحطّ من قدر هذا الهمام، فاعلم أنه مخذول مغرور، أو جاهل مغمور.

واعلم أن الصادق يجعل الله لدعوته التأييد والتمكين، والكاذب يُظهر الله عواره ولو بعد حين. وهذا الإمام لم يكن مطلبه السلطان، وجمع الجنود والأعوان، والاستيلاء على البلدان؛ بل كان قصده تصحيح معتقد الناس،

وتصفية التوحيد مما أصابه من الأدران والأدناس، وإزالة الخطأ والالتباس فأصاب عين الحقيقة، ولزِمَ أحسن طريقة، حتى شرقت بالخير ركائبه، وغرّبت بالفضل نجائبه، فتقبلها عباد الله بقبول حسن، وعدّوها عليهم من أعظم المنن، وشرّق بها من ضلّ رشده، وخاب جهده، فما ضرّ إلا نفسه، وما اقتلع إلا غرسه، وهذه سنة الله في البشرية، وحكمته في البرية. لا تشرق شمس دعوة صادقة، بالتوحيد ناطقة، إلا قيّض الله لها أنصاراً وأعداء، لتتمّ سنته في المدافعة بين الفجار والأولياء، وليتخذ شهداء.

بدأ الإمام بالتوحيد لأنه المسألة الكبرى، والعروة الوثقى. لأن من يعلم الناس الفروع وقد ذهب الأصول، كمثّل من يُداوي الأجسام وقد فقدت العقول، وكيف تفلح أمة يطوف على القبور رجالها، وينشأ على الشرك أجيالها.

قبل أن تدرّس الناس الفروع الفقهية، صحّح لهم مسألة الألوهية، وقضية العبودية، لتؤتى البيوت من أبوابها، وتردّ المسببات إلى أسبابها.

وقبل أن يعلم الناس أبواب السياسة، وطرق الوصول إلى الرئاسة، يجب تعليمهم الدين الخالص الذي دعا إليه الأنبياء، والتوحيد الحقّ الذي جاءت به الملة الغراء.

هل يقرّ للعبد قرار وهو يسمع ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. هل بعد هذا الإنذار من إنذار، وهل فوق هذا الخطر من أخطار، والله يقول لنبيه وصفه: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحِطَّنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. إن الأحزاب المفلسة، والطوائف المبلّسة،

أهملت مسألة التوحيد من حسابها، وحجبت حقيقته عن أحزابها. فكان جزاؤها الخزي والهوان، والذلة والخذلان، لأن أعظم المطالب العلمية، وأكبر المقاصد العملية، هي قضية الألوهية، ولهذا تجد أن أي دعوة قامت على غير التوحيد قد انهارت، وأعلنت هزيمتها وبارت ﴿فَأَتَى اللَّهَ بِنِيَانِهِمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

ما خلق الكون، وأوجدت فيه حركة وسكون، إلا لمسألة عظيمة ذُكرت في الكتاب المكنون ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

كانت دعوة الإمام المجدد، تنصّ على أن يُعبد الله وحده ويُوحد، قيل أن يعلم الناس الأحكام، لا بدّ أن تطهر قلوبهم من التعلّق بالأوثان والأصنام، وأن تزكى ضمائرهم من التعلّق بالأنصاب والأزلام.

قد يدرك الحلولي والاتحادي مسائل الفقه وهو ضالّ في باب التوحيد، وقد يلمّ الصوفي والقبوري بالأحكام وهو جاهل بحق الله على العبيد. ولهذا تجد من نصّب نفسه للفتيا في بعض البلاد، يشاهد مظاهر الشّرك تعصف بالعباد، ثم لا ينكر ولو بالإشارة، ولا ينهى ولو بعبارة، فأبي صلاح لمن هذه حاله، وأي علم ينتظر لمن هذه أعماله؟

لقد استقبلت الأمة دعوة هذا الإمام، بالقبول والاهتمام، فصار للمساجد دويّ كدويّ النحل بالعلم المأثور، وصارت كتائب التوحيد تُزيل القباب عن القبور، وانتشر دُعاة الحق ينفضون آثار الشّرك والبدعة من الصدور، فصار العامي بنور هذه الدعوة أصفى توحيداً، وأخلص ديناً من أئمة الطوائف المنحرفة، لما جعل الله في قلبه من نور المعرفة. بعد أن عمّت الشّور، وانطفأ

النور، وحرّ الناس في ظلّمات الشّرك بين نُذُور وقبور، وسِحْر وكهانة
وفُجُور، فجَدّد الله بهذا الإمام معالمِ الدين، وأيّدَه بكتائبِ الموحدين،
فالحمد لله ربّ العالمين.

حمداً على جلال النّعمة، وانكشاف الغمّة، وصلاّح الأمة.



مقامة الملك عبدالعزيز آل سعود

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾

فإنك شمسُ والملوكُ كواكبُ

إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

العظماء يكتبون التاريخ بدمائهم، ويتوجون الملاحم بأسمائهم.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظمُ في عين الصغير صغارها

وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ

وقضت وما في الموت شك لواقفٍ

كانك في جفن الردى وهو نائمُ

تمربك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمُ

عبدالعزیز بن عبدالرحمن صقر جزيرة العرب، ومعيد مجد من ذهب، وقبلة الأشعار والخطب، أعاد سيرة المجد كما كانت، بعزيمة وقف لها الدهر، فما لانت، وصارعها الخطب فما هانت، أخرج بالسيف وساوس الظالمين، وصارت قصة كفاحه أعجوبة في العالمين، وآيةً للسائلين.

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا

وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمَ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا

عبدالعزیز لم یحز المجد بِقُرْعَةٍ، ولم یَنَلْ المجد بخدعة، ولم یصل إلى سُدَّةِ الحکم عن طریق صنادیق الانتخاب، ولا بفضل تصویت الأحزاب، وإنما حازَ الملك بتوحد یهزّ الجبال، وبسيف بَنَارِ تهابه الرجال، نال المجد بوثبة عصاميّة، تحت راية إسلامية، ووصل إلى سُدَّةِ الحکم بهمة كأنها الدهر إذا هاج، والبحر إذا ماج، وصوتت له السيوف والرّماح حتى شيعته الأرواح.

أَحَقُّهُمْ بِالْحُكْمِ مَنْ عَشَقَ الْعُلَى

وَبِالْأَمْنِ مِنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ

عبدالعزیز أثبت للعالم أن الهمة الوثابة، أقوى من الدبابة، وأن العزائم الرائعات، أشدّ من المدرعات.

وَقَدَّتْ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَالِلَّهِ أَكْبَرُ

بِكَ الْمَجْدُ وَالتَّارِيخُ يُطْوَى وَيُنْشَرُ

جَزِيرَتُنَا فِي مُقَلَّتَيْكَ وَدِيَعَةٍ

وَهَذِي رَمَالِ الزَّيْتِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ

أشرق عبدالعزیز من الصحراء، ومعه شريعة غراء، موحد يردّد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، في شجاعة أسد، في إصرار وجلّد، له من العون مدد، ومن النصر عدد.

عبدالعزیز لم یکن بلشفیاً أحمر، یکفر ولا یشکر، ینادی بالبرجوازیه، بل کان حنیفاً مسلماً، وقائداً ملهماً. ولم یکن زعیماً یدعو للنازیة، ویبشّر باللیبرالیة، بل کان إماماً عادلاً، وحاكماً فاضلاً، له فی التاریخ جولة، ومع الدهر صولة، حتی أقام دولة.

ولم یکن عبدالعزیز حزیباً، وعلى جماجم الأبریاء یتسلق، بل وحدّ ربّ العباد برایة الوحدانیه، ووحدّ البلاد بالرسالة الإیمانیة.

إذا كان نِهرو منقذاً فهو أهوجُ

وإن كان تیتو قائداً فهو مُديرُ

ولینین سَفَاك وهتلر طائشُ

وصولاتُ نابلیون موتُ مقطرُ

وهذا حنیفاً مسلماً ثابتُ الخطا

صلاةٌ تُؤدّی أو کتابٌ یفسّرُ

وقدّ مارکس بمشروع الإلحاد، تحت مُسمّی الشیوعیة والاتحاد، فقتل الرجال، وابتزّ الأموال، وفعل الأهوال، وأطلّ هتلر بتفضیل الألمان، على بنی الإنسان، حتی أحرق من خالفه فی الأفران، وانتهی أمره إلى الهوان، وباء بالخُسران، وأشرق عبدالعزیز بمشروع الوحدة، تحت شعار الله وحده ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ وولدت معه مملكة قويّة، ودولة فتية، دستورها من السماء، وتعاليمها من غار حراء، ووثيقتها شريعة سمحاء.

ليس المُلك عند عبدالعزيز مظاهر خدّاعة، ودعاية مّاعة، وليست أمنيته
ثكنة من المباني، ولا سرب من الفواني، ولا طائفة من المعزوفات والأغاني،
ولكن المُلك عنده ثبات وهمّة، وتوحيد أُمَّة، والوصول بها إلى القمّة. والمُلك
عنده جمع القلوب في عناق، وتأليف الشّمل في اتّفاق، وقطع دابر الافتراق.

عبدالعزيز الذي ذلّت لسطوته

شوس الجبابر من عجم ومن عرب

لما أتى المجد صاح في طرب

المجد للسيف ليس المجد للكتب

والمُلك لم يُهد لعبدالعزيز على طبق من ذهب، بل بعزمات كأنها الشّهب،
وبهمّة كاللّهب، لم يشقّ الأُمَّة بمشروع وحدوي اشتراكي شيوعي؛ بل أسعدها
بديستور توحيدى محمّدي شرعي، ولم يؤسس دولته على شعارات وهتافات
ومظاهرات ودعايات؛ بل أسّسها على آيات بيّنات، وحكم وعظّات، وسجايا
صالحات.

أسس أفلاطون جمهورية في الأزمان، لم تصل للعيان إلى الآن، ودعا
ديمقراط اليوناني إلى حكومة على الأوراق، لم تظهر في الآفاق، وبشّر ماركس
بدولة شريكية اشتراكية، فإذا هي عناء وشقاء وفناء ودماء ولعنة حمراء.
وأسّس عبدالعزيز آل سعود، مملكة في العالم المشهود، ردّد ذكرها الوجود،
وحمل علمها الجنود. فمملكة عبدالعزيز لا شرقية ولا غربية، بل إسلامية
محمّدية.

فَإِمَّا حَيَاةً يَنْظُمُ الْوَحْيُ سِيرَهَا

وَالَا فَمَوْتًا لَا يَسُرُّ الْأَعَادِيَا

رَضِينَا بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا وَخَالِقًا

وَبِالْمُصْطَفَى الْمَعْصُومِ نُورًا وَهَادِيًا

رفض عبدالعزيز الرأسمالية لأنها ملكية الفرد، حتى يصبح للمال كالعبد، ولو وقعت الأمة في المشقة والجهد، ورفض عبدالعزيز الشيوعية، لأن شعارها اللعين الكفر بإياك نعبد وإياك نستعين، الذي نادى به لينين وستالين، صرخوا في العالم بأن «لا إله والحياة مادة» مع مساواة الطبقة المترفة بالكادحة الكادّة، ورفض عبدالعزيز الديمقراطية لأنها تدعو إلى حكم الشعب بالشعب، فالفضلة والسفلة سواء بسواء، الكعب بالكعب، ورفض عبدالعزيز الجمهورية لأنها مثاليات في أذهان منظرّيتها، وأحلام معسولة في عقول مُصدّريها.

واختار عبدالعزيز دولةً إسلامية، تقوم على الشريعة، وتؤمن بالبيعة، فجمع عبدالعزيز بين الإعجاز، والإنجاز، إعجاز ماثل في الوحي المقدس، وإنجاز قام في حضارة تؤسس. وأخذ عبدالعزيز من القديم الرسالة، والأصالة والعدالة، وأخذ من الجديد ما يخدم الإنسان، ولا يخدش الإيمان.

وحمل عبدالعزيز المصحف والسيف، لغرس الإيمان ورفع الحيف، مصحف يحمل الهداية، وسيف يقطع دابر الغواية. فدولة عبدالعزيز دولة ليس بها بلاشفة، ولا أساقفه، لأن البلاشفي يعبد الوجود، ويكفر بالمعبود، ففكرته تقوم على الجمود والجحود، والأسقفي يريد أن يُدخل العالم إلى الكنيسة، وأن يُعيد البشر إلى الحياة التعيسة.

فَلَمْ يَكْ حَزِيًّا يُحَارِبُ رِيَّهُ

وَلَا بِلَشْفِيًّا بِالرِّسَالَةِ يَكْفُرُ

وَلَكِنْ عَلَى الْإِسْلَامِ مَدُّ شِرَاعِهِ

وَفِي قَارِبِ الْمُخْتَارِ يَرْسُو وَيُبْحِرُ

باب المجد لا يقرع بقصائد مُحَبَّرَةٍ، ولا بأقلام معطَّرة، ولا بخطب مُسَطَّرَةٍ.

إنما يقرع باب المجد بسيوف بَيَّارَةٍ، وهِمَمَ هِدَارَةٍ، وعزائم فَوَّارَةٍ، ليحيا من حي على بيئته من الخلود، والسُّودد والسُّعود، وبهلك من هلك على بيئته بأمانيه المضلَّة، ووساوسه المعطَّلة. وعبدالعزيز أسهر بالكفاح ليله، وأسرج بالعزم خيله، ففتح له الملكُ بابه، ورفع له المجد حجابَه.

فَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ دُفَاً وَقَيْنَةً

فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السِّيفُ وَالضُّتْكَةُ الْبَكْرُ

وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى

لَكَ الْهَبَّاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنْمَا

تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ

قال محمد إقبال، شاعر الأجيال، في خطاب وجيز، إلى عبدالعزيز: أيها الملك انصب خيمتك في الصحراء، ولا تستعز أطنابها من الأجنبي؛ فإن استعارة الأطناب من الأجنبي حرام.

وقال مصطفى أمين الكاتب المشهور: لو قيل لي اذكر لنا عشرة عظماء في القرن العشرين لجعلت عبدالعزيز بن سعود الأول؛ لأن العالم ينظر إلى الإنجاز المشهود، ولا يعبأ بالدعاوى لمجد مفقود.

لو جاء عبدالعزيز بمشروع علماني لزلزلت الجزيرة زلزالها، ولملأت بالغيظ رجالها، ولهزت بالثأر جبالها؛ لأن الجزيرة سكب من غمام الوحي دستورها، وأشرق من سماء النبوة نورها، فلا تصغي إلا إلى صوت الإيمان المحمود، وهذا ما فعله عبدالعزيز بن سعود.

ولو أن عبدالعزيز قَدِمَ بمشروع أرضي يستمدّ تعاليمه من بيت العنكبوت، لقاتل الجزيرة آمنت بالله وكفرت بالطاغوت، لأن الجزيرة قُطِرَت على التوحيد، ورضعت لبن الدين الرشيد، وهذا ما قام به عبدالعزيز بعزمه السديد. فالجزيرة بلاد الأبرار، ليس فيها شعار الثوّار الأحرار، والرّفاق الشطّار، والملاحدة الكفّار.

عبدالعزيز أعلن أن دولته إسلامية سُنّية، شرعية سلفية، لأن المبدأ الحق ما كان من نكاح، والمذهب الدخيل ما كان من سفاح، ومن أتى إلى الجزيرة بدين غير الإسلام، فكأنه أدخل في الكعبة الأصنام، ووضع في المحراب الأزلام، وأباح من على المنارة الحرام، إن الذين بينون دولاً آتمة ليكون أول إعلان لهم أنهم يكفرون بالله العظيم، وكأنه لا يصل إلي مجد الدنيا إلا من

طريق الجحيم، هؤلاء استحقوا لعنة الله ومقت التاريخ، ولطخت أسماءهم
برجس التوبيخ. يعلنون التوير من ميدان التحرير، وإذا التوير عندهم اعتناق
الإلحاد، والكفر بربّ العباد، والتحرير لديهم الخروج عن قداسة الملة،
والدخول في سراديب الخيبة والذلة. في هذا الوسط الآسن، وفي هذا التيه
الفاثن، جاء عبدالعزیز بدولة، تحترم القبلة، وتقدس الملة، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ ﴿١٠٠﴾.

سمعنا الرفاق الحمر، والضباط الصفر، ينادون بالكفر، وكأنها لا تبنى
الحضارة، حتى تهدم المنارة، ولن تنال القوة، حتى تُجحد النبوة، فقاتل الله
الغباء، فإنه وباء، وويل للعقول المسوخة، والأفكار المسلوخة، من ذلة في الدنيا
ساحقة، ومن لعنة في الآخرة ماحقة.

اللهم انصر من نصر دينك، وامنحه تمكينك، حتى تُعبّد وحدك، إنك لا
تخذل جنك، ولا تخزي عبدك، لك الملك ولك الحمد، ولك السؤدد والمجد، لا
ينفع ذا الجدّ منك الجدّ.



المقامة البازية

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

إن قام سوق العلم فهو كمالك

أو مد باع الزهد فالشيباني

أو غاص في التفسير قلت مجاهد

والفقه والتعليم كالنعمان

وإذا تراحمت الوفود فحاتم

وكأحنف في الحلم والغفران

للقلب من ذكره اهتزاز، وللقصيد في مدحه ارتجاز، تضرّد بالمكرّمات
وامتاز، وحظي بحسن الثناء وفاز، إنه عبدالعزيز بن باز، أوصلته الهمة، إلى
إمامة الأمة، وبلغته العزيمة، المنزلة الكريمة، ودلّته السنّة، طريق الجنة، خلّق
أرقّ من النسيم، وعلم أعذب من التسنيم، كلامه يوشى بالأثر، كأنه درّ انتشر.

ابن باز: أتباع لا ابتداع، وقبول عمّ البقاع، وفضله كلمة إجماع، مع
اعتصام بالدليل، واهتمام بالتأصيل، وبراعة في التحصيل، يشرفه تحقيق في
النقل، وسداد في العقل، جمع مع كرم الطبيعة، رسوخاً في الشريعة، هجر في
طلب العلم الرقاد، فحصل واستفاد، وأخذ الرواية بالإسناد، حتى ترأس وساد،
وعمّ علمه البلاد والعباد.

ابن باز: على نهج السلف، بلا تنطع ولا صلف، روح بالتقوى طاهرة،
ونفس بالعلوم باهرة، أعذب من ماء السحاب، وأرق من دمع الأحباب.

ابن باز في هذا العصر: إمام الغرباء، وعالم الأولياء، وزاهد العلماء.

تقلد أرفع المناصب، فكان آية في أداء الواجب. حضرت له مجالس
وموائد، وحملت عنه فوائد، وألقيت عليه قصائد، ورويت عنه فرائد.

كانت مُحادثةُ الرُّكبان تُخبرنا

عن شيخنا الباز تروي أروع الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت

أذني بأحسن مما قد رأى بصري

لما جاء خبر وفاة هذا الإمام تعثرت به الأفواه، وتلعثمت به الشفاه،
وقال القلب: هذا خبر لا أقواه، وقالت النفس: ما أشد هذا المصاب على القلب
وما أقساه.

أُصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ وَارْتَجَّ أَهْلُهُ

عَلَى فَقْدِهِ حَتَّى أُصِيبَ بِهِ الصَّبْرُ

كَأَنَّ بَنِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ وَفَاتِهِ

نُجُومُ سَمَاءِ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

ابن باز: يز بعلمه الأعلام، وأتعب بسيرته الأعلام، وأهدى عمره للإسلام،
وكفل بكرمه الأيتام. لو رآه يحيى بن معين لقال: مرحباً بعلم الإسناد،

ولو أبصره حاتم الطائي لقال: أهلاً يا سيد الأجواد، ولو لقيه الأحنف بن قيس لقال: منكم الحلم يُستفاد.

ابن باز: بزَّ الأقران، بطاعة الرحمن، وعلم السنَّة والقرآن، وإكرام الضيفان، واحترام الإخوان، وبرَّ الأقارب والجيران.

سَعَى سَعِيهِمْ قَوْمٌ فَلَمْ يُدْرِكُوهُمْ

وما قصَّروا عندَ اللِّحَاقِ ولم يَأْتُوا

ولكن لهم سبقُ الجَلالةِ والعلَى

فجاءَ لهم من كلِّ ناحِيةٍ فضلٌ

إن زُرته غمرتك بالإكرام، وأتحفك بالاحترام، وأنسك بطيب الكلام وضيحك أذَّ الطعام، وعلمك الآداب والأحكام، فهو يجمع الجودين، وبما تقوم الدنيا والدين.

ابن باز: والد الدِّعَاة، وشيخ القضاة، وناصح الوُلاة، تحبَّه لتقواه، وتحترمه لفتواه.

حاضرَ في الجامعات، وتشرفَّت به المحاضرات، وتعلَّمت بعلمه الندوات، وطابت بلقائه الأمسيات، وسعدت بوجوده الجلسات، غنى في زيِّ فقير، وزاهد في موكب أمير، ومُفتٍ في منصب وزير، حمل كل أمر خطير، فكان نعم المُشير، وصاحب الرأي الفطير والخمير، عليه بسمة في وقار، ولين في إصرار، ودأب في استمرار، السنَّة له شعار، والصِّلاح له دثار، وعليه من السكينة أنوار، لم يكن لسانه كالمقراض للأعراض، ولم يكن له ارتياض في جلب المال والأغراض.

عَفِيفٌ مِنَ الدُّنْيَا خَفِيفٌ مِنَ الْخَنَا

عَلَى سَمْعِهِ مِنْ كُلِّ فَاخِشَةٍ وَقَرُّ

فَلَوْ قَسَمْتَ أَخْلَاقَهُ فِي قَبِيلَةٍ

لَصَارَ لِكُلِّ مِنْهُمْ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

ابن باز: نفعٌ للخليفة، وإدراكٌ للحقيقة، ولزوم الطريقة، عدلٌ في الأحكام وإنصاف، وتواضع تعنو له الأشراف، وكرم تشهد به الأضياف.

أثبت ابن باز أن العلم يشرف من حملة، وأن المال يسود من بذله. ليس في قاموس ابن باز أن الجود يفقر؛ بل صاحبه يشكر، وبالخير يذكر، لو ترجم كرم ابن باز في أبيات ل قيل:

أَنْفِقِ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً

وَلَا تُطْعِ فِي سَبِيلِ الْجُودِ عُنْدَالاً

مَنْ جَادَ جَادَ عَلَيْهِ اللَّهُ وَاسْتَنْتَرَتْ

عُيُوبُهُ وَكَفَى بِالْجُودِ سَرِيالاً

تميز ابن باز بالتعمق في الأثر، والغوص على الدرر، مع تصحيح الخبر، وصحة النظر.

ابتعد ابن باز عن شمشقة علماء الكلام، وعقعة الفلاسفة الطغام، وتشدق أهل المنطق اللثام.

ولم يكن يسقط على السقطات، ولا يلقط الغلطات، بل كان يدفن المعايب،
ويذكر المناقب، فملاً الله بمحبته القلوب، وطار ذكره في الشعوب.

فالعلم عنده حديث وآية، ونور وهداية، وعمل لغاية، واستعداد لنهاية،
أعرض عن مذاهب المبتدعة الضلال، وأهل الدنيا الجهال، وأساطين القيل
والقال، وهجر الجدال، فسلم من همز الرجال.

خُلِقَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْسُدُهُ عَلَى

كَرَمِ الطَّبَاعِ وَزِينَةِ الْأَوْصَافِ

ضمنت له الدنيا الثناء فكُلَّمَا

ذَكَرُوهُ جَادَ النَّاسُ بِالْإِتْحَافِ

ليس في مجلسه أرقام الأسعار، ولا فضول الأخبار، ولا غرائب الأقطار،
ولا عجائب الأمصار، وإنما كلام العزيز الغفار، وحديث النبي المختار، وما صحَّ
من آثار. «كحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن يتحفك بطيبه».

زهد ابن باز زهد متواضع، لم يُشَرَّ إليه بالأصابع، ويعلن على الملأ في
المجامع، لأن الدنيا عنده أهون من أن يعظم الزهد فيها، وأحققر من أن يمدح
النظر إليها، فكان زهده صامتاً، وتواضعه ساكتاً. خدمته ألسنة الخلق بإعلان
الفضائل، وأحبته قلوب الناس فوَعَتَ تلك الرسائل.

أفضل شيء في العالم: مراقبة الجليل، والعمل بالترزيل، والاستعداد
للرحيل، والرضا بالقليل، وكذلك كان ابن باز. ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ
ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وأحب شيء في الولي: المحافظة على تكبيرة الإحرام، والكف عن الحرام، والرحمة بالأنام، وسلامة الصدر من حب الانتقام، وطهارة الثوب من الآثام، وكذلك كان ابن باز. كانت دعوته حسبة، وعمله قربة، فصار إماماً في زمن الغربة.

وأكرم شيء في الرجل: بسمه على محياه، وصدقه في مسعاه، وثباته في خطاه، وإخلاصه في إعلانه ونجواه، وكذلك كان ابن باز.

وأحسن شيء في الإنسان: طهارة الضمير، والاستعلاء على كل حقير، واحترام الكبير، ورحمة بالصغير، وعطف على الفقير، وكذلك كان ابن باز.

العلم ليس متوناً تحفظ، ولا خطباً تلفظ، ولكنه خشية وخشوع، وتواضع وخضوع، واتباع في الأصول والفروع، وكذلك كان ابن باز. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

والعلم ليس شهادات تُعلق، ولا مناصب تُتسلق، ولا دنيا تُعشق، ولكنه تقوى ومراقبة، وورع ومحاسبة، وتبنيه للغافل، وتعليم للجاهل، وكذلك كان ابن باز.

عرفنا من العلماء من اشتهر بالخطابة، والذكاء والنجابة، وسرعة البديهة والإصابة، وهذا أعظم ما يذكر به، وعرفنا من العلماء من عندهم فهم ثاقب، ونظر صائب، وذهن يفوض على العجائب، ثم ليس يذكر إلا بهذا.

وعرفنا من عنده حافظه قوية، وفي صدره متون مروية، وفي ذاكرته علوم محكمة، ثم هذا غاية ما عنده. ولكن ابن باز حافظه بفهم، وذاكرة بعلم، وسداد في رواية، وثبات مع حسن طوية، معه حجة ناطقة، ونية صادقة.

كالسيف إن تُغمده أو تسأله ما

في حده عيبٌ ولا تقصيرُ

معروفةٌ وثباته وصفاته

في صوته يوم القِتال صريرُ

بلغ ابن باز منزلة لا يرفعه المدح، ولا يضعه القدح، فاستوى عنده الثناء والهجاء، ولم ينفعه مدح الأصدقاء، وما ضره ذم الأعداء، لأنه يعامل رب الأرض والسماء.

من كان فوق محل الشمس موضعه

فليس يرفعه شيء ولا يضع

ليس في قاموس ابن باز تفصح ولا تبجح ولا تمدح.

لا يحب الإطراء والمرء والإغراء، لا يتزلف عنده برنين الدعاية، ولا يتقرب لديه برخيص السعاية، لأنه قد حقق الولاية.

ليس العلم عند ابن باز بالتفصيح، والتمادح، والزهو بالمشالح، والحرص على المصالح، بل العلم لديه حمل الشريعة في إحيات، وطلب الفائدة بإنصات، والعمل بالحجة في ثبات. العالم من عن الحرام كفاً، وعن الشهوات عفاً، وقام عن غرور الدنيا والتف، وكذلك كان ابن باز.

ابن باز من مدرسة التجديد، وليس من أهل التقليد؛ بل هو صاحب حجة، سالك المحجة، معتصم بالبرهان، عالم برضى الرحمن. ليس بمتعصب للمذهب؛ بل يتبع الحق أينما وجد، ولا يتجاوز الدليل إذا صحَّ السند.

صحبتُ هذا الشيخ فلم أرَ فيه عجرفة المتطاولين، ولا تخرُّص المتقولِّين،
ولا ترخُّص المتأولِّين، ولا غرور الجاهلين، بل دأب في تحصيل الفضيلة،
وحرص على الصفات الجليلة، واتِّصاف بالأخلاق الجميلة.

كان الشيخ يحترم الأئمة السالفين، ولم يكن يجرح المخالفين، بل كان
رفيقاً مما جعل الناس له مؤالفين.

إذا صاحبتَ قوماً أهلَ فضلٍ

فَكُنْ لَهُمْ كَذِي الرَّحِمِ الشَّفِيقِ

ولا تأخذَ بِزَلَّةِ كُلِّ قَوْمٍ

فَتَبْقَى فِي الزَّمَانِ بِلا رَفِيقِ

إن التقوى إخلاص في الأعمال، وصدق في الأقوال، ومراقبة لله في
الأحوال، وكذلك كان هو. أدرك الشيخ شرف الزمان، فوَّزَّع وقته في وجوه البرِّ
والإحسان، وهذه أعظم علامة، على بلوغه درجة الإمامة.

فهو رجل خاصة ينصح ويعظ ويتلطَّف، ولا يغلظ ويشنَّع ويعنَّف. وهو رجل
عامَّة فكان بالناس رقيقاً، وبالمستضعفين رقيقاً.

وهو رجل شفاعات تُلبَّى لديه الطلبات، وتُحلَّ عنده المشكلات، ويُجيب عن
التساؤلات، وتُعرض عليه الأعضاء.

الإمامة عند هذا الإمام: يقين عند الشُّبُهات، وصبر عند الشهوات،
وتحمُّل للمسؤوليات. لم يكن هذا الإمام في فتواه يفرِّع المسائل حتى يُحيرَ
السائل، بل وضوح في العبارة، ولطف في الإشارة، فلا إسهاب يُشثت الأذهان،

ولا اقتضاب يريك الحيران، بل إصابة للقصد، مع اختصار للجهد. هو أدرى بقوله تعالى: ﴿وَنُيْسِرُكَ لِّلْيُسْرَىٰ﴾.

وقالوا: من تابع الرسول، ووقف مع المنقول، وترك المفضول، نال القبول، وكذلك كان رحمه الله.

وقالوا: من تقيد بالمأثور، وآمن بالمقدور، وعمل بالمأمور، واجتنب المحذور، فعمله مبرور، وسعيه مشكور، وهو مأجور، وكذلك كان رحمه الله.

وقالوا: من أَرْضَى الحق، ولطف بالخلق، وصدق في النطق، وعمل في رِفْق، حصل من الربِّ على القُرب، ومن الناس على الحبِّ، وكذلك كان رحمه الله.

ولولا أني عرفته ما وصفته، والسبب في أنني أحببته، لأنني صاحبته، وخبرية.

ولا تقل إنني بالغت في المدح بل قصّرت، ولا تزعم أنني طوّلت في الثناء بل اختصرت. وقد عرفت في حياتي مئات العلماء، والأدباء، والشعراء، والنُّبلاء، والكلّ فيه فضل، والجميع فيه نُبل. ولكن الذي تفرّد بالفضائل واصطفاه، وجمع حُسن الشمائل وحوّاه، وعرف دروس المجد ووعّاه، هو هذا الإمام الهمام.

وقد طالعت سفر صفات الصالحين، وقرأت ديوان المُفْلِحين، وراجعت علامات الناجحين، فوجدتها فيه منطبقة، وعليه متّسقة.

ولو حرص الكثيرُ لما استطاعوا

إلى ما فيك من كرم الخِصال

وابن باز جمع بين ثلاث ميمات، لها قيمات، ولها عليه سمات وعلامات:
فميم العلم، والرسوخ في الفهم، وهي إمامة مقدسة، على الوحي مؤسسة.
وميم الكرم والسخاء، والتي حُرِّمَ منها البُخلاء، فصار هذا الشيخ بالكرم
رئيساً، وعند الناس نفيساً.

وميم الحلم، فلا يغضب ولا يعتب ولا يصخب ولا يضرب.

وقد قرأت عليه قطعة من مسند أحمد في المسجد، فكان يتكلم بقول
مسدد، ورأي بالصواب مؤيد، ولا يتردد. وألقيت عليه قصيدتي البازية، وهي
فصيحة لا رمزية، فقابلها بالقبول، واللفظ في القول، ودعا لي بالتوفيق، كأنه
والد شفيق.

وألقيت عليه قصيدتي في أبي ذر، فاستأنس وسُرَّ، وقصائد كثيرات، في
لقاءات ومخيمات، وندوات وأمسيات.

يا ليت أيامي تعودُ فنذكرها

في عهدِ هذا الفذِّ قد أشجاني

وهو أول ضيف افتتح بيتي في الرياض، وقد أفاض عليّ من برّه ما
أفاض، وما رأيت منه في حياتي الجفاء والإعراض:

أنا مِمَّنْ سَمَّاحَتُهُ أَنَا لَت

وممَّنْ دَرَبَتْ تَلِكِ الأيادي

عليه تحيةُ الرحمن تغدو

لما أسداه من نفع العِبَادِ

بل كان دائماً كثير الترحاب، ليّن الجنب، قريباً من الأحباب، مكرماً للأصحاب.

وقد شجعني على الدعوة بخطاب منه مختوم، وباسمه موسوم، وبأنفاسه مرسوم، وهو عندي إلى اليوم. وقد وصلت دولاً أعجمية وعربية، وشرقية وغربية، فما رأيت مثل هذا الإمام، على كثرة من عرفنا من الأنام. وأظن عين المجد قد بكت عليه، وروح التاريخ حنت إليه، ولو فاح طيب ثنائه في الوجود لكان مسكاً، ولو نظمت مكارمه في عقد لانفصم من طوله سلكاً سلكاً. وقد رثاه العامة والحكام، ورجال الإعلام، وحملة الأقلام، وبكاه رجال الصحافة، وأهل الأدب والثقافة، ونوّه بفضل العلماء، وبكاه الشعراء، وأثنى عليه الأدباء، وحزن عليه الزعماء. وما سمعنا بمثل جنازته في الإسلام، ولم نعلم أنه مرّ مثلها مع الأيام، ومن كثرة الرّحام، وما حلّ بالمسلمين من الآلام.

فقد اختلط الترحّم عليه بالدموع، وماجت كالبحر الجموع، وأعلن خبر موته الإعلام المرئي والمسموع. ووددت أن النصراري شاهدوا جنازته واليهود، ورأوا ذلك الموقف المشهود، وأبصروا تلك الحشود والبنود، والوفود والجنود، ليعلموا منزلة علمائنا، وقدر حكمائنا، وأننا أمة تقدّس الديانة، وتوقّر حملة الأمانة، أهل الرزانة والصيانة.

ثوى طاهر الأدران لم تبق بقعة

غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبر

تردى ثياب الموت حُمرأ فما أتى

لها الليل إلا وهى من سندس خضر

قد رثيته بقصيدة بازية أصف فيها عظم الرزية، أنزله الله رضوانه، وأسبغ عليه غفرانه، وبوّه أكرم نزل، وألبسه أجمل الحلل، جزاء ما قدّم، وأفاد

وعلم، وأتحف وأكرم، فله علينا حقّ الدعاء، وحُسن الثناء، وهذه سُنّة الوفاء،
ومذهب الأصفياء، وعسى الملك العلام، ذو الأيادي العظام، والمننّ الجسام، أن
يجمعنا به في دار السلام، مع السلف الكرام.

قَاسَمْتُكَ الْحُبَّ مِنْ يَنْبُوعِهِ الصَّافِي

فَقُمْتُ أَنْشِدُ أَشْوَاقِي وَالطَّافِي

لَا ابْتَفِي الْأَجْرَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ عَطَا

فَهُوَ الْغَفُورُ لِزَلَاتِي وَإِسْرَافِي

عَفْوًا لَكَ اللَّهُ قَدْ أَحْبَبْتَ طَلْعَتَكُمْ

لَأَنْهَا ذَكَرْتَنِي سَيْرَ اسْلَافِي

يُضِدِّيكَ مِنْ جَعَلَ الدُّنْيَا رِسَالَتَهُ

مِنْ كُلِّ أَمْثَالِهِ تُفْدِي بِآلَافِ



المقامة الجعوية

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾

أَنْتَ كَنْزُ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ فِي

لُجَّةِ الدُّنْيَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوكَ

مَحْفَلُ الْأَيَّامِ فِي شَوْقٍ إِلَى

صَوْتِكَ الْعَالِي عَسَاهُمْ يَسْمَعُوكَ

ترى الناس بلا دعوة أيتاماً، لا يعرفون حلالاً ولا حراماً، ولا صلاةً ولا صياماً، ولا سنناً ولا أحكاماً، فالدعوة لرتة الأحياء هواء، ولكبد الدنيا ماء، ولذلك أرسل الله الأنبياء، وخط في اللوح ما يشاء.

وقد حملت القلم والدواة، ورافقت الدعوة، ولقيت العلماء والقضاة، وعرفت البسطاء والدهاة، وجبت مع إخواني البلاد، وخالطت العباد، فكم عرفنا من نادٍ وواد، وسرنا في حاضر وباد، فأخذت من الناس المواهب، واستفدت من الزمان التجارب، وميزت المشارب، ونزلت تلك الخيام، والمضارب.

فالداعية الناجح، والواعظ الصالح، من جعل محمداً ﷺ إمامه، فعرف هديه وكلامه، فراش بهداه سهامه، وجمل بسنته مقامه. والداعية من كان بالناس رفيقاً، وعاش معهم رقيقاً، وصار بهم شفيقاً، فاجتنب العنف والتجريح، والإسراف في المديح، فلزم القول اللين، والخلق الهين، فصار لقلوب الناس طبيباً، ولأرواحهم حبيباً.

غُلامٌ إذا ما شَرَّفَ الجَمْعَ صَفَّقَتْ

لَهُ أَنْفُسُ القَوْمِ واصطَفَتْ البَشَرَ

لَهُ مَنْطِقٌ لو أَنَّ لِفَجْرٍ بَعْضَهُ

مَشَى بَيْنَنَا مِنْ حَسَنِ طَلَعَتِهِ السُّحَرُ

ولي في الدعوة انتقال وارتحال، والفضل لذي الجلال، وليس لي في
الفضل فلس ولا مِثقال. وكانت البداية في أبها، وهي من الشمس أبهى، ومن
الزلال أشهى، وأهلها من أرقّ الناس قلوباً، وأقلهم عيوباً، تغلب عليهم
الاستجابة، والذكاء والنجابة.

هَيُّونَ لِيَّيْنُونَ أَيَسَارُ بَنُو يُسْرٍ

صِيدَ بِهَا لَيْلاً حَفَاطُونَ لِلجَارِ

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ

مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

ثم زُرْتُ مَكَّةَ، فعرفت من الحبّ يقينه وشكّه، فصرتُ لأهلها بالموَدَّةِ
ضامناً، وصار الأُنسُ في قلبي كامناً، وأمن فؤادي ومن دخلها كان آمناً.
فلو أن الثَّرى يُقْبَلُ لِقَبْلَتُ، لكنني لَمَّا رَأَيْتُهَا كَبَّرْتُ وَهَلَّلْتُ، وحول البيت
هَرَوَلْتُ.

كَبَّرْتُ عِنْدَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَّتْ

مِنْهَا الشُّمُوسُ وَليسَ فِيهَا المَشْرِقُ

وَعَجِبْتُ مِنْ بَلَدٍ مَكَارِمُ أَهْلِهَا

فِيهَا السُّحَابُ صُخُورُهَا لَا تُورِقُ

ثم سرتُ إلى الرياض، وأنا من الهمّ خالي الوفاض، فلاحت لنا الأعلام
النجديّة، والأمازي الورديّة، ووصلنا أرض التوحيد، وبلاد التجديد، فوجدنا
العلماء، والكرماء، والحلّماء.

لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

مُحَسِّنُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ

لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حَسِدُوا

ثم حملنا الشوق إلى طيبة، وهي أمنيّتنا في الحضور والغيبة، وهي أرض
الجلال والهيبة، فيا قلب والله لا ألومك في هواك، ولا أردك عن مُناك، لأن
أحبّ الناس يرقّد هناك. أليس في هذه الروابي مشى محمد ﷺ، وصلّى
وتعبّد، وقام وتهجّد.

«بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَحْسَنَ الرَّيَا

وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتْرِبِعَا،

كَتَبْنَا عَلَيْهَا بِالِدُمُوعِ صَحَائِفًا

هِيَ الدَّارُ صَارَتْ لِلْمُحِبِّينَ مَضْجَعَا

ثم رحلنا إلى جدّة، ولنا عنها مدّة، فلما وصلناها ذهب كل عناء وشدة،
وقد أخذنا من الحبّ عُدّة، وحملنا في القلوب مَوَدّة. فلقينا بها شباباً
كالسحاب، برؤيتهم تمّ الأنس وطاب، وذهب الهمّ والأوصاب، أخلاقهم أرقّ من
النسيم، وعشرتهم أجمل من الدرّ النّظيم.

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا

أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا

بِهَالِيلُ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ

لأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ

ثم جاءتنا برقيّة، فسافرنا إلى الشرقية، وما أبقى لنا الشوق بقيّة، فقابلونا
بالحفاوة والإكرام، والحبّ والاحترام، ووجدنا رقة الحضارة، والبشاشة والنضارة،
فعجزنا عن الشكر، وهام بنا إليهم الذّكر، ومانسيهم الفكر:

لِلَّهِ تِلْكَ الدَّارُ أَيُّ مَحَلَّةٍ

لِلْجُودِ وَالْإِفْضَالِ وَالتَّكْرِيمِ

هُمُ كَالشَّمْسِ مَهَابَةٌ وَجَلَالَةٌ

أَخْلَاقُهُمْ فِي الْحُسْنِ كَالْتَسْنِيمِ

ثم قلت لصاحبي: ما لك في الجدال خصيم، تقول القيصومة، وأنا أقول
القصيم، فلما وصلنا تلك الديار، وعانقنا الأخيار، وجدنا أهل الدّيانة،
والأمانة، والصّيانة. عفاف في طهر، كأنهم نجوم زهر، أشاد بمكارمهم الدهر.

قُلْ لِلرِّيحِ إِذَا هَبَّتْ غَوَايِهَا

حِي الْقَصِيمَ وَعَانِقِ كُلِّ مَنْ فِيهَا

وَكَتَبَ عَلَى أَرْضِهِم بِالْحُبِّ مَلْحَمَةً

أَرْضُ الدِّيَانَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

ثم دخلنا حائل، والقلب إليها مائل، فلقينا أبناء المكارم، وعانقنا أحفاد حاتم، فرجع حبهم في الميزان، وحدثناهم في جامع برزان، واعتذرت من إبطائي، ثم ألقى قصيدة نادي الطائي:

لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ الْمُقِيمَ بِهِمْ

يَسْلُو عَنِ الْأَهْلِ بِلِ كُلِّ الْأَحْبَاءِ

فِي حَائِلٍ قَدْ بَنَى الْإِكْرَامَ مَنْزِلَةً

أَبُوهُمْ فِي الْمَعَالِي حَاتِمُ الطَّائِي

ولمّا هبطنا الباحة، وجدنا الأُنس والراحة، وقد عانق القلب أفراحه، ونسي أتراحه، فغمد حُسام الإسلام غامد، كم بها من عابد، وزاهد، وساجد. وزهرة المكارم زهران، صرت في ليلي عندهم من الفرح سهران، سيرتهم أطيب سيرة، وسيرتهم أحسن سريرة، لأنهم أبناء أبي هريرة.

فِي الْبَاحَةِ الْغَرَاءِ كَانَ لِقَاؤُنَا

مَا أَحْسَنَ اللَّقْيَا بِلَا مِيعَادِ

وقد هبطنا تهامة، فلا ملل ولا سامة، وأقمنا أحسن إقامة، فوجدت الجود
خلفي وأمامي، ولست الإكرام ورائي وقُدَّامي، تفيض وجوههم مما عرفوا من
الحق، وتشرق طلعاتهم مما حملوا من الصدق.

إني جعلتُ ودادهم بفُؤادي

لا تعدلنَّ محبتي لتهامي

لما أتيتُ إليهمُ أحببتهمُ

ضَيَّعتُ قبل لقائهمُ أيَّامي

ولمَّا أتينا جازان، والجوَّ قد زان، نسينا من السرور الأهل والجيران،
ووجدنا الحلقات الشرعية، والآثار القرعاوية، والجهود الدعوية، والكلَّ منَّا
يلاحظ، تلاميذ الحكمي حافظ، حيث وُلدت العبقرية، وما زالت القرائح
غضةً طرية، ولمسنا العزم والهمم، ووجدنا الجود والكرم.

جازانُ إنِّي من هَواكِ تُشَاكِ

أشجيتني وأنا الذي أهواكِ

«يا جارة الوادي طريتُ وعادني

ما يشبه الأحلام من ذكراكِ»

وأهمَّ ما يُدعى إليه التوحيد، فإنه حقُّ الله على العبيد، ومن أجله بعث
الرُّسلُ، وكل كتاب به نزل، وهو رأس العمل. وعلى الداعية أن يعمل بما يقول،
ليضع الله له القبول، فكلُّ من ترك الهدى مخذول، وكلامه ساقط مردول.

ولتكن للداعية نوافل وأوراد، وحُسن خُلُق مع العباد، وإصلاح لنفسه وجهاد، ومُحاسبة لها قبل يوم التّناد.

وليكثُر من الأذكار، بالعشيّ والإبكار، وليراقب الواحد القهار، مع قراءة سيرة الأخيار، ومُصاحبة الأبرار، والزّهْد في هذه الدار، وليعتقد في نفسه التقصير ويعترف، ليخشَ مما اقترف، وليبكِ على ما سلّف، مما كان عليه السلف، ليسلم من الهلاك والتلف. وليتقيّد بما الله شرع، وليحذر البدع، فإن النفس أمارة، للمرء غرارة، وليجودّ العبارة، ويحسن الإشارة، وليوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعطف على الفقير، وليأتِ المنابر بعزم وثأب، وقلب غير هيباب، وأسلوب جذّاب، وليعدّ العدة قبل أن يُلقى الخطاب، وليتذكّر حديث: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم»، فإن هذا من أجلّ النّعم، وليحمد ربّه وليشكر، حيث جعله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليعلم أن معلّم الخير، وناصح الغير، يستغفر له الطير، والحوت في البحر.

فطوبى لمن كان للرسول خليفة، وما أجّلها من وظيفة، فهي المنزلة الشريفة، والدرجة المُنيفة، فهذا عمل الأنبياء، وشغل الأتقياء، وقربة الأولياء، فهنيئاً له الأجر، ورفعة الذّكر، وجلال القدر، وصلاح الأمر.

فسبحان من اصطفى من عباده دُعاة إلى الجنة، أعلاماً للسُّنة، له عليهم أجلّ نعمة، وأعظم منّة.



obeikandi.com

المقامة الوعظية

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ .

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ

لِمَا خُلِقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

حَيَاةً ثُمَّ مَوْتًا ثُمَّ نَشْرًا

وَحَشْرًا ثُمَّ أَهْوَالَ عِظَامٍ

قلنا لأحد العلماء النبلاء الأولياء: عطينا موعظة، للقلوب موقظة، فإن قلوبنا بالذنوب مريضة، وأجنتنا بالخطايا مهيضة، فنحن قد أدمنا الذنوب، وعصينا علام الغيوب، حتى قست منا القلوب، فقال: واحر قلباه، واكرياه، يا رباه، يا ابن آدم تَذَنَّبُ ولست بنادم، الأنبياء يبكون، والصالحون يشكون، تتابع المعاصي، وتستتهين بمن يأخذ بالنواصي، ويحك كيف تلعب بالنار؟! وتستتهين بالجبار، يُغذِّيك وَيُعَشِّيك، وَيُقَعِّدك وَيُمَشِّيك، ثم تهض على عصيان أمره، مع علو قدره، وعظيم قهره، ويلك هذا الملك كسر ظهور الأكاسرة، وقصّر بالموت آمال القياصرة، وأرغم بالجبروت أنوف الجبابرة. الروح الأمين، وجل مسكين، من خوف القوي المتين، ومحمد يتهجّد ويتعبّد، وهو الذي دعا كل موحد، ومع هذا يُتَوَعَّد وَيُهَدَّد، من أن يركن لكل كافر ومُلجّد.

أين عقلك يا مغرور؟ هل نسيت يوم العبور، وساعة المرور؟ كل طائر من خوفه يخرُّ صريعاً، وكل كاسر يئنُّ من خشيته وجيماً. أبو بكر انتفض من خوفه كالعصفور، وصار صدره بالنشيج يفور، وسقط الفاروق من الخشية على الرمال، حتى حُمِلَ على أكتاف الرجال، وبقي ذو النورين من منظر القبر يبكي يومين، وهذا عليّ بن أبي طالب، دموعه من التذكّر سواكب. كان عمر بن عبدالعزيز يرتعد ولصدره أزيز، ويقول: يا قوم، اذكروا صباح ذلك اليوم. ويلك! والله لو أن القرآن نزل على صخر لتفجّر، ولو هبط على حجر لتكسر، وتقرؤه وأنت لاهٍ ساهٍ، تتفكّر في المنصب والجاه، كأن الليالي لا تطويك، والكلام لا يعينك، تدفن الآباء والأجداد، وتفقد الإخوة والأولاد، وأنت ما زلت في إصرار وعناد، سبحان الله! تغترب بالشباب، وتزين الثياب، وتسى يوم يهال عليك التراب.

أبداً تُصِرُّ على الذنوب ولا تعي

وتجاهر العصيان منك وتدعي

أبداً ولا تبكي كأنك خالداً

وأراك بين مُودعٍ ومُشيع

لا تغفل ذكره، ولا تنس شكره، ولا تأمن مكره، هو الذي عقر بالطين أنف فرعون اللعين، وأغرق جنوده أجمعين، مساكن من عصاه قاع قرقر، بعد ما أرسل عليهم الريح الصرصر، إذا غضب دمر المنازل على أهلها، وسوى جبالها بسهلها، شاب رأسك، وما خفّ بأسك، وما زال في المعاصي فأسك، ما لك لا تردك الآيات، ولا تزجرك العظام، ولا تتذكّر الأموات، مُصراً مُستكبراً، تركب كل أمر منكراً.

سمع ابن وهب آية ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾، فسقط مغشياً عليه في الدار، ثم مات في آخر النهار. سمع عمر، بعض السور، فطرح دُرَّتَه وانقعمر، فبقي مريضاً شهراً، وصارت دموعه نهراً. قرأ سفيان سورة الزلزلة، فسُمع له ولولة، كأنها أصابت مقتله، بعض الصخور تسقط من السماء، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، وأغمي من الخشية على كثير من العلماء.

كَأَنَّكَ مَا سَمِعْتَ بِطُورِ سَيْنَا

وَيَوْمَ صَارَ مِنْ طُولِ سَيْنَا

تَخَرُّلَهُ الْجَبَابِرُ وَهِيَ تَبْكِي

وَيُحْصِي فِيهِ رَبِّي مَا نَسِينَا

عُرَاةٌ نَحْنُ فِيهِ فَيَا لِهَوْلِ

كَأَنَّا مَا طَعِمْنَا أَوْ كُسِينَا

ويحك خَفَ ربك، وراجع قلبك، واذكر ذنبك، موسى خرَّ من الخوف مغشياً عليه مصعوقاً، ويوشعُ صار قلبه من الوجَل مشقوقاً، وبعضهم أصبح وجهه من الدموع محروقاً، كيف تصبح وتُمسي، والرُّسُلُ كلُّ يقول نفسي نفسي، أعجبتك الدُّور والقصور يا مغرور، ونسيت القبور ويوم النشور، يوم يُحصَلُ ما في الصدور.

والذي نفسي بيده ما تساوي الدنيا فتيلة، ولا تعادل في القبر فزَع أول ليلة، يوم تُطرح فيه وليس لك حيلة، أنفق مالك، وراجع أعمالك، وزن أقوالك.

وخطك الشيب، وما تركت العيب، تشاهد المصارع، وتسمع القوارع، وتتهال
عليك الفواجع. تنسى الرب، يا ميت القلب، الصحابة من الخوف مرضى، وطلحة
ينادي: اللهم خذ من دمي حتى ترضى، لا تحضر صلاة الفجر، ولا تطمع في
الأجر، وجعفر تقطعت بالسيوف أوصاله، وارتفع بالفرح تهليله وابتهاله.

على شفرات السيف مزقتُ مهجتي

لترضى وإن ترضى علي كفانيا

فلو كتبت من الدماء رسالة

لخطت بحب الله كل جنائيا

ويلك أنت مهموم بالقرش والفرش والكرش، وسعد يهتز لموته العرش.

تهاب الوضوء إذا برد الماء، وحنظلة غسل قتيلاً في السماء، تعصي حي
على الفلاح، ومصعب بن عمير قدم صدره للرماح، ماتهتر فيك ذرة، والموت
يناديك في كل يوم مئة مرة، والله لو أن في الخشب قلوباً لصاحت، ولو أن
للحجارة أرواحاً لناحت، يحن المنبر للرسول الأزهر، والنبى الأطهر، وأنت ما
تحن ولا تنن، ولا يضحج بكاؤك ولا يرن. لو مت لعذرناك، وفي قبرك زُرنالك،
ولكنك حي تاكل وتشرب، وتلهو وتلعب، وتغني وتطرب.

بعض الصالحين أتى لينام، فترك الفراش وقام، وأخذ ينوح كما ينوح
الحمام، قالوا: ما لك؟ قال: تذكرت ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾
وهذه الآية كافية.

تُواصلُ الذَّنْبَ لا تدري بعاقِبَةٍ

وتستهينُ بأمر الواحد الصَّمدِ

كَأَنَّ قلبك مطبُوعٌ عليه فلا

تخشى عِقَاباً ولا تبكي على احدٍ

سعيد بن المسيَّب، الإمام المُحبَّب، والزاهد المقرَّب، ذهب عينه من كثرة الدموع، واصفرَّ وجهه من الخشوع، وهو ما بين سجود وركوع. يزيد بن هارون، الإمام المأمون، عمِّي من البكا، فما أنَّ ولا اشتكى، فقالوا: ما فعلت عيناك الجميلتان؟ فقال: أحسبهما عند الواحد الديان، أذهبهما بكاء الأسحار، وخوف الواحد القهار. والله إن فينا علة، ننام الليل كلَّه، كأننا لسنا من أهل الملة.

شُغلنا بالبنين وبالْحُطامِ

ولم نُسرِعْ إلى دار السَّلامِ

كَأَنَّنا قد خَلَقنا للنُّوادي

واكثَّار الشَّرابِ مع الطَّعامِ

الملَّك حمل الصور لينفخ، والملائكة تكتب عليك وتسخ، وأنت بالذنوب ملطَّخ، ما تبكي لك مقلة، كأنك أبله، كان ابن المبارك من البكاء يخور، كأن قلبه من الحزن مفطور، وابن الفضيل يموت في الصلاة، لأنه سمع من الإمام قرآناً تلاه، ترك ابن أبي ذئب القيام لأمير المؤمنين، وقال: ذكرت ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كان ميمون بن مهران، كأن عينيه نهران، حفر له في البيت قبر، إذا رآه فكأنه يُنقَرُ في قلبه نقر، يا ويلاه القبر القبر.

يقول أحد السلف: يا مغرور إن كنت تظن أن الله لا يراك، وتفعل هذه الأفعال فأنت شاك، فما غررك وألهاك؟ وإن كنت تعلم أنه يبصر أفعالك، ويحصي أعمالك، ويراقب أقوالك، ثم تتجرأ على محارمه، وتستتهين بمعاليه، فقد سلَبَ قلبك، وأخذَ لُبُّكَ.

ولو أن قلباً يعرفُ الله لا استوى

لديه نعيمُ العيش والحدثان

فما هي إلا جيفةٌ طاف حولها

كلابٌ فلا تخدمُك باللمعان

ابن تيمية يمرغ وجهه في التراب، وينادي يا وهَّاب، يا فاتح الأبواب، الطَّف بنا ساعة الحساب، وأنت ميِّت الإرادة، ظاهر البلادَة، عريض الوسادة، الملائكة يسبِّحون الليل والنهار لا يسأمون، ويذكرون ربهم ولا يفترون، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، ولم يعملوا سيئات، ولم يقترفوا خطيئات، ولم يرتكبوا موبقات، ونحن أهل العصيان، والتمرد والنكران، ومع هذا ترانا لاعبين، وفي طرق اللهو سارِبين، ولكأس الغفلة شارِبين. الأمر فصل، وجدُّ ليس بالهزل، يوم قمطير، شرُّه مستطير، تكاد القلوب منه تطير، تذهل المُرْضعة عما أرضعت، وتُسقط الحامل ما حملت، وترى كل نفس ما عملت، الخلائق تضيق نفوسهم، الولدان تشيب رؤوسهم.

هدُّ من لهوكَ شيئاً هدُّ هدِّ

إن أمر الله فينا جدُّ جدِّ

أرغمِ النَّفْسَ عَلَى فِعْلِ التُّقَى

فازَ من في عَمَرِهِ جَدًّا وَكَدًّا

أراد عليّ بن الحسين أن يلبّي على الراحلة، فسقط من الخوف بين القافلة، فلما أفاق، قال للرفاق: أخشى أن أقول لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك، مع أنه زين العابدين، وريحانة المتهجّدين، لكن القوم عرفوا ربّهم، فبكوا ذنبهم، وجمعوا خوفهم وحبّهم، فيا صاحب العين التي لا تدمع، والنفس التي لا تشيع، والقلب الذي لا يخشع، إلى متى توجّل التوبة، أما لك من أوبة؟

فِيَا عَيْنُ هَذِي لَيْلَةُ الْبَيْنِ أَقْبَلَتْ

فَهَاتِ غُرُوباً تُبْرِدُ الزُّفْرَاتِ

وَيَا قَلْبُ قَدْ عَاهَدْتَنِي فَكَذَّبْتَنِي

كَأَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنَ الْغَدَارَاتِ

العمر قصير، والشيب نذير، والدّار جنّة أو سعير. نراك تضحك كأنك أتاك أمان، من الملك الدّيّان، ما لك لا تحزن، هل عبّرت الصراط حتى تأمن؟ الندم على ما فرطت أحسن، يا مسكين: إبراهيم الخليل، وهو النبي الجليل، بكى ذنبه، ودعا ربّه، وقال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، فكيف بنانحن المذنبين؟ خلقك فسوّك، وأطعمك وسقّاك، وآواك وكسّاك، وبكل حسن ابتلاك، ثم تعصيه وهو يراك.

نُسِجَتْ لَنَا الْأَكْفَانُ مِنْ أَعْمَارِنَا

وَنَظَلُّ نَضْحَكُ مَا لَنَا تَفْكِيرُ

أوما ذكرت القبر أول ليلة

يلقاك فيه منكر ونكير

أحسن ماء دموع التائبين، أعظم حزن حزن المنيبين، وأهنا نعاس نعاس
المتهجدين، أجمل لباس لباس المحرمين، ما ألد جوع الصائمين، ما أسعد تعب
القائمين، ما أكرم بذل المتصدقين. أين المباني والمفاني؟ أين الفواني والأغاني؟
أين الأفراح والتهاني؟ أين من شاد وساد؟ أين ثمود وعاد؟ أين ساسان،
وقحطان، وعدنان، وفرعون وهامان؟ أين ملك سليمان؟ أين أصحاب الأكاليل
والتيجان؟ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾،
والطول والإنعام.

أما زرت المقابر، أما هالتك تلك المناظر، أما رأيت القوم صرعى، والدود
في عيونهم يرعى، عن الحديث سكتوا، وعن السلام صمتوا، الظالم بجانب
المظلوم، والمنتصر بجانب المهزوم، والضعيف مع الأمير، والغني مع الفقير،
وانظر إلى المغفور والمشهور، والغالب والمقهور، ذهب الحسن والجمال، والجاه
والمال، وبقيت الأعمال، أموات يتجاورون، ولايتزاورون.

سكتوا وفي أعمالهم أخبار

وجافاهم الأصحاب والنزوار

وتغيرت تلك الوجوه وأصبحت

بعد الجمال على الجفون غبار

ماذا أعددت عندما توقف، يا من هجر المصحف؟

الزبير بن العوام، بطل الإسلام، جسمه كله جراح، من آثار السيوف
والرماح. وخالد بن الوليد، الشجاع الفريد، يُمزق جسمه بالسهام، ويخطط
بدنه بالحسام، لينتصر الإسلام. بلال بن رباح، يسمع حيَّ على الفلاح، فيجيب
لسان حاله لبيك مُنادي الإصلاح، يُصهر جسمه على الحجارة، ليصبح مؤذّن
الإسلام على المنارة، يعذبونه، وفي الرمضاء يُذيبونه، فيرددُّ أحدٌ أحدٌ، لأنه
ذاق ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الله الصمدُ) ، يُضرب رأسه، ويكتم نفسه، فما يزيد
ذلك إلا إصراراً، وفي طريق الحق استمراراً.

سيدي علل الفؤاد العليلا

وأحيني قبل أن تراني قتيلا

إن تكن عازماً على قتل رُوحِي

فترفق بها قليلاً قليلاً

انظر لسلمان، أقبل من خراسان، يبحث عن الإيمان، هجر ماله وأوطانه،
وإخوانه وخُلانته، وأعوانه وجيرانه، يسأل عن الإمام، بدر التمام، رسول الإسلام،
فينطرح بين يديه، ويلقي نفسه عليه، ويبثُّ شُجونه إليه، فمرحباً يا سلمان يوم
أتيت، وهنيئاً لك يوم اهتديت، واقبل هدية: «سلمانُ منَّا آل البيتِ»:

فلا تحسب الأنسابَ تنجيكَ من لظى

ولو كنتَ من قيسٍ وعبدِ مدانِ

أبو لهبٍ في النارِ وهو ابنُ هاشمِ

وسلمانُ في الفردوسِ من خُرسانِ

لَمَّا حَاصَرَ الصَّحَابَةُ مَدِينَةَ تَسْتَرٍ، وَسَلَّ كُلُّ مِنْهُمْ سَيْفًا أَبْتَرُ، فَنادوا بطل
المعارك، الذي يُلقِي نفسه في المهالك، أعني البراء بن مالك، الذي قال فيه
المعصوم، يوم رآه عن الدنيا يصوم: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على
الله لأبره»، فكان البراء للإسلام قرة عين، وباع نفسه لله ببيع العين، قال
الصحابة: يا براء، أقسم على ربّ السماء والغبراء، على أن ينصرنا على هؤلاء
الحُقراء، فأقسم على الله بالنصر، وأن يكون أول قتيل بعد العصر، ثم لبس
أكفانه، وودّع إخوانه، فسَلَّ الحُسام، وفَلَّقَ الهام، وانتصر جُنْدُ الإسلام.

لك الله ما هَدَيْ الشَّجَاعَةَ فِي الوَعَى

أَنْتِ زُحُوفُ السَّيْلِ أَمْ أَنْتِ حَيْدَرَةٌ

تَقَدَّمَتْ حَتَّى هَابَتْ البَيْضُ وَالقَنَا

وَصَارَتْ رِمَاحُ القَوْمِ فِيكَ مُكْسَرَةً

الذي لا يحضر صلاة الصبح، لا يطمع في الربح، وليس بيننا وبينه صلح.
تريد نصر الإسلام، وأنت لاتحافظ على تكبيرة الإحرام مع الإمام، هذه
أوهام، السلف الصالح، والجيل الناصح، أعطوا الإسلام الأموال والدماء،
فأصبحت هاماتهم في السماء، وأنت ماذا أعطيت؟ وماذا لدينك أهديت؟
ولأُمَّتِكَ أسديت؟ حَيٌّ كَمِيَتِ، عِشْتَ بَيْنَ لَعْلٍ وَلَيْتِ، وما دريت، بأنك في
الخسارة هَوَيْتِ.

مَتَى يَسْتَفِقُ مَنْ عَقَلُهُ فِي غِشَاوَةٍ

وَمَطْلَبُهُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ دَارُ

لقد خلفَ البازيُ فينا حَمَامَةً

وأصبح بعدَ اللَّيْلِ في دارنا فارُ

قلبك من الذنوب مجروح، ولا تبكي ولا تنوح، كأنك جسد بلا روح، ما أثر
فيك الوعظ، وما فهمت اللَّحظ، وما ميّزت بين المعنى واللفظ، الحمام يبكي
على الأغصان، من فقد الخُلان، والفُراب على البان ينعب، وعلى الشجر
يشغب، لسفر أصحابه، وبعد أحبابه، وقلبك القاسي، كالصخر الرّاسي، لا
تدمع لك عين، ولا يؤثّر فيك البين، ولا يردعك حياء ولا دين، الفُراب قتل
أخاه، ثم ندم فواراه، ودفنه وبكاه، وأنت قتلت نفسك بالكبر والرّياء، وما منعك
الحياء، كأنك لست من الأحياء، النملة أنذرت بنات جنسها، فعادت إلى
رَمسها، تُبقي لِقوت يومها من أمسها، وأنت تُجاهر الواحد القاهر، الباطن
الظاهر، بالكبائر.

ما لك في دُنياك تتبلد، وفي غيِّك تتردد، وما فعلت كما فعل الهدهد،
سافر إلى اليمن وهو وحيد، يدعو إلى التوحيد، فعاد إلى سُليمان، بعدما
أعطاه الأمان، فجاء من سبأ نبياً، وأنكر على بلقيس، إذ زين لها إبليس،
تسجد للشمس ولا تسجد لَن أجراها، وما أدري الشمس عن الخليقة ما
أدراها. فأصبح الهدهد داعية، أذُنُه للحق واعية، وقدمه في التوحيد ساعية،
وأنت هل دعوت أحداً، أو مددت للخير يداً، أو أسمعت الهدى بلداً.

الفيل وجّهوه لهدم البيت، فنادى لسان حاله يا أبرهه ضللت وما
اهتديت وظلمت واعتديت، والله لا أنقل إلى البيت القَدَم، وأموت هنا وكعبة
الله لا تتهدم.

وَقَفْتُ حَيَاءً عِنْدَ بَابِكَ مُطْرَقاً

ولم أنقل الأقدام من روعة الخجل

فلو قطعوا رأسي لما سرت خطوة

أهذا جزاء الفضل من ربنا الأجل

الفيل يلوي عن المعصية رأسه، ويبرد عن المخالفة حماسه، وأنت لا يردك عن الخطيئة باب، ولا يحجزك عن السيئة حجاب.

لا تستهن به فإنه قوي، ولا تمن عليه فإنه غني، أهلك ثمود في ناقة، والحق عاداً بالساقة، عصته أمم فهز بهم الأرض هزاً، ثم قال: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾، حطم سد سبأ بفارة، وأحرق إرم ذات العماد بشرارة، ومزق أعداءه بفارة، أعتق رقبتك من النار، وأنقذ نفسك من البوار.

هذا عثمان بن عفان، سمير القرآن، جهز جيش العسرة، وأفطر على كسرة، قرأ القرآن يومه، وشري بئر رومة، وأنت تريد الجنة، وصدقك بالمنة، وقد هجرت السنة.

علي بن أبي طالب قدم رأسه للشيا، وصار جسمه بالدماء مخضباً، وذبح عدو الله مرحباً، وأنت ما حضرت قتالاً، ولا أنفقت مالاً، وما دقت في سبيله نکالاً، نطالبك فحسب بالصف الأول، ولا تلعب بالدين ولا تتأول، ولا تأكل الحرام ومنه لا تتمول.

هَذَا سَكَارُ النَّفْسِ لَيْسَ يَرُدُّهَا

عَنْ غِيَّهَا إِلَّا فَتَى مِغْوَارُ

هل عندكم يا قوم ميثاقُ فلا

تخشون أن يجتاحكم جبارُ

ألف البخاري لك الصحيح، وجمع لك كل حديث مَلِيح، كان يصلي عن كل حديث ركعتين، وعرض عليه كتابه مرتين، ثم هجرت صحيحه، ولم تقبل النصيحة، أعرضت عن أصح المؤلفات، وأقبلت على الصُحُف والمجلات. جمع أحمد المسند، بالرأي المسدد، والصدق المجرد، والورع المجود، طاف الدنيا على الأقدام، من صنعاء إلى دار السلام، فلما أصبح المسند لديك مطبوعاً، مقروءاً ومسموعاً، جعلته في بيتك وسادة، ومافتحت جلادة، ولا ذقت زاده.

جرّاهم الله عن دين الرسول فما

أحلى مآثرهم في سالف الحقب

لولا لطائف صنع الله ما نبئت

تلك المكارم في لحم ولا عصب

ألف ابن جرير، كتاب التفسير، وحرره أيما تحرير، فهو لكل مؤمن سَمِير، وبكل نفع جدير، فأغلقت عليه في زنانة، كأنك ما عرفت شأنه، ولا شكرت إحسانه، واستصحبت كتاب ألف ليلة وليلة، وجعلته إلى اللهو وسيلة، وللعب خميلة، ولطلب الدنيا حيلة، تغفل الآيات البيّنات، والحكم البالغات، والنصائح والعظات، وتقبل على كتاب الأغاني، للأصفهاني، وفيه ضياع الأماني.

خَفِ اللهُ وَاحْفَظْ ذَا الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

سَرِيعُ التَّقْضِي مُخْلِيفُ الْحَسْرَاتِ

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ

وَلَيْلُكَ يَمْضِي فِي رُؤْيٍ وَسُبَاتِ

أَسْأَلُ اللَّهَ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، وَالْوَصْفِ الْأَكْرَمِ، فَإِنَّهُ الْأَعْلَمُ الْأَحْلَمُ الْأَحْكَمُ،
أَنْ يَهْدِيَ قَلْبِي وَقَلْبَكَ، وَأَنْ يَغْفِرَ ذَنْبِي وَذَنْبَكَ، وَأَنْ يُنِيرَ بِالْوَحْيِ دَرَبِي وَدَرَبَكَ.



المقامة الإجمالية

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

أَيَا رَبُّ لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِذَا دَنَّتْ

عَلَى مَضْجَعِ تَعْلُوهُ حُسْنُ الْمَطَارِفِ

وَلَكِنْ شَهِيداً ثَاوِياً فِي عِصَابَةٍ

يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ

قال أبو شجاع، محمد بن القعقاع: ما رأيت مثل الجهاد، في سبيل ربِّ العباد، فيه تُصان الملة، ويدخل على الكفار الذلّة.

قلنا يا أبا شجاع: حدثنا عن بعض التحف، من مواقف السلف، في ساح الوغى، يوم قاتلوا من بنى وطنى.

فقال: كان المسلمون مع قتيبة بن مسلم في حصار كابل، وكلُّ ذاهل، فأرسل إلى محمد بن واسع، الإمام الخاشع، فلقية بجفن داعم، وكفّ ضارع، يشير بسبابته إلى السماء، ويقول: يا سميع الدعاء، عظم فيك الرجاء، اللهم ثبت أقدامنا، وسدّد سهامنا وارفع أعلامنا، فلما أخبروا قتيبة بما شاهدوا، وأطلعوه على ما وجدوا، قال: والله لإصبع محمد بن واسع خير عندي من مئة ألف شاب طرير، ومن مئة ألف سيف شهير. ثم بدأ القتال، فتصرهم ذو الجلال، وانهزم الكفار، وولّوا الأدبار.

قال: ولما حضر خالد لقتال الروم، قدموا له قارورة مملوءة بالسّموم، وقالوا له: إن كنت متوكلاً على الله ولا تخاف، فاشرب من هذا السّم الزعاف. فقال: بسم الله، وتوكّلت على الله، ثقة بالله، ثم شرب القارورة، فما مسّه ضرورة.

ولما رأى المسلمون جيش الروم، وكثرة القوم، قال أحد الناس، لِمَا رأى البأس: اليوم نلتجئ إلى جبل سلمى وأجا، قال خالد: بل إلى الله الملتجئ. قال: ولما حضر المسلمون في تستر، ما بين مهل ومكبر، قال المسلمون: يا براء بن مالك، أقسم على إلهك، علّه أن يرزقنا النصر، وعظيم الأجر. فأقسم على الديان، فهزم الله أهل الطغيان، وذهب البراء إلى الجنان.

والبراء هو صاحب حديث «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين نو أقسم على الله لأبره، فأبر الله قسمه وبلغه كل مسرة.

ثم قال أبو شجاع: اعلموا أن صرخات التفجع ثلاث، سجّلت أهم الأحداث، وهي: وأمّعتصمأه، وإسلامأه، وأمّأه.

وأمّعتصمأه: أطلقتها امرأة في عموريّه، عندما أهينت في البلاد الروميّة، فسمعها المعتصم الأسد الهصور، فترك القصور، وخرج بجيش يمور، أدلّ أتباع نقفور، وأخذ الكفور، وجعله عبداً للمسلمة التي صرخت باسمه من وراء البحور.

أما وإسلامأه: فأطلقها قطز وبيده البتار، يوم نازل التتار، فهزم من كفر وولّوا الأدبار. وأما وأمّأه: فهي صرخة مفجوعة، وصيحة مقطوعة، قالها

طفل من الأندلس، لما رأى أمه وهو في حضنها تختلس. فقال أبو البقاء
يصف هذا الشقاء:

يَا رَبُّ أُمِّ وَطِفْلِ حِيلَ بَيْنَهُمَا

كَمَا تَفَرَّقُ أَرْوَاحُ وَأَبْدَانُ

أحبّ عبدالله بن عمرو الأنصاري ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فذهب إلى أحد،
فقيل له: البيئة على المدعي للمحبة، فضرب في سبيل الله ثمانين ضربة.
بعضهم هوايتهم منصب شريف، أو قصر منيف. أما ابن رواحة فهوآيته
طعنة بسيف، حتى قال:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً

وَطَعْنَةَ ذَاتِ قَرَعٍ تَقْدِفُ الزَّيْدَا

يأتي الشهيد يوم القيامة وعليه علامات، وآيات بيئات، والبراهين على
عبدالله بن جحش واضحات، ذهاب العينين، وقطع الأذنين، وبتير اليدين، لأن
لكل قضية شاهدين.

كُتِبَتْ بِالْدَمِّ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ

يَوْمَ الْوَعَى وَدَفَعَتْ الرُّوحَ وَالْبَدْنَا

شَرِيَتْ جَنَّةٌ فَرَدَّوْسٍ مُنْعَمَةٌ

فَكُنْتَ لِلسَّيْفِ يَوْمَ الْمُنْحَنِ ثَمْنَا

أتى إلى مؤتة جعفر، فتقدم وما تأخر، وكان يوم الجماجم يتعثر، ودمه يتقطر، فضرب بسيفه في الكفار حتى تكسر، فلما قطعت يده، وأسلم الروح إلى الله، طاب وطاب مسعاه، أبدله الله بجناحين، يطير بهما على الرياحين، ويتعم في الفردوس كل حين. العالم يكتب اسمه بمداد، والشهيد يكتبه بدم في سفر الأمجاد. كأن الشهيد يموت مختاراً، وغيره يموت مضطراً. كل ميت يوضع المسك معه في الأكفان، إلا الشهيد فإن دمه كله مسك يملأ المكان.

تفوح أطياب نجد من ثيابهم

عند القدوم لقرب العهد بالدار

آل سعد ثلاثة في العدا، أهل وعد وعهد. اهتز عرش الله لسعد، ووجد ريح الجنة من دون أحد سعد، وقال ﷺ في أحد: «ارم فداك أبي وأمي يا سعد».

فالأول: سعد بن معاذ، سيد الأنصار، وقدوة الأبرار، الذي ألحق باليهود البوار.

والثاني: سعد بن الربيع، المقدم الشجاع، صاحب الموقف البديع.

والثالث: سعد بن أبي وقاص، كان مع النبي من الخواص، أخذ من الفرس القصاص.

قتل عمر في المسجد بعد الفجر، عندما غدت الطيور من وكورها؛ لأن معلمه يقول: «بارك الله لأمتي في بكورها».

من كان مُبْتَهَجًا لِمَقْتَلِ شَيْخِنَا

فَلِيَّاتِ نَسْوَتِنَا بِوَجْهِ نَهَارِ

يَجِدُ الْقُلُوبَ مُفْجَعَاتٍ كُلَّهَا

بِالْهَمِّ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْأَنْوَارِ

وقتل عليّ في المسجد قبل الفجر، لأنه وقت استغفار، ونزول للغفار،
وجلسة للأبرار، والرجل يحبّ الأسحار.

يَا لَيْتَهَا إِذْ قَدَّتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ

قَدَّتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

استحقت خزاعة، أن تردّ الحوض يوم الشفاعة، مزجية البضاعة، فقدمت
أحمد بن نصر، الذي قتله الواصل في القصر، فدخل الجنة - إن شاء الله -
بعد العصر.

قال له الواصل: وافق. قال: لا يا منافق. حاول الواصل أن يُجيبه ولو بإدغام
فيه غنة، فقال لسان الحال: الخداع ليس من السنّة، فذبحه بعد أن اشتاق إلى
الجنة.

اثان تاجان عظيمان، من قبيلة بني شيبان، جاهدا في سبيل الرحمن:
ابن حنبل والمنتى، وكلّ منهما لدينه تعنى، وللقاء ربّه تمنى.

قدّم المهاجرن أربعة خلفاء فقدّم الأنصار أربعة قرّاء، أهدت قريش
مصعب بن عمير، فأهدى الأنصار ابن الحمام عمير.

تأخّر أنس بن النضر عن بدر، فجمع بين الغزوتين في جمعٍ وقَصْرٍ، فقتل
في أحد بعد الظهر.

لَمَّا عَذَرَ اللهُ عثمان، يوم بيعة الرضوان، عَلِمَ اللهُ صدقه فسَعَتِ إليه
الشهادة إلى الديوان.

أبو بكر صدّيق، والمخطوطة لا تحتاج إلى تحقيق، والرجل غنيّ عن
التوثيق، فلم يقتل لأنه أخذ حكم الرفيق.

والسلام على الشهداء، فهم عند ربهم سعداء.



المقامة الزهديّة

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها

على أنهم فيها عُرارة وجُوعُ

أراها وإن كانت تُسُرُّ فإنها

سحابةٌ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَعُ

قال سعيد بن أدهم: ركبت الأدهم، وذهبت إلى السلطان أطلبه في درهم، فوضع في رجليّ الأدهم، فمرّ بي الزاهد عليّ بن دينار، وهو أحد الأبرار، فقال لي: ما لك ياسعيد، أراك في الحديد؟ فقلت: والله الولي، ما سرقت يا عليّ.

قال: فما الشأن؟

قلت: أتيت السلطان، أطلب الجود والإحسان، فوضعني في هذا الهوان. فقال: أفّ عليك وتفّ، ومن التراب استنف. تطلب السلطان، وتتسى الرحمن، تسأل البخيل، وتترك الجليل، تبا لك، أفي قلبك شكّ، تأتي من أغلق بابه، وأسدل حجابيه، وحرّم أصحابه. وتترك المعبود، والذي ملأ العالم بالجود، وأغدق على الخلق العطاء الممدود.

قلت: يا عليّ غلظت غلظة، وسقطت سقطة، وتورّطت ورطة، ووالله لئن فرّج الله عنّي، وفكّ هذا القيد مني، لا آتي بشراً، ولو طلب مجيئي بشراء، ولا

أقصد الصعلوك، بل أقصد ملك الملوك، فلما أطلقني من الحبس، وعادت إليّ النفس، تركت باب الأمير، ولزمت بيتي على خُبز الشعير. فعاد لي لبيّ، وجعل الله غنايَ في قلبي، فوالله إنني أرى المُترفين في حسرة، وإن مُلك كِسرى عندي ما يساوي كِسرة. فأنا بين المسجد والبيت أرضى بالقوت، لا مال يفوت، ولا ولد يموت، ليس عندي بزٌّ، ولا كنز، ولا أرز، ولكن عندي دين وعلم وعزٌّ، فأنا أسعد من كِسرى أنوشروان، إذا حفَّ به الخدم في الإيوان، وأنعم عيشاً من النّعمان، فأنا أسكن الكوخ، وأكل العدس المطبوخ، لا ألبس الجوخ، ولا أكل الخبز المنفوخ. ليس عندي دار، ولا عقار، ولا حمار، ولا دينار.

أنام بلا هموم، وأبيت بلا غموم، لا أعرف عدّ المال، ولا شدّ الجمال، ولا مبايعة الرجال، لا أعرف الرّيال من القرش، ولا أُميّز بين الكنب والفرش، معي قميص، وبطن خميص، لا أعرف الكبسة ولا الخبيص، ما يأتيني في النوم كوابيس، ولا أشعر في النهار بالهواجيس. فأنا أسعد من رأيت، وأنعم من لقيت. معي كتاب، أغناني عن الأصحاب، وسلاني عن الأحباب. معي ملحفة للمنام، وجفنة للطعام، وعصا للقيام. لا أخاف على نفسي العين، ولا يطلبني أحد بدين، ولا أسأل مال هذا من أين؟

فأنا خفيف الظهر، دائم البشّر، قليل الوزر، ما بعثُ ولا شريت، ولا أكثريت ولا اقتنيت، لا أخشى سقوط بيت، ولا ذهاب مَيّت. نجوت من الضغط والسكر، لأنني في غير الآخرة لا أتفكّر، في قلبي عيادة السعادة وفي صدري بنك السرور، ومصرف الحبور، وعندني علم وإيمان ونور على نور، أعجب من الفجّار والتجّار، وأقول ما هذا الشّجار. أتقتلون على جيفة؟ ما تساوي قليفة، سحفاً لعقولكم السخيفة.

أين كنوز قارون؟ أين ما مضى من القرون؟ أين ما جمعوا، وأودعوا،
 وشيّدوا وأبدعوا؟ لا قصور، ولا دُور، لا أنهار، لا أشجار. ذهب الأبدان
 والأرواح، وبليّ القفل والمفتاح. فصدّقني ما عاش عيشتي هارون الرشيد، ولا
 الكاتب عبد الحميد، ولا الرئيس ابن العميد، نفسي - والحمد لله - رَضِيَّة،
 وعيشتي هنيئة، وقد نجوت من كل بليّة، فأنا طالب لا مطلوب ولا أخشى من
 كنز منهوب، ولا من مال مسلوب. ولا أقف على الأبواب، ولا أتمرّغ على
 العتّاب، وما قبّلت يد كذّاب، طمعاً في طعام وشراب، وما قلت للكلب:
 ياسيدي، ويا عضدي، ويا مؤيدي.

واعلم بأنّ عليك العار قلبسُهُ

من عضّة الكلب لا من عضّة الأسد

وأحياناً أجلس أمام كوخِي وسقفي السحاب، ومخدّتي صبرة من التراب،
 وجليسي الكتاب. فوالله إنني أطيّب عيشاً من الناصر في الزهراء، وسيف الدولة
 في حلب الشهباء، ما استدلّني متكبر، ولا منّ عليّ متجبر، ولا نهَرني متهوّر:

أنا لا أرغبُ تقبُّبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـb

قطعُها أحسن من تلك القُبل

إن جرّزّني عن صنيعي كنتُ في

رقها أو لا فيكفيني الخجل

ثم إن هناك مصلحة لي في هذا الزهد، وهو السلامة من الجهد، يوم
 تُصَبّ الموازين وتُكشَف البراهين، فلن أقف طويلاً لقضاء، كما يقف الأغنياء،

وكفاك بهذا حسنة، لحديث «يدخل فقراءُ أمّتي الجنّة، قبل الأغنياء بخمسمائة سنة»، فإيا له من مكسب راجح، ومن ميزان راجح، وما عندي مال في البنوك الربويّة، ولا مساهمات عقارية، ولا شركات استثمارية، بل عندي أغلى، وأعلى، لأن البرّ لا يبلى. فإذا كنز الناس الدرهم والدينار، كنزت الأذكار، وعمل الأبرار، وأنا أخذت بفض الدرهم، من إبراهيم بن أدهم، والزهد في الدينار، من مالك بن دينار، والورع عن العطاء، من ابن أبي رباح عطاء، وأخذت قلّة الرغبة من الدنيا، من ابن أبي الدنيا، وقد رأيت القبور، فإذا المعظم بجانب المحتقر، قد اجتمع بها المخبر، والخبر، وتغيّرت بها تلك الصور، فالملك في جوار المملوك، والغني في حفرة الصعلوك، والقوي مع الضعيف، والوضيع مع الشريف فبعد هذا المشهد، أقسمت أن أزهد، فلزمت المصحف والمسجد، أتعبّد وأتهدّد، وعلى المقابر أتردّد، فعمّضني ربّي بالهمّ سروراً، وبالحزن حبوراً، وبظلمة الدنيا نوراً، وقد هيأت حنوطي وأكفاني، وكفاني القليل كفاني.

وهذا والله عين العقل، وموافقة النقل، ونهج الصالحين من بعد ومن قبل، فما للقوم كأنهم في نوم، صرعتهم الشهوات، وزلزلتهم الشبهات، أحبوا التراب والخراب، والثياب والشراب، وزهدوا في الكتاب والثواب، ونسوا الحساب والعقاب، أنساهم القرش النعش، في التهام وهرش، ما تهزّم الرقائق، ولا تردعهم الحقائق، كلامهم في الأسعار والعمار والعقار، وحديثهم عن الدرهم والدينار، ما يذكرون الجنة ولا النار.

الجلوس معهم يُميت القلب، ويضاعف الذنب، لكن الأعمى لا يرى الصباح، والميت لا يحسّ بالجراح. والصخر لا يسمع الكلام، وما لجرح بميت إيلام.

أَرَى الدُّنْيَا مَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ
عَذَاباً كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهَيِّنُ الْمُكْرِمِينَ لَهَا بِصِغَرِ
وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فِدْمَهُ
وَحُذِّمْتَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ



obeikandi.com

المقامة الأدبية

﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

انظّم الشعرَ ولازمَ مذهبِي

في أطراح الرّفدِ فالدنيا أقلُّ

فهو عنوانُ على الفضلِ وما

أحسنَ الشعرَ إذا لم يُبتَدَلْ

قال الراوي: سمّرت ليلة مع جماعة أبيّة، لهم شوق إلى المقامات الأدبية، والأشعار العربية، قالوا: حدّثنا عن الأدب، فإنه ديوان العرب، ومُنتهى الأرب، ونهاية الطلب.

قلت: حُبّاً وكرامة، وتحية وسلامة، فقد رضعت الآداب، وجالست الأعراب، وحفظت الشعر من عصر الشباب، فالشعر عندي سمير، وهو لنفسي روضة وغدير.

وحديثُهُ السُّحْرُ الحَلالُ لو أنّه

لم يَجِنَ قَتْلَ المُسْلِمِ المتحرّزِ

إن طالَ لم يُمَلِّ وإن أوجَزْتُهُ

ودَّ المُحدِّثُ أنّه لم يُوجَزْ

فقال أحد السُّمَّار، من مُحِبِّي الأشعار: أفضّ علينا من القصائد الفراء،
التي قالها على البديهة الشعراء، قلت: هذا فنُّ طويل الذيل، يأخذ في كل
سبيل، ولكن سوف أُورد بعض الشواهد والشوارد والأوابد.

فهذا أبو جعفر المنصور تحدّى الشعراء بقافية، قال: مَنْ أجازها فله
الجائزة وافية، إذ يقول، وفكره يجول:

وهاجرة وقفت بها قُلُوصِي

يقطعُ حَرُّهَا ظَهْرَ الْغَطَايَةِ

فقام الشعراء على رُكْبِهِمْ جاثين، كلهم يريد الجائزة من أمير المؤمنين،
فقال بشار بن بُرد، وكان سريع الردّ:

وقفت بها القُلُوصُ فَسَالَ دَمْعِي

على خَسَدِي وَأَقْصَرَ أَعْضَايَهُ

فأخذ بُردة أبي جعفر، وكانت من خَزٍّ أصفر.

وهذا أبو تمام، وهو شاعر مِقدام، مدح أحمد بن المعتصم، فما تعرّ وما
وهم، يقول:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ

فِي حِلْمِ أَحْنَفٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

فقال الحارث الكندي: ما لك قدر عندي، أما تخاف، تشبه الأمير
بالأجلاف، فانهد أبو تمام كالسيل معتذراً عما قيل:

لا تُنْكروا ضُرِّي له مَنْ دُونَهُ

مَثَلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَارَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ

مَثَلًا مِنَ الْمَشَاكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

حكم النعمان، على نابغة ذبيان بالإعدام، بعدما اتهمه ببعض الاتهام،
فأنشد البائية الرائعة الذائعة:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ

فعفا عنه وحباه، وقرّبه واجتباها.

وأهدر البشير النذير، دم كعب بن زهير، فعاد إليه، ووضع يده بين يديه،
وأنشده:

بِأَنْتِ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ

مُتَيِّمٌ إِشْرَاهَا لَمْ يُفِدْ مَكْبُولُ

فحلم عليه وصفح، وعفا عنه وسمح، واستقام حاله وصلاح.

وأصدر حاكم اليمن، قراراً بإعدام سبعين من أهل العلم والسُّنن، والفقهاء
والفطن، فأنشده البيحاني، قصيدة بديعة المعاني، هزّ بها أعطافه، واستدرّ بها
ألطفاه، أولها:

يا أبا المجدِ يا ابنَ ماءِ السماءِ

يا سَلِيلَ النُّجُومِ فِي الظُّلْماءِ

فأكرم مثواه، وعفا عن السبعين من العلماء والقضاة.

وكاد معاوية أن يفرّ من صفين، يوم وقف بين الصَّفَّين، فذكر قول ابن

الأطنابة، فأوقف ركابه:

أقولُ لها وقد جشأت وجاشت

مكانك تُحمدي أو تستريحي

وأوشك المتبي الشاعر الهدّار، أن يولي الأديار، ويجدّ في الفرار، فكرّر

عليه غلامه، أبياتاً ثبتت أقدامه، حيث يقول:

الخيْلُ والليل والبِيداءُ تعرفني

والسيف والرُمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

فرجع مُقبلاً، فقتل مجندلاً. وقتل عضد الدولة الوزير ابن بقية، ولم

تردعه تقيّة، فأنشد ابن الأنباري قصيدة كأنها بريقيّة، أو رواية شرقية، اسمع

مطلعها، وما أبدعها:

علُوُّ فِي الحَيَاةِ فِي المَمَاتِ

بحقُّ أنتِ إحدى المعجرات

فسمعها عضد الدولة فتأسف، وقال: حبّذا ذاك الموقف. ولما قتل

محمد بن حميد، بكاه أبو تمام بذاك القصيد، ورثاه بذاك النشيد:

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ

فليس لعينٍ لم يفيضْ ماؤها عُذْرُ

وسبّ أحد الأمراء، المعريّ أبا العلاء، وهجاه أشدّ هجاء، وسبّ أستاذه سيّد الشعراء، فقال أبو العلاء: لا تسبّه أيها الأمير، فإنه شاعر قدير، ولو لم يكن له إلا قصيدة:

لكِ يا مَنَازِلُ في القُلُوبِ مَنَازِلُ

أقْفَرتِ أنتِ وهُنَّ مِنْكَ أوَاهِلُ

ففهم الأمير ماذا يريد، لأنه قصد آخر القصيد، وهي قوله:

وإذا أتتكِ مَدمُمتي من ناقِصِ

فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

ولمّا زار أبو جعفر المنصور المدينة طلب شيخاً كبيراً، وجعله عنده أجيّراً، يخبره ببيوت المهاجرين والأنصار، فدار به إلى آخر النهار، ولم يعطه مالاً، ونسيه إهمالاً، فقال الشيخ يا أمير المؤمنين: هذا بيت الأحوص الشاعر المبين القائل:

يا بيتَ عَمَاتِكَةَ الذي اتَّغَزَلُ

حَذرَ العِدَا وبِكَ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ

فتذكّر أبو جعفر القصيدة، وهي فريدة مجيدة، يقول في آخرها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم

مَدْنُقُ الْكَلَامِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

ففهم المراد، وأعطى الشيخ الزاد.

أقبل عالم كبير القدر، ظاهر الأمر، على شاعر قاعد، فقام لهذا العالم الوافد، وكان العالم يرى أن القيام للقادم باطل، ولو أن القادم رجل كامل، فقال للشاعر دع القيام، فأنت لا تلام، فقال الشاعر:

قِيَامِي - وَالْإِلَه - إِلَيْكَ حَقُّ

وَتَرَكُ الْحَقُّ مَا لَا يَسْتَقِيمُ

وهل رجلٌ له نُبٌّ وَعِـقْلُ

يَرَاكَ تَسِيرُ إِلَيْهِ وَلَا يَقُومُ

وقد شاعر على وزير خطير، بالمكرّمات شهير، فلما أبصر جلبابه، وشاهد حُجَّابَه ورأى أصحابه هابه، فأراد أن يقول مسأك الله بالخير، فقال من شدة الخجل، ومن دهشة الوجع: صبَّحك الله بالخير، فقال الأمير: أصبح هذا أم مساء، أم تريد الاستهزاء؟! فقال الشاعر بلا إبطاء:

صَبَّحْتُهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ لِي

مَاذَا الصَّبَّاحُ وَظَنَّ ذَاكَ مِزَاحًا

فَأَجَبْتَهُ إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَّنِي

حَتَّى تَبَيَّنْتُ الْمَسَاءَ صَبَّاحًا

وأنا مُحدث لا حدائي، من مكة مركبي وأثائي، ومن المدينة ميراثي، أصل
الحدائين من البلاشفة الحُمَر الكَفَرَة، كأنهم حُمُرٌ مستفرة، فَرَّتْ من قسورة.
لا تتبلد، أرسلناك إلى المرید، بالحق تشد، وبالإسلام تغرد، فذهبت
تعريد.

اسمك محمد فلا تزد في الحروف، لتصبح محمذوف، لأن محمداً
شرعي، ومحمذوف شيوعي، ديوان المتبني مجلد لطيف خفيف، فيه لفظ
مُنِيف، ومعنى شريف، أنصت لشعره الدهر، وعَبَّرَ البرّ، والبحر، وسار غدوه
شهر، ورواحه شهر. وبعض الشعراء المولدين، لكلُّ منه عشرة دواوين، كل ديوان
ككيس الأسمنت، إذا قرأت منها قصيدة سكتَّ وصمتَّ، وبُهِتَّ وخُفَّتْ ثم مُتَّ،
تعبنا من ركافة الكلام، ومن هذا الركام، إذا سألناهم عن المعنى أكثروا من
الهُمَز والغمز، وقالوا هذا شعر الرمز، فيه إيجاز، وألغاز وإعجاز، والصحيح
أنه هراء وطلسمة، وشعاب مظلمة، وتمتمة، وهممة، وغمغمة.

وقد حكم رسولنا ﷺ في الشعر وقد رضينا حكمه فقال: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ
لِحِكْمَةٍ، وَهُوَ الشَّعْرُ الْمَحْمُودُ، الَّذِي يُوَافِقُ الْمَقْصُودَ، وَلَيْسَ فِيهِ بَدَاءٌ، وَلَا هَجَاءٌ،
وَلَا اِزْدِرَاءٌ، وَكَانَ فِيهِ لَطْفٌ بِلَا سَخْفٍ، مَعَ صَدَقٍ فِي الْوَصْفِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَبَدُّلٌ
وَلَا إِغْرَابٌ، وَلَا كَذِبٌ وَلَا إِعْجَابٌ، مَعَ إِشْرَاقٍ فِي الْعِبَارَةِ، وَلَطْفٍ فِي الْإِشَارَةِ
وَمَتَانَةٍ فِي السَّبْكِ، وَجَمَالٍ فِي الْحَبِّكَ، فَإِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْنَا، وَصَارَ كَمَا عَرَفْنَا،
فَهُوَ السَّحْرُ الْحَلَالُ، وَهُوَ فَيْضٌ مِنَ الْجَمَالِ، وَهَائِلَةٌ مِنَ الْجَلَالِ، يَبْهَجُ الْعَاقِلُ،
وَيَنْبَهُ الْغَافِلُ.

واعلم أن في الشعر مُختارات، وفي القصائد أمّهات، مثل المعلقات، وما
اختاره أصحاب الحماسات، ولا تنسَ الفريدة الحسناء.

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ

وإن تعجب فيحقّ لك العجب، من قصيدة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

وأجمل المرثي الرائعات:

عُلُوٌّ فِي الْحَايَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

أو ابن زيدون وهو يشجينا:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِينَا

أو الشريف الرضي في روعة البيان، يوم أنشد:

يَا ظَبْيَةَ الْبَبَانِ

وواعجباه من،

وَأَحَارُّ قَلْبًا بِأَهْ

وما أبهى تاج الكلام،

تَفِتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ

وأبو البقاء الرندي يقول واعظاً بالزمان:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ

واعلم - رحمك الله - أن في الشعر تبرا وتراباً، وذهباً وأخشاباً، ولا يخدمك قولهم فلان شاعر موّار، فقد لا يساوي شعره ربع دينار، فإن من الشعر مسكاً وعبيراً، ولؤلؤاً وجوهراً، يسافر إلى سويداء قلبك ويبحر، وينادي ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وفي الشعر شعير، وروث بعير، فيه نذالة وجهالة وردالة، فويل لمن أشغل الناس، وسود القرطاس، وجلب الوسواس، وحاس وداس، وفي ديار القلوب جاس، يصيبك من شعره تتأؤب وعطاس، ونوم ونعاس، فإذا رأيته فقل له: لا مساس، ولا بأس عليك منه لا بأس. وهذا الصنف لا يردّه عقل، ولا يردعه نقل، جائزته بصل وفجل، لأنه أشرب في قلبه العجل. إذا قام أحدهم في النوادي، صاح المنادي: هذا شاعر الحواضر والبوادي، وبلبل النادي، فيصدق المسكين، قُطِعَ بلعومه بالسكّين! فيتمايل طرباً، ويتيه عجباً، ويقول للحضور: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾، فإذا ألقى القصيدة، فكأنه يأكل عصيدة، يلوي رأسه، ويكظم أنفاسه، كأنما ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾، حتى ينادي الجمهور: بس بس، فليت قارئاً يبرك على صدره، ويضع يده على نحره، ويرش وجهه بماء تبسي، ويقرأ عليه آية الكرسي. فإذا خرج شيطان الشعر الرخيص، وعلم أنه ليس له مَحِيص، قام هذا الغبي، كأنه صبي، ليترك الأشعار، لأهل الاقتدار، ويقصد البيع والإيجارة، أو البناء والنجارة، أو يصلح عقاره، ويهجر القوافي، لكل فصيح وافٍ.

وليت الناس سلكوا مذهبهم، فقد ﴿ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾، ويا من اشتغل بالأشعار، عليك بالأذكار، وكثرة الاستغفار، والخوف من القهار، فإن اللسان ثعبان، وأمامك قبر وميزان، ونجاة أو خسران، ولا يكن لسانك كالمقراض

للأعراض، ولا يكن كالمقباض للأغراض، فإن الأنفاس تُكْتَبُ عليك، وعملك منك وإليك.

وويل لمن أطلق لسانه، وأرضى شيطانه، وأجرى في اللهو حصانه، من يوم تشيب فيه النواصي، ويندم فيه العاصي، ويهابه الداني والقاصي.

ويا شعراء المجون، ما لكم في الغيِّ تلجّون، وفي النوادي تصجّون، ولكل رأس تشجّون. ألا عقلٌ يردع؟ ألا أذنٌ تسمع؟ ألا قلبٌ يخشع؟ ألا عينٌ تدمع؟ أشغلتم القلوب، وأنسيتم الناس علام الغيوب، ودلّتم الأمة على المعاصي والذنوب، أشعلتم النفوس الهائجة، أحرقتم القلوب المائجة، لأن بضاعتكم عند الأراذل رائجة، أظنون أنه لا حساب ولا عقاب، ولا عذاب ولا ثواب، الموقف أصعب مما تظنون، والمشهد أعظم مما تتصوِّرون، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، وفار التتور، وقصمت الظهور، وطار الكبر والغرور.

إذا جار الوزير وكاتباه

وقاضي الأرض أجحف في القضاء

فويل ثمَّ ويل ثمَّ ويل

لقاضي الأرض من قاضي السماء

يا شعراء المجون، ويا أتباع كلِّ غاوٍ مفتون، وهائم مجنون، ويل لكم مما كتبت أيديكم، وويل لكم مما تكسيون.



المقامة الأتابية

﴿ وَعَظَّهُمْ وَقَلَّ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

ولسان صيرفي صارم

كذباب السيف ما مس قطع

سحر هاروت وماروت ولو

كلم الصخر يحق لانصدع

نحن في زمن عجيب، وفي عصر غريب، كم بلينا بخطيب غير أديب، ولا مُصيب، إذا تكلم تلعثم وهمهم، وغمغم وتمتم. إذا بدأ في الكلام اعتذر، لا يدري ما يأتي وما يذر، لأن كلامه هذر مذر، ابتلي الرجال بالسعال، وكثرة الانفعال، وسوء التعبير في المقال.

لا يزور الكلام في صدره تزويراً، ولا يحبر الخطب تحبيراً، فلا يساوي كلامه في ميزان القول نقيراً، يا ليت بعض الخطباء اشتغل بالتجارة، أو مارس البناء والتجارة، وترك المنبر لأهل الإبداع والجدارة.

الخطيب القدير، والمتكلم النحرير، له صولة وزثير، ومنطق كالحريز، ولسان كالسيف الطرير، إذا وثب على المنبر، فاح منه المسك والعنبر، فكأن منطقه الماء الزلال، والنبع السلسال، يأتي بالحكمة في ارتجال، ويغلب بحجته الرجال، فإنه الأسد إذا صال وجال، إياك والكلام الساقط المرذول، والعامي المبذول، وعليك بفصيح المنقول، الذي يحبذه أصحاب العقول، ما أحوجنا إلى

خطيب قوَال، وبما يقول فعَال، ليس صاحب إملال ولا إخلال ولا إقلال، وإنما
يدبج السحر الحلال:

وَكَلَامُهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ

لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ

إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّلْ وَإِنْ أَوْجَزْتَهُ

وَدَّ الْمَحَادِّثُ أَنَّهُ لَمْ يُوجَزْ

لا يشرح الصدرَ مثلُ الكلامِ الصادق، والبيان الناطق، واللفظ الدافق،
والأسلوب السامق، أما كلام الحاكة، وألفاظ أهل الركافة، فهو حُمى الأرواح،
في الصدور رماح، وفي القلوب جراح.

ترى بعضهم إذا تكلم لا يكاد يبين، كأنه من الأعجمين، ينطق بالحرف مقلوباً،
ويجعل المرفوع منصوباً، ملأ خطبته عيوباً وندوباً وثقوباً. غضب منه في النحو
سيبويه، وفي اللغة نبطويه، وفي الحديث راهويه، وفي الشعر متببويه.

الخطيب البارِع يأسر القلوب أسراً، ويسري بالأرواح قسراً، ويسترقّ
الضمائر ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾، وله على مستعمرات النفوس احتلال
واستيلاء. الخطيب المُلهم يكتب على صفحات القلوب رسائل من التأثير،
ويرسم في العقول صوراً من براعة التعبير، ويبني في الأفئدة خياماً من جلال
التصوير. هل تملّ من الروضة الغناء إذا غنّى فيها العندليب، وحلّ بها
الحبيب، وأطفأ نسيمها اللهب، وكذلك الخطيب النجيب، في خطبه روضات
من الجمال، وبساتين من الجلال، ودواوين من الكمال.

تقرأ القصة، فتشعر بغصة، ويعتريك الملل، وتستوي لديك الشمس والظلال، فيلقبها الخطيب الأشدق، والفصيح المتدفق، فكأنها قصة أخرى وهي بالقراءة أخرى.

تسمع بيت الشعر لا يساوي ريالاً، ولا ترى فيه روعة ولا جمالاً، فيلقبه الخطيب المصقع، والمتكلم المبدع، فتبقى من حسنه مبهوتاً، كأنك التقتت يا قوتاً.

الخطيب الهدار، كالسيل الموار، يقتلع الأشجار، ويحمل الأحجار، ويقتحم الأسوار، لا يرده جدار، ولا تقف في طريقه دار، لأن الخطيب يقبل ومعه الآية الأمرة، والموعظة الزاجرة، والقصة النادرة، والحجة الباهرة، والقافية الساخرة. تعيش معه في دنيا من الصور والألوان، وفي عالم من المشاهد والألحان، كأنك في إيوان أو بستان أو ديوان.

دعني من الخطباء الثقلاء، كأن كلامهم لهيب الرمضاء، أو وهج الصحراء، أو برد الشتاء، لا طلاوة ولا حلاوة، لا إبداع ولا إمتاع ولا إشباع. قوم لم تركض أسنتهم في ميدان البيان، ولم تذق قلوبهم حلاوة القرآن، ولا تمتعوا بسحر الكلمات، ولا إضاعة الجمل البالغات، ولا عرفوا حسن السبك، ولا براعة الحبك، هم أحدهم صُحُف يتلوها على الناس بكرة وأصيلاً، لا تترك في الناس من التأثير فتياً، يلوك أحدهم الكلام لوكاً، كأنه يفرز في الأجسام شوكاً.

أفصح الناس رسول الهدى، وإمام الندى، وأبلغ من حضر وبدأ، وأوعظ من راح وغدا.

مَا بَنَى جُمْلَةً مِنَ اللَّفْظِ إِلَّا

وَابْتَنَى اللَّفْظُ أُمَّةً مِنْ عَفَاءٍ

مَنْطِقٌ يَمَلَأُ الْقُلُوبَ جَلالاً

فِي حُبُورٍ وَيَهْجَةٍ وَصَفَاءٍ

إن من أعظم المتع التي عاشها الصحابة، تلك الفصاحة والبراعة والنجابة، التي كانوا يسمعونها من سيد الفصحاء، وإمام البرعاء، وأبين العرب العرياء، كان إذا تكلم مَلَكَ المشاعر، واستولى على الضمائر، واستمال السرائر، فلا يريدون بعده كلام خطيب ولا شاعر، إذا نطق عليه الصلاة والسلام وتدفَّق، فكأنه الفجر أشرق، والماء ترقرق، والنور في الأرواح ترفَّق، إن من النعيم، عند ذاك الجيل العظيم، سماعَ ذلك النبي الكريم، في منطق سليم، وصوت رخيم، وقول قويم، ونهج مستقيم. ثم دَرَجَ خطباء الأمة على منواله، وسبكوا أقوالهم على أقواله، فمن مُقِلٌّ ومُكثِرٌ، ومن مُؤثِّرٌ ومتأثِّرٌ. فأحسن الخطباء من جعل القرآن معينه، وملاً بنور الحديث عينه، وجعل البيان خدينه، ثم أكثر من التدريب، وأدَمَنَ التجريب، وأخذ من كل فنٍّ بنصيب، فترى له من البراعة، ومن الجرأة والشجاعة، ما يخلب ألباب الجماعة، جمالاً في بيان، وحُسناً في إتقان، مع عذوبة لسان، وتبّات جنان. غير أن البلاء يأتي من الأغبياء، المعدودين في الخطباء، فهم كالغيم في الصحو، وكاللحن في النحو، عبارات من حجاب البيان سافرة، وجَمَلٌ متنافرة. وتركيب غريب، ليس عليه من سلطان الإبداع رقيب، همُّ أحدهم أن يقول، ولو أخطأ في النقول، وعاث في العقول، فَمَنَعَ هؤلاء من الخطابة إصابة، حتى يراجع كلُّ منهم حسابه.

فليست المنابر أسواق باعة، ولا أحواش زراعة، ولا ورش صناعة، إنما المنابر مواضع طاعة، تهذب بها الأجيال، وتُصقل بها عقول الرجال.

ومنطق كضياء الشمس تحسبه

من حسنه سحر هاروت وماروت

يدب في الجسم مثل البرء لو نظمت

ألفاظه قلت هذا عبقد ياقوت

فهذب لسانك، وجود بيانك، ودرّب جنانك، وأطلق في الفصاحة عنانك، لتكون الخطيب المسدد، والمتكلم المؤيد. وحذار من ترداد الكلام، فإنه يتحول إلى ركام، ويصبح الخطيب أقبح في العين من الظلام، وإياك والتقعّر والغرابة، فإنها من عيوب الخطابة، ولا تكرر العبارة، ولا تكثر الإشارة، ولا تقحم نفسك في فنون أهل الاختصاص، ولا تجرح الأشخاص. واخلط الترغيب بالترهيب، والوعظ بالتأديب، وتحبّب إلى السامعين بالطيب من الكلام، ولا تتعرض للشتم والملام، تألف القلوب، وذكرهم برحمة علام الغيوب. وتخولهم بالموعظة، لتكون لقلوبهم موقظة، وتحديث فيما يحتاجون إليه من مسائل، وما يهمهم من فضائل، وكن لطيفاً مع الناس، كالطبيب الأس.

واجعل إمامك في الخطابة رسول البيان، صاحب القرآن، سيد ولد عدنان. فقد حنّ الجذع لكلامه، أن من كثرة شوقه وهيامه، وكانت الدموع من وعظه تتحدّر، والقلوب تتفطر، والنفوس تتحسّر، إذا أُنذر وحذّر، أما إذا ذكّره بمغفرة الغفور، فهناك تسبح النفوس في صرح ممرّد من السرور، وفي جدول من الحبور، فيمدّ كلامه نور الفطرة فالكل نور على نور.

هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي مَا قَالَهُ أَحَدٌ

وَلَا تَلَا مِثْلَهُ فِي الْجَمْعِ سَحْبَانُ

عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الْأَنْوَارِ أَرْدِيَّةُ

فَكُلُّ قَلْبٍ مِنَ الْأَشْوَاقِ نَشْوَانُ

يَصْدَعُ الصَّخْرَ مِنْ زَجْرٍ وَمَوْعِظَةٍ

وَفِي الْبِشَارَةِ رَوْضٌ فِيهِ رِيحَانُ

أيها الخطباء، كونوا أبطالاً، ورضّعوا من الحكمة أقوالاً، ودبّجوا من
الفصاحة أمثالاً، وانفروا خفافاً وثقالاً، وفقكم الله تعالى.



مقامة التوبة

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

وَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي

جَعَلْتُ الرَّجَاءَ رَبِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ

بِعَفْوِكَ رَبِّي صَارَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

يا باغي الخير أقبل، فالباب غير مقفل، يا من أذنب وعصى، وأخطأ
وعتا، تعال فاعلّ وعسى، يا من بقلبه من الذنوب جروح، تعال فالباب مفتوح،
والكرم يغدو ويروح، يا من ركب مطايا الخطايا، تعال إلى ميدان العطايا،
يا من افترفوا فاعترفوا، لا تنسوا ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾، يا من بذنب
باء، وقد أساء، تذكر: «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء».

سقت بغى الكلب، فشكر لها الرب، وغفر الذنب. قتل رجل مئة نفس، ثم
تاب إلى الله عز وجل، فدخل الجنة على عجل.

لَوْلَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرَجُّوْهُ وَأَطْلُبُهُ

مِنْ جُودِ فَضْلِكَ مَا عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَا

من الذي ما أساء قط؟ ومن له الحسنى فقط؟ ومن هو الذي ما سقط؟ وأين
هو الذي ما غلط؟ يا كثير الأخطاء، أنسيت: «كل ابن آدم خطاء»، كم يقتلك القنوط
كم؟ وأنت تسمع: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم».

اطرُقِ الْبَابَ تَجِدْنَا عِنْدَهُ

بِسَخَاءٍ وَبِبَذَلٍ وَكَرَمٍ

لَا تَقُلْ قَدْ أُغْلِقَ الْبَابُ وَلَا

تَحْمِلِ الْيَأْسَ فَتَلْقَى فِي النَّدَمِ

إذا أذنبت فُتِبَ وتندم، فقد سبقك بالذنب أبوك آدم، ومن يشابه أباه فما ظلم، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتاب، فإن أباك لما أذنب أناب، بنص الكتاب.

أصبحت وجوه التائبين مُسفرة، لما سمعوا نداء: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة»، اطرح نفسك على عتبة الباب، ومد يدك وقل: يا وهَّاب. أرغم أنفك بالطين، وناد: رحمتك أرجو يا رب العالمين.

إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَتَبٌ

وَبَعُدْنَا وَشَطَّ عَنَّا الْمَزَارُ

فَالْقُلُوبُ اللَّاتِي عَرَفَتْ تَلْظِي

وَالدُّمُوعُ اللَّاتِي عَاهَدَتْ غِزَارُ

يا من أساء وظلم، اعلم أن دمعة ندم، تُزيل أثر زلَّة القدم، أنت تتعامل مع من عرض التوبة على الكفَّار، وفتح طريق الرجعة أمام الفجَّار، وأمهل بكرمه الأشرار. أنزل بالعضو كتبه، وسبقت رحمته غضبه.

والله ما لَمَحَتْ عَيْنِي مَنَازِلِكُمْ

إِلَّا تَوَقَّدَ جَمْرُ الشُّوقِ فِي خَلْدِي

وَلَا تَذَكَّرْتُ مَغْنَاكُمْ وَأَرْضَكُمْ

إِلَّا كَأَنَّ فُؤَادِي طَارَ مِنْ جَسَدِي

اسمه التوَاب، ولو لم تَذَنْبَ لَمَا عُرِفَ هَذَا الْوَصْفَ فِي الْكِتَابِ، لِأَنَّ الْوَصْفَ لَا يَدُلُّ لَهُ مِنْ فِعْلٍ حَتَّى يُوصَفَ بِالصَّوَابِ. مَا تَدْرِي بِالذَّنْبِ مُحِي الْعُجْبَ، وَبِالاسْتِغْفَارِ حَصَلَ الْإِنْكَسَارُ، لِكَأْسِ الْإِسْتِكْبَارِ، وَصَارَ الْإِنْجِدَارُ، لِجِدَارِ الْإِصْرَارِ.

لَاتَصِرْ، بَلِ اعْتَرَفْ وَأَقْرْ، فَإِنَّ طَعْمَ الدَّوَاءِ مُرٌّ، وَسَوْفَ تَجِدُ مَا يَسِرُّ وَلَا يَضُرُّ، وَاحْذِرِ الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَغُرُّ.

يَا رَبِّ إِنْ عَظَّمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً

فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

الاعتراف بالاعتتراف، طبيعة الأشراف، قف بالباب، وقل: أذنبنا، وطف بتلك الديار وقل: تبنا، وارفع يديك وقل: أنبنا، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، سبحان من يَغْفِرُ الذَّنْبَ لِمَنْ أَخْطَأَ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِمَّنْ أَبْطَأَ.

التوبة تُجِبُّ مَا قَبْلَهَا، وَتَعْمُّ بَرَكَتُهَا أَهْلِهَا، يَقُولُ ﷺ: «التائب من الذنب كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»، وَهَذَا قَوْلٌ يَجِبُ أَنْ تَقْبَلَهُ، فَهَنِيئاً لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، قَبْلَ أَنْ يَغْلُقَ

الباب. التائب سريع الرجعة، غزير الدمعة، مُنكسرِ الفؤاد، لربِّ العباد، دائم الإنصات، كثير الإخبات.

للتائب فرحتان ودمعتان وبسمتان.

فرحة يوم ترك الذنب، والأخرى إذا لقيَ الربَّ، ودمعة إذا ذكر ما مضى والثانية إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضى، وبسمة يوم ذكر فضل الله عليه بالتوبة، وهي أجل نعمة، والأخرى يوم صرف عنه الذنب وهو أفضح نقمة.

بُشرى لمن عفر جبينه، وأشعل في قلبه أنينه، وأضرم بالشوق حنينه، التائب تبدل سيئاته حسنات، لأن ما فات مات، والصالحات تمحو الخطيئات.

للتوبة أسرار، ولأصحابها أخبار، فالتائب يزول عنه تصيد المعائب، وطلب المثالب، لأنه ذاق مرارة ما تقدم، فهو دائماً يتندّم، وهو يفتح باب المعاذير، لمن وقع في المحاذير، ولا يفعل فعل المُعجَبِ المَنَّان، الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان، بل يستغفر لمن أساء من العباد، ويطلب الهداية لأهل الفساد، والتائب يُطالع حكمة الربِّ، في تقدير الذنب، وأنه لا حول للعبد ولا قوّة، في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوّة، فالله غالب على أمره، بعزته وقهره، والتائب ذهب عن نفسه صولة الطاعات، والدعاوى الطويلات، والتبجح على أهل المعاصي، وأصبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي، فإن بعض الناس إذا لم يقع في زلّة، ولم يذق طعم الدلّة، جمحت به نفسه الأمّارة، حتى جاوز أطواره، فكلما ذكّر له عاصٍ تأفّف، وكلما سمع بمذنب تأسّف، وكأنه عبد معصوم، في حياته غير ملوم، يحاسب الناس على زلاتهم، ويأخذ بعثراتهم، فإذا أراد الله تقويمه، ليسلك الطريق المستقيمة، ابتلاه بذنوب لينكسر لربه، وأراه ضعف قوته فيعترف بذنبيه، فيصبح يدعو للمذنبين، ويحبّ التائبين، ويبغض المتكبرين.

ومنها أن كأس الندم يتجرعه جرعة جرعة، مع انحدار دموع الأسف دمعة دمعة، حينها ينال الولاية، ويدرك الرعاية، لأنه يعرف سرّ العبودية، ويدخل باب الشريعة المحمديّة، فإن ذلّ العبد مقصود، وتواضعه محمود، لصاحب الكبرياء المعبود.

ومنها أنه يشتغل بالاستغفار عن الاستكبار، فهو دائم الفكر في تقصيره، مشتغل به عن غروره، لأن بعض الناس لا يرى إلا إحسانه، ولا يشاهد إلا صلاحه وإيمانه، حتى كأنه يَمُنّ على مولاه، بطاعته وتقواه، بخلاف من طار من خوف العاقبة لبّه، وتشبّع بالندم قلبه، فهو كثير الحسرات، على ما مضى وفات، وهذا هو حال من عرف العبادة، وسلك طريق السعادة.

واعلم أن لوم النفس على التقصير، والنظر إليها بعين التحقير، والإزاء عليها في جانب مولاها، وعدم الرضا عنها لما فعله هواها، يقطع من مسافات السير، إلى اللطيف الخبير، ما لا يقطع الصيام ولا القيام، ولا الطواف بالبيت الحرام، فهنيئاً لمن على ذنبه يتحرّق، وقلبه يكاد من الأسف يتمزّق، ودمعه على ما فرّط يترقرق.

وَقَفْنَا عَلَى الْأَبْوَابِ نُزْجِي دُمُوعَنَا

وَتَبَعَتْ شَوْقاً طَالَمَا ضَجَّ صَاحِبُهُ

أجمل الكلمات، وأحسن العبارات، لدى ربّ الأرض والسموات، قول العبد: يا ربّ أذنبت، يا ربّ أسأت، يا ربّ أخطأت، فيكون الجواب منه سبحانه: عبدي قد غفرت وسامحت، وسترت وصفحّت.

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا شَابَتْ عِبِيدُهُمْ

فِي رِقَّتِهِمْ أَعْتَقُوهُمْ عِتْقَ أِبْرَارٍ

وَأَنْتَ يَا خَالِقِي أَوْلَىٰ بِدَا كَرَمًا

قَدْ شَبِتُ فِي الرِّقِّ فَاعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ

عَفَّرَ الجبين بالطين، ونادى: يا رب العالمين، تُبْنَا مع التائبين، اغسل الكبائر بماء الدموع، وأدب النفس الأمانة بالجوع، فهذا فعلٌ من أناب، حتى يفتح لك الباب. تأوهُ المذنبين التائبين، أحبُّ من تسبيح المعجبين من قضى ليله وهو نائم، وأصبح وهو نادم، أحبُّ ممن قضاها وهو مسبح مكبر، وأصبح وهو معجب متكبر.

إذا أردت القدوم عليه، توسل برحمته وفضله إليه، ولا تمنن بطاعتك لديه، لا تياس من فتح الباب، ورفع الحجاب، فأدم الوقوف عنده، واخطب وده، فإن من قصده لن يردّه، ما أحوج الجيل، إلى آخر ساعة من الليل، لأنها ساعة الهبات، والأعطيات والنفحات، إمام الموحدين، يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، فجعل غاية مناه، أن تغفر خطاياها، وأنت تُصبر، ولا تُقر، وتحسو كأس الذنب وهو مرّ، فأفق من سبات اللهو ولا تكن من الغافلين، وأكثر من ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أيها التائبون اقبلوا النصح، واتركوا المدح، واسمعوا قول أبي الفتح:

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ

وَرِيحُهُ غَيْرُ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَاتِبَاتٍ لَهُ

فَإِنْ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُقْدَانُ

كُلِّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا

إِنْ شَئِيَ الْمَرْءُ إِخْلَاصُ وَإِيمَانُ

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ

وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا

بِاللَّهِ هَلْ لِحِرَابِ الْعُمَرِ عُمَرَانُ

وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ يَجْمَعُهَا

أَقْصِرْ، فَإِنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ

دَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا

فَصَفِّئِهَا كَدْرًا وَالْوَصْلَ هِجْرَانُ

وَأَعْرِ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا

كَمَا يُفْضَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ

أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ

فَطَالَمَا اسْتَعِيدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

وإن أساء مُسيءٌ فليكن لك في
 عُرُوضِ زَلَّتِيهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ
 واشدُّ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
 فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
 من استعان بغير الله في طلبِ
 فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخُذْلَانُ
 من جاءَ بِالمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
 إِلَيْهِ، وَالمَالُ لِلإنْسَانِ فَتَّانُ
 من سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمُ من غَوَائِلِهِمْ
 وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ العَيْنِ جَدْلَانُ
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ من وَالتَّهْ دَوْلَتُهُ
 وَهُمُ عَلَيْهِ إِذَا خَانَتْهُ أَعْوَانُ
 يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالسَّعْدِ سَاعِدُهُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالِدِهْرِ يُقْظَانُ
 لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
 مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامَانُ

لا تغترر بشبابٍ رائقٍ خضلٍ

فكم تقدم قبل الشيب شبانُ

ويا أبا الشيب لو ناصحت نفسك لم

يكن مثلك في اللذات إمعانُ

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها

ما عذر أشيب يستهويه شيطانُ



obeikandi.com

المقامة التاريخية

﴿ تَلِكَ الْقُرَىٰ نَقِصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ﴾

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر

ضلَّ قومٌ ليسَ يدرُونَ الخبَرَ

وتأمل كيف أفنى ملكهم

من على الملك تولى وقهر

قال أبو كثير، جرير بن الأثير: سلوني عن التاريخ، فإني في علمه شيخ.

قلنا: يا أبا كثير، فضلك كبير، فما هو التعليق، على أحداث نذكرها لك بالتحقيق.

قال: تقدّموا وتكلموا.

قلنا: مولد النبي محمد ﷺ.

قال: مولد النور، وإشراق السرور، وهو فتح من الله على هذا الكون، ونبأ

عظيم ما سمع بمثله في حركة ولا سكون.

قلنا: فهجرته إلى المدينة.

قال: بداية الانطلاق، وفجر الإشراق، بها قامت الدولة، وصار للإسلام

جولة، ولحق صولة.

قلنا: فغزوة بدر.

قال: إثبات صدق الصحابة، واجتثاث تلك العصاة، وقطع الرؤوس الكذّابة، وجلال للدين ومهابه.

قلنا: فوفاة الرسول ﷺ.

قال: نزفت منها القلوب دماً، وامتلات النفوس الماءً، وهي دليل على أن لا بقاء إلا للواحد، وما مخلوق بهذه الدنيا خالد.

قلنا: فمعركة القادسية.

قال: مشهد من مشاهد الحق إذا هجم، ونهاية ماجحة ساحقة لدولة العجم، وأن من عادى الرحمن فليس له سلطان، ولا أمان ولا صولجان.

قلنا: فمعركة اليرموك.

قال: فرار الروم كالبوم، ولكل طاغية يوم معلوم، وإن الدين أمضى سيف للمجاهدين.

قلنا: فعين جالوت.

قال: نهاية المغول، ومأساة حظهم المغلول، وجندهم المخذول، على أيدي أتباع الرسول.

قلنا: فحطين.

قال: حطين، تمرغ الباطل في الطين، وهي يوم جلاء الصليب من فلسطين.

قلنا: فموت خالد بن الوليد على الفراش.

قال: دليل على أن الأجل درع حصين، وموته مصيبة للموحدين، وفرحة عابرة للكافرين، وعيد للجبناء الفاشلين. وكأن الموت هاباً من خالد، فأتاه على غرة وهو قاعد.

قلنا: ففتنة القول بخلق القرآن.

قال: هي نتاج الفلسفة الشنعاء، التي زاحم بها المأمون الشريعة الغراء، ولكن الله نصر الحق وأتباعه، وهزم الباطل وأشياعه.

قلنا: أحسنت في هذا الحوار، فحدثنا عن بعض ما ورد في التاريخ من الأخبار.

• قال: لما ابتلى المأمون الناس بالحنة، قيض الله له بطل السنة، فكان المأمون رأساً في علوم اليونان، وأحمد رأساً في علوم السنة والقرآن.

• أما رأيت الحجّاج قتل ابن الزبير، وذبح سعيد بن جبير، ووضع إبراهيم التيمي في بئر، ثلاث عورات لكم.

• قال فرعون ثلاث كلمات مهلكات، يقول ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ﴿فَدَسَّ أَنْفَهُ فِي الطِّينِ، وَ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ﴾ فَأَخْرَجَ مِنْهَا وَهُوَ لَعِينٌ، وَ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ﴿فَمَا بَاعَ بَعْدَهَا وَلَا اشْتَرَى﴾.

• عليّ بن أبي طالب، مرفوع بين الرافضة والنواصب، لأنها لا تدخل على المرفوع النواصب.

• يا لله العجب، جولدا مائير امرأة، هزمت رجال العرب، كيف لو كانت رجلاً ذا شنب.

• يوم كانت تركيا تحكم بالشرعية السمحاء، أرسلت للعالم الزعماء والعلماء والأدباء. فلما حكمت بمنهج الكافرين، أرسلت للعالمين الحلاقين والراقصين والمغنيين.

• أخذ العرب في فجر الإسلام قيادة العالم، فلما خفيت عليهم المعالم مُنوا بالهزائم. فنقل الله السلطان للأكراد، لأنهم نصرُوا ربَّ العباد، فمَلَّكهم البلاد. وكانت قبلهم السلاجقة، ومن آل زنكي عماد الدين ونور الدين. ثم انتقل مفتاح الأملاك، إلى الأتراك، فلما صاروا في تَرْفٍ وانهمالك، سُلِبَ منهم المفتاح، لأنه لا يحمله إلا من صدق في حيِّ على الفلاح، واعلم أن هذا برهان، على أن الإسلام لا يعترف بالألوان، وليس لبلد خاص من البلدان، لكنه لكل من نصر الحق، وأتى بالصدق.

• أهدت لنا خراسان سلمان، ووفد صهيب من الرومان، فأهدى لهم رسولنا القرآن والإيمان.

• الجيش إذا لم يصم رمضان، يُهزَمُ في حزيران، وجيش لا يؤمن بتعاليم جبريل، لا ينتصر على إسرائيل.

• التاريخ إن شئت جعلته شريفاً أو سخيفاً، فالتاريخ الشريف: تاريخ الفتوحات والانتصارات، والدروس المُستفادَة من النكبات. والتاريخ السخيْف: تاريخ القيان، وكيف كانت تضرب العيدان، وخبر الجوارى في قصر السلطان.

- أشغلونا في التاريخ بأخبار سخيفة، فقالوا: الجارية غضبت على الخليفة، فأهداها قطيفة، فعادت للوظيفة.
- لا بدّ أن يُقرن التاريخ بالأثر، ويُرصع بالسير، وتُسْتَفاد منه العِبَر.
- تاريخ ابن خلدون مقدمة بلا كتاب، لكنها عَجَب من العجائب. وتاريخ ابن الجوزي غرائب وعجائب، كأنه لا بدّ في كل قصة من مصائب. وتاريخ الطبري دقائق، أشغلتنا عن الحقائق، وتاريخ ابن كثير، أحسن الجميع بلا نكير، لكنه طوّل في تراجم الشعراء، وقصّر في تراجم العلماء.
- الذهبي يكتب بقلم السلف، فتجده أكثر النقد للخلف، تخرّج من مدرسة المحدثين، فتراه يشنّ الغارة على المُحدثين. وابن خَلْكَانَ يترجم للضلال، وكأن شيئاً ما كان، ترجم لابن الراوندي فدبّج فيه ثناءً ثميناً، كأن الكلب ما أكل له عجيناً.
- العظمة في اتّباع المعصوم، لا في المناصب والرّسوم، والدليل على ما أقول، أن دائرة المعارف البريطانية، ترجمت بعشرين صفحة للدولة العباسية، وترجمت لابن تيمية بأربعين صفحة، لجهوده الإسلامية.
- أسنة البشر، أقلام تُكتَب بها السّير، إذا ذُكِرَ عمر بن عبدالعزيز قال الناس: رحمه الله، وإذا ذُكِرَ الحاكم الفاطمي قال الناس: قاتله الله.
- لمّا تولّى بنو أميّة الخلافة قالوا: سوف تبقى لنا دوماً، فما أكملوا ثمانين عاماً. فلمّا تولّى بنو العباس قالوا: سوف نحكم الأرض بالأثر والنّظر، حتى خروج المهدي المنتظر، فلم يُبقَ لهم في الأرض مكان، كأنهم خبر كان.

• من قرأ التاريخ هيجه على البكاء، والاتساء، والافتداء. كم في التاريخ من زفرة وحسرة وعثرة؟! لقد كان في قصصهم عبرة.

أما تاريخنا نحن المسلمين فيقول عنه صفي الدين:

سَلِ الرُّمَاحَ العَوَالِي عَن مَعَالِينَا
 وَاسْتَشْهَدِ البِيضَ هَلْ خَابَ الرِّجَا فِينَا
 لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا
 عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتِ مَسَاعِينَا
 قَوْمٌ إِذَا اسْتَخْصَمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً
 يَوْمًا وَإِن حَكُمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
 تَدْرَعُوا العَقْلَ جِلْبَابًا فَإِن حَمِيَتْ
 نَارُ الوَعْيِ خِلْتَهُمْ فِيهَا شِيَاطِينَا
 إِذَا ادَّعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
 وَإِن دَعَوْا قَالَتِ الأَيَامُ: آمِينَا
 إِنَّا لِقَوْمٌ أَبَتِ اخْلَاقُنَا شَرْفًا
 أَن نَبْتَدِي بِالأَذَى مِن لَيْسَ يُؤْذِينَا
 بِيضٌ صَنَائِعُنَا، سُودٌ وَقَائِعُنَا
 خُضْرٌ مَرَابِعُنَا، حُمْرٌ مَوَاضِينَا



المقامة السلطانية

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾

جَانِبِ السُّلْطَانِ وَاحْتِرَابِطِشَهُ

لَا تَعَانِدْ مِنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

لَا تُمَازِحْ أَسَدًا فِي غَابَةٍ

وَتَرَفَّقْ عِنْدَ أَرْيَابِ الدُّوَلِ

قال علي بن عمران: اعلّموا أن السلطان، ظلّ الله في الأوطان، بهيبته تُحفظ البلاد، وتسعد العباد، وبعده تأمن الآفاق، وتقام الأسواق، وبسيفه تُنصر الملة، وترفع الذلّة.

أما الظلوم الغشوم، فمجده مهدوم، وسيفه متلوم، وجنده مهزوم.

اسمعوا ابن خلدون، لعلكم تعتبرون. إن السلطان إذا عدل، شُفيّت بعده العليل، وزال الخلل، وذهب الزلل، ونصر الله دولته بين الدول. أما إذا السلطان جار، ألزمه الله الصّغار، وألبسّه العار، وسلّط عليه الدمار، وجعل مصيره النار.

قلت يا ابن عمران: وكيف يكون العلماء مع السلطان؟

قال: لا تقابل السلطان بالقوة، فيلقيك في هوة، وكما قالت العرب في الكتب: لا تمازح الأسد، فإنه أبو لبد. فالعالم لا يُخالط السلطان حتى كأنه

حاجب، أو كاتب، أو حاسب، لأن الصاحب صاحب، بل ينصحه من بعيد، ويذوره كل عيد، ويدعو له بالتسديد. ولا ينصحه أمام العوام، لأنهم هوام، أصحاب طوام، بل يُداريه ولا يُماريه، وينكر عليه ولا يُجاريه. ويكلمه كلاماً بيناً، ويقول له قولاً ليئناً.

قلت: فإن أعطاه السلطان مالاً، لياخذه حلالاً، ويُصلح به حالاً؟

قال: إن كان هذا المال ليشتري به دينه، من أجل أن يذله وبهينه، فالمنيّة ولا الدنيّة، وركوب الجنائز، ولا قبول الجوائز. وإن كان هذا العطاء من بيت المال بلا سؤال، ولا مكرٍ ولا احتيال، فرزق ساقه الله إليك، سواء كان بنقد أو بشيك، فهو لك لاعليك.

قلت: فما رأيك في الخروج على السلطان؟

قال: لاتفعل إلا إذا رأيت كُفراً عندك فيه من الله برهان.

قلت: فإن حرمني وشتمني وظلمني؟

قال: حسيبك الملك الديّان، يوم يُوضَع الميزان، ويظهر البُهتان.

قلت: فماذا يجعل السلطان من الصلحاء، ويحمله على نهج الخلفاء

الأوفياء؟

قال: إذا شاور العلماء، وخالف السفهاء، وجالس الحكماء، وصاحب

الحُلماء.

قلت يا ابن عمران: فماذا يُفسد السلطان؟

قال: الاشتغال عن الرعيّة، والجور في القضية، وعدم الحُكم بالسّوية.

قلت: فماذا يلزم السلطان حتى يُعان؟

قال: تنفيذ الحدود، وتقوية الجنود، والوفاء بالوعود، والالتزام بالعُهود، وإكرام الوفود.

قلت: فماذا يجب للسلطان على الرعية، من الواجبات الشرعية، والحقوق المرعية؟

قال: الدعاء له بظهر الغيب، ولا ينشر ما فيه من عيب، وطاعته إلا في الحرام، والنصح له في توقيير واحترام.

قلت: أخبرنا بما في سيرة الحكماء من العبر، وما ورد فيها من أثر، فإن الله ينفع بالسير؟

قال: انظروا ما ذكره الله في القرآن، وما سطره في التاريخ والأعيان.

قلت: لماذا فسد الحجاج، ووثب على الأمة وهاج؟

قال: الرجل بالله مغرور، غره المدح والظهور، فأخذ يظلم ويجور.

قلت: فمن جُلاسه؟

قال: هم ما بين عامي عري عن العلم، محروم من الفهم، أو فاجر مات قلبه، وتبلد لبه.

قلت: ولماذا فسد الخليفة الأمين؟

قال: أقبل على اللعب، واشتغل بالطرب، وأهان أهل الحسب، وقرب الوشب.

قلت: فلماذا أيدَّ الله عمر بن عبدالعزيز، وجعله في حرز حريز؟

قال: الرجل اتقى ربه، وخاف ذنبه، وأصلح ما بينه وبين الديان، فعمّر الله به البلدان، ركب سفينة السنّة، فأوصلته إلى الجنة.

قلت: فأخبرنا بصفات تُصلح السلطان وتُوصله الرضوان؟

قال: عليه بصدق الصديق، وعدل الفاروق، وسخاء عثمان، وشجاعة عليّ إذا التقى الجمعان.

قلت: فمن أحقّ الناس بإكرام السلطان؟

قال: عالم عامل، وعابد فاضل، وشيخ كبير ذابِل.

قلت: فمن أحقّ الناس بعقوبة السلطان؟

قال: السفهاء الذين يحتقرون العلماء، والمجاهرون بالمعاصي صباحاً ومساءً، ومن يأخذ حقوق العباد بالاعتداء.

قلت: فلماذا أحبّ الناس الخلفاء الراشدين؟

قال: لأنهم كانوا صادقين، وبرّهم واثقين، وبرعيّتهم رفيقين.

قلت: فلماذا سقطت الدولة الأموية، وقد كانت قويّة؟

قال: آخر القوم الصلاة، وأكرموا العصاة، وجاروا في الأحكام، فانقلبت بهم الأيام.

قلت: فلماذا سقط بنو العباس، وقد كانوا أهل نجدة وياس؟

قال: هجر القوم المثاني، واشتغلوا بالأغاني، وملئوا القصور بالغواني، وغرّتهم الأمانى.

قلت: فلماذا سقطت الدولة العثمانية؟

قال: قربوا الصوفية، وحاربوا الدعوة السلفية، وأهانوا الرعية، واشتغلوا بالملذات الدنيوية، وأهملوا الشعائر الدينية.

قلت: فما معنى كلام ابن تيمية: إن الله ينصر الدولة الكافرة، إذا كانت عادلة، ويمحق الدولة المسلمة، إذا كانت ظالمة؟

قال: هذا كلام صحيح، وفهم مليح، فالدول إذا عدلت قرّت، واستقرّت، وأعطاه الله الأمان، من روعات الزمان، ومن مصائب الحداث. وإذا ظلمت محقت وسحقت، وتمزقت وتفرقت، وهذه سنة ماضية، وحكمة قاضية.

قلت: ولماذا قال عمر على المنبر يوم صاح بطنه من الجوع وقرقر: قرقر أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع الفقير المُقتِر، والشيخ المُعسر؟

قال: عمر إمام العدالة، شرح الله بالعدل بآله، صدق الله فأصلح أحواله، وجعل التقوى سرباله، فسيرة عمر تخوف الظالمين، وتُرهب الأثمين، وهي قصة بديعة في العالمين.

قلت: ما رأيت الظالم طال عمره، ولا حماه قصره، ولا ارتفع قدره؟

قال: أما تدري أن الله أخرج كل ظالم من قصره وجره، وقطع دابره بالمرّة، واستنزله من برجه العاجي كأنه هرة.

قلت: مثل ماذا يا هذا؟

قال: عجباً لك أما تعي، وأنت بالعلم تدعي. أما أهلك فرعون وخرب داره، وترك قصوره منهارة، ودس أنفه في الطين كأنه فارة.

أما رأيت شاوشسكو رئيس رومانيا المهين، مزقه شعبه وهو لعين، سحبه في الشارع على الطين، فما كان له من فئة ينصرونه وما كان من المنتصرين.

أما رأيت الشاه السفيه الغلطان، الذي كان بكأس الظلم سكران، أكثر من السلب والنهب، والضرب والصلب، فطرده شعبه كالكلب. فمات في مصر مع فرعون، كتب في التاريخ الشاه الملعون.

أما رأيت ماركوس رئيس الفلبين، أحد الظلمة الكاذبين، أذاق قومه الويلات، وأسقامهم كأس النكبات، فمال عليه قومه ميلاً واحدة، فإذا دولته بائدة، فصار في العالم طريداً، وأصبح في الأرض شريداً.

قلت: أرشدتني أنار الله فكرك، وأعلى ذكرك، وقد حملت شرك.



المقامة الجامعية

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

اطْلُبِ الْعِلْمَ وَحَاصِلَهُ فَمَنْ

يَعْرِفُ الْمَقْصُودَ يَحْقِرُ مَا بَدَلُ

لَا تَقِلْ قَلْبُكَ دَهَبًا أَرِيَابُهُ

كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ

بكى زميلي في الجامعة عمرو بن كلثوم، فأصابني من حاله الوجوم، فلما رأيت الدمع ملاً عيونه، تذكرت قول الشاعر: بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه.

فقلت: ما لعينك دامة؟ قال: من كثرة العناء في الجامعة.

قلت: من صبر ظفر، ومن ثبت نبت. فقال زميلي عمرو، وكأن في قلبه جمر: حدثنا عن دراستك في كلية أصول الدين، فإني لك بالتصريح مدين.

قلت: كنت أدرس في أبها، والعلم عندي من الشهد أشهى، أسير في الحارة، من البيت إلى المنارة، وقليلاً ما أركب السيارة. كانت الكتب أغلى عندي من الذهب، فإذا تفرّدت بكتاب، نسيت الأصحاب والأحباب.

كنت أصلي الفجر، ثم أجلس في مصلاًي لطلب الأجر، فإذا داعبني النعاس، قلت: لا مساس، فإذا غداً الطير من وكره وطار، وقضيت وجبة الإفطار، ذهبت إلى الكلية، ونسيت الدنيا بالكلية.

وكان زملائي أهل جدّ وجلّد، والكلّ منهم مُثابر مجتهد، ذكرونا بالصَّحْبِ
الأول، وكانوا من سبع دول، ثلّة من السعودية، أخلاقهم نديّة، وصدّاقتهم وديّة،
وأمالهم وريّة. وأربعة من اليمن، تشتري صحبتهم بأعلى ثمن، وأعدّها عليّ
من أحسن المنن، وواحد من أوغندا، يهدّ الدروس هدّاً، كأنه ليث إذا تبدّى،
وطالبان من السودان، أعذب من الماء عند الظمآن، وطالب من دولة بنين، قويّ
أمين، ومن نيجيريا، أربعة طلاب، يُكرمون الأصحاب، ويُتحفون الأحباب،
وواحد من الصومال، من خير الرجال، مع صبر واحتمال، فإن اختلفنا في
الديار، فنحن إخوة في شريعة المختار.

فاجتمع في الفصل اللسان، والألوان، واللغات، واللهجات، من كل الجهات.
فصرت أنا بينهم كسحبان وائل، ولو أنني أعيا من باقل. فكنت في أحسن
زمالة، لا سامة ولا ملالة، ودرّسنا أساتذة، بعضهم جهابذه، فكان منهم من
يحضر وينظر، ويأتي الفصل وهو مُبكر.

تَخَالَهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُتَّقِداً

وَمَنْ تَلَّهُ بِهِ فِي الْعِلْمِ نَشِواناً

ومنهم من كان يقرأ علينا من صُحُفٍ اكتتبها، فهو يملئها علينا بكرةً
وأصيلاً، ويرتلّ علينا المُقرَّرَ ترتيلاً. وربما تعب فأمرنا بوضع خط، تحت كل
كلمة ولا يزيد قطّ. ومنهم من كان يأخذ ثلث المحاضرة في تحضير الطلاب،
من حضر ومن غاب، وربما دلّسنا عليه الغياب، وهو لا يدري بدهاة الأفارقة
والأعراب. ويأخذ ثلثها الثاني في تعريفنا بشخصه العظيم، وما حصل له من
تكريم، فهو يردّد علينا هذا الحديث السقيم. وأما ثلثها الأخير فيشرح لنا
المقرَّر، وقد تبلّد ذهن كلِّ منّا وتحجّر، مما سمعناه من الحديث المعقّر.

ومنهم من شكانا وشكوناه، وأبكانا وأبكيناه، فمرة يشكونا للعميد، فنسمع الوعيد والتهديد، فنسخر ونقول: الحمد لله على السلامة، أسدّ عليّ وفي الحروب نعامه، وربما كتبنا فيه خطاباً، فيملؤنا سبباً، ويقول: لا أخاف من كيدكم ولا أقلق، كما قال الأول: زعم الفرزدق.

ومنهم من عجب من إجابتي، وكثرة إصابتي، وأقسم لو جاز أن يعطي فوق الدرجة لأعطاها، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، فأجد الامتعض من الزملاء، ثم نعود إلى جوّ الإخاء. وقد نظمتُ في الأساتذة بعض الأبيات، فيقول الزملاء: بهذه الطريقة نلتَ الدرجات، فيهمزون ويلمزون، وإذا مروا بنا يتغامزون. وربما أطلقت في الفصل النكات، فيهتزّ الفصل من الضحكات.

أذكرُ مرّة، كانت لحظة مسرّة، أن أحد الدكاترة، وكانت أذهاننا معه فاترة، قال لنا: إن الغزالي صاحب الإحياء مات والبخاري على صدره، يقصد كتاب الصحيح، فقلت بلا استحياء: هذا أمر عجيب، وخبر غريب، لأن البخاري مات في القرن الثالث، والغزالي في القرن السادس، فكيف يكون البخاري على صدر الغزالي.

فقال الأستاذ: أنت قد بلبتَ بالي، قلت: قصيدة البلبّة لصفيّ الدين الحلّي وهي مهلهلة. ثم أنشدتها بدون استئذان، حتى أدخلتها الأذان، ومطلعها:

يا بلي البَالِ قَد بَلْبَتَ بِالْبَلْبَالِ بِالَا

بِالنُّوَى زَلْزَلْتَنِي وَالْقَلْبُ بِالزَّلْزَالِ زَالَا

فقال الأستاذ وقد تميَّز من الغيظ: زدنا يا عائض من هذا الفيض،
فأنشدت قول المتنبي:

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَى

قَلَاقِلُ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ

والطلاب في ضحكهم هائمون. ثم قلت للأستاذ: سامحني يا علم
الأفذاذ، فقد تذكرت بيت الأعشى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي

شَاوِمِشْلُ شَلُولُ شُلْشُلُ شَوْلُ

وشجعني أن بضاعته من العلم مزجاة، فقلت: أزجي الوقت كما أزجاء،
وإذا ذهب العلم فليذهب الجاه.

وكنت أستاذن بعضهم في أول كل محاضرة، ووجوه الطلاب يومئذ ناظرة،
فأنظم أرجوزة، أبياتها مهزوزة، فيتركني الأستاذ ولسان حاله يقول: دعوه على
حاله، فالله هو الذي يهب العقول. ولا أفعل هذا إلا مع أستاذ هو كلُّ على
مولاه، فأريد أن أجازيه على ما أولاه.

ومرة ذهبنا في رحلة بريّة، فجعلوني رائد السريّة، فاندهل مني المدرّب
وتعجّب، واستغرب وتعذّب، فلم أظهر له أنني عنيد، بل جعلت نفسي كأنني
أبله عنيد، فإن صاح فينا: استعد استرح، وإن قال: استرح استعددت، وإذا
قال: إلى الأمام سِرّ، رجعت إلى الورا، وإذا قال: إلى الخلف دُرّ مشيت إلى
الأمام، وإذا طلب منّا العدّ بالأرقام، قفزت عشرين رقماً للأمام، فإن كان

رقمي عشرة قلت: ثلاثون، والناس يضحكون، والكُلُّ مرتاحون، إلا المدرب فقد جفَّ ريقه، وظهر حريقه.

وربما تساجلنا في بعض الأمسيات، فأنظم في الحال الأبيات، وليس هذا والله من المبالغات.

وربما أنشد بعضهم نصف بيت سابق، فأكملة من عندي:

..... نحنُ الذينَ صبَّحُوا الصُّبَّاحَا

فقلت:

..... وقد أكلنا الموزَ والتُّفَّاحَا

وقال آخر:

..... حتَّى إذا جنَّ الظُّلامُ واختلطَ

فقلت:

..... سمعتُ صوتَ القطِّ من بينِ القِطَطُ

وكان أستاذٌ يلحن في العربية، فكنت أقول:

واللَّحْنُ عِنْدَ شَيْخِنَا يَجُوزُ

كَقَوْلِهِمْ مَرَرْتُ بِالْعَجُوزُ

وأنشدنا أستاذ الأدب بيت صفى الدين الحلبي:

سَلِ الرِّمَاحَ العَوَالِي عَن مَعَالِينَا

وَاسْتَشْهِدِ البَيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا

فذكرت حالنا المعاصر، فقلت:

سَلِ الصُّحُونَ التَّبَاسِيَّ عِن مَعَالِينَا

وَاسْتَشْهِدِ الرَّزْهَلَ خَابَ الرَّجَا فِينَا

وأرادوا في الكلية التشجيع، فجلعوني الطالب المثالي في الحفل الختامي الواسع، فجئت لأخذ الجائزة، والنفس بالفرح فائزة، فكان العميد يناول الجائزة للمسؤول، والمسؤول بدوره يناولها الطالب المقبول، فأخذت الجائزة من العميد في استعجال وسلمتها للمسؤول في ارتجال، فضجت بالضحك القاعة، لأنها حركة لافتة خداعة.

وفي المرحلة الجامعية، كانت زمن الهمة الأملية، والعزيمة اللوذعية، فقد أعانني الرحمن، على حفظ القرآن، وجودته على الشيخ الرياني، عبيدالله الأفغاني، وحفظت بعض المتون، في بعض الفنون، أما القراءة والمطالعة، فكانت شمسها ساطعة، فلم يكن لي غير المطالعة عمل، وهي أحسن متعة لدي وأقصى أمل، فإذا خلوت بالكتاب، فقد اجتمع عندي أفضل الأصحاب، وأحب الأحاب، حينها لا يعادله عندي روضة خضراء ولا حديقة فيحاء، فالكتاب أشرف صاحب على الدوام، وخير جليس في الأنام، وكنت أتعجب ممن لا يطالع، أو يقضي وقته في الشارع. وقد أقبلت على علم الحديث بانكباب، وقبل ذلك كنت منهمكاً في الآداب.

أما المقرر فلم أذكره إلا وقت الامتحان، لأنني أراه أقل من أن يُصرف له كل الزمان. وفترة الجامعة، كانت أخصب فترة عندي لحضور المخيمات، والرحلات والأمسيات، ونظم المقطوعات والأرجوزات، وما تأثرت في تلك الأيام، بأستاذ ولا شيخ ولا إمام، كتأثري بزميلين، ماجدين، عابدين، صادقين.

أحدهما: الينجيري عبدالرشيد، وكان عندي من أصدق من رأيت في عبادة الحميد المجيد، كثير قيام الليل، بعيد عن القال والقال، لا تراه إلا ذاكراً، أو مُذاكراً، أو شاكراً، له أذكار وأوراد، وهو عليها مُعتاد، وقد رزقه الله بسطةً في الجسم، وحباً للعلم، وأخبرني بأن جدته دعتة إلى العبادة، حتى صار قيام الليل له عادة.

والثاني: سراج الرحمن، من باكستان، وقد ملأ الله قلبه بالإيمان، أكثر نهاره صامت، وبالليل قانت، متواضع خاشع طائع، مَضْرِب المثل في النبَل والفضل.

وكان لي زميل إفريقي درس في باريس، فكان يُلقى الشبهه على هيئة التدريس، وكان مبغضاً للعرب، فلقينا منه العجب، فكان إذا أورد شُبْهة أنتفض، وأقوم وأعترض، فريماً غضب وأزيد، وأرعد وتهدّد، فيغضب لي كل الفصل لأنه متناول متوعّد، وهو مفتون بحبّ فرنسا، حُباً لا يُنسى، وقد أغضبنا بالسّفه والطيش، ولكننا نقصنا عليه العيش. ولما تخرّجنا من الكلية، كانت النتيجة حصلتُ على الأوليّة، ومع الامتياز هدية، وألقيت قصيدة عربية منها:

أَيُّهَا الْخَيْرِيُّ يَا نَجْمَ الْعَلَى

يَا شُعَاعَ الْأَمَلِ الْمُرْتَقَبِ

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ مِنْ أَمْنًا بِهِ

وَاتَّبَعْنَا هَادِيًا مِنْ يَثْرِبِ

من بلادي يُطلبُ العِلْمُ ولا

يُطلبُ العِلْمُ من الغَربِ الغَبي

ويها مهبطُ وحي الله بل

أرسلَ الله بها خَيرَ نبي

فلما انتهيت من القصيدة، قلت لزميلي عمرو: هذا كل ما في الأمر. ولك
منى الدّعاء والشُّكر.



المقامة الشيطانية

﴿ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾

وَقُلْتُ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِمَّا

دَهَانِي مِنْكَ يَا شَيْطَانَ عَصْرِي

حَسِبْتُكَ نَاصِحاً فَسَلَبْتَ عَقْلِي

بِأَخْبَارِ الْمُنَى وَأَضَعْتَ عُمُرِي

قال عبدالله بن آدم: حاورت الشيطان الرجيم، في الليل البهيم، فلما سمعت أذان الفجر أردت الذهاب إلى المسجد، فقال لي: عليك ليل طويل فارقد.

قلت: أخاف أن تفوتني الفريضة.

قال: الأوقات طويلة عريضة.

قلت: أخشى ذهاب صلاة الجماعة.

قال: لا تشدد على نفسك في الطاعة.

فما قمت حتى طلعت الشمس، فقال لي في همس: لا تأسف على ما فات، فالיום كله أوقات. وجلست لآتي بالأذكار، ففتح لي دفتر الأفكار.

فقلت: أشغلتنني عن الدعاء.

قال: دعه إلى المساء.

وعزمت على المتاب.

فقال: تمتع بالشباب.

قلت: أخشى الموت.

قال: عمرك لا يفوت.

وجئت لأحفظ المثاني.

قال: رُوِّحْ نفسك بالأغاني.

قلت: هي حرام.

قال: لبعض العلماء كلام.

قلت: أحاديث التحريم عندي في صحيفة.

قال: كلها ضعيفة.

ومرت حسناء فغضضت البصر.

قال: ماذا في النظر؟

قلت: فيه خطر.

قال: تفكّر في الجمال، فالتفكّر حلال.

وذهبت إلى البيت العتيق، فوقف لي في الطريق.

فقال: ما سبب هذه السفرة؟

قلت: لأخذ عمرة.

فقال: ركبت الأخطار، بسبب هذا الاعتماد، وأبواب الخير كثيرة،

والحسنات غزيرة.

قلت: لا بدّ من إصلاح الأحوال.

قال: الجنة لا تدخل بالأعمال.

فلما ذهبت لألقي نصيحة.

قال: لاتجرّ إلى نفسك فضيحة.

قلت: هذا نفع للعباد.

فقال: أخشى عليك من الشهرة وهي رأس الفساد.

قلت: فما رأيك في بعض الأشخاص؟

قال: أجيبك عن العامّ والخاصّ.

قلت: احمد بن حنبل؟

قال: قتلني بقوله: عليكم بالسنة، والقرآن المنزل.

قلت: فابن تيمية؟

قال: ضرباته على رأسي باليومية.

قلت: فالبخاري؟

قال: أحرق بكتابه داري.

قلت: فالحجاج؟

قال: ليت في الناس ألف حجاج، فلنا: بسيرته ابتهاج، ونهجه لنا علاج.

قلت: ففرعون؟

قال: له منّا كل نصر وعون.

قلت: فصلاح الدين، بطل حطين؟

قال: دعه فقد مرّغنا بالطّين.

قلت: محمد بن عبد الوهّاب؟

قال: أشعل في صدري بدعوته الالتهاب، وأحرقني بكل شهاب.

قلت: فأبو جهل؟

قال: نحن له إخوة وأهل.

قلت: فأبو لهب؟

قال: نحن معه أينما ذهب.

قلت: فليّنين؟

قال: ربطناه في النار مع إستالين.

قلت: فالمجلّات الخليفة؟

قال: هي لنا شريعة.

قلت: فالدشوش؟

قال: نجعل الناس بها كالوحوش.

قلت: فالقاهي؟

قال: نرحّب فيها باللاعب واللاهي.

قلت: ما هو ذكركم؟

قال: الأغاني.

قلت: وعملكم؟

قال: الأمانى.

قلت: وما رأيكم في الأسواق؟

قال: عَلَّمْنَا بها خَفَاق، وفيها يجتمع الرفاق.

قلت: فالحزب الاشتراكي؟

قال: قاسمته أملاكي، وعلمته أورادي وأنساكي.

قلت: كيف تضل الناس؟

قال: بالشهوات والشُّبُهَات والملهيات والأمنيات والأغنيات.

قلت: فكيف تضل النساء؟

قال: بالتبرُّج والسَّفُور، وترك المأمور، وارتكاب المحظور.

قلت: فكيف تضل العلماء؟

قال: بحب الظهور، والعُجب والغرور، وحسد يملأ الصدور.

قلت: فكيف تضل العامة؟

قال: بالغيبة والنَّميمة، والأحاديث السقيمة، وما ليس له قيمة.

قلت: فكيف تضل التجار؟

قال: بالرِّبَا في المعاملات، ومنع الصدقات، والإسراف في النفقات.

قلت: فكيف تضل الشباب؟

قال: بالغزل والهيام، والعشق والغرام، والاستخفاف بالأحكام، وفعل الحرام.

قلت: فما رأيك في إسرائيل؟

قال: إياك والغيبة، فإنها مصيبة، وإسرائيل دولة حبيبة، ومن القلب قريبة.

قلت: فالجاحظ؟

قال: الرجل بين بين، أمره لا يستبين، كما في البيان والتبيين.

قلت: فابو نؤاس؟

قال: على العين وعلى الرأس، لنا من شعره اقتباس.

قلت: فأهل الحداثة؟

قال: أخذوا علمهم منّا بالوراثه.

قلت: فالعلمانية؟

قال: إيماننا علماني، وهم أهل الدجل والأمانى، ومن سمّاهم فقد

سمّاني.

قلت: فما تقول في واشنطن؟

قال: خطيبي فيها يرطن، وجيشي بها يقطن، وهي لي موطن.

قلت: فما رأيك في الدعاة؟

قال: عدّبوني وأتعبوني وبهذلوني وشيّبوني يهدمون ما بنيت، ويقرؤون إذا

غنّيت، ويستعيذون إذا أتيت.

قلت: فما تقول في الصُحف؟

قال: نضيّع بها أوقات الخلف، ونذهب بها أعمار أهل الترف، ونأخذ بها

الأموال مع الأسف.

قلت: فما تقول في هيئة الإذاعة البريطانية؟

قال: ندخل بها السمّ في الدسم، ونفسد بها بين العرب والعجم، ونثني بها

على المظلوم ومن ظلم.

قلت: فماذا فعلت بقايل؟

قال: سلّطته على أخيه فقتله، ولولا الغراب ما دفنه.

قلت: فما فعلت بقارون؟

قال: قلت له: احفظ الكنوز وافرح، فلم يدر أن من فعل ذلك ما أفلح.

قلت: فماذا قلت لضرعون؟

قال: قلت له: يا عظيم القصر، قل: أليس لي ملك مصر، فسوف يأتيك النصر.

قلت: فماذا قلت لشارب الخمر؟

قال: قلت له: اشرب بنت الكروم، فإنها تُذهب الهموم، وتُزيل الغُوم،

وباب التوبة معلوم.

قلت: فماذا يقتلك؟

قال: آية الكرسي، منها تضيق نفسي، ويطول حبسي، وفي كل بلاء أُمسي.

قلت: فمن أحب الناس إليك؟

قال: المغنّون، والشعراء الغاؤون، وأهل المعاصي والمجون، وكل خبيث مفتون.

قلت: فمن أبغض الناس إليك؟

قال: أهل المساجد، والزاهد والمجاهد، والعالم أشدّ عليّ من العابد.

قلت: أعوذ بالله منك، فاختمى وغاب، كأنما ساخ في التراب.



obeikandi.com

المقامة الأبوية

﴿ يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

يَا كَوَكِبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمُرَهُ

وَكَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

جَاوَرَتْ أَعْدَائِي وَجَاوَرَرِيَهُ

شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

هذه المقامة، لأبنائي وصيية، وهي أعظم هدية، وإنما العمل بالنية.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فمن فعل ذلك فإن الله ظهيره ونصيره. كلُّما سمعتم حديثاً لصاحب الشفاعة، فقولوا: سمعاً وطاعة. وأوصيكم ببر الآباء والأمهات، وأنهاكم عن منع وهات، وتضييع الصلوات، واتباع الشهوات. والله الله في تدبر المثاني، وهجر الأغاني، وترك الأمانى.

واعلموا أنه قامت عليكم الحجة، وبانت المحجة. وأوصيكم بتوقير شعائر الدين، فإنها تقوى رب العالمين. واستعدوا للرحيل، إلى الملك الجليل، فإنكم قادمون إليه عمّا قليل. وإذا سمعتم الأذان، فأجيبوا داعي الرحمن، فليس بعد الأذان أعمال ولا أشغال، بل ذهاب إلى بيت ذي الجلال.

وقد دُعيتم فأجيبوا الداعي، فإنني أخشى على من تهاون بتكبيرة الإحرام، مع الإمام، أن يحرم التوفيق على الدوام، وأن لا يبلغه الله المرام.

وَلَقَدْ نَصَحْتُ لِي تَجَارِبُ جَمَّةٌ

وَلَقَبَيْتُ كُلَّ مُعَلِّمٍ مَأْمُونٍ

فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَالٍ زَائِلٌ

يَفْنَى وَيَبْقَى سَعْيُكُمْ لِلدِّينِ

واعلم أن من صحب الفساق، ونقض الميثاق، ابتلاه الله بالنفاق. ولاتقولوا نحن في عصر الصبا، فكم من سيف نبا، وجواد كبا، فهذا كلام من غره بالله الفرور، حتى فاجأته قاصمة الظهر، وطرح في القبور، وتذكروا ليلة صبحها يوم القيامة، فما أكثر الأسف فيها والندامة. وتذكروا أول ساعة في القبر، فما أعظمها من أمر، ساعة ليس فيها جليس ولا أنيس، يرتجف لها القلب، ويذهب من هولها اللب، ليس معكم فيها صديق ولا رفيق. تخلّى عنكم الأحباب، وترككم الأصحاب، وجردوكم من الثياب، ووسدوكم التراب. الأموال بعدكم قسمت، والبيوت سكنت، والزوجات نُكحت، فأين القلوب والعقول، ما لكم في ذهول، وأنتم في نقول.

فارقعوا بالاستغفار ما مزقته أيادي الذنوب الكبار. واغسلوا بدمع العيون غبار الذنوب، أنيبوا إلى علام الغيوب، وعليكم بالسكوت، ولزوم البيوت، والرّضا بالقوت، فإنه كاف لمن سيموت. والحرص على تكبيرة الإحرام، وسلامة الصدر من الآثام، وإطابة الطعام، وحسن الخلق مع الأنام، عربون صادق لدار السلام. وطهروا القلوب من الإحن، والزموا السنن، وفرّوا من الفتن، تجدون عونهُ عزّ وجلّ وقت المحن، مع إسباليه عليكم ثوب المنن.

وأشرف تاج تاج الديانة، وثوب الصيانة، والصدق والأمانة، والوقار والرزانة. وثوب الرياء ثوب مخرق، ورداء الكبر رداء ممزق. والعمل بالسنة، أقرب طريق إلى الجنة، ومرافقة الأشرار ومصاحبة الفجار، هي الخسار والبوار، وهم الدعاة إلى النار، ومن الآن كلامه، ووصل أرحامه، وبذل طعامه، ونشر سلامه، أكرم الله في الجنة مقامه. وويل لمن كان خصمه لسانه، وأشهد على نفسه إخوانه، واستشار في أمره شيطانه، وأرخص للشهوات إيمانه. وخلوة بكتاب، ودمعة في محراب، وتواضع للأصحاب، خير من القصور والقباب. وما أقبح من ناداه ربّه إلى المسجد، فتبلد وتردد. ومن عود لسانه الذكّر، وقلبه الشكر، وعقله الفكر، وبدنه الصبر، نال أعظم الأجر، وحطّ عنه الوزر.

وكل لباس يبلى إلا لباس التقوى، ومن كان في دنياه شقياً، بمخالفة مولاة فهو في الآخرة أشقى، والمأسور من أسره هواه، والمخدول من عصى مولاة، والمفلس من خاب مسعاه. وعليكم يا أبناء الصبر على المصائب، والتجلّد للنوائب، ومُجانبة الغضب، والإجمال في الطلب، والإخلاص في الطاعة، والزهد والقناعة. واعلموا أنه ليس معكم في شدائد الزمان، غير الواحد الديان، فلا يفرركم كلام الإخوان، فإن الناس في وقت العافية أعوان، واستتطقوا الذكّر الحكيم، واتبعوا الرسول الكريم، والزمو الصراط المستقيم.

واعلموا أن للذنوب كفّارات، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، وأنه لا أنفع من الصالحات، ولا أضرّ من الموبقات. وللذنب من الله طالب، وعلى الضمائر مراقب، وللأعمال محاسب. واعلموا أن شرفكم صدق اللسان، ونسبكم الإحسان، وكنزكم الإيمان. ولن ينقذكم من النار، إلا طاعة العزيز الغفار،

وأتباع المختار. واطلبوا الكفاف، واستتروا بالعفاف، وخذوا العفو وأعطوا الإنصاف، فإن الحق كافٍ وافٍ.

واسلكوا من الطرق الوسط، ودعوا الغلو والشطط، والتهور والغلط. واسمعوا مني النصيحة. اعلّموا أن الدنيا لا تساوي تسيحة، ولو كانت مليحة، لجعلها الله لأوليائه مريحة. وصونوا أنفسكم من سؤال الناس، واستغنوا عما في أيديهم باليأس. واطلبوا العلم فإنه أجل المطالب، وأعظم المواهب، وهو أرفع من المناصب، وأكرم من كل المراتب. وزينته العمل، وخوف الأجل، والاعتصام بما نزل. والداء العضال مُعادة الرجال، ومن سالم الناس سلم، ومن صمت غنم. والناس لا يطلبون منكم الأرزاق، وإنما يطلبون جميل الأخلاق.

وأوصيكم بالأذكار، في طرفي النهار، فإنها عبادة الأبرار. اقرؤوا القرآن كل يوم. فإنه دواء الهموم والغموم. وركعتان في السحر خير مما طلعت عليه الشمس والقمر، ووقروا الكبير، وارحموا الصغير.

واحذروا أن يكون لسان أحدكم كالمِقراض في الأعراض، فإن هذا من ضعف البصيرة، وخبث السيرة، ورافقوا أهل الصلاح، وأحبوا أصحاب الفلاح، ولا تستصغروا شيئاً من المعاصي، وراقبوا من يأخذ بالنواصي. وقسوة القلب يُذبيها الندم، والدمع المنسجم، والأسف من الذنب المنصرم. ولا تتعموا تنعم المترفين، ولا تزروا بأنفسكم فعل الشحاذين، فإن المبالغة في الزينة للنساء، والشرة للسفهاء، فكونوا أنتم العلماء الحكماء. وأدمنوا الاستغفار كل حين، فإنه مفتاح رضى رب العالمين، وهو قوة وتمكين، وعلى كل كربة معين. ومن لم يراقب الحسيب، ويردعه المشيب، ويخف المعيب، فليس له في الفضيلة

نصيب. وويل لمن غرته دنياه، وخدعه مناه، وصرعه هواه. وطوبى لعبد إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. وعليكم بتوقير الصحابة، وحب القرابة، مع لزوم مذهب السلف، فهم أعلم وأحكم من الخلف. حفظكم الله بالدين، وعصمكم من نزغات الشياطين.

واسمع في الختام إلى قول أحد الأعلام:

أبَا بَكَرٍ دَعَاكَ لَوْ أَجَبْتَا

إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا

مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا

وَيَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا

وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا

وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا

وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا

يِنَّاكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا

وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو

تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلُ مَنْ ضَرَبْتَا

وَكُنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِحْصًا
 خَفِيفُ الْحَمَلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
 فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلَوَاهُ طَعْمًا
 لِأَثَرَتِ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدَتَا
 وَلَمْ يَشْفَلِكْ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٌ
 وَلَا دُنْيَا بِرِزْخِهَا فَتِنَتَا
 وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنْيَقُ رَوْضٍ
 وَلَا خَيْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلِفَتَا
 فَتَقْوَاتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمُعَانِي
 وَلَيْسَ بَانَ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا
 فَوَاطِئِهِ وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ
 فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ أَخَذْتَا



المقامة الفضائية

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

لَا تُحَدِّثْنِي عَنِ الْبَثِّ الْمُبَاشِرِ

وَالْعَرِيسَاتِ وَأَقْمَارِ الْمُسَافِرِ

أَنَا بَثِّي دَعْوَةً قَدْسِيَّةً

تَنْشُرُ النُّورَ وَتَجْتَاكُ الدِّيَاجِرِ

قَمَرِي الْمُخْتَارُ مِنْ غَارِ حِرَا

شَعٌّ كَالْفَجْرِ لِيَمْحُو كُلَّ كَافِرِ

لنا قناة واحدة ولهم قنوات، بثًا من فوق السماوات، وبثهم من العريسات،
إرسالنا من عند سدرة المنتهى، وإرسالهم من الزئج والهوى، جبريل يحمل
الآيات، ومحمد يتلقاها بثبات، ديننا يزدان بالنور، والعالم بالكفر يمور.

يا أصحاب قنوات الفضاء، يامن أعرَضَ عن رسالة السماء!!، ما لكم
تتشرون غسيلكم، وتجعلون الهوى سبيلكم، أين الكلمة الأمانة، والفكرة
الرصينة، والمقولة الرزينة؟ أين البيان الخلاب، والمنطق الجذاب؟ لغة سوقية،
ودعوة شقية، أزياء وإغراء، وغشاء وهراء، وأدعاء وافتراء.

يا أهل القنوات! أين الدعوة لإقام الصلوات وإيتاء الزكوات، وعمل الصالحات، وهجر المنكرات؟

نريد صحة الخبر، وسداد النظر، وعرض أحب السَّير، وأجمل العِبَر. شبع العالم جُرماً وإثماً، وهماً وغمماً، أضاع القِيم والأخلاق، ونسي نصوص الميثاق، وأغرق في الشقاق والافتراق وسوء الأخلاق، كيف تصلح الشعوب وهذه القنوات تدعوها إلى الذنوب؟! كيف تصحو الأمة والشاشة تُمطرها بمصائب مدلهمة؟! كيف يستيقظ العقل، وهذه المحطات تزف له ركماً من الجهل؟!

كانت الأمة واعية، ولأوامر ربِّها راعية، وإلى سبيله داعية، وإلى مَرْضاته ساعية، يوم كانت تستقبل من السماء النور، وتعانق من الفضاء الخير المنشور، فلما تغيّرت البضاعة بهذه الشناعة، تبدّلت العزائم، وكثرت الإحباطات والهزائم، وانتكست الفطرة، وسُفح الحياء قطرة قطرة.

يا أهل القنوات! ما هذه الترهات والغلطات والسقطات؟ تبدّل مكشوف، وكلمات تبرأ منها الحروف، كأن الكون ينقصه مجنون، وكأن الدنيا يديرها مجنون، وكأن العالم مفتون. سَقَطَ وَلَغَطُ وشَطَطُ. الهوى رائج، والزيف مائج، والعقل هائج، ولكل دعاية مُذيع وبرنامج، كأن البشرية تعيش ليلة رقص، فهي في إدبار ونكص، هيام وغرام وأفلام وأحلام وأزلام، تهيج للعواطف، وبث لكل لغو زائف، ألا عقل يردع، ألا قلب يخشع، ألا عين تدمع، ألا نفس تخضع. الأخبار عن القتل والدمار، والحريق والإعصار، والعواصف والأمطار، فأين أخبار العليّ الجبّار، والقوي القهار، والعزيز الغفار؟! وأين أخبار المرسلين الأبرار والأنبياء الأخيار؟! أين ذكر الآيات والعظّات والبيّنات والمعجزات

والغزوات والفتوحات! لماذا لا يخبر الجيل بالوحي الجليل، والنهج الجميل الذي جاء به جبريل إلى صاحب الغرة والتحجيل المذكور في التوراة والإنجيل!

أين ردع النفس عن هواها، وزجرها عن مُبتغاها، وتذكيرها بأخراها، وإرشادها إلى عُقباها! كان المنتظر من التلفزيون، أن يشفي باليقين الظنون، وأن ينهى عن الفتون، وأن يحبذ الطهر وأن يشيد بالعفاف، وأن يدعو إلى التقوى، وأن ينادي بالرحمة، وأن يحث على معالي الأمور، وأن يلتزم بأدبيات الملة، وحدود الشرع، ومراسيم الديانة.

إن المشاهدين أسرى لما يعرض على هذه الشاشات. خشعت أبصارهم، وخفت أصواتهم، وسكنت جوارحهم، فهل من العدل أن يؤخذوا على غرة ليُزرع في قلوبهم نفاق، أو تُغرس في نفوسهم ريبة، أو تُبنى في ضمائرهم شبهة!

فأوقات الشاشة أربعة أقسام على التمام. قسم للسياسة وما تحمله من تعاسة، وقسم للرياضة والتبجح بها بلا غضاضة، وقسم للاقتصاد وعرض قصة المال على العباد، وقسم للفن والغناء ودغدغة العواطف والإغراء. فأين قسم الشريعة والأخلاق البديعة! وأين حصّة الدين، ورسالة ربّ العالمين! وأين وقت الوحي المقدّس والهدي المؤسس! وأين هي القصة الكبرى والقضية العظمى التي حملها محمد ﷺ للبشرية، وبلغها الإنسانية! من المحيط إلى الخليج لُغَط وتهريج، وثرثرة وضجيج.

يا من أشغلنا بذكر الجنيهاات، ألا حدثتنا بأخبار الجنّات؟، يا من أكثر علينا بحديث الدولار، ألا ذكرتنا بالنار؟، عالم الآخرة منسي، عند الحديث عن الفرنك الفرنسي، مارك الألمان، وبن اليابان أهم عندهم من رسالة الرحمن، وطاعة الديان، ومصير الإنس والجان.

هذه القنوات للتدمير والتزوير والتبرير والتحرير والتتوير والتفجير والتخدير، فهي تدمر الفضيلة والمبادئ الجليلة، والأخلاق الجميلة، وهي تزور الخبر، وتكذب في الأثر، وتلبس على البشر، وهي تبرر الغلط، وتوجه الشطط، وهي تحرر العقل من القيود، والنفس من العهود، ليعيش الإنسان بلا حدود، وهي تور الفكر لكن بالظلام، وتغسل القلب لكن بالآثام، وتدعو النفس لكن للحرام، وهي تفرّ بالجيل وتُتسيهم الجليل، وتوقعهم في كل خطر وبيل، وهي تخدّر الشعوب، وتبّج القلوب، وتحبذ الذنوب، وتشر العيوب، وتذكّر بكل شيء إلا اعلام الغيوب.

يا من يدعون للإباحية! إنكم في الإثم غارقون، يا من ينادون بالكفر! إنكم في الحياة مارقون، ويامن سلبوا الأمة تراثها: ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

اتفاق ووافق ورفاق، وإغراق وإرهاق ونفاق، وإخفاق وشقاق، وسوء أخلاق وطمس آفاق، وإنفاق وإزهاق.

فاتفاق على هدم الديانة، ونسف الأمانة، ووافق على تأجيج الشهوات، واستثارة النزوات، ورفاق على محاربة العفاف، ونبذ الحشمة في استخفاف، وإغراق في المعاصي من الأخمص إلى النواصي، وإرهاق للنفوس بما تبته من

خبر منحوس وفكر معكوس، ورأي منكوس، ونفاق في المعتقد، وخروج على ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإخفاق في التعليم الصحيح، والتثقيف الصريح والأدب المليح، بما تصبّه من رجس قبيح، وشقاق للأمة بإهمالها الأمور المهمة، وسوء أخلاق بما تعرضه من الفحش في أطباق، وما تصدره من رذيلة في الأسواق، وطمس آفاق لسجنها العقل في زنانة المخلفات، وتقييده بحبال السيئات، وإنفاق للخرينة في الأمور المهينة، والكباير اللعينة، وإزهاق لأرواح الأطفال بما تطرحه من تبذّل في الأقوال، وتنسّح في الأحوال، وفحش في الأعمال.

وليس لهذه القنوات حلٌّ إلا في الوفاء والصفاء والافتقار والاحتفاء، فالوفاء للخالق جلّ في علاه، بطاعته وتقواه، وأتباع هُداة، والصفاء في المادة الإعلامية، بأن تكون تربية علمية، والافتقار باتباع الحق، وتوحي الصدق وحسن النطق، والحكمة والرفق، والاحتفاء بتعاليم السماء، واحترام العلماء، وتوقير الحكماء.

يا من نشر على الشاشة قماشه، وبسط فراشه، أنت لست في مسرح هوليود تتفسخ، وبالخطايا تتلطح، ولست في ليالي باريس، حتى تُبالغ في التدليس، وتُمعن في التلبيس، أما تعلم أنك تخاطب أحفاد الأبرار، وسُلالة المهاجرين والأنصار، وذرية الأخيار، احترم القبلة يا أبله، ولا تضع المصحف على طيلة، فإنه عادة نذلة، وقّر الرسول يا مهبول، ولا تسخر من المنقول، وتكذب المعقول. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾.

يقول الدكتور القرني ظافر، مخاطباً كل مسلم وكافر، من البحر الوافر:

ومن أبناء قومي من تردى

تردى في الحياة وفي الممات

يقوم الليل لكن في ضياع

يقلب من قناة في قناة

ويستجدي اليباب بكل وادٍ

ويستهدي الغوى والمغريات

ويكفر في الهدى ببلاغ صدق

ويؤمن في الهوى بالشائعات

ويقرأ في دفاتر كل لاهٍ

وما قرأ الضحى والعاديات

ومن كانت تجارته المعاصي

أضاع الباقيات الصالحات



مقامة القلم

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

أَنْصَتِ لِمِمْيَّةٍ جَاءَتْكَ مِنْ أَمْرٍ

مِدَادُهَا مِنْ مَعَانِي نُونٍ وَالْقَلَمِ

وَكَتَبَ بِهِ أَحْرَفَ الْعَلِيَاءِ إِنَّ لَهُ

نُورًا مِنَ الْحَقِّ يَمْحُو حَالَكَ الظُّلْمِ

يا أيها الذي جمع الحكم، أما سمعت «نون والقلم»، إن القلم شأنه عجيب، ونبأه غريب، نحيف الجسم، عظيم الاسم، جميل الرسم، إن خطأ في القرطاس، أنصت له الناس، بالقلم تجهز الجنود، وترفع البنود، وتوثق العقود، وتحلّ العهود، بحروفه تقضي المحاكم، وتردّ المظالم، وتقطع الجماجم، وتعقد المواسم، إن غضب فجرّ الدماء، وأباد الأحياء، وأشعل حرباً شعواء، وإن رضي منح المواهب، وأعطى الرغائب، وأهدى المناصب، من حروفه يُجنى العسل، وتسلّ الأسل، إن شاء فمداده سمّ الحيّات، وأمّ النكبات، وسبب البلايا الموجعات، وإن أراد جعل سطره نوراً، وصيرها سروراً، وملاها حبوراً، ونمّقها حسناً منشوراً، هو رسول القرون الأول، وخدام الدول، وحافظ الملل والنحل، إذا سأل لعابه، كثر صوابه، وحضر جوابه، وتزاحم عبابه، لا تسمع له كلاماً، ولكنه صار للحكمة إماماً، وللمعارف قائداً هماماً، لفضله أغلى من الياقوت، به خطّ الوحي في الملكوت، وهو الذي أخبرنا بطالوت وجالوت، وهو أسحر من

هاروت وماروت، مصيبة القلم أنه يذيع الأسرار، ولا يكتم الأخبار، ولا يقرّ له قرار، إذا تشجع ملاً الصفحات، وعبأً المجلدات، وبسط المختصرات، وإذا جبن الغر وأوجز، وطلسم وأعجز، وإن تحامل همز، وغمز ونبز. كُتب به اللوح المحفوظ، وسُطر به العلم المحفوظ، وقسم به رزق المنحوس والمحفوظ، تخاطب به الملوك أهل الآفاق، وتقطع به الجابرة الأعناق، ويخوف به الفساق، ويحذر به أهل النفاق والشقاق، وسوء الأخلاق، بالقلم يُقضى الأمر، ويقع القتل والأسر، وينصت له الدهر، وتسطر وقائع العصر.

أمضى من الألسنة، لفظه ما أحسنه، يخبر عمّن مات من ألف سنة، به تسطر كل سيئةٍ وحسنةٍ.

تصبح الأوراق به في حُسن الرِّياض، ويسودّ به البياض، ويدبّ به عن الأعراض، وبه تشفى الصدور، من العلل والأمراض.
فتاك سفاك بتاك هتاك. كتوم غشوم ظلوم عزوم.

هو الذي كتب رسائل الصفاء، وهو دبج أسطر الوفاء، وهو سجل أخبار الخلفاء، دون السؤال والجواب، والشكوى والعتاب، والخطأ والصواب، وما كنت تتلو من قبله من كتاب، بريشته تحلّ العضلات، وتشرح المشكلات، وتُصان المأثورات، وتبقى المحفوظات. يخطب بلا صوت، ويأكل بلا قوت ويجمع بين الحياة والموت، به يرسم الهجر والوصل، والولاية والعزل، والجدّ والهزل.

به يقع العدل والحيث، والحق والزيّف، وهو القاضي على السيف، به تُسخّ المعرفة، وتُنقل الفلسفة، وتُخطّ الزخرفة. يسفسط ويقرمط، وينسج ويدبج، يهدم بكلمة بناء عام، ويلفي بجملته كيد أقوام، له غممة، وهممة، وتمتة.

كم من عقل قلقله، ومن قصر زلزله، ومن بال بلبله، ومن كيد أبطله.
برسائله عُرِفَت الأرض والسماء، وعلى رَسْمه خُلِدَتْ آثار الحكماء، وبِتَصَرُّفه
سُفِكَت الدماء، وعلى حركته نسجت مآثر العلماء.

أفصح من اللسان، وأحفظ من الإنسان، إذا حملته الأصابع، فانتظر
القوارع، وارتقب الفواجع. له أزيز كأزير المرجل، ودبيب كدبيب الأرجل،
وحصاد كحصاد المنجل. عارٍ من اللباس، دقيق الرأس، قوي البأس، عظيم
الأثر في الناس.

يشرب ولا يأكل، ويُجيب ولا يسأل. إن عبَّأته مداداً، أحال بياضك سواداً.
إذا غلط غطش، وإذا احتدَّ بطش. عقله مرهون، وخصمه مغبون، وعذابه غير
مأمون.

إن خطَّ بالأحمر قلت: هذا شفق، أو دم على ورق، وإن نسخ بالسواد، صار
المداد كلون عيون العباد. وإن كتب بالأخضر قلت: هذه طلعة بستان، أو بهجة
أفنان.

إذا سَهَا رجع القهقري، وإذا شك مشى إلى الورا، له رأس بلا عينين،
ولسان بلا شفيتين، وصدر بلا يدين، لا يتكلم حتى يشبع، ولا يخطب حتى
يرضع، ولا يسكت حتى يوضع، ولا يكتب حتى يقرع. إن سلَّطته على مختصر
شرحه، أو على غامض أوضحه، أو على سرِّ فضحه، أو على عاصٍ نصحه.

إن كنت عَرَبِيًّا فهو أفصح من سحبان، وإن كنت أعجمياً صار أنطق من
الهرمزان، يسمعك وليس له أذنان. إن نمت نام، وإن قمت قام، وإن جوعته
صام، وإن أهملته هام.

مُتَحَدَلِقٌ يَقِظٌ فَإِنْ أَرْسَلْتَهُ

أَجْرِي لُعَابَ رَحِيْقِهِ مِنْ صَدْرِهِ

بَتَّارِ أَعْنَاقِ الْأَنْامِ يَلْفِظُهُ

سَلَابُ أَفْيِدَةِ الْمُلُوكِ بِسِحْرِهِ

والقلم بيانك، وهو طَوْعُ بنانك، وهو حاضر الفكر، كثير الشكر، صاحب ذكر، إن حملة اللوذعي، وكتب به العبقري، سالت أودية بقدرها، وانبجست عين من حجرها، وإن صحبه البليد، وخطَّ به الرعديد، كثر عثاره، وتبلَّد حماره، وحجب عيونه غباره، يوافق المزاج، في الاستقامة والاعوجاج، والثبات والارتجاج. مسدّد إلا إذا غضب، ومليح إلا إذا عتب، وفصيح إلا إذا حجب، إذا انتهى زاده، ونفذ مِدادَه، وقف جواده، هَوَّنوا عليه اللُّومَ وأقَلَّوا، فإنه لا يملّ حتى تملّوا، إن لقنته حكمة وعأها، وإن أرسلته إلى ذاكرة ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وهو الذي سَطَّرَ الحكمة تسطيراً، فلم يفادر منها قليلاً ولا كثيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، وإن قصد أحداً بالأذى فلن تجد له ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، يرقص على نبضات قلبك، فإن أوقفت الإملاء نادى ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فذكرك غذاؤه، وكفك غذاؤه، ومِدادك ماؤه، وجيبك وعأؤه، يعرف طريق النجاة، وهو عظيم الجاه، يعذر لو جاء ببضاعة مزجاة، إن غلطت غلط، وإن جهلت ركب الشطط، لا يغفل الشكل والنقط.

صمت الخطباء وما صمت، وسكت الشعراء وما سكت، ومات الملوك ولم يمت، حدّر به المصطفى الأكاسرة، وأنذر به القياصرة، وخوف به الجبابرة، صدر به قتل الحسين، وخطَّ به خلع الأمين، وسَطَّرَ به الوحي في طور سينين،

ورَوَى لنا الجَمَلَ وصفين، يُشعل الحرب ولا يحضرها، ويستودع الأسرار
فينشرها، يتململ في كَفِّكَ تمللم السليم، ويتقلَّب تقلَّب السقيم، ويبكي بكاء
اليتيم، خطَّ به أفلاطون كتاب الجمهورية، وأقام به المعتصم وقعة عموريَّة،
ونمَّق به ابن تيمية الواسطيَّة، والحمويَّة، والتدمريَّة، نقل لنا سيرة ابن إسحاق،
وحديث عبدالرزاق، وعجائب الآفاق، وأخبار العشَّاق، نقض الصعلوك، ودفع
الشكوك، ونادم المملوك، يفهم بالإشارة، ويرسم العبارة، إن كتب به الأحمق
تدقَّق ولم يتفرَّق، وضلَّ ولم يُوفِّق، وإن كتب به الرجل الرشيد جاءك بالقول
السَّديد، والعلم المجيد، والنقل الحميد.

يطير العلم من الرأس، فيقيِّده القلم في القرطاس، وإذا حملة الأميَّ قال:
لا مساس، مُؤدَّب لا ينتقد، ومقلِّد لا يجتهد، يسهر بلا قيام، ويجوع بلا صيام،
له كل يوم شجون، وعنده من الحكمة فنون، يخون الحفظ وهو لا يخون، صغير
الجرم، كبير الجُرم.

واسمع أبا تمام يصف الأقلام في أبداع كلام:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ

تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمُضَاصِلِ

نُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ

وَأَرَى الْجَنَّا اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ

نَهْ رَيْقَةٌ طَلُّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا

بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَبْلِ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
 وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
 عَلَيْهِ شِعَابَ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
 اطَّاعَتْهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
 إِذَا اسْتَفْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
 أَعَالِيَهُ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثُّلَاثُ الْأَتَامِلُ
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
 ضَنْئِي وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ



مقامة المختار

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

أعزُّ مكانٍ في الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ

وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

أَنَيْسٍ إِذَا جَالَسْتَهُ طَابَ قَوْلُهُ

وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ عِتَابُ

عليك بالكتاب، فإنه خير الأصحاب، وهو روح المؤانسة، وقوت المجالسة، أقسم الله بالكتاب المسطور، في رُقٍّ منشور، لأن الكتاب كنز الإفادة، وعنوان السعادة، وهو أمين لا يخون، وعزيز لا يهون، إن حملته في النادي شرفك، وإن جهلت أحداً عرفك، يقوى جنانك، ويبسط لسانك. بالكتاب يجلس الصعلوك، على كراسي الملوك، يُقوِّمُ الزَّلَّ، ويسدُّ الخلل، ويطرد الملل، ويُشافي العليل، يحفظ الأخبار، ويروي الأشعار، ويكتم الأسرار، ويبهج الأبرار، وهو أشرفُ لك من المال، وأطوعُ لك من الرجال، وأنسُ عندك من العيال، وبه تبلغ الكمال.

مَلَلْتُ كُلَّ جَلِيسٍ كُنْتُ أَلْفُهُ

إِلَّا الْكِتَابَ فَلَا يَعْدِلُهُ إِنْسَانُ

عَاشَرْتُهُ فَأَرَانِي كُلَّ مَكْرُمَةٍ

لَهُ عَلَيَّ - رَعَاهُ اللَّهُ - إِحْسَانُ

والكتاب إذا خان الصديقُ وفَى، وإذا تكدَّرَ الزمانُ صَفَا، يُنسيك جحود
الجاحد، وحسد الحاسد، وضغينة الحاقد، خليلٌ ما أمله، وصاحب ما
أصلحه، وصامتٌ ما أفصحه، يقرأ في كل زمان، ويطالع في كل مكان، على
اختلاف الأعصار، وتباعد الأمصار، بشير ونذير، ونديم وسمير، إذا وعظ
أبكاك، وإن حدث أشجاك، وإذا فرح أضحكك، وإذا بشر أفرحك، سليم من
العيب، يُحمل في الجيب، لا يشرب ولا يأكل، ولا يفضب ولا يجهل، إن هجرته
حَفِظَ وَدَّكَ، وإن طلبته صار عندك.

يُغنيك عن الأرحام، والأحباب والأصحاب، فخيرٌ جليس في الأنام كتاب.

يقودك إلى الكرامة، ويُبعدك من الندامة، ويطرد عنك السامة، هو نَسَبٌ
ما أشرفه، وهو بؤابة المعرفة، وخلاصة الفلسفة، يصلك بأساطين التفسير،
من كل عالمٍ نحري، وإمام شهير، ومحقق بصير، ويُحضر لك المحدثين، أهل
الرواية الصادقين، والدراية العارفين، وجهازة النقل الواعين، ويجمع لك
الفقهاء، رواد الشريعة الغراء، وأرباب الفهم الأذكاء، ويُتحفك بقصيد
الشعراء، ونتاج الأدباء، وبيان البلغاء، وإنشاء الفُصحاء.

يا حُرُوفاً قد أضاءت في الصُّحُفِ

أخْبَرْتَنِي بِأَحَادِيثِ السَّلْفِ

قَدْرُهَا عِنْدِي لَوْ تَعَلَّمْتُهُ

كُلُّ فَضْلٍ وَجَلالٍ وَشَرَفٍ

جَزَى اللهُ الْكَتَابَ، أَفْضَلَ ثَوَابٍ، فَقَدْ أَغْنَاكَ عَنِ الْبِخْلَاءِ، وَكَفَاكَ الثَّقْلَاءِ،
وَأَجْلَسَكَ مَعَ النَّبِلَاءِ، وَعَرَّفَكَ بِالْفَضْلَاءِ، يَوْفِي لَكَ الْكَيْلَ، وَيَقْصُرُ عَلَيْكَ اللَّيْلَ،
هُوَ تَاجِكَ فِي كُلِّ نَادٍ، وَأَنْيَسِكَ فِي كُلِّ وَادٍ، وَهُوَ سَلْوَةُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِ، وَخَيْرُ مَا
أَنْتَجَهَ الْعِبَادَ.

أَمَّا تَرَاهُ خَفِيفَ الْجِسْمِ مَوْضِعُهُ

عَلَى الصُّدُورِ وَيَبِينُ الْأَنْفَ وَالْمُقَلَّ

هُوَ الَّذِي فَخَّمَ السَّادَاتِ وَاحْتَفَلَتْ

بِهِ الْمُلُوكُ وَأَهْلُ الشَّيْءِ أَنْ وَالِدُؤُل

اصْرِفْ لَهُ أَثْمَنَ الْأَوْقَاتِ، وَأَنْفِقْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْهَبَاتِ، وَلَا تُطْعِ فِيهِ أَهْلَ
الشَّهَوَاتِ. هُوَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْكَ الزَّمَانَ، وَأَجْلَسَكَ فِي صَدْرِ الْمَكَانِ، قَالَ الْقَطُّ:
يَا أَيُّهَا الْبَطُّ، اخْرُجْ مِنَ الشُّطِّ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا سَيِّدَ الْجِهَادِ، لَوْ
كُنْتُ مِنَ الْقُرَّاءِ، لَمَا أَعْظَمْتَ الْاِفْتِرَاءَ، أَمَا طَالَعْتَ فِي كِتَابِ الْهَجْرَتَيْنِ، لَا يُلْدَغُ
الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرٍ مَرَّتَيْنِ.

لَيْسَ الْمَجْدُ حَلِيًّا وَأَنْيَةً، وَلَا دُفًّا وَغَانِيَةً، وَلَا قَطُوفَ دَانِيَةً. وَلَيْسَتْ السَّعَادَةُ
كَنْزًا، وَبِنزًا، وَبِزًا، وَجَنْزًا، وَرِزًا، وَقِرًا، فَهَذَا لَيْسَ عِزًّا. وَلَيْسَ السُّؤْدُودُ، بِنُودًا،
وَجُنُودًا، وَحَشُودًا، وَوَفُودًا. لَكِنَّ الْمَجْدَ وَالسَّعَادَةَ، وَالشَّرْفَ وَالسِّيَادَةَ، عِلْمٌ
أَصِيلٌ، وَبِرْهَانٌ وَدَلِيلٌ، وَكِتَابٌ جَلِيلٌ، يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ خَلِيلٍ.

أَغْلَقْتُ بَيْتِي عَلَى نَفْسِي وَمَكْتَبَتِي

مَعِيَ الْعُلُومُ بِهَا ذِكْرُ وَآثَارُ

جالستُ في البيت أهل العلم كلُّهمُ

هُم في الحقيقة إخوانٌ وسُمَّارُ

كُن حِلْسُ بَيْتِكَ مِثْلَ السِّيفِ فِي كَرَمِ

فِي غَمْدِهِ وَهُوَ لِلأَعْنَاقِ بَتَّارُ



المقامة الطبية

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي

والذي قد أصابني من طبيبي

زاد في جرعة العلاج فصارت

مُهجتي في منازل التعذيب

وجدنا كتاباً لابن سينا، بعدما أغفلنا ذكره ونسينا، فإذا هو يقول، ورأيه مقبول: ما أهلك البرية، وقتل البهائم في البرية، إلا إدخال الطعام على الطعام، وترك المشي على الأقدام. ثم قال: عليكم بالنوم بعد الغداء، والمشى بعد العشاء، وترك الامتلاء، والغذاء خير من الدواء.

وكنّا جلوساً، فجاءنا أحدهم برسالة من جالينوس، فإذا هو يقول: يا أهل العقول، لا يفتسل أحدكم وهو شبعان، ولا يأكل إلا وهو جوعان، ولا ينم وهو من الطعام ملآن، ولا يقطع الليل وهو سهران.

وقال: من اقتصد في الطعام، وقّل من الكلام، وهجر الاهتمام والاعتناء، عاش في صحة وسلام، أما سمعتم شاعركم ابن الرومي، لبت عندنا شاعراً مثله من قومي:

فإن الداء أكثر ما تراه

يُرَكَّبُ مِنْ طَعَامِكَ وَالشَّرَابِ

قلنا: يحقّ للمتنبيّ المجيد، أن يقول عنك لَمَّا مدح ابن العميد:

من مُخْبِرِ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهُمْ

جَا لَسْتُ جَا لِيُنُوسِ وَالْإِسْكَندَرَا

قال: بلغوا كلامي لابن الحسين، وقولوا: شكراً مرتين.

قلنا: وقد ذكرك فقال في بعض الأمثال:

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي سِرِّيهِ

مَيْتَةَ جَا لِيُنُوسِ فِي طِبِّهِ

فَهَمَّهُمْ وَتَمَّتْ وَمَا تَكَلَّمَ.

ثم جاء صديقنا أبو عثمان الغازي، فقلنا: حدثنا عن أبي بكر الرازي.

قال: حسبتكم تتحدثون عن الحب، وإذا بكم تتكلمون عن الطب.

قلنا: دعنا من الشجون والعيون، وحدثنا عن الصحون والبطون، فضحك

حتى بدت نواجذه، وقال: مات الطب وجها بذه. ولكن أبا بكر طيب الذكر، كان

يُدْنِينَا وَلَا يَقْصِينَا، وَيَنْصَحُنَا وَيُوصِينَا. فيقول: الحسدُ يُذِيبُ الْأَجْسَامَ،

وَالْحَقْدُ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ طَعَامٌ، وَالْبَغْضَاءُ لَا يَهْنَأُ مَعَهَا مَنَامٌ، وَالذُّكْرُ يَشْرَحُ الصُّدُورَ،

وَيَجْلِبُ السُّرُورَ، وَيَسَهِّلُ الْأُمُورَ، وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفْسِ النُّورَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُسْكَرَ، فَإِنَّهُ

دَاءٌ أَكْبَرُ، وَحَرَامٌ مُنْكَرٌ.

قلنا: أنت حدثتنا عن طبّ الأبدان، ونعرف أنك فيه من الأعيان، فحدثنا
عن طبّ القلوب، فقد نسيناه من كثرة الذنوب.

قال: أما سمعتم ابن المبارك، وهو في الأدب شارك، حيث يقول:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمَيِّتُ الْقُلُوبَ

وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ

وَخَيْرُ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

قلنا: فماذا قال طبيب العيون، فإنه ثقة مأمون؟ قال: سمعته ينشد:

وَأَنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا

لِقَلْبِكَ يَوْمًا اتَّعَبَتْكَ الْمُنَاطِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ

عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

قلنا: فماذا قال طبيب الأذن؟ قال: دخلت عليه بلا إذن، فسمعته ينشد:

لَا تَسْمَعَنَّ الْخَنَا إِنْ كُنْتَ ذَا رَشْدٍ

فَالْأُذُنُ نَقَّالَةٌ وَالْقَلْبُ حَفَاطٌ

وَصُنْ سَمْعَيْكَ عَنِ لَغْوٍ وَعَنْ رَفَثٍ

قَدْ تَدْخُلُ النَّاسَ فِي النَّيْرَانِ الْفَاطُ

قلنا: فماذا قال طبيب القلب، فإنه يُجيد الطب؟ قال:

يا من لجِرحِ كُلِّ مَا عَالَجْتُهُ

عَمَرَ القُنُوطُ جَوَارِحِي وَحَوَاسِي

ولو انه في الرأْس كُنْتُ ضَمَدْتُهُ

لكنَّهُ في القَلْب لا في الرأْس

قلنا: فماذا قال طبيب الولادة، فإنه ظاهر الإجابة؟ قال:

وَلَدَتِكَ أُمُّكَ بَاكِياً مُسْتَصْرِخاً

وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُوراً

فاعمل لِنَفْسِكَ أن تكون إذا بَكَوْا

في يومِ مَوْتِكَ ضاحِكاً مُسْرُوراً

قلنا: فماذا قال طبيب الباطنية، فإنه طيّب النية؟ قال: سمعته ينشد:

أَكَلُ الحَرَامِ يُثِيرُ دَاءَ دائِمًا

في البَطْنِ لا يدري به الجَـرَاحُ

فكل الحَلالَ فـررزقُ ريبك واسعُ

إنَّ الذي تَرَكَ الرِّبَا مُـرْتاحُ

قلنا: فماذا قال طبيب العظام، فإنه من الرجال العظام؟ قال: سمعته

ينشد:

عِظَامِكَ أَنْقِذْهَا وَلِحْمِكَ مِنْ لَظِي

جَهَنَّمَ فَالْأَجْسَامُ تُشْوَى وَتُحْرَقُ

وَأَيَّاكَ إِيَّاكَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

تُقَطَّعُ أَوْصَالَ بِهِ وَتُمَزَّقُ

قلنا: فماذا قال طبيب الكبد، فإنه من أشهر الأطباء في البلد؟ قال:

سمعته ينشد ويقول:

وَلِي كَبِدٌ مُقَرَّحَةٌ مِنْ يَبِيعُنِي

بَهَا كَبِيداً لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ

أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا

وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَاحِيحٍ

قلنا: فماذا قال الطبيب النفسي؟ قال: سمعته ينشد، حين يُصبح وحين

يُمسي:

يَا نَفْسُ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ مَقْبُولَةٍ

ضَاعَ الزَّمَانُ وَأَنْتِ فِي الْعِصْيَانِ

أَوْ مَا تَرَيْنَ الْمَوْتَ أَشْهَرَ سَيْفَهُ

كَمْ رَاعَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ إِنْسَانِ

قلنا: فمن أعظم طبيب؟ قال: محمد الحبيب، صاحب النهج العجيب،
والرأي المصيب. قلنا: أوصنا بوصية، لينة غير عصية، فأنشد:

خُذْ مَا أَرَدْتَ مِنَ الْعِلَاجِ فَإِنَّهُ

لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ يُقَطِّعُ ذَا الْعُرَى

مَمَاتِ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالذِّي

صَنَعَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى



المقامة التجارية

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

فَصَاحَةً سَحْبَانَ وَخَطُّ ابْنِ مُقَلَّةٍ

وَحِكْمَةً لُقْمَانَ وَزُهْدًا ابْنَ أَدْهَمِ

إِذَا اجْتَمَعَتِ فِي الْمَرْءِ وَالْمَرْءِ مُفْلِسٌ

وَنُودِي عَلَيْهِ لَا يُبَاعُ بِدَرِهِمِ

قال أبو ريال دينار بن مئقال: ورد في الأثر أن أكثر التجار فجّار، لكنني رأيت منهم قوماً يتصدّقون، وفي سبيل الله ينفقون، وعلى الفقراء يُغدِقون.

قلنا: يا أبا ريال، يا خير الرجال، فما للتجار بينون ما لا يسكنون، ويدخرون ما لا يأكلون، وعلى ربّهم لا يتوكّلون؟ قال: هذا من البطر، والتّرف والأشر، ومن فعل ذلك فهو على خطر:

وَمَنْ يُنْفِقُ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ

مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

قلنا: حدّثنا عن التجار الصالحين، والأغنياء المفلحين، قال: يكفيك عثمان ابن عفان، أَرْضَى بِمَالِهِ الرَّحْمَانَ، وَأَرْغَمَ بِهِ الشَّيْطَانَ، وَاشْتَرَى بِهِ الْجَنَانَ، جَهَّزَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ الْجُنُودَ، وَشَرَى بِئْرَ رُومَةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَوَاقِفٌ وَجُهُودٌ.

ولا تسوا عبدالرحمن بن عوف، الذي جمع بين الرجاء والخوف، جاءته قافلة من الشام، تحمل الطعام، فقسمها على الأرامل والأيتام، واشترى بذلك دار السلام.

قلنا: فقص علينا قصة التاجر الفاجر، أمية بن خلف، الذي جعل الله ماله للتلف.

قال يفضيكم: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَّةٍ ۗ أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۗ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۗ﴾.

قلنا: فهل للتاجر الخاسر علامات، وهل له سمات؟

قال: إذا رأيتَه يأكل وحده، ويمنع رفته، ويمسك نقده، ويغضب ممن يجلس عنده.

قلنا: فلماذا بعض التجار، يُصاب بالضغط والسكر؟ قال: لأنه في كل لحظة يفكر، وبنعمة الله لا يشكر، وإذا ذُكر لا يذكر، فمزاجه معكّر، وخاطره مكدر.

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي، وَحَاجَتُهُ

مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْفَالُ

وأمرض التجار: فقر الدم، وكثرة الهم، ودوام الغم.

فأما فقر الدم: فمن قلة الغذاء، لأنه مشغول عن الفطور والغداء، غائب

عن العشاء.

وأما كثرة الهم: فلانشغال باله بالسندات، وتعلقه بالشيكات، وانصرافه إلى العقارات، وتفكره في الواردات والصادرات.

وأما دوام الغم: فلحرصه على الزيادة، وتذكّره أولاده وأحفاده، فتذهب عنه العبادة، ويشغل عن العباد. وأحبّ أبواب العلم إلى التاجر البخيل باب الحث على الاقتصاد. وأثقل باب عليه باب الجود والأجواد.

ثم قال: ولا تنسَ حديث: «ذهب أهل الدُّثور بالأجور»، فهؤلاء أهل العمل المبرور، والسعي المشكور، والتجارة التي لا تبور، وهم الذين بنوا المساجد، لكل راع وساجد، وأطعموا الفقراء والمساكين، وأسعفوا البؤساء والمحتاجين، وبذلوا المال والطعام، كفلوا الأيتام، فهم يجمعون الحسنات كل حين، وتذكّر حديث: «لا حسد إلا في اثنتين».

قلنا: فما أحسن المكاسب لمن أراد التجارة، أهو البيع أم الإجارة؟ أم المنصب والوزارة؟ أم الزراعة والعمارة؟

قال: أما البيع فإذا سلّم من الغش والكذب، والخداع واللعب، فهو أعظم سبب، لنيل الفضة والذهب:

لا تبع في السُّوق ديناً غالياً

واحفظن دينك من نار الكذب

وأما المنصب: فتصب ووصب وتعب.

نصب المنصب أوهى جلدي

يا عنائي من مداراة السُّقل

وأما الإمارة فنعمت المرزعة، وبئست الفاطمة، ويعترضها أمور قاصمة:

يَسْرُكَ أَنِّي نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ

من الملكِ أو ما نَالَ يحيى بن خالدِ

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي

مَفْصَلَهُمَا بِالْمُرْهَقَاتِ الْبُؤَارِدِ

وأما الزراعة، فهي لأهل المسكنة والضراعة، ويجتنبها أهل البراعة، لأنها تعب وإجهاد، وصُدود عن الجهاد.

إِذَا زَرَعَ الْقَوْمَ النَّخِيلَ بِأَرْضِهِمْ

فَزَرَعَكَ أَغْلَى مِنْ نَخِيلِ الْفَضَائِلِ

وأما العمارة، فتارة وتارة، بين الريح والخسارة، صادقة غدارة:

يَا عَامراً لَخِرَابِ الدَّارِ مُجْتَهَداً

بِاللَّهِ هَلْ لَخِرَابِ الدَّارِ عُمَرَانُ

ولكن أحسن المكاسب، مُعاملةُ الفتاح الواهب، فهو الرزاق ذو القوة المتين، والذي لا يضيع عمل العاملين، وإحسان المحسنين.

فإذا رأيت الناس كثرُوا أموالهم في البنوك، وأحرزوا عقارهم بالصكوك، وأحاطوا حدائقهم بالشبوك. فاكتر حسناتك في بنك الرحمن، وأحرز عمك من الشيطان، أحط نيّتك من البغي والعدوان. فمن صفّى من الحرام ديناره، وعمر بالتقوى داره، وأكرم جاره. فقد أحسن معاملة مولاه، شكر ربّه على ما أولاه.

واعلم أن للتجارة آداباً، وقد ذكر لها العلماء أسباباً، وسوف أذكرها باباً باباً.

فمنها الصدق في النطق، واللفظ بالناس والرفق.

ومنها البكور، والطيور في الوكور، في سعي مشكور، لطلب ما قسمه الغفور الشكور.

ومنها السلامة من الربا، فإنه وباء، ومصاحبة الأمانة، ومُجانبة الخيانة، وملازمة الصيانة، وأداء زكاة العَرَض، ومساعدة المحتاج بالصدقة والقَرَض، لملاقاة ثوابه يوم العَرَضِ.

وتحبس الأوقاف، على الفقراء الضعاف، وإكرام الأضياف، والمحافظة على أوقات الصلوات، وإخلاص النية في الصدقات، فمن فعل ذلك فهو مأجور مشكور، وهو من أهل الدثور، الذين ذهبوا بالأجور.

واعلم أن الشحيح عمله قبيح، والكريم له أجر عظيم، وما ساد إلا من جاد، وبذل معروفه للعباد. واعلم أن من جعل ماله في صُرَّة، ومنع برّه، أخذ الموت على غرّة.

وقد عاصرنا تاجراً كريماً، كان فضله في الناس عميماً، كان في كل باب خير من المتبرعين، وعن الحرام من المتورعين. فلما مات كان موته على الناس من أعظم الخطوب، وترك جرحاً في القلوب.

وعرفنا تاجراً بخيلاً، عاش طويلاً، كان من ماله في حياته محروماً، وذهب وترك ماله مذموماً، فلا انتفع بماله في دنياه، ولا قدم منه لأخراه، وقد

مَاتَ غَرِيباً، وَمِنْ مَالِهِ سَلِيْباً، حَتَّى تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ بِكَفْنٍ، وَصَارَتْ هَذِهِ آيَةٌ لِأَهْلِ الْفِطْنِ.

وقد قال المختار رحمته الله: «تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، لِأَنَّهُ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى النَّارِ.

كَمَا أَنَّ الدَّرْهَمَ قَدْ يَدُورُ بِأَلْهَمٍ، وَالذَّهَبَ قَدْ يُوَصِّلُ إِلَى لَهَبٍ، وَالْفُلُوسَ قَدْ تَذْهَبُ بِالنَّفُوسِ.

وختم أبو ريال المقال، بعد أن تحدّث عن المال، فقال:

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَابْدُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ

فَالْمَالُ عَارِيَةٌ وَالْعُمُرُ رَحَالُ

الْمَالُ كَالْمَاءِ إِنْ تَحْبَسَ سَوَاقِبِيَّةُ

يَاسَنُ وَإِنْ يَجْرِي عَذْبٌ مِنْهُ سِلْسَالُ



مَقَامَةُ الْمُتَنَبِّي

« شَاعِرُ الدُّنْيَا وَشَاغِلُ النَّاسِ »

لقيت أبا الطيب أحمد بن الحسين، فقلت له: إلى أين؟

قال: أقصد سيف الدولة في حلب، فعنده سوق عامرة بالأدب.

فقلت: يا أبا الطيب، أشعارك كالصيب، ولي إليك حاجة.

فقال: هات ما عندك بغير لجاجة.

قلت: من أنت؟

قال:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى ادْبِي

وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مِنْ بِهِ صَمَمُ

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفْنِي

وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

قلت: أما ترى السفهاء، ينالون العظماء؟

قال:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ

فَهِيَ الشُّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

قلت: أراك تعبت في طلبك للمجد؟

قال:

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسامُ

قلت: أما ترى أن المجد يتعب؟

قال:

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ

الجود يفرُّ والإقدام قتالُ

قلت: أرى السلف يتأثرون عند سماع القرآن ونحن لا نتأثر؟

قال:

لا تعدل المشاق في أشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه

قلت: أرى المنافق أحياناً يبكي؟

قال:

إذا اشتبكت دموع في خدود

تبين من بكى ممن تباكى

قلت: أرى واحداً من الناس يعادل أمة في الفضل؟

قال:

وإن تفرق الأنام وأنت منهم

فإن المسك بعض دم الغزال

قلت: أرى لك حُسَّاداً كُثْرًا؟

قال:

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مِنَ السُّوءِ يَذْكُرُنِي

فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحاً وَاهْوَاناً

قلت: بعض الناس غلب عليه سوء الظن؟

قال:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ

وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمٍ

قلت: القوميون العرب يهددون إسرائيل من خمسين سنة؟

قال:

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ

طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَسَدَهُ وَالنُّزَالَ

قلت: أعرف أغنياء ألسنتهم سخية وأيديهم بخيلة؟

قال:

جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ

مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

قلت: من يتأمل الشريعة يملكه حبها؟

قال:

وَمَا كُنْتُ مَمَّنْ يَمْلِكُ الْحُبُّ قَلْبَهُ

ولكن من ينظر عيونك يعشق

قلت: أسمع لأعداء الإسلام شبّهات يثيرونها عنه؟

قال:

ولله سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّ مَا

كَلَامُ الْوَرَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ

قلت: ما رأيك في الدنيا؟

قال:

لِحَا اللَّهِ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخِسًا لِرَاكِبِ

فَكُلُّ بَعِيدٍ الِهْمُ فِيهَا مُعَذِّبٌ

قلت: والمال؟

قال:

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى

فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيًا

قلت: بعضهم يستطيع أن يكون أفضل فلا يفعل؟

قال:

وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا

كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

قلت: عرفنا من تمنى الموت لسوء حاله؟

قال:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا

وَحَسِبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا

قلت: بعضهم يعيش في ذل وهو قادر ألا يفعل؟

قال:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَسْوَانُ عَلَيْهِ

مَا لَجُجِرِحَ بِمَيِّتِ إِيْلَامٍ

قلت: بلينا بمتقنين عندهم ألقاب بلا حقيقة؟

قال:

أَعْيَسُهَا نَظَرَاتُ مَنْكَ صَادِقَةٌ

أَنْ تَحْسِبَ الشُّحْمَ فَيَمْنُ شَحْمُهُ وَرَمٌ

قلت: أظن أنه لا بد من مُجَامَلَة بعض الناس في هذه الحياة؟

قال:

وَمَنْ نَكَّدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى

عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌ

قلت: كان للعلماء قدر عند الناس واليوم جهل قدرهم؟

قال:

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابَتِهِ

فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

قلت: أرى العظماء لا يُبالون بالمصاعب؟

قال:

إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى حَوْضَ الْمَنَآيَا

فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوَحُولُ

قلت: بعض الناس يستفيد من نكبات الآخرين؟

قال:

كَذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا

مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ

قلت: ما رأيك في الزمان؟

قال:

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَأَلِي

_____ وَهِيَ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِسْمَانَا

قلت: والموت؟

قال:

الْمَوْتُ آتٍ وَالتُّفُوسُ نَفَائِسُ

وَالْمُسْتَغْرِبُ مَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ

قلت: ومن خير جليس؟

قال:

عَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٌ سَابِحٌ
وَحَيْرٌ جَلِيسٌ فِي الأَنْامِ كِتَابٌ
قلت: الرأى أفضل أم الشجاعة؟

قال:

الرأى قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثُّمَانِي
قلت: ما أحسن وسيلة لقضاء الحاجات؟

قال:

مَنْ اقْتَضَى بِسِوَى الهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنِ : هَلِ، يَلْمُ
قلت: أراك تُجامل الناس؟

قال:

وَمَا صَارَ وَدُ النَّاسِ خِبَاباً
جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِتِسَامِ
قلت: وكيف حالك الآن؟

قال:

وَحِيدٌ مِنَ الخِلَالِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ
إِذَا عَظُمَ المَطْلُوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ

قلت: أراك تُسرف في المديح أحياناً؟

قال:

وقد أطلّ ثنائى طولَ لايسه

إن الثناء على التنبأل تنبأل

قلت: أراك أحياناً لا تصل لمقصودك؟

قال:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

قلت: متى تزور أحبابك؟

قال:

أزورهم وظلام الليل يشفع لي

وأنثني ويأص الصبح يغري بي

قلت: ما رأيك في شعرك؟

قال:

ومما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

قلت: ما رأيك في الكريم واللثيم؟

قال:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

قلت: ما رأيك في الناس؟

قال:

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَسِيحَ بِهِ

مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ

قلت: أراك تُحَسِّنُ الْقَوْلَ وَلَا تَعْطِي شَيْئاً؟

قال:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ

فَلَيْسَعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

قلت: ما تقول في المجاهدين على الثغور، والقاعدين في الطيب والبخور؟

قال:

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارِ الْمَنَايَا

كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارِ الشُّمُورُ

قلت: ما رأيك في أهل العشق؟

قال:

تَفَنَى نَفْسُهُمْ شَوْقاً وَدَمْعُهُمْ

فِي إِثْرِكُلِّ قَبْرِ يَبِيعُ وَجْهَهُ حَسَنٌ

قلت: ماذا تقول في مقام الرسول ﷺ؟

قال:

إِذَا تَغَلَّغَلْ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرْفِ

مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

قلت: لماذا عاداك حسادك؟

قال:

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلضَّيِّ

وَاهِدًا وَالْأَفْكَارُ فِي تَجَسُّو

قلت: يُسيء إليّ بعض الناس فأستفيد من إساءتهم؟

قال:

رُبَّ أَمْرَاتَاكَ لَا تَحْمِدُ الضُّعْفَا

لَ فِيهِ وَتَحْمِدُ الْأَفْعَالَا

قلت: هل تنفع العداوة، وتضر الصداقة؟

قال:

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ

وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

قلت: بماذا عاقبت حسادك؟

قال:

إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حُسَّادِي فَمَا

انكِرْ أُنِّي عُنُقُوبَةً لَهُمْ

قلت: ما أحسنُ الحلِّ الملبوسة؟

قال:

وَرَفَلْتُ فِي حُلِّ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا

عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَآيَةُ الإِعْدَامِ

قلت: ما أحسنُ ما خَلَّفَ الإنسانُ بعد موته؟

قال:

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بَرْدَ حَيَاتِهِ

لَمَّا انطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورٌ

قلت: بعضهم يُكثر من الحلف؟

قال:

وَفِي الْيَمِينِ عَلَيَّ مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِيْعَادِ مُتَّهِمٌ

قلت: من أحقَّ الناس بالمجد؟

قال:

أَحَقُّهُمْ بِالْمَجْدِ مَنْ ضَرَبَ الطُّسِي

وَبِالْأَمْرِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشُّدَائِدُ

قلت: ما الأمن والخوف؟

قال:

وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى

وما الأمنُ إلا ما رآه الفتى أمناً

قلت: والخوف والرجاء؟

قال:

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

قلت: ما بال الدهر يبقى ويبلى الإنسان؟

قال:

إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرُ مُسْتَمْتِعًا بِهِ

تَخَرَّقَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقْ

قلت: يحاول الإنسان كتم مشاعره فما يستطيع؟

قال:

بَادِ هَوَاكَ صَبَّرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرْ

وبكائك إذ لم يجرد دمعك أو جرى

قلت: بعضهم يضع من شأن علماء الإسلام؟

قال:

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ

فليس يرفعه شيء ولا يضع

قلت: ما وصف من أراد العلياء؟

قال:

كثير سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يَشْرُفُهُ الْفِكْرُ

قلت: لم تزداد الهمة عند قراءة سير الأئمة؟

قال:

فَلَا تُسْمِعَاهُ ذَا الْمَدِيحِ فَإِنَّهُ

شُجَاعٌ مَتَى يُذَكِّرُهُ الطَّعْنَ يَشْتَقِ

قلت: هل يهرب من الموت؟

قال:

نَعْدُ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي

وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونَ بِلَا قِتَالٍ

قلت: وبعضهم لا يرضى إلا بالمحل العالي؟

قال:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعِزَائِمُ

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

قلت: ما رأيك في الحمى؟

قال:

وزائرتي كأن بها حياءً

فليس تزور إلا في الظلام

قلت: والفراق؟

قال:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت

لها المنيا إلى أرواحنا سُبُلا

قلت: صف لنا نفسك؟

قال:

خُلقت أوفياً لو رجعت إلى الصبا

لفارقت شبيبي موجه القلب باكياً

قلت: أما ترى فصاحة بعض الناس؟

قال:

إذا سمع الناس الفأظه

خُلِقن له في القلوب الحاسد

قلت: ما أحسن صفات المتقي لربه؟

قال:

عليك منك إذا أخليت مُرتقب

لم تات في السرّما لم تات إعلاناً

قلت: بعضهم يخشع ظاهره فحسب؟

قال:

وَاطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعِ

إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمَطْرُقِ

قلت: ما أجمل الكلام؟

قال:

فَهُوَ الْمُشَيِّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى

وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

قلت: هل للموت من طيب؟

قال:

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحْبَبَةَ قَبْلَنَا

وَأَعْيَا دَوَاءَ الْمَوْتِ كُلِّ طَبِّيبِ

قلت: الناس اختلفوا في معاني أبياتك؟

قال:

أَنَامُ مَلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ

قلت: أدميت قدما رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف فما تعليقكم؟

قال:

إِنْ كَانَ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا

فَمَا لَجُرِحِ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

قلت: أما ترى سب المنافقين لأهل الدين؟

قال:

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرْفِي

أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

قلت: ما سرُّ إسراع المؤمن إلى الجهاد؟

قال:

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ

مِنَ الْلِقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِبَلَا أَمَلٍ

قلت: عندنا شريعة فهل نضيف إليها تجارب الآخرين؟

قال:

خُذْ مَا رَأَيْتَ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ

قلت: ماذا تقول لو طُلب منك وصف الرسول ﷺ؟

قال:

الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنُّصْرُ مِنْ

قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ

أَيْنَ الثُّلَاثَةَ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ

مِنْ حُسْنِهِ وَإِيَّائِهِ وَمَضَائِهِ

مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ

وَلَقَدْ أَتَى وَعَجَزْنَا عَنْ نَظَرَائِهِ

قلت: هل لحسد الحاسد من دواء؟

قال:

سِوَى وَجَعِ الحُسَّادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ

إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُـوِلُ

وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ

وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ

قلنا: مَنْ يُكْتَبُ النِّصْرُ؟

قال:

مَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً

وَاللَّبِيضِ فِي هَامِ الكُمَّةِ صَالِي

قلت: ماذا قلت في شفاء سيف الدولة من مرضه؟

قال:

المَجْدُ عُوْفِي إِذَا عُوْفِيَتِ وَالكَرَمُ

وَرَأَى عَنكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ

بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ

وَرَجَعَ الشَّمْسُ نُورُكَ كَانَ فَارَقَهَا

كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ

وَمَا أُخْصِكَ فِي بُرءِ بَتَّهْنِيَّةٍ

إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

قلت: بعض الناس يتقدم إلى المعالي بشجاعة؟

قال:

هُوَ الْجِدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا

وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمَ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا

قلت: كيف يُعاقب الحر إذا أخطأ؟

قال:

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ

وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا

قلت: هل تصلح الشدة مكان اللين أو اللين مكان الشدة؟

قال:

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَى

مُضِرُّ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

قلت: ماذا تقول لحبيبتك لو مرضت؟

قال:

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ

وَإِذَا امْتَلَأَ فَالزَّمَانُ عَلِيلٌ

قلت: أما تخشى أن يُشوّه الإسلامُ من قِبَلِ بَنِيهِ؟

قال:

وَكَيْفَ تُعَلِّكِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ

وَإِنَّتِ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبٌ

قلت: ألا ترى كيف تقلب بنا الزمان؟

قال:

وَصَبِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَّارِكَ مُحْسِنٌ

وَإِنَّ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصُولُ

قلت: ما تقول في قلّة الإنصاف من أهل زماننا؟

قال:

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً

بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ

قلت: هل نشكو ما بنا إلى الأصحاب؟

قال:

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ

شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغَرِيانِ وَالرَّخْمِ

قلت: كيف تعامل الناس؟

قال:

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ

وَلَا يَغُرِّكَ مِنْهُمْ تَغَرُّ مُبْتَسِمٍ

غَاضٍ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ

وَأَعُوذُ الصَّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ

قلت: هل يشعر الناقصون نقصهم؟

قال:

كَدَعَاكَ كُلُّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ

قلنا: معنا علماء بين أظهرنا ونرى الناس لا يستفيدون منهم؟

قال:

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَيْلَ رَائِدًا

كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَيْلِ

قلت: ما خلاصة تجربتك مع الناس؟

قال:

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وَبالنَّاسِ رَوَى رَمَهُ غَيْرَ ظَالِمٍ

فليسَ بمرحُومٍ إذا ظفروا به

ولا في الردى الجارى عليهم يَأْتِمُ

قلت: هل تحب الهدية ممن تحب؟

قال:

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رَشْوَةٌ

ضَعِيفٌ هُوَى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابًا

قلت: هل من كلمة أخيرة؟

قال:

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ

وَجِدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

قلت: وكلمة الوداع؟

قال:

رَحَلْتُ فُكْمَ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ

عَلَيَّ وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمٍ

قلت: أما على فراقنا فلا تبتك!!

قال:

قَد كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي

فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا



المقامة الشفائية

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

«طهورٌ إن شاء الله»

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَزُرْتُهُ

فَمَرَضْتُ مِنْ خَوْفِي عَلَيْهِ

وَأَتَى الْحَبِيبُ يَبُزُّونِي

فَشُفِيتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

أيها المريض، على السرير العريض، طهور ما أصابك، وكفارة ما نابك،
والله قد أجابك. مع كل أنة، نسيم من الجنة، ومع كل ونة، بشرى من السنة.
بشر المريض بعافية، أو رحمة واقية، أو كفارة كافية، أو نفحة من
الله شافية:

تَمَوْتُ النُّفُوسُ بِأَوْصَابِهَا

وَلَمْ يَدْرِ عُوَادُهَا مَا بِهَا

وَمَا أَنْصَفَتْ مُهْجَةً تَشْتَكِي

أَذَاهَا إِلَى غَيْرِ أَحِبَّابِهَا

أيها المرضى لا تكونوا يائسين، أو أسفين، ورددوا: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ﴾.

بقي أيوب، في البلايا والخطوب، ماله مسلوب، وجسمه منكوب، فنادى
 عَلَامَ الْغِيُوبِ ﴿أَنْيَ مَسْنَى الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فعاد من السالمين
 الغانمين.

بَشَّرَ مِنْ أَصَابِهِ الْوَصَبَ وَالنَّصَبَ، بقصور في الجنةِ مِنْ قَصَبٍ، إذا صَبَرَ
 واحتسب.

لا تقل: آه، ولكن قل: يا الله.

كَيْفَ أَشْكُو إِلَى طَبِيبِي مَا بِي

وَالَّذِي قَدْ أَصَابَنِي مِنْ طَبِيبِي

إذا أصابك جرح، فلا تقل آه، لأن الصبر يقول: هذا ما يصح، ولا يستحق
 مَنْ شكا المدح، سبحان من أحببك فابتلاك، ليسمع نجواك، وليصعد إليه
 بكاك، وترتفع إليه شكواك.

نَحْنُ مَا زَلْنَا عَلَى الْعَهْدِ وَلَوْ

قُطِعَتْ مِنَّا عَلَى الْعَهْدِ رُؤُوسٌ

كُلَّمَا دُقْنَا مِنَ الْهَجْرِ لَنُظَى

أَشْرَقَتْ فِي حُبِّ مَوْلَانَا النُّفُوسُ

هنيئاً لك أنت على سرير التطهير، وعلى كرسي التكفير، ترعاك عناية
 اللطيف الخبير.

الرحمة عليك تهبط، والخطايا عنك تسقط، أدخلك الكير، لتخرج ذهباً،
 إذا سَلَبَ مَا أُعْطِيَ، فطالما وهب وأعطى، واعلم أنه يدخِرُ لك أجراً عجبياً،
 وثواباً طيباً.

ما دمت منكسر القلب، ملقى على جنب، فأنت قريب من الرب، لا يغرّبك المنافق فهو عير على شعير، وبعير على شفا بير، تأتي ضربته قاصدة، ونفسه جامدة، وروحه جاحدة، فهو كشجرة الأرز، منتصبه متصلبة، وإذا هي متقلبة. أما أنت يا مؤمن فأنت كالخامة مع ريح الشمال، مرة من يمين ومرة من شمال، لأنك شجرة جمال وجلال.

والله لو أحرقتوني في الهوى حمماً

ما اخترت غيركم في الكون إنساناً

منكم دوائي ودائي صرت عبدكم

أرى بلاءكم في الجسم إحساناً

يا أيها المسلم المبتلى، حظك اعتلى، وثمرتك غلا، وغبار المعصية عنك انجلى. والله إنك أحبّ إلى ربك من المنافق السمين، والفاجر البطين، والعاصي الثخين، كما أخبر الصادق الأمين. المنافق كالخروف، يسمن للضيوف، ثم يذبح بسكين الحتوف. والمؤمن جواد يضمّر، ليقطع السير المقدّر، ويصل إلى المحل الموقّر.

إلا بلغ الله الجسمي من يريده

ويبلغ أطراف الجسمي من يريدها

وجازاك ربي أيها الداء نعمة

فقد حرك الأشواق منك بريدتها

دع الشحم يذوب، وتذهب الذنوب، وتخضع النفس وتتوب، ويعود القلب عودة حميدة، وترجع الروح رجعة مجيدة. يا أهل الأسرة البيضاء، هنيئاً لكم هذا البلاء، وأبشروا بالشفاء. أو بمغفرة تغسل الأخطاء، ورحمة أعظم من الدواء.

المرض يُذهبُ الكِبَرَ والبَطَرَ، والعُجْبَ والأشْرَ، لأن الرزايا إلى الجنة مطايا، والبلايا من الرحمن عطايا، وإلى رضوانه مطايا، ابتلاك بالأسقام، ليغسل عنك الآثام. فافرح لأنه رشحك للعبودية، لأن البلاء طريقة محمدية، يُبتلى الناس الأمتل فالأمتل، والأفضل فالأفضل، والأكمل فالأكمل، إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، وطهرهم وجلاهم.

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا

فَمَا لِيُجْرِحَ إِذَا ارْضَاكُمْ أَلَمُ

كان رسولنا ﷺ يُوعَكُ كما يوعك رجلان لأنه حبيب الرحمن، كامل الإيمان، تام الإحسان.

مرض عمران بن الحصين، الصحابي الأمين، ثلاثين عاماً، حمل فيها أسقاماً، وذاق آلاماً، فقال له أصحابه، وطلب منه أحبابه، أن يدعو ربّه ليكشف كربه، قال: كلا أحبّه أليّ أحبّه إلى ربي، ولعلّه يغفر ذنبي.

وكانوا يفرحون بالبليّة، وبعُدونها عطية، ونفوسهم بمواقع القدر رضية، ويرون المحنة منحة، والترحة فرحة، لأنهم تعرّفوا على الخالق، فعرفهم الحقائق.

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ

فَرِيئًا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

اصبر على مرارة دواء المصيبة، لترى أحوالاً عجيبة، فعافيتك قريبة، والرّضا بمرّ القضا، ولو على جمر الغضا، وحرّ اللّظى.

اسجُدْ عَلَى الْجَمْرِ فِي مَرَضَةِ مَوْلَاكَ

إِيَّاكَ أَنْ تَشْتَكِيَ فِي الْحُبِّ إِيَّاكَ

بوابة البلاء، لا يدخلها إلا الأولياء، ويردّ عنها الأعداء، واسأل عن ذلك تاريخ الأنبياء. البلاء أعظم لأجرك، إذا قوى أيوب صبرك، تريد الجنة بلا ثمن، وأنت ما مرضت من زمن، وفي غفلة العافية مرّتهن. المرض صيحة تفتح الأسماع والأبصار، وتذكّر الأبرار، وتتفض عن الصالحين الغبار ليكونوا من الأطهار الأخير.

إذا ابتلى الله العبد بالسقم، وسلّط عليه الألم، ثم شافاه منّ عليه بلحم ودم، وما شاء من نعم، وإن توفّاه غفر له ما تقدّم، من الذنب واللمم. إذا مرضت ذهب الظمّ بالغفران، وابتلت العروق بالرّضوان، وثبت الأجر عند الديان، وهذب القلب من الكبر والطغيان

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ﴿١﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى﴾ ﴿٢﴾، وإلى زينة الدنيا يصغى، فعلم الله أن تهذيبه في تعذيبه، وتقريبه في تأديبه. كلما ضرب العبد سوطاً، عاد إلى الله شوطاً.

يَا نَائِمًا فَوْقَ السَّرِيرِ مُمَرَّضًا

مَرَّتْ عَلَى أَلَامِهِ أَعْوَامُ

أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ زَادَكَ رَفْعَةً

فِي كُلِّ مَكْرُوهِ أَتَىٰ إِكْرَامُ

هذا المرض حماك من فعلة شنعاء، ووقاك من داهية دهياء، وكفّر عنك آثار الفحشاء، ورفرفت به روحك من الأرض إلى السماء.

بالمريض يجول القلب في سماء التوحيد، تطير الروح في فضاء التجريد، ويُغسل البدن بماء الإنابة، ويفتح الله للمريض بابه، ويسارع إليه بالإجابة.

عند المريض رسالة من ربه، كتبت حروفها في قلبه، فحوّاه: أحببناك فأدبناك، وبالمريض قرّيناك، وبالبلقاء هدبناك.

وَيَقْبِحُ مِنْ سِوَاكَ الْفَعْلُ عِنْدِي

وَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وَقُلْتُمْ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ يُصْرَفَ الْهَوَىٰ

بَغَيْرِكُمْ مَهْمَا حَمَلْتُمْ لَنَا عَتَبًا

فَهَا نَحْنُ عَاتِبْنَاكُمْ فَإِذَا الْهَوَىٰ

يَخُونُ وَصِرْتُمْ بَعْدَ هَذَا الْهَوَىٰ غَضِبِي

أيها المريض: أسأل الله العظيم، ربّ العرش العظيم، أن يشفيك.



المقامة الرَّمْضَانِيَّة

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

« ذَهَبَ الظَّمَا وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ »

مَرْحَبًا أَهْلًا وَسَهْلًا بِالصِّيَامِ

يَا حَبِيبًا زَارِنًا فِي كُلِّ عَامٍ

فَاغْفِرْ لِرَبِّي ذُنُوبَنَا

ثُمَّ زِدْنَا مِنْ عَطَايَاكَ الْجِسَامِ

مرحباً برمضان، شهر التوبة والرضوان، شهر الصلاح والإيمان، شهر الصدقة والإحسان، ومغفرة الرحمن، وتزيين الجنان، وتصفيد الشيطان.

هذا شهر العتق والصدق والرفق، رِقَابٌ تُعْتَقُ، ونفوس ترفق، وأيادٍ تتصدق، باب الجود في رمضان مفتوح، والرحمة تغدو وتروح، والفوز ممنوح، فيه ترتاح الروح، لأنه شهر الفتوح، هنيئاً لمن صامه، وترك فيه شرابه وطعامه، وبُشْرَى لِمَنْ قَامَهُ، وَأَتَّبَعِ إِمَامَهُ.

القلب يصوم في رمضان، عن اعتقاد العصيان، وإضمار العدوان، وإسرار الطفيان. والعين تصوم عن النظر الحرام، فتغضُّ خوفاً من الملك العلام، فلا يقع بصرها على الآثام. والأذن تصوم عن الخنا، واستماع الغنا، فتتصت للذكر الحكيم، والكلام الكريم، واللسان يصوم عن الفحشاء، والكلمة الشنعاء، والجُمْلُ الفظيعة، والمفردات الخليعة، امتثالاً للشريعة. واليد تصوم عن أذية

العباد، ومُزاولة الفساد، والظلم والعناد، والإفساد في البلاد. والرَّجُلُ تصوم
عن المشى إلى المحرَّم، فلا تسير إلى إثم ولا تتقدَّم.

وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ زَائِرًا

إِلَّا وَجَدْتُ الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي

وَلَا انْتَنَتْ رِجْلِي مِنْ اعْتَابِكُمْ

إِلَّا تَعَلَّيْتُ بِأَذْيَالِي

أما آن للعصاة أن ينغمسوا في نهر الصيام، ليظَّهروا تلك الأجسام، من
الآثام. ويفسلوا ما علق بالقلوب من الحرام. أما آن للمفطرين أن يدخلوا من
باب الصائمين، على ربِّ العالمين، ليجدوا الرضوان في مقام أمين.

إن رمضان فرصة العمر السانحة، وموسم البضاعة الراجعة، والكفَّة
الراجعة، يوم تعظَّمُ الحسنات، وتُكفَّرُ السيئات، وتُمحى الخطيئات. أما آن
لثياب العصيان أن تُخلَع في رمضان، ليُلْبِسَ الله العبد ثياب الرضوان. وليجود
عليه بتوبة تمحو ما كان من الذنب والبُهتان.

إِنْ مَضَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَتَبٌ

حِينَ شَطَّتْ عَنَّا وَعَنَّكَ الدِّيَارُ

فَالْقُلُوبُ الَّتِي تَرَكْتَ شَطَايَا

وَالدَّمُوعُ الَّتِي عَاهَدْتَ غِزَارُ

في رمضان نزل الذكر الحكيم، على رسولنا الكريم، وهو سر مجدنا العظيم.
في رمضان كانت فتوحاتنا، وإشراقاتنا، وغزواتنا، وانتصاراتنا.

في رمضان التقى الجمعان، جمع الرحمن وجمع الشيطان، في بدر الكبرى يوم رجع ميزان الإيمان، ونسف الطغيان، وانهزم الخسران. في رمضان فُتِحَتْ مكة بالإسلام، وتهاوَّت الأصنام، وارتفعت الأعلام، وعُلِمَ الحلال والحرام. في رمضان كانت حِطَّين العظيمة، يوم انتصرت رايات صلاح الدين الكريمة، وارتفعت الملة القويمة، وذلت راية الصليب اللثيمة.

صيام النفس في رمضان عُزوف عن الانحراف، والانصراف والإسراف والاعتراف، فالنفس تعلن الرجوع، والقلب يحمل الخشوع، والبدن يعلو الخضوع، والعين تجود بالدموع. لشهر رمضان وقار فلا سباب، ولا اغتياب، ولا نائمة، ولا شتيمة، ولا بذاء، ولا فحشاء، وإنما أذكار واستغفار، واستسلام للقهار، فالمسلمون في رمضان كما قيل:

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيَسَارُ بَنُو يُسْرٍ

أهل العبادة حَفَاطُونَ لِلجَارِ

لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا

وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْثَارِ

مَرَدَّة الشياطين في رمضان تُصَفَّد بالقيود، فلا تقتم الحدود، ولا تُخالط النفوس في ذلك الزمن المعداد.

إذا سَابَّكَ أحد في رمضان فقل إني صائم، ولست لك بمخاصم، وما عندي زمن لسيء الكلام، لأن النفس خطمت عن الخطيئة بخطام، وزمَّت عن المعصية بزمام. إذا قاتلك أحد في رمضان فقل: إني صائم فلن أحمل السلاح، لأنني في موسم الصَّلاح، وفي ميدان الفلاح، وفي محراب حيِّ على الفلاح.

اغسل بنهر الدمع آثار الهوى

تَنَسَى الَّذِي قَد مَرَّ مِنْ أَحْزَانِ

كان السلف إذا دخل رمضان، أكثروا قراءة القرآن، ولزموا الذكر كل أن، ورقعوا ثوب التوبة بالغفران، لأنه طالما تمزق بيد العصيان.

هذا الشهر هو غيث القلوب، بعد جذب الذنوب، وسلوة الأرواح بعد فزع الخطوب. رمضان يذكرك بالجائعين، ويخبرك بأن هناك بائسين، وأن في الأرض مساكين، لتكون عوناً لإخوانك المسلمين.

فرحة لك عند الإفطار، لأن الهم ذهب وطار، وأصبحت على مائدة الغفار، بعد أن أحسنت في النهار. وفرحة لك عند لقاء ربك إذا غفر ذنبك، وأرضى قلبك.

بعض السلف في رمضان لزم المسجد، يتلو ويتعبّد، ويسبح ويتهجّد.

وبعضهم تصدّق في رمضان بمثل ديته ثلاث مرات، لأنه يعلم أن الحسنات يذهبن السيئات. وبعضهم حبس لسانه عن كل منكر، وأعملها في الذكر، وأشغلها بالشكر.

هذا شهر الآيات البيّنات، وزمن العظّات، ووقت الصدقات، وليس لقراءة المجالّات، والمُساجلّات، وقتل الأوقات، والتعرّض للحُرّمات.

سلامٌ على الصائمين إذا جلسوا في الأسحار، يرددون الاستغفار، ويسفحون الدمع المِدرار. وسلامٌ عليهم إذا طلع الفجر، وطمعوا في الأجر، تراهم في صلاتهم خاشعين، ولمولاهم خاضعين. وسلامٌ عليهم ساعة الإفطار،

بعد ذلك التسيار، وقد جلسوا على مائدة الملك الفقار، يطلبون الأجر على عمل النهار.

سبحان مَنْ جاعت في طاعته البطون، وبكت من خشيته العيون، وسهرت لمرضاته الجفون، وشفيت بقربه الظنون. ما أحسنَ الجوعَ في سبيله، ما أجملَ السهرَ مع قبيله، ما أبركَ العملَ بتنزيله، ما أروعَ حفظَ جميله.

لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْفَاهَا

عَنِ الطَّعَامِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ

لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ

وَمِنْ حَدِّ يَنْكِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

إِذَا تَشَكَّتْ كِلَالَ السَّيْرِ أَسْعَفَهَا

شَوْقُ الْقُدُومِ فَتَحِيًّا عِنْدَ مِيعَادِ

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هداية للبشرية، وصلاً للإنسانية، ونهاية للوثنية. بالقرآن أصلح الله القلوب، وهدى الشعوب، فعمت بركته الأقطار، ودخل نوره كل دار.

سَمِعْتِكَ يَا قُرْآنُ قَدْ جِئْتَ بِالْبُشْرَى

سَرَيْتَ تَهْزُ الْكُونَ سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرَى



obeikandi.com

المقامة الإخبارية

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾

بَيْنَا تَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا

الْفَيْتَهُ خَبَرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا

صَفَوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ

هذه أخبار الموحدين، من أنباء الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين،

من معين ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾.

• إليكم موجز الأنباء:

- إبراهيم الخليل نجا من النار. بقدرة العزيز الجبار.
- يوسف التقى بأبيه يعقوب بعد غياب طويل، وصبر جميل.
- موسى الكليم ضرب البحر بالعصا فانفلق، ونجا من الغرق.
- محمد ﷺ أعلن التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد.
- في بدر: هزيمة ساحقة ماحقة للكفار، وانتصار المهاجرين والأنصار.
- انتصار المسلمين في القادسية، على الجيوش الفارسية.
- عمر بن الخطاب، وقع شهيداً في المحراب.
- عثمان بن عفان، قُتل وهو يقرأ القرآن.
- علي بن أبي طالب استشهد في المسجد، وهو يتعبد.
- خالد بن الوليد، وكتائب التوحيد، هزمت جيش الروم العنيد.

• كان هذا هو الموجز واليكم تفصيل الأنباء:

- وُضِعَ إبراهيم الخليل في المنجنيق، ورُمِيَ به إلى الحريق، فنادى الخليل ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فقال الله للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾، فَنَجَّا إبراهيم وصار للناس إماماً، لأن ماء الإيمان، يُطْفِئُ لهيب النيران، ولَمَّا رَأَى إبراهيم النار المُحَمَّاة، نادى لسان الحال يا أَلله، فتولاه مولاه وكفاه وحمّاه، وأنقذه ونجّاه، وهذا يدلُّك على أن ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، أقوى من كل خطب جليل، وكرب ثقيل، وخطر وبيل، لأن من معه الله فمعه القوة التي لا تُرام، والعزّة التي لا تُضام، والعروة التي ليس لها انفصام، فأخلص له الطلب، وقم بما يجب، تر أعجب العجب.

- يوسُفُ يلقي أباه يعقوب، بمصر بعد أن كادَه إخوانه وألقوه في غِيَابَة الجُبِّ، وبيعَ في مصر بثمن بخس، ثم رمي بضع سنين في الحبس، فشرَّدَ عن الأهل وأبعدَ عن الوالد، وأصبح في حُكْم المفقود الفاقِد، والمشرَّد الشَّارد، في بلاد غريبة، وحالة كرية، وتعرَّضت له امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله ذا الجلال، فنصره الله النصر العزيز، وسخَّر له العزيز، وأصبح على خزائن مصر، إمام العصر، وسلطان القصر، وجمع الله له أبويه، وسلّموا عليه، وجمَع الشَّمْل، وظهر الفضل، وتمَّت الأفراح، وزالت الأتراح، جزاء الصبر، وطاعة الأمر، وكانت العاقبة للتقوى، لأن حزب الله هو الأقوى، فعفَا يوسُفُ عما بدرَ من إخوانه، فكان مَضْرِب المثل في الحلم لأهل زمانه، ونَسِيَ ما مضى، لأنه ذهب وانقضى، فطاب الاجتماع بعد الانقطاع، وحصل الوئام بعد الانفصام، وتمَّت النعمة، وزالت النعمة.

- خرج موسى بقومه وفي قلبه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فلما صار وراءه فرعون اللعين، نادى موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فأنجى الله موسى ومن معه من المؤمنين، وعقر أنف فرعون في الطين، لأن فرعون قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وهو كذاب، فأراه الله أن أنف الدَّعِي يمرغ في التراب، وكان المخذول يقول: ليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، يفتخر بنهر ما أجراه، فأغرقه الله في البحر وأخزاه.

- بُعث في مكة رسول الهداية، ومبعوث العناية، فكان التوحيد عنده البداية، هتف به في النائمين، وأعلنه في العالمين، فلا إله إلا الله، أي نبياً عبر الأقطار، وأيُّ خبر شقَّ الأمصار، سابقت الفجر كتائبه، وأخجلت الغيث سحائبه، أعاد الفطرة إلى سيرتها على التوحيد، وأحيا النفوس من رقدتها الكبرى إلى نهار الدين الجديد، ففتح الله به الأسماع والأبصار، وبشّر بالجنة وحذر من النار.

- وقعت غزوة بدر، الفاصلة بين الإسلام والكفر، حيث الباطل سُحِق، والزور مُحِق. في بدر نزل جبريل، على الرسول الجليل ﷺ، فانهار جيش الكفر الذليل. الملائكة مع الصحابة تقاتل، وفي صف المؤمنين تنازل، اشتركت السماء مع الأرض في القتال، فكان النصر من نصيب الحق ولا يزال، في بدر صُنِعَت ملاحم الفداء، ونُسِجَت بُرْدَةُ الوفاء، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

- قتل عمر بن الخطاب، في المحراب، طعنه أبو لؤلؤة النجس المجوسي، فكان قتل عمر من أعظم المصائب، ومن أقطع النوائب، لأنه كان حصناً للسنة، وباباً دون الفتنة، نشر العدل، ومَحَا الجهل، وبيث العلم، ودوّن الدواوين، وكفل

المساكين، وجنّد الأجناد، وحمى به الله البلاد، وأسعدَ به العباد، وبعدما قتل، وقع في الأمة خلل، وماجت الفتن، وهاجت المعن. فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولحكّمه سامعون مطيعون.

- قتل عثمان، وهو يتلو القرآن، فوقع دمه على المصحف الكريم، وذهب هذا الإمام إلى جوار ربّ رحيم، بعدما جمع القرآن من الصدور إلى السطور، وسابق إلى كل عمل مبرور. وكان أحد الأسخياء المعدودين، والأجواد المحمودين، قانتاً آناء الليل، بدموع كالسّيل، مُحسناً إلى الأيتام، فهو حسنة الأيام، لا يملّ من تلاوة الكتاب، ولا يفتر من ذكر العذاب.

- وقع عليّ بن أبي طالب شهيداً، وسار إلى الله حميداً، بعدما نصر الملة، وأدخل على الكفر الذلّة، وقمع الخوارج المارقين، والمبتدعة المفارقين، وكان بطل المشاهد، وصاحب المساجد، مع زهد معروف، وعلم موصوف، فصاحة بارعة، وعين دامعة، وهمة عالية، وأخلاق غالية، وهو صاحب المواقف المحمودة، والمآثر المشهودة.

- هزم سيف الله المسلول، جيش الروم المخذول، وردّه على عقبيه مكسوراً، وطرده عن بلاد الإسلام محسوراً، بعد معركة دامية، ووقعة حامية، قتل فيها شهداء، وحضرها علماء، ثم أنزل الله نصره على أبي سليمان، وجند الرحمن، بعد مُصاولة ومجاولة، فالسيوف تتصبّب دماً، والأرض تثور حمماً، والجماجم تتساقط على وقع الرّماح، والأبطال تُصرع مع خروج الأرواح، فالحمد لله على نصره، ونفاذ أمره، وعلوّ قدره.

- استمعتم إلى نشرة الأخبار، أيها الأخيار، وإليكم حالة الطقس اليوم وغداً وأمس. القلب مُلبّد بالغيوم، من كثرة الهموم، وتراكم سُحُب الغيوم، رياح الذنوب تثير الأتربة، على من له في الخطايا تجربة، موعد شروق شمس التوحيد، عند عودة العبيد، إلى الوليِّ الحميد، يتوقّع نزول الأمطار، وذهاب الأخطار، عند الإكثار من الاستغفار، يخشى من نزول صواعق، على كل كافر وخائن ومارق.

نستودعكم الله ولنا - إن شاء الله - لقاء، مع تحيات وكالة الأنباء.



obeikandi.com

مقامة الحب

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

قَالَ لِي الْمَحِبُّوبُ لَمَّا زُرْتُهُ

مَنْ يَبِأَيِّ قُلْتُ بِالْبَابِ أَنَا

قَالَ لِي أَخْطَأْتُ تَعْرِيفَ الْهَوَى

حِينَمَا فَرَّقْتَ فِيهِ بَيْنَنَا

وَمَضَى عَامٌ فَلَمَّا جِئْتُهُ

أَطْرَقَ الْبَابَ عَلَيْهِ مُرْهَنَا

قَالَ لِي مَنْ أَنْتَ قُلْتَ أَنْظُرْ فَمَا

ثَمَّ إِلَّا أَنْتَ بِالْبَابِ هُنَا

قَالَ لِي أَحْسَنْتَ تَعْرِيفَ الْهَوَى

وَعَرَفْتَ الْحُبَّ فَادْخُلْ يَا أَنَا

الحبُّ على المُحِبِّينَ فرض، وبه قامت السموات والأرض، من لم يدخل

جنةَ الحبِّ، لن ينال القُرب، بالحبِّ عُمِدَ الرَّبِّ، وتُركَ الذَّنْب، وهانَ الخَطْب،

واحتُمِلَ الكُرب.

عقل بلا حبّ لا يفكّر، وعين بلا حبّ لا تبصّر، وسماء بلا حبّ لا تمطر،
وروض بلا حبّ لا يزهر، وسفينة بلا حبّ لا تبجر. بالحبّ تتألف المجرات،
وبالحبّ تدوم المسرّات، بالحبّ ترسم على الثّغر البسمة، وتتطلق من الفجر
النسمة، وتشدو الطيور بالنغمة، أرض بلا حبّ صحراء، وحديقة بلا حب
جرداء، ومقلّة بلا حبّ عمياء، وأذن بلا حبّ صمّاء.

شكا ألم الفراق الناس قبلي

وروع بالجأوى حي وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعي

فإنني ما سمعت ولا رأيت

بالحبّ تُرضع الأم وليدها، وتروم الناقة وحيدها. بالحبّ يقع الوفاق،
والضمّ والعناق، وبالحبّ يعمّ السلام، والمودة والوئام.

الحبّ بساط القربى بين الأحاب، سياج المودة بين الأصحاب. بالحبّ
يفهم الطلاب كلام المعلم، وبالحبّ يسير الجيش وراء القائد ويتقدّم، وبالحبّ
تذعن الرعية، ويعمل بالأحكام الشرعية، تُصان الحرّمات، وتُقدّس القربات.

بيت لا يقوم على الحبّ مهدوم، وجيش لا يحمل الحبّ مهزوم.
لكنّ أعظم الحبّ وأجلّه، ما جاءت به الملة. جمل كلمة في الحبّ قول الربّ:
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. فلا تطلب حباً دونه.

ليس حباً قطعة معزوفة

من يراع الشاعرا المنتحِب

ليس حُبًّا غَزَلٌ يُمْطِرُنَا

في سَطُورِ الكَاتِبِ الحُرِّ الأَبِي

أو خِطَابِ بَارِعِ نَمَّةٍ هُ

واله يُرَوِي صُنُوفَ العَـتَبِ

ما «قَفَا نَبِي» هُوَ الحُبُّ وَلَا

ظَبِيَّةَ البَّانِ وَذَكَرَى زَيْنَبِ

مَا دَرَى مَجْنُونٌ لَيْلَى سِرَّهُ

عَبَثَ ذَاكَ هَيْأَمُ الصَّخْبِ

إِنَّمَا الحُبُّ دَمٌ تَنْزِفُهُ

فِي سَبِيلِ اللّهِ خَيْرَ القُرْبِ

أَوْ دُمُوعِ ثَرَّةٍ تَبَعُثُهَا

سَحَرًا أَصْدَقُ مِنْ قَلْبِ الصَّبِي

أَوْ سُجُودِ خَاشِعٍ تَرْسُمُهُ

فَوْقَ خَدِّ الطَّيْنِ فَاسْجُدْ وَاقْرَبِ

أَحَبُّ أَمْرُ القَيْسِ فَتَاةً، وَأَحَبُّ أَبُو جَهْلِ العَزَّى وَمَنَاةً، وَأَحَبُّ قَارُونَ

الذَّهَبِ، وَأَحَبُّ الرِّثَاسَةُ أَبُو لَهَبٍ، فَأَقْلَسُوا جَمِيعًا، لِأَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا خَطَأً شَنِيعًا.

أما حبّ بلال بن رباح، فهو البرّ والصلاح. سُحِبَ على الرمضاء، فنادى ربّ الأرض والسماء، انبعث من قلب المحبّ أحدٌ أحد، لأن في القلب إيماناً كجبل أحد.

إِذَا كَانَ حُبُّ الْهَائِمِينَ مِنَ الْوَرَى

بَلِيلِي وَسَلْمَى يَسْلُبُ اللَّبَّ وَالْعَقْلَا

فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ الْهَائِمُ الَّذِي

سَرَى قَلْبَهُ شَوْقاً إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى

مهر الجنة عند بلال السنّة، ركعتان ودمعتان. الحبُّ لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان، والدليل بلالٌ وسلمان، بلال أبيض القلب أسود البشرة، فصار بالحبّ مع البرّة، وأبو لهب بالبغض طُردَ من أهل البيت، وسلمان نال بالحبّ جائزة: «سلمان منا أهل البيت».

دعني من حبّ مجنون ليلي، ومحبوب سلمى، ومعشوق عفراء، فلطالما لطخت بأشعارهم الطروس، وضافت بأخبارهم النفوس، وخدعت بقصائدهم الأجيال، وأتبعهم الضلال. حدّثني عن أنباء الأنبياء، وهم من أجل حبّ الربّ يهجرون الآباء والأبناء. فإبراهيم يتبرأ من أبيه، ونوح من بنيه، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح، لأن البقاء مع الكافر سفاح.

هذا هو عالم الحب بتضحياته، بأفراحه وأتراحه، وهو حبّ يصلك برضوان من رضاه مطلب، وعفوه مكسب.

وَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي لِغَيْرِكُمْ

يَا وَاهِبَ الْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ وَالْمُهَجِّ

كُلُّ الَّذِينَ رَوَّوْا فِي الْحُبِّ مَلْحَمَةً

فِي آخِرِ الصَّفِّ أَوْ فِي أَسْفَلِ الدَّرَجِ

امرؤ القيس يصيح في نجد، وقد غلبه الوجد، «فما نبك» فإذا بكأوه على الأطلال، وإذا دموعه تسفح على الرمال، إنه هيام العقل بلا وازع، وحيرة الإنسان بلا رادع. ورسولنا ﷺ يذوق الويلات، ويعيش النكبات، ثم ينادي مولاه في مناجاة وإخبات، ويقول: «لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى».

لا تجعل العمر في ضيعة، بشعر عمر بن أبي ربيعة، وهو يشكو الحب والصد، حب ماذا، يا هذا؟ أما علمت أن أحد الأنصار، كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بتكرار، فُسئِلَ عن المقصود، قال: لأن فيها مدح المعبود، وأنا أحب تلك البنود، فدخل الجنة بالمحبة، لأن الله أحبه.

دَعْنِي أَمْسَحُ فَوْقَ الرُّوضِ أَجْفَانِي

فَالنُّورُ مَوْقِدُهُ مِنْ بَعْضِ أَشْجَانِي

نَسِيتُ فِي حُبِّكُمْ أَهْلِي وَمُنْتَجِعِي

فَحُبُّكُمْ عَنِ جَمِيعِ النَّاسِ الْهَانِي

شغلونا بالروايات الشرقية، والمسرحيات الغربية، ويل هذا الجيل ويله، سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة. وفي الذكر المنزل، والحديث المبجل، من قصص الحب الصادقة، والمعاني الناطقة، ما يخلب اللب، ويستميل القلب.

الْحُبُّ لَيْسَ رَوَايَةً شَرْقِيَّةً

بِأَرِيحِهَا يَتَزَوَّجُ الْأَبْطَالُ

الْحُبُّ مَبْدَأُ دَعْوَةِ قُدْسِيَّةٍ

فِيهَا مِنَ النُّورِ الْعَظِيمِ جَلالُ

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب، والهبام في الأهداب، فكل ما فوق
التراب تراب، وأدخلونا في عالم الحب الراقي، والدواء الواقي، الذي تطير له
الأرواح، وتهتز له الأشباح، في ملكوت الخلود، وعلى بساط ربّ الوجود.

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ دَمْعاً

وَأَخْرَجَنِي بِالْبُكَاءِ بَخِلَتْ عَلَيْنَا

فَعَاقَبْتُ الَّتِي بِالْدمْعِ ضَنْتُ

بِأَنْ أَغْمَضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

دع حبّ هؤلاء فإنهم مرضى، وتعال إلى الواحد وناد: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لِتَرْضَى﴾، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

حمزة سيّد الشهداء يمزق الحبّ تمزيقاً، وأنتم تهيمون بروايات غرامية
لُفِّقَتْ تَلْفِيحاً، نقول: حدّثونا عن الحب عند ابن عباس، فتذكرون لنا عشق أبي
نُؤاس، كفى جفاء، لأنّ الزيد يذهب جُفاء.

حبّ طلحة والزيير، أعظم من حبّ شكسبير؛ لأنّ حبّهم سطر في بدر
لمرضاة القوي العزيز، وحبّ شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز.

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحب بالحبر، فالصحابة سجّلوا
قصص المحبّة بدم الصبر.

ومن عَجِبَ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ

فَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مِنْ لَقَبَيْتُ وَهُمْ مَعِي

وَتَطَلَّبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا

وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي

لا تدري ربما عُدَّتْ بِحَبِّكَ، وَكُتِبَ عَنْكَ عِنْدَ رَبِّكَ، هَذَا فِرَاقٌ مَا بَيْنِي
وبينك، ونحن نسمع من أجل امرأة بكاءك وأنينك.

وَمَا جَعَلْتُ الْحُبَّ خِدْنًا وَصَاحِبًا

تَرَكْتُ الْهَوَى وَالْعِشْقَ يَنْتَحِبَانِ

فَلَا تُسْمِعُنِي شِكْسِيرَ وَلَهْوِهِ

وَرَنَةَ عُودٍ أَوْ غِنَاءِ غَمَّوَانِي

فَلِي فِي رَحَابِ اللَّهِ مُلْكٌ وَدَوْلَةٌ

أُظُنُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ قَدْ حَسَدَانِي

كلما خرج علينا شاعر مخمور، فاقدُ الشعور، حفظنا شعره في الصدور،
وكتبناه في السطور، وقلنا: يا عالم هذه قصصنا الغرامية، ونسينا رسائلنا
الإسلامية، وفتوحاتنا السماوية، التي أنقذت الإنسانية.

علَّمَنِي الْحَبُّ مِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَا تَكْدُرْ خَاطِرِي بِهَيْامِ ظُبِيَّةِ الْبَانِ. أَنَا مَا
أَحَبُّ لُغَةَ الْعَيُونِ، وَلَكِنْ أَحَبُّ لُغَةَ الْقُلُوبِ، وَلَا أَتَّبَعُ فَلَتَاتِ أَبِي نَوَاسٍ وَالْمَجْنُونِ،
وَلَكِنِّي أُرْتِعُ فِي رِيَاضِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَاَعْتَرِلُونِ﴾.

وَمُعَنْضِي فِي الْحُبِّ قَلْتُ لَهُ: اَتَّئِدُ

فَالِدَمْعُ دَمْعِي وَالْعُيُونُ عُيُونِي

الحب الصادق في جامعة ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، والغرام الرخيص في مسرح الفنانين والفنانات. استعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدس، لترى فيها حياة الأنفس، الحب الأرضي يقتل الإنسان بلا قيمة، والحب السماوي يدعو العبد إلى حياة مستقيمة، ليجد فضل الله ونعيمه.

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ

وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقَّرُقُ

جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى

عَيْنًا مُسَهَّدَةً وَقَلْبًا يَخْفِقُ

حب الكبر عند فرعون، وحب الكنز عند قارون، وحب القتل عند شارون، أما حب الجنة، فعند أبطال السنة، الذين حصلوا على أعظم منة. الجعد بن درهم ذبح على الابتداء، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع.

سَقَيْنَاهُمُوهَا كَأَسَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا

وَلَكِنَّا كُنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرًا

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ جُودًا وَفَضْلًا وَسُؤْدَادًا

وَأَنَا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

أتريد من الجيل أن يحبّ الملك العلام، ويصليّ خلف الإمام، ويحافظ على
تكبيرة الإحرام، وأنت تحفظه رباعيات الخيام، ليبلغهم رسالة لا بعث ولا
نُشور، أعود بالله من تلك القشور. يا حاج، أين حملة المنهاج، أما ترى كيف
عشق الإمامة الحجاج، وقُتل في البدعة الحلاج، وأنت من أحرص الناس على
حياه، فبماذا تدخل الجنة يا أخاه.

من تداجي يا إبراهيم بن ناجي، ومن تكلم ومن تناجي، تقول: يا فؤادي
رحم الله الهوى، بل قتل الله الهوى. من يشارك في ثورة الخبز، لا يحضر
معركة العز، لما نسيت الأمة حبّ القلوب، واشتغلت بحبّ البطون، رضيت
بالدون، وعاشت في هون.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

هل عند الأمة فراغ في الأزمان، تسمع صوت الحرمان، وهو ينادي:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ

وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَانَا ۝١٩

نحن بحاجة إلى صوت خبيب بن عدي وهو يلقي قصيدة الفداء، على
خشبة الفناء، وفي إصرار وإباء، وصبر ومضاء:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا

عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ

يُبَارِكْ عَلَيَّ أَوْصَالَ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

بارك الله فيك وفي أشلائك يا خبيب، فأنت إلى قلوبنا حبيب. ﴿وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، اللهم اجعلنا ممن يحبك ويحب من يحبك، ليؤنسنا قُربك،
اللهم ازرع شجرة حبك في قلوبنا، لنرى النور في دروبنا، وتنجو من ذنوبنا،
ونُظَهَّرَ من عيوبنا.

فَلَيْتَكَ تَحَلُّوْا وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ

وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِيْضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ

وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوَدُ فَمَا كُلُّ هَيْنٍ

وَكُلُّ الَّذِي فَسُوقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وإن تعجب فعجب أن ترى شاعراً بائساً، يشكو ظللاً دارساً، فهو يبكي من
نار الغرام، ويشكو ألم الهيام، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت، لصار حبه
عنده كالقوت. لو أدرك عنثرة الإسلام ما كُبا، وما قال: اذكري يا عبل
أيام الصبا.

جرير يشكو العيون السود، وبشار يشكو الصدود، والشريف الرضي يشكو
فتنة الخدود، وكأن الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء، وكأن العمر

يتسع لهذا الهراء، ويحسبون أن الناس من أجلها تركوا المنام، وهجروا الطعام، إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساءً حسناوات، وفتيات فاتتات، قالوا لنا: عندنا في ذلك مسارحٌ ومسرحيات، ومغامراتٌ وغراميات، لكن فخرنا على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً، والعالم حبوراً، والدنيا طهوراً.

نَحْنُ الدِّينَ مَلَأْنَا جَوْتًا كَرَمًا

وقد بعثنا على قرآننا أمماً

والعالم الآخر المشبوه في ظلم

من يعبد الجنس أو من يعبد الصنماً



obeikandi.com

المقامة النحوية

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾

جَمَلُ الْمُنْطَقِ بِالنُّحُوِّ فَمَنْ

يُحْرَمُ الْإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلَ

فَاللِّسَانَ الْعَضْبُ سَيْفٌ مُصَلَّتٌ

كَمْ بِسِحْرِ مَنْ حَدِيثٍ قَدْ قُتِلَ

اللحن في الأقوال، ليس بأهون من اللحن في الأفعال، فاللحن في الفعل يدلّ على الجهل وقلة العقل، واللحن في الكلام، يدلّ على أن صاحبه ليس له بالنحو إلمام.

ونحن في زمن خفض المرفوع، ورفع الموضوع، ونصب المجرور، وجرّ المنصوب، وأصبحت النكرة معرفة، والموصوف بلا صفة، والمبتدأ بلا خبر، والأفعال تجرّ، فانظر لحال أهل التمييز، كيف ذلّ فيهم كلُّ عزيز؟

واعلم أن بعض اللحن لا يصلحه سيبويه، ولا يُقيمه نبطويه، ومن لحن عند أولي الشأن، أودى بنفسه أو كَأَنَّ، كان جعفر البرمكي عند الرشيد كالمأمور، فلما رفع المجرور، ترك رأسه في البلاط يدور. وهذا أبو جعفر المنصور، لما رأى أبا مسلم يضمّ المكسور، جعل سيفه في صدره كالضمير المستور.

والعرب لا تبدأ بساكن، لأنها تحبّ التنقّل في المساكن، أما تراها فتحت بالسيوف الجوازم الأقطار، وحرّرت من سوء الحال الأمصار، ولا تقف على متحرّك، لأنها تحبّ الساكن المتسكّ، وتبغض المتغيّر المتهتّك.

النحو لا يعترف بالأنساب، ولا يُقيم وزناً للأحساب، لأن الوليد بن عبد الملك كان يلحن وهو من بني أمية، وسيبويه عالم في النحو وهو من الديار الأعجمية، والبخاري كان في صحّة الكلام لا يُجارى، وهو من بخارى.

هنا لحن في الذات، ولحن في الصفات، ولحن في الكلمات، فلحن الذات: التكرّر للمعبود، وغبش الرؤية للوجود، ولحن الصفات: هجر الآداب، والتناز بالالألقاب، ولحن الكلمات: الجهل بالحركات والسكنات، والفتحات والضّمات.

يقول النحاة: ضرب عمرو زيداً، وما ذكروا لهما وصفاً ولا قيداً، فإن كان المقصود عمرو بن العاص، فهو من الخواص، وإن كان المقصود عمرو بن معديكرب، فهو المقدام ساعة الغضب، وإن كان المقصود عمرو بن كلثوم، فسيفه في الأعداء مثلوم.

أما زيد فإن كان ابن ثابت، ففي الأنصار نابت، وإن كان ابن الخطاب، فقد قتل في سبيل الوهّاب، وإن كان ابن حارثة، فهو أسد كل حادثة.

قالوا: كان معروف الكرخي العابد يلحن إذا نطق، ولكنه يعرب في الأفعال فكلما تكلم قالوا: صدق.

بلال يتكلم الحبشية، وأبو لهب يتكلم القرشية، ففهم بلال كلام ذي العزة والجلال، ولم يفهم أبو لهب، ما جاءت به الكتب، لأن قلب بلال أحبّ العربي الأمين، وقلب أبي لهب في الكفر مهين. دخل جوهر الصقلي باني القاهرة،

بجيوش باهرة، فتكلم بقول مفلوط، كأن لسانه مربوط، قال له العرب: أنت رجل لحان، لا تُجيب في الامتحان، أنت مولى بلا نسب، ودخيل بلا حسب. فقال: كيف؟ وسلّ السيف، وقال: هذا هو النسب، ونثر الذهب، وقال: هذا هو الحسب، فصار أفصح من سحبان، فالسيف والذهب خطيبان.

الانتماء ليس للسان ولا البلدان، وإنما للإيمان والقرآن، والدليل، البخاري محمد بن إسماعيل، والردّ على مذهب القومية الكرية، بكتاب سيبويه. أعجميان لهما كتابان عظيمان عربيّان، البخاري أجلّ كتاب في الصحيح، والكتاب لسيبويه الذي بزّ كل فصيح. سيبويه عصرنا، وكيميائي مصرنا، من يرفع الفاعل، وينصب المفعول، فهذا نحويّ مقبول، تجبُ العناية بالأجروميّة، وإلا تحوّلت الأمة إلى فارسية ورومية.

يقول ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيدٌ كاستقم

اسمٌ وفعلٌ ثم حَرفُ الكلم

وهذا يقصد به الأقوال، وأنا أقول في الأفعال:

أفعالنا على الكتابِ فاستقم

كما أمرتَ وابتعدِ عن التُّهم

قال:

ترَفَعُ كان المُبتدأَ اسماً والخَبَرُ

تنصِبُهُ كَكَانَ سَيِّداً عُمَرُ

أقول:

يرفعُ ربي من يصدقُ الخَبَرَ

مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ الْجَلِيلِ وَعَمْرٍ

قال هو:

وَالأَصْلُ فِي الأَخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَ

وَجِوَزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَ

وأقول:

وَالأَصْلُ فِي الأَشْرَارِ أَنْ تُؤَخَّرَ

وَقَدَّمَ الأَخْيَارَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى

القرآن كافٍ شافٍ، بلا كشافٍ، لأن الزمخشري في سوق البدعة يشتري، لحن في العقيدة، وأعرب في القصيدة، لو شرب من معين السلف الماء الزلال، لما وُرد نهر الاعتزال. بعض الظلمة من الرؤساء كان فصيحاً، وظلم ظلماً قبيحاً، قال: أنا إمام عادل، وورع فاضل، فقال شعبة: أنت عادل إمام، ولكنك قدمت وأخرت في الكلام.

لما لحن الجبل في الجمع والمشي، ونسي سيرة المشي، تعنى وما بلغ ما تمنى. ضرب المعتصم أحمد، وتوعد وهدد، فما أجاب بحرف، لأن أحمد ممنوع من الصرف، أما أحمد بن أبي دؤاد فصرف في سوق الذهب، لأن الورع من قلبه ذهب.

يا أيها المسلمون: اصرفوا إسرائيل ولو كانت ممنوعة من الصرف، لأن للضرورة أحكاماً في اللغة والعرف، لا تخدعك الأسماء وتنسى الأفعال، فتصير الدين الطوسي، صار عدو الدين المجوسي، لأنه كسر رؤوس المسلمين بالسيوف الجازمة، وأفتى هولاء تلك الفتاوى الآثمة.

اشتغلنا بالفعل الماضي عن الفعل المضارع والأمر، فكلامنا:

انتصرنا فيما مضى، وهذا ذهب وانقضى، وفتح أجدادنا البلاد، وأين فَتَحْنَا يا أحفاد؟ أسلافنا مبتدأ لكن أين الخبر؟ ليتم الكلام المعتبر:

وَالْخَبْرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الْفَائِدَةُ

كـالـله بـرُّ والأـيادي شـاهـدة

يقول النحاة: المصغّر، لا يصغّر. قلت: بل يصغّره الله يا أعراب، أما رأيتم ما فعل بمُسَيْلِمة الكذاب، كيف صغّره وحقّره، وبالتراب عغّره. أما مسلمة بن عبد الملك فلم يكن مصغّراً، فعاش مجاهداً مظفّراً.

إذا رأيت الصفات تتقدّم الأسماء، فاعلم أن المعاني هباء، فالمتأخرون يصفون البعض، عند العرض، فيقولون: علامة عصره، وفريدة دهره، وقدوة الأنام، وعلم الأعلام. بينما كان السلف يقولون: أبو بكر وعمر، ولا يذكرن النوع والسير، لأن المعارف لا تُعرّف، وكامل الأوصاف لا يُوصَف.

احذر ثلاث كلمات، إذا وقعت بلا إضافات صحيحات.

كلمة أنا فهي فخر الشياطين، لما قال كبيرهم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ولكن قل: أنا العبد الضعيف، أطلب عفو اللطيف.

وكلمة لي قال فرعون في القصر: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ﴾، فصار في الهلاك
آية لكل عصر، ولكن قل: لي ذنوب، أرجو رحمة علام الغيوب.

وكلمة عندي قالها قارون، فجعله بالخسف عبرة لكل القرون، ولكن قل:
عندي تقصير، يصلحه اللطيف الخبير.

عليّ بن أبي طالب مرفوع عندنا بين الفتح والخفض، فقد أخطأ فيه أهل
النصب والرفض، فالنواصب هضموا حقه، ونسوا صدقه، والروافض أنزلوه
فوق المنزلة، فصار وصفهم مهزلة.

فيا أيها الناصبي: عليّ مرفوع وعلامة رفعه. علو الهمة، وتزكية رسول الأمة.

ويا أيها الرافضي: لا تُغال، فعليّ بغير هذا الغلو عال.

وذكر عن سيبويه، ذلك العالم الوجيه، أنه أتى ليُعرف اسم الجلالة، فلما
وقف أمام كلمة الله وتذكر كماله، وتأمل جماله. قال: الله أعرف المعارف، لا
يحتاج إلى تعريف، ومن جمع الصفات لا ينقصه التوصيف.

الله يا أحسن الأسماء في خلدي

ماذا أعرف من عز ومن شرف

تقاصرت كلها الأعلام إن ذكرت

أوصافكم قد رواها عنك كل وفي

خذها من الوحي نعتاً للجليل ولا

تأخذ من الجهم والكشاف والنسفي

فارفع شعائره وانصب لخدمته

وجرّ رجلك في ذل وفي أسف

وكن مضافاً إلى اصحاب طاعته

ولا تعرف شقياً بات في ترف

واجزم بحكمته في نصر شرعته

وقف على ساكن التنزيل كالسلف

قال شاب لأحد الأولياء: يا ليتني أدركت الرسول ﷺ وكنت خادماً بين يديه؟

قال: لعلك ترحم بهذا لأن المضاف يأخذ حكم المضاف إليه.

زاد اليهود نقطة، فوقعوا في ورطة، وسقطوا سقطة، قيل لهم قولوا:

حِطَّةٌ، فقالوا: حِطَّةٌ.

وزاد المبتدعة حرفاً، فصُرفوا عن الصواب صرفاً، قالوا: استولى مكان

استوى، وهذا من الزّيع والهوى.

للو صف صلة بالاسم، فأبو بكر الصديق، لما صدق في القول والاعتقاد،

عُرفَ بهذا الوصف بين العباد، وعُمّرَ عمّر الدولة بالعدل، وطرد الجهل،

وعثمان بن عفان، عفّ عن كل فانٍ، وعليّ بن أبي طالب، علأ في المناقب،

فُسَلِّمَ من المثالب.

كن بالتوحيد مرفوع الهامة، وبالأخلاق منصوب القامة، وليكن عليك من

الصّلاح علامة، لتنجو يوم القيامة.

- واعلم أن المزاح المباح ما عارض به بعضهم الألفية النحوية، وجعلها المطاعم الشهية.

قال ابن مالك:

والأصلُ في الأخبَبَارِ أن تُؤخَّرَا

وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذَا لَا ضَرَرًا

قال أحدهم:

والأصلُ في الأخبِازِ أن تُحَمَّرَا

وَجَوَّزُوا الفَطِيرَ إِذَا لَا ضَرَرًا

وقال الشيخ ابن عثيمين - يرحمه الله - كان له شيخ يقول على سبيل المزاح:

والأصلُ في الأخبِازِ أن تُقَمَّرَا

وَجَوَّزُوا التَّرْقِيقَ إِذَا لَا ضَرَرًا



مقامة الجمال

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

نَيْسَ الْجَمَالِ بِمِئْزَرٍ

فَأَعْلَمَ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

إِنَّ الْجَمَالَ مَا أَثَرُ

وَمَنَاقِبُ أَوْرَثَنَ حَمْدًا

الله جميل يحبّ الجمال، موصوف بالجلال، انظر نهجه، وقد أنبت حدائق ذات بهجة، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأبدع الكائنات في تصوير مستقيم، جمال في كواكب السماء، وحسن يكسو الأشياء، نجوم زاهرة، وبحار زاخرة، كأن الأرض مكسوّة بأحسن نسيج، والحدائق فيها من كل زوج بهيج، رسم الجمال في الكائنات، وخطّ الحُسن في المخلوقات.

الجمال في العين بلونها الأسود، ويجفنها المقعد، بسحر نظرتها، وروعة خطرتها، مدوّرة في بهاء، متحرّكة في سناء، لها في الظلام بريق، ولها في الحركة تلفّت رشيق، عليها رمش يحميها، ويفسلها ولا يُدميها، وهي في نهر من الماء تسبح، وفي هالة من النور تمرح، في نظرها أسرار، وفي تلفّتها أخبار، لها لغة تفهمها القلوب، ولها سحر تكاد منه النفوس تذوب. في طرفها حور، يقتل من نظر، لها في النفوس إيماءات، وفي الأرواح إضاءات، يعرف بها الرضا والغضب، والجدّ واللعب:

فِي عِيُونِ الْمُحِبِّ أَخْرَفُ وُدُّ

سَطَرَتْ بِالِدُمُوعِ عِنْدَ الْفِرَاقِ

قَلْبَاتِ أَنْفُسٍ بِنَظَرَةِ عَيْنِ

وَقُلُوبٍ مُشْتَاقَةً لِلتَّلَاقِ

الجمال في الفم وهو بالحسن محبوبك، وبالأسنان مسبوك، يرسل الكلمات، ويبعث النغمات، بلسان فصيح، وصوت مليح، لا ينطق حتى يؤمر، ولا يسكت حتى يزجر، فيا له من خلق ما أبدعه، ومن صنع ما أروعه ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ الجمال في الوجه، بطلعته البهيّة، وإشراقاته الرّضية، قَسَمَاتُ تُرْسَمَ، وَقُبُلَاتُ عَلَيْهِ مِنَ الْبِهَاءِ تَبَسُّمٌ، خَدٌّ بِمَاءِ الْبِشَاشَةِ يَسِيلُ، وَطَرْفٌ بِإِيحَاءِ الْحُسْنِ كَحَيْلٍ، دَمْعٌ كَالسَّيْلِ، وَشَعْرٌ كَاللَّيْلِ. وَجَبِينٌ كَالْمَهْنَدِ، وَفَمٌ مَنضَدٌ.

الجمال في قامة الإنسان، وروعة هذا البنيان، أُذُنَانِ وَصِمَاحَانِ، وَعَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ، وَيَدَانِ مَنَافِحَتَانِ، وَرِجْلَانِ كَادِحَتَانِ.

الجمال في الروض الجذّاب، بجماله الخلّاب، طيور تُلقِي قِصَائِدَ الْحِنَانِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَغْصَانِ، وَحَمَامٌ يَنْشُدُ الْإِيَاذَةَ الْأَشْوَاقِ، عَلَى أَطْرَافِ الْأُورَاقِ، وَمَاءٌ يُسْكَبُ، وَنَسِيمٌ يُكْتَبُ، أَنْهَارٌ وَدُوحٌ، وَمِسْكٌ عَلَى الرُّوضِ يَفُوحُ، يَظْهَرُ فِيهِ الْحُسْنُ الْبَاهِي، وَالْإِبْدَاعُ الْإِلَهِيُّ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾﴾.

انظر إلى الروض واشهد أن مُبْدِعَهُ

رَبُّ الْوَجُودِ عَظِيمُ الْقَدْرِ وَالشَّانِ

وسرَّح الطرفَ فيما شئت من حسن

ما بين زهر وأطيَّار وأغصان

الجمال في الصبح إذا تنفَّس، فسيحان من صوره وتقدَّس، الصبح بطلعته
الأسرة، وإطلالته الباهرة، الصبح وهو يفشى العالم، ويمرّ على كل قاعد
وقائم، الصبح وهو ينشر عباة الذهبية على الوجود، فيكاد يكلمه من حسنه
الجلمود، الصبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نوره، ويفتسل القلب في بحر
سروره، وتسرح النفس في مهرجان عرسه، وتتصت الروح لهمسه وجرسه.

الجمال في الليل إذا عسعس، وأقبل في هدوء يتوجَّس، يُقبل الليل بردائه
الأسود، وشعره المجدد، فيستر الأحياء بثيابه، ويضع الأشياء تحت جلبابه،
فيملأ بجيشه المساكن، في كل متحرِّك وساكن، والليل له هيبة في العيون،
كأنه كتيبة تحمل المنون.

من لا يرى هذا الوجود بقلبه

خسر الجمال وما رأت عيناه

فافتح كتاب الكون تقرأ قصة

هل في الوجود حقيقة إلا هو

الجمال في الشمس وهي على الكون تتبرِّج، ليتمتع في الحسن كلَّ حيٍّ
ويتفرج، أشعة تعانق العين في صفاء، وتداعب الروح في وفاء، نور يطارد الظلام،
وبيعث في الكون الإشراق والوثام، الشمس جرم هائل من النور، فيها معاني الفرح
والسرور، ﴿تَجْرِي مُسْتَقَرِّ لَهَا﴾، فويل لمن غفل عن آياته ولها.

تَقُولُ الشَّمْسُ يَا بَلْقَيْسُ إِنِّي

كَمِثْلِكَ أَعْبُدُ الْأَحَدَ الْمَجِيدَ

حَرَامٌ تَسْجُدِينَ لَنَا فَهَيَّا

نُورِي رَبَّ الْوَرَى مَنَا سُسْجُودَا

الجمال في القمر يوم يبدو علينا بهذا الوجه الصبيح، والمنظر المليح، هالة من الصفاء، وفيض من السناء، ينزل أبراجه في وقار، ويطارد الظلام بالأنوار، كثير الإحسان، حبيب إلى كل إنسان، إذا خسف بكى الناس، كأن حل بهم الباس، يتدرج في النمو حتى يكتمل، ويهرم شيئاً فشيئاً حتى يضمحل، فسبحان من صور ودبر، وزين القمر وكور.

يَا بَدْرُ كَمْ لَكَ مَنَّة

يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ

لَا تَبْتَـمِدْ عَن دَارِنَا

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ

رَافِقَتَ مَنْ غَبَّرُوا وَمَنْ

عَرَفُوا الْحَيَاةَ بِكُلِّ جِيلِ

والجمال في النجوم اللامعة، والكواكب الساطعة، انظر إلى السماء، في الظلماء، وقد رصع تاجها بالنجوم، التي تذهب رؤيتها الهموم والغموم، مهرجان حي من الحسن الباهر، حفل بهيج من الجلال الظاهر، الجوزاء

تضحك في الظلماء، كأنها حسناء في قصر أحد العظماء، الثريا في صُويحباتها، ومع رفيقاتها، في مشهد عجيب، وفي صمت رهيب، سهيل وقد هجر الجميع واعتزل، وهو واقف ما مشى وما نزل، آلاف النجوم تجمل هذا الفضاء الكبير، بتقدير اللطيف الخبير، نجم تراه عن الجميع شاردًا، ونجم يحرق مارداً، ونجم يُعرف به السفر، ويستدل به البدو والحضر، ونجم إنما هو زينة، لهذه السماء الحسينة.

أَلَمْ تَرَهُذَا الْكَوْنَ فِي صُنْعِهِ عِبْرَ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فِي طَلِيعَتِهِ خَبْرَ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عَلُّقَتْ بِجَبِينِهِ

وَفِي جِيدِهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرَ

الجمال في الجبال بالوقار قائمة، وفي جلال القدر هائمة، ثابتة على مرّ الأزمان، باقية ما تعاقب الحدثان، تمرّ بها الرياح الهوجاء، وهي صامدة صماء.

عاش معها ثمود وعاد، وساسان وشدّاد، وهي باقية والجمع قد باد، صاحبت القرون، وشاهدت فرعون وقارون، فبقيت وماتوا، وحضرت وفاتوا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾. وكلّ ما مرّ يدخل في جمال الذات، وحسن الصفات.

أما جمال المعنى، فكن معنا، ولا تذهب وتدعنا. فمن ذلك جمال البيان، مثلما أشرقت به شمس القرآن، أما رأيت حسن هذا الكتاب المقدّس، الذي على الصدق تأسس.

تأثير يسافر إلى أعماق الأرواح، وأسر يشدّ ما اهتز من الصور والأشباح،
 نبأ يترك العاقل متفكراً، وخبر يجعل الإنسان متذكراً، حقيقة تغوص في
 الضمائر، وطُهر يرسخ في السرائر، موكب من النور يجتث أكوام الرذيلة،
 فيض من الحق يحمل معاني الفضيلة، قافلة من الصّلاح تطوي صحراء
 النفوس طياً، نهر من البرّ يروي القلوب العطشى رياً، إيماء وإيجاز، وإفحام
 وإعجاز، عذوبة وحلاوة، وسلاسة وطلاوة، قوّة وأصالة، فصاحة وجزالة، لغة
 جميلة، مقاصد جليلة، براعة استهلال، وحسن تفصيل وإجمال، يسافر بقلبك
 إلى عالم الخلود، ويرتحل بروحك إلى حقيقة الوجود، ويفسل ضميرك من
 لوثة الخيانة، ويطهر كيانك بماء الأمانة، مشاهد وصور، وأحداث وعبر،
 وأخبار وسير، وقصص وأمثال، وأفعال وأقوال، عالم الحياة بأريجيه وضجيجيه،
 وعالم الموت بأنّاته ونشيجيه، دول تمرّ مرّ السحاب، وملوك تدرّس في التراب،
 تقرأ هذه المعجزة الخالدة، فإذا الأمم البائدة، حضارات تسقط كأوراق التوت،
 وممالك تتهاوى كبيت العنكبوت، والقرآن يناديك من أطراف لبك، ومن
 سويداء قلبك.

تدبر يا عبد، جدّ فإن الأمر جدّ، ودع الردّ والصدّ، استفق يا إنسان،
 اهجر عالم الغفلة والنسيان. انبعث من قبور الأشقياء، وتعال إلى جنّات
 الأتقياء، انفض غبار الوثنية، وارفض وساوس الجاهلية، أعتق رقبتك من
 النار، حصّن نفسك من البوار، ارفع رأسك في سماء الكرامة، أنت من أمّة
 الخلافة والإمامة، تقدّم لإصلاح العالم، فالكلُّ سواك هائم عائم.

سَمِعْتُكَ يَا قُرْآنُ وَاللَّيْلُ وَاجِمٌ

سَرِيَتْ تَهْزُ الْكُونُ سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى

فَتَحَنَّا بِكَ الدُّنْيَا فَأَشْرَقَ نُورُهَا

فَسَلْ دَوْلَةَ الْأَخْبَارِ يَرْمُوكَ أَوْ بَدْرًا

أيها الإنسان، شاهد الكون، بعين الإيمان، تنظر للشوك ولا ترى الزهور، تشاهد الأسن ولا تبصر الطهور، يهولك الليل بالظلام، ولا تستمتع ببدر التمام، تشكو من حرارة الشمس اللاذعة، ولا تتلذذ بتلك الأشعة الساطعة. تستوحش من وحدة الصحراء، ولا يؤنسك فيها روعة الإيحاء، ما لك تزعجك الرياح الهوجاء، فأين حُسْنُهَا إذا زارتك وهي رخاء؟ تنظر إلى الصخر كيف تحجر، ولا تنظر إلى الماء منه كيف تفجر، تبصر رداءة التراب، ولا تدرك أنه مادة الإنجاب والإخصاب، لا ترى من السيل إلا الدمار، وهو مصدر النماء والعمار، تأخذ من المصيبة العويل، وتتسى الأجر الجزيل.

تضع على عينيك نظارة سوداء، لترى الحياة جرداء مرداء، فأين الندى والطلّ، وأين الخُضرة والظلّ؟ تسمع نعيق الغراب، ولا تتصت لهديل الحمام الجذّاب، انظر إلى الحياة في ثياب جمالها، وفي رداء جلالها، شاهد الكون وهو في عباءة البهاء، وحلة السناء، طالع العالم بعين الحب، لتشاهد بديع صنّع الربّ، واعلم أن الجحودَ إلحاد، والتتكّرَ فساد، ومن لم يشاهد إلا القبيح، فراه غير صحيح ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.



obeikandi.com

المقامة الفقهية

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾

يَأْبَى السُّؤَالَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً

وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِرُ الْأَذْقَانِ

تَاجُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى

فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين، والفقهاء أفضل من العابدين. بل فقيه واحد، أشد على الشيطان من ألف عابد، والتفاضل ليس بشجاعة الشجعان، فليس الأسد أفضل من الإنسان، والإنسان لا يُراد منه المصارعة، بل المحاجة بالدليل والمقارعة، وليس المدح بقوة البنيان، وهل عظمت بقوة أجسامها الثيران؟ ولكن العبد يُراد منه الفهم، ويفضل بالعلم، فإذا فقه الحجة، وعرف المحجة، نال السعادة الأبدية، والفضيلة السرمدية.

وقد عير الله أعداءه بعدم الفقه في آياته، ووصفهم بسوء الفهم لبيناته. وقد وُصِفَ المنافقون بضخامة الأجسام، والتشدق في الكلام، لكنهم ذُمُّوا بالفهم السقيم، ووُصِموا بالرأي العقيم، فقد حرمهم الله نور البصيرة، لخبث السريرة، ولسوء السيرة، فليس التمايز بكثرة المال، ولا بصفة الجمال، ولا بكمال القوة، ولا بتمام الفتوة، إنما التمايز بتفاضل العقول، وفي سوق الرد والقبول. فهنيئاً لمن ترك العنت في سيرة ونص، واستنبط من النص، فإن

تقليب البصيرة في صفحات الأدلة، من أعظم حسنات خدام الملة، وإن تحديق القلب في مناجم الآثار، من أفضل أعمال الأبرار، وهل فاق وبرز، إلا من بالوحي اعتز، فليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه بالفقه والدراية، وليس الفقه كلاماً يُحفظ، ولا جُملاً تُلفظ، بل فهم عن الله وعن رسوله، ومعرفة القول بدليله، وليس الفقه حكاية آراء الرجال، وجمع القيل والقال، بل الفقه معرفة مقاصد الشريعة، واستنباط المعاني البديعة.

وانظر لابن عباس، كيف بزّ الناس، لما دعا له سيد المرسلين بالفقه في الدين، ولما تكلم الزنادقة، والفرقة المارقة، في أصحاب الحديث، واستهزؤوا بسعيهم الحثيث، وقالوا: إنهم ينقلون أحاديث ليس لها معانٍ، ولا تقوم على مبانٍ، مثل: «يا أبا عمير، ما فعل النغير»، تصدّى لهم محمد بن إدريس، فاستتبط كل معنى نفيس، فأفحمهم، وفي كل بلاء أقحمهم، وقيل لابن عباس، في مجلس إيناس: بِمَ حصلت على هذا العلم، ووصلت إلى هذا الفهم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول. وامتّن الله على سليمان، وفضّله على أبيه في معرفة البرهان، لما حضر لديه الخصمان، قال بعض العلماء: الفقه ما دلّك على الرّشاد، وأبعدك عن الفساد، ومن سجايا الفقيه: صبره على السفية، ومُجانبته كل أمر كربه، فمَن عقل عن الله أمره، وعرف قدره، فهو العالم العارف، والمتقي الخائف.

كان أبو حنيفة يبيع البزّ، ثم نال بالفقه العزّ، كلما أعضلت المشكلات، أخرج من دماغه القبّسات النّيّرات، فحلّها برأي جزيل، وفهم جليل.

الفقه أغلى بضاعة في سوق العلوم، وأشرف مواهب القوم، فإنك تجد الفقيه محل الاعتبار، ترمقه الأبصار، ويعظمه ذوو الأخطار، لأن حاجة الناس

إلى الفقه شديدة، ومجالس الفقهاء لكل الطبقات مفيدة، وقد تجد الرجل في اللغة من الأعيان، يُشار إليه بالبَنان، وترى النحويّ أصبح مرجعاً في علمه، جهبذاً في فهمه، وتُبصر الشاعر بشعره الرائع يخلب لبّ السامع، وتشاهد الخطيب يستولي على القلوب، ويأتي بالقول المحبوب، غير أن الفقيه الربّاني، يجمع محاسن المعاني، ويبلغ بهمته الأمانى، وقد بزّ الكل، وارتقى المحلّ الأجلّ، لعظيم حاجة الناس إليه، وتزاحمهم عليه.

وقد عرفت بالتجربة، أن الفقه أجلّ موهبة، إذا قرّن بالدليل، وبُنِيَ على التأسيس، فإني رأيت الفقيه إماماً، وفي كل جمعٍ مقداماً، وحضرت اجتماعات، وندوات، ومحاضرات، وأمسيات، فإذا الفقه أعظم مطلوب، وأجلّ موهوب، فالفقهاء يُسألون في أعضل المسائل، وتقدّ لهم من الأقطار الرسائل، والكلّ ينصت للفقيه بما يقرّره ويُمليه، فالجميع يصحّح على الفقيه عبادته، والسلطان يقوّي بالفقهاء سيادته، ولو لحنّ في الخطاب، وأبطأ في الجواب، ولو قصرّ في التأريخ لما قابلوه بالتوبيخ، لكن من قصرّ في الأحكام، قُوبل باللام من كافة الأنام، فالعلم ما دلّ على الرّبّ، وصلح به القلب، وهجر به الذنب، وما سواه فليس بذئ بال، ولو تشدّق به الرجال، وقد عرفنا من دَرَس الفقه سنوات، فصار به من السّادات، وعرفنا من أفنى عمره في بعض الفنون، وهو في خانة النسيان مدفون، لم يستفد منه أحد، ولم يعرفه أهل البلد، والسبب في اهتمام البشر، بفقه الأثر، لأن علم الكتاب والسنة، أقرب طريق إلى الجنة، فبهذا عظم قدر فقهاء الإسلام، على مرّ الأيام، فهم طائفة الموقّعين، عن ربّ العالمين، وهم سُرج الظلماء، وغيث السماء.

زَيَّنَ اللهُ بِهِمُ الْأُمَّةَ بَيْنَ الْأُمَمِ، كَمَا زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ فِي الظُّلْمِ، فَهَمُ كِتَابَةُ الدِّيَانَةِ، وَحَمَلَةُ الْأَمَانَةِ، حُرَّاسُ الْمَنْهَاجِ، وَفِرْسَانُ الْحِجَاجِ، وَهَمُ حِفَاطُ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمُحَارِبُو الطَّرِيقِ الْبِدْعِيَّةِ، كَلِمَا تَسَلَّقُوا إِلَى سَمَاءِ الشَّرْعِ كَاذِبٌ، أَحْرَقُوهُ بِشَهَابِ ثَاقِبٍ، وَصَبُّوا عَلَيْهِ الْعَذَابَ الْوَاصِبَ، فَتَوَى فِي صَحِيفَةٍ، أَقْوَى مِنْ قَذِيفَةٍ، وَمَسْأَلَةٌ بَدِيلٍ، أَفْضَلُ مِنْ مَالِ جَزِيلٍ، بَفْتَوَى الْفُقَهَاءَ تُحَقَّنَ الدَّمَاءَ، وَيَفْصَلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَضَاءِ، وَتُقَامُ الْحُدُودُ، وَتُنْفَذُ الشَّرُوطُ وَالْقِيُودُ، يَنْفِذُ أَحْكَامَهُمُ الْأُمَرَاءُ، وَيَحْتَرِمُ كَلَامَهُمُ الْوُزَرَاءُ، وَيَقُومُ بِفَتْوَاهِمِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَتَجْلَهُمُ الْمَحَاكِمُ، وَتَتَزَيَّنُ بِهِمُ الْمَوَاسِمُ، يُوَقَّرُ النَّاسُ مَا سَطَّرُوهُ، وَيَتَّبِعُونَ مَا حَرَّرُوهُ، وَيَتَنَاقَلُ حَدِيثُهُمُ الرِّكْبَانُ، وَتَطِيرُ مَسَائِلُهُمْ فِي الْبُلْدَانِ، يَتَشَوَّقُ الْعَالَمُ لِأَخْبَارِهِمْ، وَيَفِدُ الطَّلَابُ إِلَى دِيَارِهِمْ، وَلَا يَتَّهَمُ لَا تَقْبِلُ الْعَزْلُ، وَقَوْلُهُمْ فَصَّلْ لَيْسَ بِالْهَزْلُ، وَالنَّاسُ يَرْتَقِبُونَ أَقْوَالَهُمْ، وَيَقْلُدُونَ أفعالَهُمْ، تَشِيْعُهُمُ الْأَبْصَارُ، وَيَدْعُو لَهُمُ الْأَخْيَارُ، يَتَبَاشَرُ النَّاسُ بِقُدُومِهِمْ، وَيَنْهَلُونَ مِنْ عُلُومِهِمْ، فَهَمُ فِي الْوُجُودِ كَالْتَّيْجَانِ، وَكَلَامِهِمْ كَالْمَرْجَانِ، وَهَمُ أُمَّةُ الْإِنْسِ وَالْجَانِ.



المقامة الجغرافية

﴿وَالِي الْجِبَالِ كَيْفَ نَصَبَتْ ﴿١٩﴾ وَالِي الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾

الموت يكون لك شافيا، إذا لم تفقه أسرارَ الجُغرافيا .

واعلم أن الأشياخ، أخبرونا أن الإنسان يتأثر بالتضاريس والمناخ. فأهل الجبال، أهل صفاء وجمال، وأهل عاطفة واستعجال، وأهل الصحراء، أهل مكر ودهاء، وصبر وجفاء، وكلما قرب الإنسان من خط الاستواء، كَثُرَتْ حدته والبغضاء، ومن يسكن القطب البارد، فإنه ثقيل جامد، ومن يعيش في أرض خضراء، تجد له رقةً ورواء، ولطفاً ووفاء، ومن كانت داره في أرض مُقْفِرَة، رأيت منه طبائع مُنكرة، من الغلظة والشدة، والضيق والحدة.

فأهل جزيرة العرب، يغلب عليهم الذكاء والأدب، لصفاء سمائهم، وطيب هوائهم، وعدوية مائهم، ولذلك اختار الله منهم الأنبياء، لأن طبيعة بلادهم في استواء، واعتدال ونقاء، فليس لهم خفة البلاد الحارة، لأن أمزجتهم غير قارة، فتجدهم أهل عجلة وطيش، والطرب عندهم أذً من العيش. وليس لأهل الجزيرة كثافة طبع الأوربيين، لأنك تراهم بالمادة متعلقين، فتعلقهم بالعالم المشهود، مع إنكار العالم المفقود، وشكهم في غير الموجود.

وللصفات الحيوانية، أثر على الفصيلة الإنسانية، فتجد أهل الإبل أهل كبر وخيلاء، وأهل الغنم أهل سكينة ووقار وحياء، كما أخبر بذلك خاتم الأنبياء. ومُعاشرة السباع، تؤثر في الطباع، ومن خالطَ الوحوش توحش، فتجده إذا أكل يهرش وينهش، لأن الصاحب ساحب، والطبع جاذب.

يقول المصطفى: «من بدأ جَفَا»، وأهل المدن والحواضر أهل رِقَّة، وفي النظر أهل دَقَّة، والله أرسل من القرى الحاضرة، رُسُلَه بالشرائع الطاهرة، لأن أهل القرى الآهلة بالسكنى أصحاب تجربة، وأذهان مدرّبة، وآداب قويمة، وفِطْرَ في الغالب مستقيمة.

وانظر إلى أهل فارس الأعاجم، لما سكنوا الريف واشتغلوا بالزراعة فكلَّ عليها قائم، صرفت أذهانهم عن التفكير، وضعفت في جانب التدبير، فلم يكن عندهم استعداد لفهم المنقول، لعدم خصوبة العقول.

ولما جمع الروم إلى الخيال، وأوغلوا في التصوّر حتى غابوا به عن الحال، كَثُرَ فيهم الزيغ الفكري، والضلال النظري، لسابق ما عندهم من دين محرّف، وأثارة من علم متلقّف. فاخْتِيرَ العرب للرسالة المحمديّة، لتمام الفِطْرَةِ النقيّة، ووفرة الأذهان الذكيّة.

واعلم أن من البلدان ما تنتج الكاكاو والأناناس، وبعضها تصدر الذهب والألماس، والأخرى تصدر الرُّجال من أهل الكرم والبأس، وبعض الدول تنتج للعالم الحديد، وبعضها تعلّم العلم الوحيد، ولأن العالم بحاجة إلى صلاح وِبرٍ، أشدّ من حاجته إلى شعير وِبرٍ.

والجغرافي المؤمن ينظر إلى الجبال كأنها منائر تُعلن الأذان، أو أصابع مؤمن توحّد الرحمن، ويذكّره النسيم، بنفحة النعيم المقيم، وقَيْظ الصيف الحارّ، بحرارة النار، ويذكّره برد الشتاء وله هريز، ببرد النار والزمهرير، وتذكّره الغابات، حداثق الجنّات، ويتذكّر كم مرّ على الجبال من أجيال، ثم دُفِنُوا تحت الرمال.

ويعجب من قُدرة القدير، وحِكمة اللطيف الخبير، حيث جعل كل شيء بحِكمة، وكلّ فعلٍ برحمة، فلما كانت الصحراء، قليلة الماء، معروضة للشمس في العراء، أنبت فيها شجراً يناسبها، وطبيعته تقاربها، وانظر إلى الأشجار، على ضفاف الأنهار، دائمة الرّواء، كل فصل هي خضراء، تقاوم كثرة الماء، وجعل حيوان البرّ بلا وبر، قليل الشعر، فهو على حرّ الرمضاء مصطبّر، وحيوان القطب عليه من الشعر غطاء، ومن الوبر رداء، ليعتبر بالحكمة من شاء.

يَا مَاسِحَ الْأَرْضِ بِالْأَمْيَالِ تَذَرَعُهَا

يَوْمًا بَعْرَضٍ وَيَوْمًا تَمْسَحُ الطُّولَا

انظُرْ لِمَلَكَةِ الْإِبْدَاعِ ضَاحِكَةً

فِي عَالَمٍ صَارَ بِالْأَحْيَاءِ مَاهُولَا



obeikandi.com

المقامة البوليسية

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾

ومن عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وَيَا النَّاسَ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ ظَالِمٍ

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَّـرُوا بِهِ

وَلَا فِي القَضَا الجَارِي عَلَيْهِمَ بَأْتِمِ

الأفكار الإبليسية، ما تردّها عن العبد الهراوي البوليسية، بل تردّها الأذكار، كما وردت عن المختار، ولكن البوليس، عمله نفيس، إذا قام بالواجب، وحمى الناس من كل سالب وناهب. وفي الآثار: عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الجبار، وعين باتت تحرس الديار، ولو لم يكن في البلاد بوليس وشرطة، لوقع الناس في ورطة، وسوف يأكل القوي الضعيف، ويعتدي السخيف على الشريف، وتوزّع الناس إلى أحزاب، وكسر كل باب، ولقفز اللص من الدريشة، وملكّ الناس العيشة، وسمعت دويّ الرصاص، وصاح الناس هل من مناص، وصار أمن الناس أضحوكة، لأنه مهدد بعصابت محبوكة، وأصبح الليل، يزحف كالسيل، بكل ويل، وتحولت الأسواق، إلى عذاب لا يُطاق، فيسلط الله البوليس، على جنود إبليس، لأن من لا يردعه القرآن، أدبه أعوان السلطان.

أرهبُ بسُـيُفِ اللّهِ كُلُّ مُكذِّبٍ

مُتَهَتِّكٍ فِي الزُّورِ والبُهْتَانِ

فالسيفُ داءٌ للخلّي من التُّقى

ومُكذِّبُ الآثارِ والقُـرآنِ

فالذي هجر المسجد، وذهب يعرّيد، وهدّد أمن الناس وتوعّد، ليس له إلا سوط حارّ، أو سيف بتّار، ليكون عبرةً لغيره من الأشرار، ولكن على من حكّ العين أن لا يُدميها، لئلا يكون حاميتها حراميتها، بل يتقي الله البوليس في العباد، ويكون همّه إصلاح العباد، ليعمّ الأمن والأمانة، والهدوء والصيانة.

ورضي الله عن عمر، ولله ذرّة! لأنه كان في يمينه درّة، أعلى من الدرّة، يؤدّب بها من عصاه، ويضرب بها من رفض الحق وأباه. وعمر أول من أنشأ العسّة في البلد، لردع من فسّد، وقد أحضروا له رجلاً فاسد الفكر، ظاهر النكر، لبّس على الناس في الدين، ليكونوا مرتدّين، فزجره عمر وفضحه، وضربه بالدرّة وبطحه، وأذهب من رأسه بهراوة السلطان، وساوس الشيطان، فلما أفاق الرجل من الغيبوبة، ودمأؤه مسكوبة، صاح في رأسه مؤذّن التوحيد، أصبحنا وأصبح الملك لله الحميد، فهذا العلاج الجذّاب، والدواء المُذاب، يُصرّف من صيدلية عمر بن الخطاب.

يا ناسفَ الظلمِ ثارت هاهنا وهُنَا

فخُذّاعُ أين منها زندق الواري

واعلم أن من الناس طائفة، ليست من ربّها خائفة، لا تجدي فيهم النصائح، ولا يخافون الفضائح، وإنما ينفع فيهم عصا خيزران، كأنها تُعبان، تلفّ على الأكتاف والأمتان، حتى تدمع من حرّها العينان. ويصيح المضروب: الآن حصحص الحق وبيان.

السُّوطُ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَنَصَائِحُ

مَا ضَمَّهَا لَوْحٌ وَلَا دِيْوَانُ

لُغَةٌ سَيَفْهَمُهَا غَيْبِيٌّ مَارِدٌ

مَا فِي حَشَايَا قَلْبِهِ إِيمَانُ

فإن لم يردع السوط من سلب، ولم ترد العصا من نهب، فالسيف أصدق

أنباء من الكتب.



obeikandi.com

مقامة الهمّة

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾

أَمْطِرِي لَوْلَا سَمَاءَ سَرَنْدِيبَ

وَفِي ضِيَابِ تَكَرُّورِ تَبْرَأَ

أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ خُبْرًا

وَإِذَا مِتَّ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرًا

هَمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي

نَفْسُ حُرَّتْرِي الْمَذَلَّةُ كُفْرًا

السلام على أهل الهمم، فهم صفوة الأمم، وأهل المجد والكرم، طارت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود، مطالع السعود، ومراتب الخلود، ومن أراد المعالي هان عليه كل هم، لأنه لولا المشقة ساد الناس كلهم، ونصوص الوحي تُناديك، سارع ولا تلبث بناديك، وسابق ولا تمكث بواديك، أمية بن خلف، لما جلس مع الخلف، أدركه التلف، ولما سمع بلال بن رباح، حيّ عل الفلاح، أصبح من أهل الصلاح.

اطلب الأعلى دائماً وما عليك، فإن موسى لما اختصّه الله بالكلام، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، المجد لا يأتي هبة، لكنه يحصل بالمناهية، لما تعلّمت الصيد الكلاب، أبيع صيدها بنص الكتاب، ولما حمل الهدهد الرسالة، ذكّر

في سورة النمل بالبسالة، نجحت النملة بالمشابرة، وطول المصابرة، تريد المجد
ولا تجِد؟ تخطب المعالي، وتام الليالي، ترجو الجنة، وتفرط في السنّة.

قام رسولنا ﷺ حتى تقطرت قدماه، وربط الحجر على بطنه من الجوع
وهو العبد الأوّاه، وأدميت عقباه بالحجارة، وخاض بنفسه كل غارة.

يُدعى أبو بكر من الأبواب الثمانية، لأن قلبه معلق بريّه كل ثانية، صرف
للدين أقواله، وأصلح بالهدى أفعاله، وأقام بالحق أحواله، وأنفق في سبيل الله
أمواله، وهاجر وترك عياله.

لبس عمر المرقّع، وتأوّه من ذكر الموت وتوجّع، وأخذ الحبيطة لدينه وتوقّع،
عدّل وصدق وتهجّد، وسأل الله أن يستشهد، فرزقه الله الشهادة في المسجد.

عليك الجِدُّ إنَّ الأمرَ جِدُّ

وليس كما ظننت ولا وهمتَا

وبادر فالليالي مُسرعات

وانت بمُقلّة الحَدَثانِ نمتَا

اخرج من سرداب الأمانى، يا أسير الأغاني، انقض غُبار الكسل، واهجر
من عدل، فكلّ من سار على الدرب وصل، نسيّت الآيات، وأخّرت الصلوات،
وأذهبت عمرك السهرات، وتريد الجنّات؟!

ويلك! والله ما شبع النمل حتى جدّ في الطلب، وما ساد الأسد حتى وثب، وما
أصاب السهم حتى خرج من القوس، وما قطع السيف حتى صار أحدّ من الموس.

الحمامة تبني عَشَّها، والحمرة تنقل قَشَّها، والعنكبوت تهندس بيتها والضَّبُّ يحضر مغارة، والجرادة تبني عمارة، وأنت لك مدة، ورأسك على المخدة، في الحديث: «احرص على ما ينفعك»، لأن ما ينفعك يرفعك، «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف». بالقوة يُبنى القصر المنيف، وينال المجد الشريف.

هِمَّةٌ تَنْطَحُ الثُّرَيَّا وَعَزْمٌ

نَبَوِيٌّ يُزَعِزُ الْأَجْبَالَ

صاحب الهمة ما يهمه الحر، ولا يُخيفه القر، ولا يُزعجه الضر، ولا يقلقه المر، لأنه تدرّع بالصبر.

صاحب الهمة، يسبق الأمة، إلى القمة، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ١٠ أولئك المقربون ﴿﴾، لأنهم على الصالحات مُدْرَبُونَ، في البرِّ مُجْرَبُونَ.

الثعلب يرضى بالجيفة، فكتب في آخر الصحيفة، لو أسرع الحمار مثل الحصان، لكان من الهوان يُصان، الشمس تجري، والقمر يسري، وأنت نائم لا تدري، أنت أكل شروب، لعوب طروب، صاحب ذنوب.

فَلَنْ يَنْفَعِ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوِي

وَلَنْ تُتَّقِيَ حَتَّى تَكُونَ ضَاوَرِيَا

لما تجرّع الأحنف غصص الغضب، صار حليم العرب، ولما بذل روحه للموت عنتره، شبَّهوه بقسورة، ولما بذل حاتم طعامه لكل قادم، وأنفق أمواله في المواسم، صار مضرب المثل في الجود، وقصة الكرم في السهول والنجود.

لَمَّا طَارَ الْقَمْرِي قَعْدَ فَوْقِ الْأَغْصَانِ، وَلَمَّا مَشَى الْجِعْلَانَ بَقِيَ مَعَ
الديدان، سافر العود من الهند، فسُمِّي بالنَّدِّ، وأقام بأرضه الخشب، فسَمَّاهُ
الناس الحطب.

إديسون مُكتشف الكهرباء، قضى عمره في اختراعه حتى أذهل به
الحكماء، فلا نامت أعين الأغبياء.

مُكتشف الذَّرَّة، أجرى عليها التجربة عشرة آلاف مرة.

عَمِيَ بعض المحدثين من كثرة الرواية، فما كلُّ ولا ملُّ حتى بلغ النهاية،
مشى أحمد بن حنبل من بغداد إلى صنعاء، وأنت تقتر في حفظ دعاء. سافر
أحدهم إلى مصر، غدوه شهر، ورواحه شهر، في طلب حديث واحد، ليدرك به
المجد الخالد. لولا المحنة، ما دُعِيَ أحمد إمام السُّنَّة، وصل بالجلد إلى المجد.
ووضع ابن تيمية في الزنزانة، فبزَّ بالعلم زمانه. واعلم أن الماء الراكد فاسد،
لأنه لم يسافر ولم يجاهد، ولمَّا جرى الماء، صار مطلَّب الأحياء، بقيت على
سطح البحر الجيفة، لأنها خفيفة، وسافر الدرُّ إلى قاع البحر، فوضع من
التكريم على النحر.

فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثُّرَى

وَهَامَةٌ هَمَّتْ فِي الثُّرَى

يا كثير الرِّقَاد، أما لنومك نَفَاد، سوف تدفع الثمن، يا من غلبه الوسن،
تظنُّ الحياة جلسة وكبسة، ولبسةٌ وخلصَةٌ، بل الحياة شرعة ودمعة، وركعة
ومحاربة بدعة.

الله أمرنا بالعمل لينظر عملنا، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فالحياة عقيدة وجهاد، وصبر وجلاد، ونضال وكفاح، وبرٌّ وفلاح، لا مكان في الحياة للأكل الكسول، ولا مقعد في حافلة الدنيا للمخدول.

ابدأ في طلب الأجر من الفجر، بقراءة وذكور، ودُعَاءٍ وشكر، لأنها لحظة انطلاق الطير من وكورها، ولا تنس: «بَارِكْ اللهُ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». العلم في حركة، كأنه شركة، وقلبك خربة، كأنك خشية، الطير يغرد، والقُمْرِيُّ ينشد، والماء يتمتم، والهواء يهمهم، والأسود تصول، والبهاائم تجول، وأنت جثة على الفراش، لا في أمر عبادة ولا معاش، نائم هائم، طروب لعوب، كسول أكل.

استيقظ على نبرات الخطاب الشرعي، ودعنا من وساوس الهاجس البدعي، لأن الشريعة، تدعو للهمّة البديعة، تقول لأتباعها ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾، لأنهم حملوا كتابهم، وألقوا للعالم خطابهم فهداهم ربهم صوابهم.

وأهل السّوَالف، رضوا بأن يكونوا مع الخوَالف، لأن لهم في الضلالة سوابق، فهم يتصيدون كل مارق، عن الحق آبق، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، فهبوا وتركوا مضجعهم، ولو أراد الله بهم خيراً لأغاثهم، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾.

الفرس بهمته يعضّ لجامه ويلوك، فركبه الملوك، والحمار آثر المقام في الرباط، فضرب بالسيّاط.

وَسَوْفَ تَرَى إِذَا انْقَشَعَ الْغُبَارُ

أَفْرَسُ تَحْتِكَ أَمْ حِمَارُ

يقدم لك ابن جرير، كتاب التفسير، محققاً منقحاً، مدبجاً مصححاً، ثم لا تصطفيه، ولا تقرأ فيه. ألف ابن حجر فتح الباري في ثلاثين سنة، فله دره ما أجمل كتابه وأحسنه، ثم تهمله في الرف، وعينك نحوه لا ترف، فأف لك أف! ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ صَبَابَةٌ

تَسَارَ عَلَى الْأَقْدَامِ فِي الشُّوكِ وَالْحَصَى

هذا الكافر مُثَابِر، كل يوم مغامر، سير في الأرض السيّارة، وأطار في السماء الطيّارة، جعل لغذائك ثلاجة، ولمائك زجاجة، وما لك عمل إلا أن تأكل وتشرب، وتلهو وتلعب.

وَلَا تَقُلْ الصَّبَابَ فِيهِ اتِّسَاعُ

وَفَكَّرَ كَمْ صَبِيٌّ قَدْ دَفَنْتَنَا

تَقَرُّ مِنَ الْهَجِيرِ وَتَقِيهِ

فَهَلَا مِنْ جَاهِنَّمِ قَدْ فَرَرْنَا

أنت تفتر والملائكة لا يفترون، وتسام العمل والمقربون لا يسأمون، بم تدخل الجنة؟ هل طعنت في ذات الله بالأسنة؟ هل أوديت في نصر السنة؟ انفض عنك غبار الخمول، يا كسول! فبال العزيمة أذن في أذنك فهل تسمع؟

وداعي الخير دعاك فلماذا لا تسرع؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

ولا بدّ للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها، ولا بدّ للعزائم المتوتّبة أن تدرك مرغوبها، سنّة لا تتبدّل، وقضية لا تتحوّل.

سَوْفَ تَأْتِيكَ الْمَعَالِي إِنْ أَتَيْتَنَا

لَا تَقُلْ سَوْفَ عَسَى أَيْنَ وَلَيْتَنَا

واعلم أن الهمّة توقّد القلب، واستسهال الصعب، وركوب الخطب، فالعذاب بالهمّة عدّب. ومن عنده همّة عارمة، وعزيمة صارمة، اقتحم بها أسوار المعالي، وصار تاريخه قصة الأيام والليالي.

فقل للمتخلفين اقعدوا مع الخالفين، لأن المنازل العالية، والأمانى الغالية، تحتاج إلى همم موأرة، وفتكات جبّارة، لينال المجد بجدارة. وقل للكسول النائم، والثقل الهائم: امسح النوم من عينيك، واطرد الكرى من جفنيك، فلن تنال من ماء العزّة قطرة، ولن تر من نور العلاء خطرة، حتى تثب مع من وثب، وتفعل ما يجب، وتأتى بالسبب.

أَقْسَمْتُ أَنْ أوردَهَا حُورَةً

أَصَافِحُ الْمَجْدَ بِعِزْمِ الصَّبَّاحِ

إِمَّا فَتَى نَالَ الْمُنَى فَاشْتَفَى

أَوْ فَارِسٌ زَارَ الرَّدَى فَاسْتَرَاحَ

إِذَا سَأَلْتَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَا

أَمَلْتَهُ نِلْتَ الْمُنَى وَالنَّجَاحُ

بِهَيْمَةٍ تُخْرِجُ مَاءَ الصُّفَا

وَعَزْمَةٍ مَا شَابَهَا قَوْلُ أَح

ألا فليهنأ أربابُ الهمم، بوصولِ القمم، وليخسأ العاكفون على غفلاتهم في الحضيض، فلن يشفع لهم عند ملكوت الفضل نومهم العريض، وقل لهؤلاء الراقدين: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَّ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، فهبوا إلى درجات الكمال نساءً ورجالاً، ودرّبوا على الفضيلة أطفالاً، و﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

طَاوَلْ بِهَا النَّجْمَ مَالَ النَّجْمِ أَوْ جَنَجَا

وَمَا طَلَّ الْجَفْنَ ضَنَّ الْجَفْنَ أَوْ سَمَحَا

فَإِنْ تَشَكَّتْ فَعَالَهَا الْمَجْرَةَ مِنْ

صَفْوِ الصَّبَاحِ وَعِدَّهَا بِالرَّوَّاحِ ضَحَى



مقامة البخلاء

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَافِيَهُمْ

عن القيرى وعن الترحال مردود

جود الرجال من الأيدي وجودهم

من اللسان فلا كانوا ولا الجود

البخيل نذل، والبخل خلق رذل، وحسبك أن الرسول ﷺ استعاذ من البخل، وليت البخيل إذا علامات، لأن له على بخله علامات، فمنها أن يفقد الصواب، إذا طرقت الباب، ويكثر السباب، عند رؤية الأجناب، وإذا رأى الضيف ضاق صدره، والتبس عليه أمره، فتعلوه قشعريرة، ويقع في حيرة، ومنها أنه يكثر الأعدار، ليخرج نفسه من هذه الأخطار، وإذا قام بضيافة، نوه بها وهولها كأنه تولى الخلافة. يذم الأجواد، ويمدح الاقتصاد، يتفجع إذا رأى طعامه يُعرف من القدر، تفجع الخنساء على أخيها صخر.

أوصى بخيل ولده، وقد قطع بالإنفاق كبده، فقال: يا بني ما هذا الإسراف؟ يا أيها المتلاف، أما تخشى، أما تخاف؟ ما تؤثر فيك النصائح، ولا تخاف الفضائح؟ أين من كان يقتصد، ويحفظ ماله ويجتهد؟ كان أحدهم يضع ماله في صرة، لئلا يؤخذ على غرة، ثم يخرج الصرة، في كل سنة مرة، فيقرأ عليها المعوذات، وأعوذ بكلمات الله التامات، كان الرغيف يسد رمقه من

الصباح إلى الليل، لأنه يعلم أن الدهر أبو الويل، فخلف من بعدهم خلف، فيهم كل مُسرف جلف، يأكل في اليوم ثلاث وجبات، ولا يتفكر في مصارع الأموات، ليرتدع من هذه الزلات.

أما أخبار البخلاء، فقد جمعها بعض الأدباء.

فمنها أن بخيلاً دخل بيته ونسي أن يغلّق الباب، فدخل على إثره فقير ممزّق الثياب، فناوله البخيل قطعة خبزة، ثم أخذ حبلاً وربطه وحرّه، وقال والله لا أتركك تُخيف مسلماً هذه الليلة، أو تروّع مؤمناً بكل حيلة.

وقدّم بخيل الطعام لضيوفه، ثم جلس مهموماً محسوراً، وقال: ﴿إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لُوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾.

وطرق فقير باب بخيل، وقد أظلم الليل، فلم يفتح البخيل بابه، ولم يرفع حجابَه فصاح الفقير بصوت كسير: أين من كانوا يفرحون إذا رأوا أضيافاً؟ فردّ البخيل بقوله: ماتوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

وأعطى أحد الوزراء بخيلاً مائة ألف دينار، حتى أصبح بها من الأغنياء الكبار، فقال له جيرانه: هنيئاً لك المبلغ الكبير، فقال: والله ما هو بكثير، وعندى زوجة وطفل صغير، فكان إذا أراد أن يُخرج منها ديناراً، قبله مراراً، وقال: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً، وما أطيبك ميتاً.

لا ينزغ الموت نفساً من نُفوسِهِمْ

إلا وفي يَدِهِ من نَتْنِهَا عُوْدُ

وقال فقير لبخيل: أعطني درهماً فقط، فقال: هذا غلط، وجور وشطط؛ لأن الدرهم مع الدرهم، مائة درهم، ثم يزيد إلى ألف، ثم إلى مائة ألف، فتريد أن تهدم مالي، وتجوّع عيالي بسؤالي، وافرض أنني أعطيتك درهماً، فلن ألبث حتى أصير مثلك مُعدماً، فأنت تريد أن تغشّنا فارحل عنا، ومن غشّنا فليس منا.

وللبخيل على أمّوَالِهِ عِللٌ

زُرُقُ العُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُوْدُ

ودخل رجل أكل على بخيل فقدم له غذاءه، وجلس حذاءه، وقال له يوصيه: اجعل ثلث بطنك للغذاء، وثلثاً للماء، وثلثاً للهواء، قال الأكل: بل كلّها للطعام، يا سيّد الكرام، لأن الماء سوف ينشّ، والهواء سوف يفشّ، فقال البخيل: أنا مُنذِرٌ مُحدّرٌ، ومن أنذر فقد أعذر.

يا قائماً في بيته قاعداً

من غير ما معنى ولا فائدة

قد مات أضيافك من جوعهم

فاقرأ عليهم سورة المائدة

واعلم أن البخيل كثير الأعداء، دائم الإنذار، فإن جئته مبكراً قال: ما لك تقدّمت؟ وإن أبطأت قليلاً قال: هداك الله تأخّرت، إذا حلّ به ضيف نسي الترحيب، وقال: هذا يوم عصيب، وإن طرقت بيته طارق، رآه كأنه سارق، وإذا دخل عليه الضيف قتل الكلام، وأكثر على أهله السبّ والخصام، ولا يسأل الضيف عن أخباره، بل تراه كثير القيام والقعود بداره، وتراه لا يترك في

البيت صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فهو يعرف ما له علاقة بالنفقة قد ضبطها ووعاها، إذا نقص دينه ذكر المعاذير، وأن الإنسان لا يسلم من التقصير، فإذا أراد أحد التعرض لشيء من ماله، أنكر بقلبه وبده ولسانه، وأشهر الحمية والأخذ بالتأثر ولو من إخوانه، قد هيأ العذر لكل حاجة، وإن لم يجد استعمل الغضب واللجاجة، فإن أتاه طالب، ووفد إليه راغب، قال: الحقوق كثيرة، والحاجات كبيرة، ويُعيد عليك متن «خير الناس، من لا يحتاج إلى الناس، وأفضلهم من كفَّ عنه البأس».

ومن وصايا البخيل: عليكم يا إخوان بحفظ المال، فإنه لا يعلم أحد بتغيير الأحوال، والدنيا من حال إلى حال، ولن ينفعك إلا مالك، ولن يقف معك أعمامك وأخوالك، واذكروا يا إخوان تقلب الزمان، وقلة الأعوان، فرحم الله من أمسك ديناره، وأغلق داره، ولم تخدعه الدنيا الغرارة، فعليكم بالاقتصاد، فإنه مذهب الأجواد، فقد أدركنا أقواماً من الصالحين، كانوا يكيلون الطحين، ويقتصدون حتى في شرب الماء، لئلا تذهب أقوالهم هباء، ومنهم من كان يفترش التراب، وينام على الأعشاب، ومنهم من كان يكتفي بوجبة في اليوم واحدة، ليغيب بجمع المال حاسده، ثم يقول: وقد أدركت قوماً من الأولياء، ينامون بلا عشاء، ويكتفون بالفطور عن الغداء، وكان أحدهم إذا حدثته نفسه الأمارة بالسوء بشراء طعام، لامها أشد الملام، وخطمها عن شهواتها بخطام، وزمها عن رغباتها بزمام، ولقد أدركت عبداً من الأبرار، وولياً من الأخيار، حدثته نفسه الأمارة، بشراء خيارة، فرجع على نفسه بالتوبيخ، وأقسم لها لن يعطيها هواها ولو أرادت قطعة من البطيخ، لأن القوم لما صحَّت منهم العقول، تركوا الفضول، وحفظوا أموالهم من كل مسرف جهول.

ولقد أدركنا مريم العابدة، المقتصدة الزاهدة، وكانت تبيع الفصص، ولها في ذلك علم وتخصّص، فإذا اجتمع لها مئة ريال، وضعتها وراء الأقفال، وأقسمت بالله لا يزال حتى تزول الجبال، وكانت رحمها الله، إذا ظمأ الحمار، أبطأت عليه بالماء ولو كان الماء في الدار، لتعوّده التحمّل والاصطبار، وكانت تأخذ النخالة من الشعير، فتجعلها كالخبز الفطير، وكانت تمشي بين القرى، تجمع قطع الفرى، وكلما وجدت عوداً أخذته، وإذا مرّت بحبّ جمعته، فلا يأتي المساء، إلا وقد أدركها الإعياء، لكن يهون التعب، ويذهب النّصب، إذا تذكّرت صروف الأيام، وطول الأعوام.

قال: وقد أدركتُ شيخاً كبيراً، كان بالأيام بصيراً، بقي عليه ثوبه عشرين عاماً، حتى أصبح الثوب ألواناً وأقساماً، فكلما انخرق الثوب خاطه برقعة، حتى صار مائة بقعة، ثم جاء قوم من المبذرين، لا يحبّون المنذرين، يفني أحدهم ثوباً كل عام، ولا يخاف العذاب والمّلام، قال: ولقد أدركت حامد المقتصد، وكان في حفظ المال يجتهد، بقيت معه حذاؤه عشر سنوات، وكان يمشي حافياً في الفلوات، وربما حمل حذاءه بيده الكريمة، خوفاً من العواقب الوخيمة، فإذا نام جعلها تحت رأسه، حرصاً عليها من غدر السارق وبأسه، فانظر حرصهم - رحمهم الله - على حفظ المال، وعدم اغترارهم بلوم الرجال، فأين حالنا من حالهم؟ ولذلك لا يقارن مالنا بمالهم، ثم بكى حتى كادت أضلاعه تختلف، وأخذ يقول ما أحسن أخبار من سلف، وما أكثر إسراف هؤلاء الخلف.

يا مَوْت ما لك يا غريب الشَّانِ

تَلَج البيوت بغير ما استئذنان

فخذ البخيل جُزيتَ خيراً إنه

سقم على الأرواح والأبدان

مزقه تمزيقاً وقطع رأسه

حتى يذوق مَرارة الحرمان

فهو الذي منَع الجميلَ حياته

وهو اللئيم بحضرة الضيفان

يا أيها البخيل يا قليل الأدب، يا رديء النسب، يا مفلس الحسب، يا سريع
الغضب، يا ظاهر العتب، يا سبّة العرب، أين أنت يا مُرائي من حاتم الطائي
حيث يقول:

أما والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ

ويُحيي العظامَ البيضَ وهي رَميمُ

لقد كنتُ أطوي البطنَ والزادُ يَشْتَهَى

مَخافةً يوم أن يُقالَ لئيمُ



مقامة السعادة

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ

وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ

وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

فَمَا لِحَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

قال الراوي: جاءنا رجل مهموم، قد أنهكته الغموم، فهو من الحزن مكظوم، فقال: أيها الناس، حلّ بنا البأس، وذهب منا السرور والإيناس، وتفرّد بنا الشيطان، فأسقانا حميم الأحزان، فهل منكم رجل رشيد، رأيه سديد، يصرف عنا هذا العذاب الشديد.

فقام شيخ منا، ينوب عنا، وهو أكبرنا سنًا، فقال: أيها الرجل الغريب، شأنك عجيب، تشكو الهمّ والوصب، والغمّ والنّصب، أراك لم يبقَ منك إلا العصب، أما تدعو الرحمّين، أما تقرأ القرآن، فإنه يُذهبُ الأحزان، ويطرد الوحشة عن الإنسان، ثم اعلم وافهم، لتسعد وتسلم، إن من أعظم الأمور، في جلب السرر، الرّضا بالمقدور، واجتتاب المحذور، فلا تأسف على ما فات، فقد مات، ولو أنه كنوز من الذهب والجنيّيات، واترك المستقبل حتى يُقبل، ولا تحمل همّه وتنقل، ولا تهتمّ بكلام الحُساد، فلا يُحسد إلا من ساد، وحظّي بالإسعاد، وعليك بالأذكار، فبها تُحفظ الأعمار، وتدفع الأشرار، وهي أنس الأبرار،

وبهجة الأخيار، وعليك بالقناعة، فإنها أربح بضاعة، واملأ قلبك بالصدق، واشغل نفسك بالحق، وإلا شغلتك بالباطل، وأصبحت كالعاطل، وفكّر في نعم الله عليك، وكيف ساقها إليك، من صحة في بدن، وأمن في وطن، وراحة في سَكَن، ومواهب وفِطْن، مع ما صرف من المحنّ، وسَلِمَ من الفتن، واسأل نفسك في النعم التي بين يديك، هل تريد كنوز الدنيا في عينيك؟ أو أموال قارون في يديك؟ أو قصور الزهراء في رجلك؟ أو حدائق دمشق في أذنيك؟ وهل تشتري مُلْكَ كسرى بأنفك ولسانك وفيك، مع نعمة الإسلام ومعرفتك للحلال والحرام، وطاعتك للملك العلام، ثم أعطاك مالاً ممدوداً، وبنين شهوداً، ومهد لك تمهيداً، وقد كنت وحيداً فريداً. واذكر نعمة الغذاء والماء والهواء، والدواء والكساء، والضياء والهناء مع صرف البلاء، ودفع الشقاء.

ثم ارض بما جرى عليك من أقدار، فأنت لا تعرف ما فيها من الأسرار، فقابل النعمة بالشكر، وقابل البلية بالصبر، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، واغفر لكل مَنْ قَصَرَ في حقك وأساء، واغسل قلبك سبعاً من الأضغان، وعفّره الثامنة بالغفران، وانهمك في العمل، فإنه يطرد الملل، واحمد ربك على العافية، والعيشة الكافية، والساعة الصافية، فكم في الأرض من وحيد وشريد، وطريد وفقيد، وكم في الأرض من رجل غلب، ومال سلب، وملك نُهب، وكم من مسجون، ومغبون ومديون، ومفتون ومجنون. وكم من سقيم، وعقيم ویتيم، ومن يلازمه الغريم، والمرض الأليم.

واعلم أن الحياة غرفة بمفتاح، تصفّقها الرياح لا صَحَبَ فيها ولا صياح، وهي كما قال ابن فارس:

مَاءٌ وَخُبْرٌ وَظِلٌّ

ذَاكَ النَّعْمِ يَوْمَ الْأَجَلِ

كَفَرْتُ نِعْمَةً رَبِّي

إِنْ قُلْتُ إِنِّي مُقْبِلٌ

واعلم أن لكل باب من الهمّ مفتاحاً من السرور، للذنب ربٌّ غفور، والفلك يدور، وأنت لا تدري بعواقب الأمور، وملك كسرى تُغني عنه كِسْرَةٌ، ويكفي من البحر قطرة، فلا تذهب نفسك على الدنيا حسرة، ولا تتوقع الحوادث، ولا تنتظر الكوارث، ولا تحرم نفسك لتجمع للوارث، ويُغنيك عن الدنيا مصحف شريف، وبيت لطيف، ومتاع خفيف، وكوز ماء ورغيف، وثوب نظيف.

والعُزلة مملكة الأفكار، والدواء كل الدواء في صيدلية الأذكار، وإذا أصبحت طائعاً لربك، وغناك في قلبك، وأنت آمن في سربك، راضٍ بكسبك، فقد حصلت على السعادة، ونلتَ الزيادة، وبلغت السيادة.

واعلم أن الدنيا خدّاعة، لا تساوي همّ ساعة، فاجعلها طاعة.

فلما انتهى من وعظه، أُعجب بلفظه، وحُسن لحظه، وقال له: جزاك الله عني أفضل الجزاء، فقد صار كلامك عندي أشرف العزاء.



obeikandi.com

مقامة الفرج بعد الشدة

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

عَسَى فَرْجٌ يَكُونُ عَسَى نَعْلَلُ نَفْسَنَا بَعْسَى

فَلَا تَجْزَعُ إِذَا حُمِلَتْ هَمًّا يَقْطَعُ النَّفْسَا

فَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْمَرْءُ مِنْ فَرْجٍ إِذَا يَأْسَا

إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اشتد الحبل انقطع، وإذا اشتد الظلام بدأ الفجر وسطع، سنة ماضية، وحكمة قاضية، فلتكن نفسك راضية، بعد الظمأ ماء وظل، وبعد القحط غيث وطل، يا من بكى من ألمه، ومرضه وكده، يا من بالغت الشدائد في رده وصدده، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده:

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْيُنِهَا

وَلَا تَبْيِئَنَّ إِلَّا خَالِيَ الْبِأَلِ

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا

يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ما عرفنا لكثرة حزنك عذرك، سهل أمرك، وأرح فكرك، أما قرأت ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ؟ ألا تفرح، وفي عالم الأمل تسرح، وفي دنيا اليأس تمرح، وأنت تسمع ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾، يا من شكوا الخطوب، وعاش وهو منكوب، ودمعه من الحزن مسكوب، في قميص يوسف دواء عيني يعقوب، وفي المغتسل البارد شفاء لمرض أيوب.

الْغَمَّ رَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِنَهُ

ثُمَّ يَذْهَبْنَ وَلَا يَجْنُهُ

للمرض شفاء، وللعلة دواء، وللظماً ماء، وللشدة رخاء، وبعد الضراء سراء، وبعد الظلام ضياء، نار الخليل تصبح باليسر كالظلّ الظليل، والبحر أمام موسى يفتح السبيل، ويونس بن مَتَّى يخرج من الظلمات الثلاث بلطف الجليل.

المختار في الغار، أحاط به الكفار، فقال الصديق: هم على مسافة أشبار، نخشى من الدمار. فقال الواثق بالقهار: إنَّ الله معنا، وهو يسمعنا، ويحمينا كما جمعنا.

هِيَ الْأَيَّامُ وَالْغَيْرُ يُرُ

وَأَمْرُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ

أَتَيْتُ أَسْ أَنْ تَرَى فَرَجاً

فَأَيَّنَ اللَّهُ وَالْقَدْرُ

قل لمن في حضيض اليأس سقطوا، وعلى الشؤم هبطوا، وفي مسألة القدر غلطوا: اعلّموا أنه ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، كان بلال يُسحب على الرمضاء، ثم رُفِعَ على الكعبة لرفع النداء، وإسماع الأرض صوت السماء. كان يوسف مسجوناً في الدهليز، ثم مَلَكَ مصر بعد العزيز، كان عمر يرمى الغنم في مكة، ثم نشر بالعدل مُلكه، وهو الذي قطع حبل الجور وفكّه، وسحق صرّح الطغيان ودكّه.

يا مَنْ داهمته الأحزان، وبات وهو سهران، وأصبح وهو حيران، ألم تعلم
أنه في كل يوم له شأن، يا مَنْ هدته الهمم وأضناه، وأقلقه الكرب وأشقاه، وزلزه
الخطب وأبكاه، أنسيت ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ .

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ

وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارَهُ وَاطْمَمَ أَنْتِ

وَأَرَسْتَ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الضُّرِّ نَفْعاً

وَمَا أَجْدَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَمُوثٌ

يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ

فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ، و﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

سينكسر قيد المحبوسين، في زنانات المتجبرين، وسيسقط سوط
الجلادين، الذي قطعوا به جلود المعذبين، وسيمسح دمع اليتامى، وتهدأ أنات

الأيامى، وتسكن صرخات الثكالى. هل رأيت فقيراً في الفقر أبداً، هل أبصرت
محبوساً في القيد سرمداً، لن يدوم الضرّ ممتداً لأن هناك أحداً فرداً صمداً.

أَيُّهَا الْيَائِسُ مُتَّ قَبْلَ الْمَمَاتِ

أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةً فَالْرَجَا

لَا يَضِقُ ذَرْعَكَ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ

إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ فَأْمَلْ فَالْرَجَا

من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل همٍّ
فرجاً، بلا حول ولا قوة إلا بالله تحمل الأثقال، وتسهّل الأهوال، وتُصلح
الأحوال، ويُشرح البال، ويرضى ذو الجلال. بشرّ الليل بصبح صادق يطارده
على رؤوس الجبال، وبشرّ القحط بماء زلال، يلاحقه في أعماق الرمال، وبشرّ
الفقير بمال، يُزيل عنه الإملاق والإمحال.

لَا تَيْبَسْ أَسْنُ فِي النُّوَبِ

مَنْ فَارَجَةً تَجْلُو الْكُرْبِ

وَاصْبِرْ إِذَا خَطَبُ دَهَى

يَأْتِ الزَّمَانَ بِالْعَجَبِ

وَارْجِ إِلَهَ رَحْمَةً

أَخْلَصْ دَعَاءً يَسْتَجِبُ

واعلم أن لكل شدة مدة، وإن على قدر المؤونة، تُنزل المعونة، وإن الله يستخرج البلاء، بصادق الدعاء، وخالص الرجاء. واعلم أن في الشدائد إذابة الكبر، واستدرار الذُّكر، وجلب الشكر، وتببيه الفكر.

فارحل بقلبك إذا الهمُّ برك، واشرح صدرك عند ضيق المعترك، ولا تأسف على ما مضى ومن هلك، فليس بالهموم عليمًا درك، واعلم أنه لا يدوم شيء مع دوران الفلك، وعسى أن تكون الشدة أرفق بك، والمصيبة خير لك. فإذا ضاقت بك السُّبل، وانقطعت بك الحيل، فاجأ إلى الله عزَّ وجلَّ.

واعلم أن الشدائد ليست مستديمة، ولا تبقى برحائب مقيمة، ولعلَّ الله ينظر إليك نظرة رحيمة، والدنيا أحوال، وألوان وأشكال، ولن تدوم عليك الأهوال، فسوف تُفَتِّح الأقفال، وتُوضِع الأغلال، واصبر وانتظر من الله الفرج، فكأنك لبليل الشدة قد انبلج:

لَا تَعَجَلَنَّ فَرِيْمًا

عَجَلِ الْفَتَى فِيمَا يَضُرُّ

فَالْعَيْشِ أَحْوَالَهُ يَعُو

دُعَى حَالَوَاتِهِ بِمُرُّ

وَلَرِيْمًا كَرِهَ الْفَتَى

أَمْرًا عَوَاقِبُهُ تُسْرُّ

واعلم أن الشدائد تفتح الأسماع والأبصار، وتشحن الأفكار، وتجلب الاعتبار، وتُعَلِّم التحمل والاصطبار، تُذيب الخطايا، وتعظم بها العطايا، وهي

للأجر مطايا. فاطلب من الله الرعاية، واسأله العناية، فلكل مصيبة غاية،
ولكل بليّة نهاية. كم من مرة خفنا، فدَعَوْنَا رَبَّنَا وهتفنا، فأنقذنا وأسعفنا، كم
مرة جُعْنَا، ثم أطعمنا رَبَّنَا وأشبعنا، كم مرة زارنا الهمّ، وبرّح بنا الغمّ، ثم عاد
سرورنا وتم، كم مرة وقعنا في الشّبّاك، وأوشكنا على الهلاك، ثم كان من الله
الانطلاق والانفكاك، أنت تتعامل مع لطيف بعباده، معروف بمداده، جواد في
إسعاده، غالب على مراده، فلذّ به ونادِه، إذا داهمتك الشدائد السّود، وحلّت
بك القيود، وأظلم أمامك الوجود، فعليك بالسجود، ونادِ يا معبود، يا ذا
الجود، أنت الرحيم الودود، لترى الفرج والنصر والسعود.

لَطَائِفُ اللَّهِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

كَلِمَةِ الطَّرْفِ إِذَا الطَّرْفُ سَجَى

كَمْ فَرَجَ بَعْدَ إِيَّاسٍ قَدِ اتَى

وَكَمْ سُورٍ قَدِ اتَى بَعْدَ الْأَسَى

أيّها الإنسان في آخر النفق مصباح، ولباب الهموم مفتاح، وبعد الليل
صباح، وكم هبّت للقائظ من الفرج رياح. أيّها الظمآن وراء هذا الجبل ماء،
أيّها المريض في هذه القارورة دواء، أيّها المسجون انظر إلى السماء، أيّها
المتشائم أمسك حبل الرجاء.

كُنْ كَالنَّمْلَةِ فِي صَعُودٍ وَهَبُوطٍ، وَعَلُوٍّ وَسُقُوطٍ، وَلَا تَعْرِفِ الْيَأْسَ وَلَا
الْقَنُوطَ، وَلَا تَعْتَرِفْ بِالْإِحْبَاطِ فِي كُلِّ شَوْطٍ. كُنْ كَالنَّحْلَةِ فِي طَلَبِ رِزْقِهَا
قَائِمَةً، وَفِي حُسْنِ ظَنِّهَا دَائِمَةً، وَعَلَى الزُّهُورِ حَائِمَةً، وَفَوْقَ الرُّوضِ عَائِمَةً

وليست مع اليأس نائمة. كن كالهدهد، مع كل صباح ينشد، ومع الربيع يتجدد،
وعلى بلقيس تردد، وسليمان له تفقد، فأسلم لربه ووحد، وأنكر على من كفر
وألحد، فنال المجد المخلد، والذكر المؤبد.

أي هذا الشاكي وما بك داء

كيف تغدو إذا غدوت عليلاً

أترى الشوك في الورود وتعمى

أن ترى فوقه الندى إكليلاً

والذي نفسه بغير جمال

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

على رؤوس الجبال شمس من الفرج مشرقة، وعلى مشارف التلال هالة
من النور بارقة، وعلى كل باب للحزن من السرور طارقة.

افتح عينيك، ارفع يديك، لا تساعد الهم عليك، ولا تدع اليأس إليك.

السمك والقرش، والطيور والوحش، كلها ترجو ربّ العرش، فاتجه أنت
إليه، واشكّ الحال إليه، فإن فرجه أسرع من البرق الخاطف، وله في كل
لحظة لطائف.

اللهم اصرف عنا المصائب، وردّ عنا النوائب، وكفّ عنا كفّ المعائب.

اللهم سهّل الحزون، وهوّن المنون، وأشبع البطون، وافتح للمضطهدين
أبواب السجون، واجعل الخائفين من أمنك في حصون، اللهم احلل الحبال

المعقدة، وسهّل الأمور المشدّدة، واكشف السُّحْب الملبّدة، أجب سِهَام الليل
المسدّدة.

اللهم اجعل ليل همومنا صباحاً من الفرج يشرق، ولظماً أكبادنا نهراً من
الأمّل يتدفق، ولجراح مآسينا يداً بالشفاء تترقق. اللهم أغننا عن الناس،
وارزقنا مما في أيديهم اليأس، ورُدَّ عَنَّا البأس، واجعل التقوى لنا أجمل لباس،
وأقوى أساس.

لك الحمد حتى يملأ طباق الغبراء، وأجواء السماء، ولك الثناء حتى
تشدو به الأطيّار، وتميل به الأزهار، ويحمله الليل والنهار. ولك المجد يا ذا
الجود، ما قام الوجود، وسألَ الماء في العود، ونصب للحياة عمود.

هل يُرَجَى سواك، هل يُعبد إلا إياك، هنيئاً لمن دعاك، وطوبى لمن ناجاك،
والصلاة والسلام على عبدك ومُصطفاك، وحاملِ هداك:

● وختاماً:

اشْتَدِي أزمَةً تَنْفَرُجِي

قَدْ آذَنَ لَيْلِكَ بِالْبَلَجِ



المقامة الشبّابية

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

بَكَيْتُ عَلَى الشُّبَّابِ بَدَمَعِ عَيْنِي

فَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحْيِبُ

فَيَا أَسْفَا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابِيسِ

نَعَاهُ الشُّبَّابُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ

عَرَيْتُ مِنَ الشُّبَّابِ وَكَانَ غَضًّا

كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ

إِلَّا لَيْتَ الشُّبَّابَ يَعُودُ يَوْمًا

فَأَخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

قال الراوي: دخلنا على جماعة من الشباب، قد أسدلوا الشعر وأسبلوا الثياب، ووقعوا في جدال وسباب، فقام خطيبنا فقال وأصاب، وأقسم بمن أنزل الكتاب، وأجرى السحاب، وهزَمَ الأحزاب، أن الشباب أمل الأمة المنشود، وعلمها المعقود، وسجلها المحمود، ثم التفت إلى الشباب فقال، وقد فاض دمه وسال: ما لكم خالفتم السنّة، وهجرتم طريق الجنة، تركتم هدى النبي ﷺ، وتشبهتم بالأجنبي؟ قال أوسطهم طريقة، وأعرفهم حقيقة: لماذا وجهت الكلام إلينا، وماذا تتقم علينا؟

قال الخطيب: سبحان الملك القدوس، ما أغبى هذه النفوس!، أليست أوقاتكم في القيل والقال، وإضاعة المال، وهدر الساعات الطوال، قصرتم في الطاعة، وبالغتم في الإضاعة، وفرطتم في صلاة الجماعة، هجرتم القرآن، وأطعتم الشيطان، وغرّمكم الشباب الفتان؟ أستم أحفاد المهاجرين والأنصار، وأبناء الأبرار، وعليكم تعلق الآمال الكبار؟ فقام أصغرهم، وهو في العين أحقرهم، فقال: أيها الخطيب، يكفي هذا التأنيب، فإنهم قالوا: لا ينفع التهذيب في الذيب، واعلم أنّا في عصر الصبّا، كتبت الرّبي، وكم من سيف نبأ، وضوء حبا، وجواد كبا، فلا تشمت بنا العدا، ولا تكثر المرا. قال الخطيب: عجب، أتيت بعذر أقبح من ذنب، أتعذر بالشبيبة، لعمل كل خيبة، فهذه مصيبة، هؤلاء الصحابة، كل حفظ شبابه، وحمل كتابه، وخاف حسابه، وهل عندكم عهد وأمان، من طروق الحدثان، أم أنكم في لهوكم تلعبون، ولهواكم تركبون؟

قال قائل منهم، وقد ناب عنهم، يا عم: ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه. ونحن في مقتبل العمر، وفي غفلة من الدهر، فدعنا نبهج ابتهاج الزهر، ونقبل على الدنيا إقبال القطر. كما قال الشاعر:

أقبل على اللذات ويحك إنّه

تطوى بك الأيام والساعات

واترك موعظ من يخوف بالردى

قبل الردى يا صاحب أوقات

قال الخطيب والذي قرّرت بحبه العيون، وأزال بالعلم الظنون: إنكم في غيكم تلعبون، ومن حتفكم تطربون، هل العقول ذهبت؟ وهل البصائر سلّبت؟ أما ترون أنه يُساق بكم إلى القبور وكل واحد منكم مفرور، تغترون بالمهلة، وتظنون أن الأمور سهلة:

فَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالُ

وَفَكَّرْكُمْ صَبِيٌّ قَدِ دَفَنْتَنَا

تَفْرَمِنَ الْهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ

فَهَلْ مِنْ جَهَنَّمَ قَدِ فَرَرْنَا

يا قوم: الأنفاس تُكْتَبُ عليكم، والمنايا تُزَفُّ إليكم، فقال أحدهم: فماذا نفعل أيها الواعد؟ فإني أراك تتنقد وتلوم وتلاحظ، هل ترانا في حياتنا أخطأنا، وعن مُنَادِ الصَّلَاحِ أَبْطَانَا؟ قال الخطيب: أين نور الهداية، وحُسن البداية، والاستعداد للنهاية، المساجد منكم مهجورة، والمقاهي بكم معمورة، كلُّ منكم ركب لهوه وطيشه، وأقبل على الدخان والشيشة، تُسبِلون الإزار، وتُطِيلون الأظفار، وتُقَلِّدون الكفَّار، وتُضَيِّعون الصلوات، وتقعون في الشهوات، وتسهرون الساعات، وتهترون الأوقات، لم تفلحوا في دنيا ولا دين، وأراكم في غيكم قاعدين، لستم في صلاح ولا طاعة، ولا سُنَّةَ ولا جماعة، ولا صناعة ولا زراعة، ولا جلب بضاعة.

شباب الغرب في المصانع عاكفون، وإلى العمل مُنصرفون، وفي التجارة مُحترِفون، وبالجدِّ والمثابرة مُتصِفون، المهندس منهم في صناعته، والفلاح في

زراعته، والتاجر في متابعة بضاعته، والطبيب في عيادته. وأنتم ماذا فعلتم، وأروني ماذا عملتم؟

أحدكم في الليل جيفة، وفي النهار ريشة خفيفة، فُصِلْتُم من الجامعة، وهجرتم القراءة والمطالعة، وجلستم على القارعة، كلُّ منكم قد أزعج شارع، شفلتكم الأغاني والأمانى عن المثاني، للرياضة تشجّعون، وإلى الملاعب تُسارعون، وفي اللهو واللغو بارعون، حياتكم فوضى، تتابعون آخر موضة، كأنكم أطفال الرّوضة.

متى عهدكم بالقرآن؟ هل حفظتم شيئاً من سنّة ولد عدنان؟ لا تعرفون المؤلفين والمكتشفين، والمُخترعين والبارعين، ولا تذكرون أحداً من العلماء والحكماء، والأدباء والأولياء، حفظتم عن ظهر قلب أسماء المُغنين، واللاعبين، والآلهين، والمسرحيين، والممثلين، عمّقتُم الأوطان، وأطمتم الشيطان. همُّ أحدكم حذاء وساعة، وميدالية لماعة، كأنه شماعة.

أما لكم أهداف سامية؟ وهمم عالية؟ وأخلاق عالية؟ ليس عندكم عزائم، أصبتم بإحباطات وهزائم، همُّ أحدكم الأفراح والولائم.

ألستم أحفاد الراشدين، وأبناء المجاهدين، وسُلالة العابدين؟

صار همُّ أحدكم ثياباً فاخرة، وجلساتٍ ساخرة، ﴿أَرْضَيْتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، يفرح أحدكم بركوب السيارة، ومُشاهدة الطيّارة، ومعايشة السّيّجارة، تحفظون أسماء اللاعبين، وتففلون عن أسماء العلماء العاملين. اتركوا الشوارع، واخرجوا إلى الجوامع، اذهبوا إلى المصانع، هُبّوا إلى المزارع، هيّا إلى الحدادة والنجارة، هيّا إلى الصناعة والعمارة، هيّا إلى البيع والتجارة، هيّا إلى الورشة والنشارة.

نريد منكم علماء وحُكماء وأطباء وأدباء.

شَبَابَ الْحَقِّ لِلْإِسْلَامِ عُدُّوا

فَأَنْتُمْ مَجْدُهُ وَبِكُمْ يَسُودُ

وَأَنْتُمْ سِرُّ نَهْضَتِهِ قَدِيمًا

وَأَنْتُمْ فَجْرُهُ الْبَاهِي الْجَدِيدُ

فقام أحدهم وقد تسريل بالخجل، وتكنفه الوجل، فتكلم على عَجَل، فقال:
لسنا سبب الضياع، وإنما آباؤنا الرِّعَاع، أهملونا من زمن الرِّضَاع، ما أعطونا
من ماء التربة ولو قطرة، وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة..».

ما كانوا يسألون عنَّا، كأنَّا لسنا منهم وليسوا منَّا، ربُّونا تربية الدَّوَاب،
وعلمونا تعليم الأعراب، فنفوسنا من الآداب خراب.

أشغلونا بالتلفزيون، والتلفون، سيَّبونا في السِّتْك مع شباب يهمزون
ويغمزون، ما أخذونا إلى المساجد، وما عرفونا على عالم واحد، ما حفظونا
الآيات البيِّنات، ما علمونا الأحاديث النبويَّات، أهملونا للمجلات الخليعات،
والأفلام المائعات، والسهرات الضائعات. غرسوا فينا حبَّ الرذيلة، وكراهية
الفضيلة، علمونا سوء الأدب، وكثرة الضحك من غير سبب، وسُرعة الغضب
وإضاعة الطلب.

فقال الخطيب: قد سمعت ما قلت، وأنت بالحق نطقت، وبَرَّرت فيما قلت
وصدقت، ولكن ما عذرکم الآن، وقد وضح لكم الريح من الخسران، والتوفيق
من الخذلان، وقد قال شاعر أصفهان:

هَبِ الشَّبِيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا

مَا بَالُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ

فليس لكم عُذْر في الآبَاءِ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أيها الأبناء، جددوا التوبة، وأصلحوا، الأوبة وارقعوا بيد الصِّلاح ما تمزَّق من ثوب الأعمار، واغسلوا بدمع الندم ما تركته الذنوب من عُبار، واتركوا مُصاحبة الفجَّار، ومُصادقة الأشرار، والتشبه بالكفار، أقبلو على الحياة السعيدة، واعكفوا على الكُتب المفيدة، وتخلَّقوا بالأخلاق الحميدة، واحملوا الآداب الرشيدة، حافظوا على تكبيرة الإحرام، واجتنبوا الحرام، وتوبوا من العشق والغرام، وارتفعوا إلى منازل الكرام، تذكروا الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والحساب ودقته، والصِّراط ومزلته، تفكروا في البعث والنشور، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، ويعضُّ على كفه المبتور، وتُقصم الظهور.

والله لو عاش الفتى في عمرة

ألفاً من الأعوام مآلك أمره

مُتَنَعِّماً فيها بكل لذيذة

متشرفاً فيها بسكنى قصره

مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَنْ يَضِي

فِيهَا بِأَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ

فلما سمعوا كلامه، وشاهدوا مقامه، غلبتهم الحسرة والندامة، ووضع كلٌّ منهم على وجهه أكمّامه، وبكوا بكاء من عاين القيامة، وتذكّر فيها مقامه!!

فرفع الخطيب يديه، واجتمعوا عليه، ودنوا إليه، فقال: اللهم يا قويّ الأسباب، يا كريم الجناب، افتح لعبادك الأبواب، وتبّ على من تاب، وارحم هؤلاء الشباب، فإنك تقيل العثرات، وتغفر الزلات، وتعفو عن السيئات، وتتجاوز عن الخطيئات، اللهم أصلح قلوبهم، واستر عيوبهم، واحفظ غيوبهم، واغفر ذنوبهم.

ثم قال الخطيب: هيا بنا إلى المسجد، لنركع ونسجد، ونصلي ونتعبد، ونعود إلى الله فالعودُ أحمد، ونقتدي بالرسول محمد ﷺ.

فسمعوا نداءه، وأجابوا دعاءه، وذهبوا وراءه، فأصلح الله لهم البال، ووفقهم لأحسن الأعمال، وأزكى الأقوال، وأشرف الأحوال، فصاروا كالنجوم الزاهرة، والبُدور الباهرة، بقلوب طاهرة، وأعمال بالخير ظاهرة.



obeikandi.com

المقامة السياسيّة

﴿ تَلِكَ الدَّارَ الآخِرَةَ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾

[الولاية نعمت المرضعة ويئست الفاطمة]

[كل بطّاح من الناس له يوم بطوح]

مَنْ مُخْبِرُ الْقَوْمِ شَطَطَ دَارَهُمْ وَنَاتَتْ

أَنْي رَجَعْتُ إِلَى كُتَيْبِي وَأُورَاقِي

عِفتُ السِّيَاسَةَ حَتَّى مَا أَلِمْتُ بِهَا

وَقَدْ زِدَدْتُ إِلَيْهَا كُلَّ مَيْثَاقِ

لَأَنْهَا جَشْمَتْنِي كُلَّ نَائِبَةٍ

وَأَنْهَا كَلَفَتْنِي غَيْرَ أَخْلَاقِي

ما لك في ديار السياسة تجوس، اهرب من ساس يسوس، أما علمت أن
وجهها منحوس، ورأسها منكوس، وهي التي قطعت الرؤوس، وأزهقت النفوس،
وضيّعت الفلوس، وحملت الناس على اليمين الغموس، طريقها معكوس، وجهها
عبوس، سوّدت الطروس، وكسّرت التروس، وخلعت الضروس، كسفت من
أجلها الشموس، وفتحت بظلمها الحبوس، وقطعت بجورها الغروس، الدنيا
بدونها كالعروس، وهي التي عطّلت الناموس، وأباحت المحرّمات للمجوس.

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ

وَلِيَّ الْأَحْكَامِ، هَذَا إِنْ عَدَلُ!

عقرت المأمون في طرسوس، وقتلت محمد بن حميد في طوس، واجتاح بها ديار الإسلام أهل البوق والناقوس، إذا أقبلت تدوس، وإذا أدبرت تحوس، بذريعتها لعب الأمريكان، في العالم والرؤس، تدب في القلوب كالسوس، وتختفي في العقول كالجاسوس، عاشقها يتخبطه الشيطان كأنه ممسوس، أشار إليها الحسين فخطفت رأسه، ومازحها الحجاج فخلعت أضراسه، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسه، وزارها مصعب بن الزبير فقتلته وحرّاسه، وأحبّها يزيد فقطعت أنفاسه، وصافحها المختار فمزقت أحلامه، وأحبّها المهلب فاقتلعت أساسه، وعشقها المتوكل فسلبت عليه جُلامه، وشربها القاهر فكسرت عليه كأسه، وعانقها ابن الزيات فأحرقت قرطاسه، وجالسها ابن المقفع فأخمدت أنفاسه، كم من ذكي ضيَّعت مراسه، وكم من غبي أخرجت وسواسه، السياسة بالنفاق نجاسة، وبالغباء تياسة، وبالغدر تعاسة، وبالجور خساسة، وبالظلم شراسة، اجتنبها أهل الكياسة، ومات في حبّها أهل الرياسة، بذلوا في حبّها الدين والحماسة، وما حصلوا إلا على التعاسة، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباسة، فأصبحوا بعد الملك خيراً في كرّاسة، وبعد الوزارة دفترا على ماسة، هي الوسواسة الخناسة، تذهب بالنجاة والكياسة، وكم من شجاع أذهبت بأسه، وعقرت أفراسه، أهلها يُسمّون ساسة، كلُّ منهم قد حمل على أخيه فأسه.

سعيد النورسي، بالسياسة نسي. لينين وإستالين، قتلوا بالسياسة الملايين، فكتبوا في تاريخ الملاعين، هولوكو الغازي، وهتلر النازي، قتلوا باسم السياسة الإنسانية، فأصبحوا في الخانة المنسية.

الكلبُ أكرمُ عِشْرَةَ

وهو النهايةُ في الخِساسِ

من مَعشَرَ طلبوا الرئاسة

قبل تحقيق الرئاسَةِ

كسر كسرى بالسياسة ظهور أهل فارس، فقبل له: لم فعلت ذلك؟ فقال: ساسَ يسوس فهو سائس، وقصّر قيصر بالسياسة أعناق الروم فقبل له: لم هذا الصنيع يا محروم؟ فقال: أردت إصلاح البلاد، ورحمة العباد.

كدمواك كلُّ يدعي صِحَّةَ العقل

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهلٍ

بقنابل سياسة العميان، دمّرت اليابان، وقتل الصّرب الألبان، واحتل الروس الأفغان، ودمّروا الشيشان، وجلد المستضعفين شاه إيران، واعتدى الألمان على الجيران. لكن ذكر كل كافر بريه: ﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾.

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفاجرة الكافرة، الساحرة الساخرة. وهي السياسة البدعية، القائمة على ظلم الرعية، وإهدار الحقوق المرعية، من رأسمالية، وبعثية، ونازية، وشيوعية، وسان الله من ذلك السياسة الشرعية،

لأن السياسة الشرعية رحمة بالبشر، وأتباع للأثر، ومحاربة من كفر، وردع من فجر، وهي التي على دستور عمر. إمام السياسة الشرعية الرسول، أعدل العدول، وأفقه الناس في المنقول والمعقول، وصاحبه الصديق، بالأمة رفيق، له عهد مع العدل وثيق، وقلب من التقي رقيق، وتلميذه عمر الذي كان وهو خليفة يثنى من الجوع، ويلبس المرقوع، وتغلبه الدموع، أولئك هم الناس، وبهم يضرب القياس، ويحل الأمن ويدفع البأس. وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس، والابتئاس، والإتعاس، ليت السيوف الحداد، لا تعاون أهل الفساد، في ظلم العباد، فبسياسة الجور والعناد، قتل الحسين بسيف ابن زياد. بأي سياسة يُكرم جهلة الأنباط، وتدفع الجوائز لأهل الانحطاط، ويُجلد أحمد بن حنبل بالسياط، على البلاط.

فيا موت زُر إن الحَيَاة ذَمِيمَةٌ

ويا نفس جِسْدِي إن دَهْرِكِ هَازِلٌ

بأي سياسة يتولى الوليد بن يزيد، وهو الرعدي، البليد، المرید، وهو الذي فتح المصحف فوجد فيه: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، غنّته الجارية وهو في السكر، والنكر، شارّد الفكر، ذاهب الذكّر، تارك الشكر، فقال من الطرب: إلى أين أطيرو؟ قال العلماء: طر إلى السّعير يا عير. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتَّةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾. بأي سياسة يصبح الحجّاج الوزير، صاحب الدفّ والزير، ليقتل ابن الزبير؟!

بأي سياسة يُذبح سعيد بن جبیر، العالم النحرير، والمحدث الشهير، وتُعطى الجوائز لزرياب، وتُخلع عليه الثياب، والعلماء يُدفعون عند الأبواب. لو

أن المأمون فقه سنّة الرسول الأمين، ولو أن المعتصم درس سنّة المعصوم، لما عذبوا أحمد بن حنبل، ناصر سنّة النبي المبجل، لأن أحمد بن أبي دؤاد، أشغلهم عن الإسناد، بأقوال أهل الفساد، وبنقولات فلاسفة بغداد، وجَهَلَة السّواد.

يا لها من سياسة خرية تكرم الزنديق وأعوانه، وتضع ابن تيمية في زنزانه، وتحجب عنه إخوانه، بالسياسة تغزو العالم المزدكية، وتحكم بغداد الأسرة البرمكية، ويُقتل ذو النفس الزكيّة، بأيّ سياسة خرج التتار، بكل بتار، فخرّبوا الديار، وقتلوا الصالحين الأبرار، وهدموا كل مسجد ودار.

دستم من رستم، مع هليا مريام منجستم، يا كمّ تتجستم، وغرتكم الأمانى وتريصتم، وفي مراتع الدّلّ انتكستم، وفي أسواق المجد أفلستم. بأيّ سياسة سمّى الشيوعيون أنفسهم بالرفاق، وهم أهل النفاق، والشقاق، وسوء الأخلاق. كني أبو جعفر الخراساني أبا مسلم، فلما ذبحه قال: مت يا أبا مجرم.

أبو مسلم تبختر، وتكبّر، فبقر بطنه أبو جعفر، بالخنجر، فسحب بعد الملك في السلك وجرجر. ما شاء الله يجلس الخليفة في بغداد، على الوساد، ويصفق له العباد، ويحرسه الأجناد، فتفتّنه الجارية بصوت جميل، وشعرها يميل:

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فيقع الخليفة في الطرب، فيصبّ على الجارية الذهب، وأحمد بن حنبل مسجون في الحق بلا سبب. يجلس الخليفة العباسي، على الكرسي، ويقول: يا ناس قبلوا رأسي، وامسحوا مداسي، وقرّبوا قرطاسي.

فيقوم شاعر طرطور، ومنافق مدحور، فيقول: ما خلق الله مثلك أيها
الخليفة، فأنت صاحب الأخلاق الشريفة، والمعاني اللطيفة، والأمجاد المنيفة،
فيقول الخليفة: يا غلام: أعطه ألف دينار، واكتبوه من خدم الدار، فشعره تاج
الأشعار، هذا وسفيان الثوري عالم الديار، وزاهد الأمصار، لا يجد كسرة خبز
طيلة النهار.

بأيّ سياسة يُشردّ الشعب المسلم من فلسطين على الفور، بوعد بلفور،
وقلوبه على الظلم تفور، والعالم الإسلامي بارد جامد هامد، جاحد شارذ
خامد، لا يثور كأنه مغمور أو مفرور، أو مسحور، ويحتل فلسطين اليهود،
إخوان القرود، بلا حدود، ولا قيود، ولا شهود.

لو كنتُ من مَازن لم تستبح إبلي

بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم

طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائباتِ على ما قال برهانا



المقامة المكيّة

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾

ألا لَيْتَ شعري هل أبيتنَّ لَيْلَةً

بِوَادِرٍ وَحَاوِلِي إِذْ خَرُّوْ جَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدُنَّ يَوْمًا مِيَاهَ مِجْنَةٍ

وَهَلْ تَبْدُونُ لِي شَامَةَ وَطَفِيلُ

قال الرواي: قد أظهرت لنا يقين الحديث وشكّه، فحدّثنا عن مكّة، قلنا: مكّة هي المهبط والمسقط والمربط والأوسط، فهي مهبط القرآن، ومسقط ميلاد سيد ولد عدنان، ومربط خيول أهل الإيمان، وأوسط البلدان.

مكّة قلب المعمورة، على الحُسن مقصورة، وفي حِجال المجد مستورة، أذن بها الخليل، وسُحِقَ بها أصحاب الفيل، بالطير الأبايل، اختارها علام الغيوب، فهي مهوى القلوب، وملتقى الدروب، وقبلة الشعوب، هي أرض ميلاد الرسالة والرسول، كان لجبريل بها صعود ونزول، منها ارتفع الإعلان والأذان والقرآن والبيان، أذن منها بلال بن رباح، وسُئِلَتْ فيها السيوف، وامتشقت الرماح، وأُعلِنَ فيها التوحيد، وهو حق الله على العبيد، وهي أول أرض استقبلت الإسلام، وحطّمت الأصنام.

بها بيت الملك الأجلّ، والكعبة التي طاف بها الرُّسُلُ، سوادها من سواد المقل، وهي أرض السلام، وقبلة الأنام، يَفِدُ إليها المُحِبُّونَ، على رواحهم يخبون، ويتجّه إليها المصلُّونَ، ويقصدها المُهلُّونَ، فهي قبلة القلوب، وأمنية

الشعوب، وراحة الأرواح ومنطلق الإصلاح، على ثراها نزلت الهداية، ومن رباها كانت البداية، على رمالها مزقت الطغاة، وعلى ترابها سحقت البُغاة، ومن جبالها هبت نسائم الحرية، ومن وهابها كان فجر الإنسانية.

تَمَنَيْتُ الْحِجَازَ أَعِيشُ فِيهِ

فَأَعْطَى اللَّهُ قَلْبِي مَا تَمَنَيْتُ

سَقَى اللَّهُ الْحِجَازَ وَسَاكِنِيهِ

وَأَمْطَرَ كُلَّ رَابِيَةٍ وَمَغْنَى

على بساط مكة ولد العرفان، وأكرم الضيفان، ومن مغانيها رضع الشجعان، وفي بطحائها هاشم وابن جدعان.

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ

لِتُطَلَّبَ الْأَعْدَارُ بِالْعِيدَانِ

بَلْ يُشْرِقُونَ وُجُوهَهُمْ، فَتَرَى لَهَا

عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وَإِذَا الْغَرِيبُ أَقَامَ وَسَطَ رَحَالِهِمْ

رَدُّهُ رَبٌّ صَوَّاهِلٍ وَقِيَانِ

وَإِذَا دَعَا الدَّاعِيَ لِيَوْمِ كَرِيهَةِ

سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفِرْسَانِ

في مكة تنور شجون الحب، وتضجّ بلابل القلب، فيها التاريخ يتكلم،

والدهر يتبسم، والذكريات تتداعى، والأمنيات تقبل تباعاً، هنا خطوات الرسول، وصهيل الخيول، منشأ السادات، منبت القادات، إقبال وفود، وانطلاق جنود، وتزاحم حشود، وارتفاع بنود، هدى وضلالة، علم وجهالة، وهنا كرم وبسالة وحيّ ورسالة، عالم يمور بالعبر، ديوان يزخر بالسّيَر، دفتر للعظماء، سجل للشرفاء:

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا

أَنيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا قَابَادَنَا

صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

في مكة رؤوس بالأنفة متزاحمة، وجيوش للنأر متلاطمة، أفكار وحضارات، ونوادٍ ومحاضرات، سِيرٌ وَسَمَرٌ، في ضوء القمر، أنباء وأخبار، وقصص وأشعار، حتى كان النبا العظيم، وهو الرسول الكريم، فيصفر بعده كل خير، وينسى من جاء ومن غبر، فهو أعظم أثر، جاءت به السّيَر.

نُسِخْتَ كُلُّ دَوَائِنِ الْمَكَارِمِ مَا

خَطَّ الْأَنَامُ بِرَسْمِ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنشَقُّ قَدْ خَضَعَتَا

لِنُورِ وَجْهِكَ مِنْ حُسْنِ وَمِنْ كَرَمِ

يوم بُعِثَ استدار له الزمان، وأنصت له الثقلان، وتشاغلته به الأقلام،
ورحبت به الأيام، وأنصت له الأنام، فهو ابن مكة البارّ، وبطلها المغوار،
ورسولها المختار.

إذا أقبلت على البلد الحرام، فتذكّر ذلك الإمام، عليه الصلاة والسلام.

مكة تذكرك البأساء والنعماء، والنور والظلماء، والسعادة والشقاء.

مكة كتاب مفتوح، وسفر مشروح، يجمع بين أحاديث النجاة والخسران،
والكفر والإيمان، والعدل والطغيان، تذكرك مكة الشّرك الكالج، والجهل
الفاضح، والوهج اللافح، يوم كانت الأوثان تُقدّس، والأصنام تؤسّس، تسجد
لها النفوس الخاوية، والعقول الجافية، يوم غاب الرشد، وأفل السعد، وغرب
الميثاق والعهد، ويوم كان الإنسان كالبهيمة بلا قيمة، والقلب في شباك
الجريمة، وفي ظلمات وخيمة.

فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنُ

تَرَاهَا بِحَقِّ فِي مَغْيِبٍ وَمَطْلَعِ

وَسَامِحَ عُيُونًا أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهَا

بَاهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي

وتذكرك مكة يوم انفجر الفجر، وارتفع الدُّكر، ومُحِقَ الكفر، يوم أنصتت
الدنيا بأذن سمیعة، وأقبل الدهر بخطى سريعة، وانتفض الكون للكلمة
الخالدة، واهتز العالم بالدعوة الراشدة، لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سوى
الله، لا بقاء إلا لله، وتذكرك مكة بالوحي وهو يتنزل، والقرآن وهو يُرتل،

وجبريل الروح، يغدو ويروح، وباب الرحمة المفتوح، والعطاء الرياني الممنوح، فيا لها من ذكريات يهتزّ لها الجسم ذرّة ذرّة، ويقوم لها الرأس شعرة شعرة، ويا لها من صيحة دوّت في العالم فاستيقظ بها كل نائم، واهتدى بها كل هائم، ويا له من خبر طرق الكون فصحّا، ومحقّ الشرك ومحاّ.

توقف الزمان مُنصتاً، وسلّ سيف الجهاد مصلتاً.

هنا الأمانى هنا الأمجاد قد رفعت

هنا المعالي هنا القربى هنا الرّحم

هنا القلوب استفاقت من معاقليها

هنا النفوس أتت للحقّ تزدهم

هنا رواء هنا فجر هنا أمل

هنا كتاب هنا لوح هنا قلم

التعبير يخون، والنفوس فيها شجون، والذاكرة بالصور مؤارة، ونور الحديث قد نصب في القلب منارة، وإذا ذكّرت مكة ذكّر غار حراء، والشريعة الغراء، والوحي والإسراء، فكأن التاريخ حضر، وكأن الزمان اختصر، وكأن الدنيا كلها في مكة محصورة، وكأن الأيام في أجفان مكة مقصورة.

مكة ملاعب الصّبا والشباب، لصاحب السنّة والكتاب، فيها مسقط رأسه، وفضاء أنفاسه، فيها مراتعه، ومرابعه، ومهاجعه.

هذي بلادي وهذي منتهى أمني

هذا التراب الذي اهديته زجلي

هَذَا الْمَكَانُ بِهِ مِيْلَادُ قُدُوْتِنَا

هَذَا رِيَاضُ الْهُدَى وَالسَّادَةِ الْأَوَّلِ

كَيْفَ نَعْبُرُ عَنْ أَشْوَاقِنَا، وَقَدْ سَافَرَ حَبَّةً فِي أَعْمَاقِنَا:

فِي كَفْكَ الشَّهْمِ مِنْ حَبْلِ الْهُدَى طَرَفُ

عَلَى الصُّرَاطِ وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُ

هَيْهَاتَ رَحْلَةَ مَسْرَانَا جَحَافِلِنَا

كَمَا عَهَدْتَ وَعَزَمَاتِ الْوَرَى أَنْفُ

وعلى رمضاء مكة ثأر وجراح، وعويل وصياح، حيث عذب بلال بن رباح،
أما تقرأ على الرمضاء، ما كتبته الدموع والدماء، يقرؤها كل عالم وجاهل،
وقل جاء الحق وزهق الباطل. تفجع صارخ يصعد إلى السماء، وصيحات ثائرة
تشق الظلماء، أحدٌ أحد، فرد صمد، على رغم من كفر وجحد، تطلق هذه
القذائف حنجرة بلال، فتهتز بها الجبال، وتتفض منها التلال.

أَحَدٌ هَتَفَتْ بِهَا لِكُلِّ مُعْطَلٍ

أَنْتَ الْمُؤَذِّنُ لِلرَّسُولِ فَارْتَلْ

وَاهْزَمْ بِصَوْتِكَ كُلَّ طَاغٍ فَاجِرٍ

وَاسْحَقْ بِقَسْوَلِكَ كُلَّ زَحْفٍ بَاطِلٍ

وعلى جبين مكة قُبَلاتُ المُحبين، وفي جوفها زجلُ المُسبحين، وفي عينيها آيةٌ للسائلين، مكةُ أمّ الخلفاء الراشدين، مكة بلد العابدين، وميدان المجاهدين، وعَرين الفاتحين، وجامع الموحّدين، ومدرسة الحكّام العادلين.

إذا قرّبت من مكة فتهيّأ للدخول، واستعد للنزول، والبس الإحرام، عند عناق البيت الحرام، لأنك سوف تلج بيت الدّيّان، ومحطّ العرفان، ودار الرضوان، هنا المسلك الأرشد، والمحلّ الأسعد، والحجر الأسود، هنا المقام الكريم، والمطاف العظيم، وزمزم والحطيم، هنا العابدون والساجدون، والعاكفون، والقائمون، والمستغفرون. هنا تُسكب العَبَرَات، وتهمل الدمعات، وتتبع الآهات، وتصعد الزفرات، هنا تغسل النفس من الأدران، ويتخلص القلب من الأحزان، وتنطلق الروح من العصيان، هنا تُرمي الجمرات، وتحطّ الغدرات، وتخلع الفجرات، وتغسل السيئات، هنا يتجرّد من الثياب، وتهيّأ للحساب، فحبّذا هذه الرّحاب، وطوبى لهذه الشّعاب، هنا تُناخ المطايا، وتُحطّ الخطايا، وتكثر العطايا، هنا السرور قد تم، والشمل قد التم، وذهب الهمّ والغمّ.

وهاك يا مكة نشيداً من الأعماق، نبعثه إليك مع الأشواق:

مَكَّتِي أَنْتِ، لَا جَلَالَ عَلَى الْأَرْضِ يُدَانِي جَلَالَهَا، أَوْ يَفُوقُ
مَا تُبَالِينِ بِالرَّشَاقَةِ وَالسُّحْرِ.. فَمَعْنَاكِ سَاخِرٌ وَرَشِيقٌ
سَجَدَتْ عِنْدَهُ الْمَعَانِي ... فَمَا تَمَّ جَلِيلٌ سِوَاهُ ... أَوْ مَرْمُوقٌ
وَمَشَى الْخَلْدُ فِي رَكَابِكِ مُخْتَالاً.. يَمُدُّ الْجَدِيدَ مِنْهُ الْعَتِيقُ
أَنْتِ عِنْدِي مَعْشُوقَةٌ لَيْسَ يُخْزِي الْعِشْقُ مِنْهَا وَلَا يَضِلُّ الطَّرِيقُ
مَا أَبَاهِي بِالْحُسْنِ فِيكَ عَلَى كَثْرَةِ مَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ تَشُوقُ
أَنْتِ قُدْسٌ فَلَيْسَ لِلْهَيْكَلِ الْفَانِي بَقَاءٌ.. كَمِثْلِهِ.. وَسُمُوقٌ

كُلُّ حُسْنٍ يَبْلَى، وَحُسْنِكَ - يَا مَكَّةَ - رَغَمَ الْبَلَى الْفَتَى الْعَرِيقُ
 دَرَجَ الْمُصْطَفَى عَلَيْكَ فَأَغْلَاكَ... وَأَغْلَاكَ... بَعْدَهُ الصَّدِيقُ
 وَشُكُولُ مِنَ الرِّجَالِ، سَبُوقُ جَدٍّ مِنْ خَلْفِهِ... فَجَلَى سَبُوقُ
 إِنْ أَرَادُوا الْقِتَالَ أَرْجَفَتِ الْأَرْضُ... وَضَاقَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الطَّرِيقُ
 أَوْ أَرَادُوا السَّلَامَ رَحَّبَ بِالسَّلْمِ عَدُوُّ أَصَابَهُ التَّمْزِيقُ
 كَانَ فِي اللَّهِ حَرِيهُمُ وَالْعَدَاوَاتُ... وَفِي اللَّهِ سَلْمُهُمُ وَالْوَثُوقُ
 رَبُّ صَخْرٍ فِي بَطْنِ وَادِيكَ - يَا مَكَّةَ - يَهْفُو إِلَيْهِ غِصْنٌ وَرِيقُ
 لَسْتُ وَحْدِي مُتَيْمًا فَالْمَلَايِينُ فَرِيقُ يَمْضِي، فَيَأْتِي فَرِيقُ
 تَتَوَالَى عَلَيْكَ مِنْهُمْ صَبَابَاتٌ فَيَصْغَى لَهَا الْفُؤَادُ الرَّقِيقُ،
 لَيْسَ فِيكَ الدَّلَالُ يُوحِي بِهِ الزَّهْرُ، وَيُغْرِي بِهِ الْجَمَالَ الطَّلِيقُ
 لَمْ تَزْهَيْنِ؟ رَبُّ زَهْوٍ مِنَ الْحُسْنِ... تَجَلَّى بِهِ عَلَيْنَا الْعُقُوقُ
 وَعَتِي مِنَ الْجَمَالِ، تَجْدَاهُ... أَسِيرُ... بِحُبِّهِ مَوْثُوقُ
 إِنْ حُسْنًا يَكْبَلُ الْعَقْلَ وَالرُّوحَ، لِحُسْنٍ - وَإِنْ أَنَالَ - حَنِيقُ
 قَدْ تَرَكْتَ الْبَرِيقَ لِلْبَلَدِ الْخَامِلِ، مَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ الْبَرِيقُ؟
 وَتَمَخَّضْتَ عَنْ فَخَارِ طَوَى الْأَرْضِ، وَمَا أَجْدَبَتْ عَلَيْكَ الْعُرُوقُ!
 أَيْنَ مِنْهُ الْكِلْدَانُ - يَا مَكَّةَ الْخَيْرِ - وَأَيْنَ الرُّومَانُ وَالْإِغْرِيقُ؟
 وَالْبِلَادُ الَّتِي تَتِيهِ، أَجَاءَتْ بِالَّذِي جِئْتَ؟ أَمْ هُوَ التَّلْضِيقُ
 مَا يُقِيمُ الْوَلُودَ تُخْصَبُ لِلنَّاسِ... مَكَانَ الْعَقِيمِ إِلَّا الصَّفِيقُ
 إِنْ غَمَطْنَا الْحَقُوقَ - يَا بَلَدَ الطَّهْرِ - خَسِرْنَا وَأَنْكَرْتَنَا الْحَقُوقُ
 إِنْ جُرْحًا يُصِيبُنَا مِنْ تَجَافِيكَ - وَمَا تَفْعَلِينَ - جُرْحٌ عَمِيقُ

قد شربنا من السلافة فتياناً، ونحن الكهول، ما نستفيق
 ذاقها قبلنا الكرامُ فقَالوا أين منها ومن سذاهَا الرّحيقُ؟
 نجدُ الأنسَ في رحابِك... والبسطةَ حتّى كأننا ما نضيقُ
 ويشدُّ القلوبَ نحوك. يا مكة. حُبُّ يطوي القلوبَ وثيقُ
 ما نطيقُ الفراقَ عنك وهل يُحملُ قلبُ ما لا يطيقُ؟

لكِ فضلٌ على المدائنِ - يا مكة - ما يحْتويه إلا المروقُ
 أين منه فضلُ المدائنِ يخلبن؟ وأين الإغراءُ والتشويقُ؟
 أين منه الغديرُ والروضُ، والعرفُ، وأين الطلاءُ والتزويقُ؟
 إنّما الحُسنُ في النفوسِ، فما يعشقُ ثوباً من الخيوطِ المشوقُ
 أترانا من الثرى فإذا الرّوحُ غريب، والحُسنُ جسمٌ مشيقُ؟
 لصقت بالترابِ أجسامنا الغلفُ، فاهوى إلى اللصيقِ اللصيقُ
 يا نفوساً تطولُ بالبيت، لولا حرمةَ البيتِ ميّزتها الضُروقُ
 أنت لولا الإسلامُ، كُنّا نرى السّابقُ منّا يفوقه المسبوقُ
 ما تأنقتُ في المقال... ففي سحرك معنى. يعي المقال. أنيقُ
 واللسانُ الذليقُ يعجزُ أحياناً إذا أحصرَ اللسانُ الذليقُ



obeikandi.com

المقامة المدنية

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾

أمرُ علي الديارديار ليلي

أَقْبِلْ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ

وما حُبُّ الديار شَغَفَنَ قلبي

ولكن حُبُّ من سَكَنَ الدِّيَارِ

لَمَّا وصلنا إلى المدينة، والنفس لَمَن في الروضة مدينة، قلت: سلام يا طيبة، لَمَّا رأيناك ذهبت الخيبة. لحبك أيتها الدار، سال الدمع المدرار، لمن ندَّخر الشجون، لمن نخبئ الدمع الهتون، هذا وقت البكاء يا محبِّ، هذه لحظة الشوق يا قلب.

المدينة تنفي خبثها، وينصع طيبها، ويطمئن ساكنها، ويرتاح حبيبها.

لَمَّا رأينا الرِّيعَ سَأَلتْ دُمُوعُنَا

شَوْقاً لِسَاكِنِهِ وَمِنْ يَهْوَاهُ

أنا لستُ أذكر ريعَ من قَتَلَ الهَوَى

لكن أرتلُ ذكراً من أَحْيَاهُ

إذا أتيت طيبة، فأعطِ قلبك من التذكُّر نصيبه، هنا المحراب، حيث كان يصلي فيه من أنزلَ عليه الكتاب، هنا المنبر، فتذكُّر يوم كان يرقاه صاحب

الجبين الأزهر، هنا المسجد، فالشوق يتجدد، إذا علم أنه مصلى محمد، هنا الروضة الخضراء، يرقد بها من جاء بالشرية الغراء، هنا أحد جبل يحبنا ونحبه، وهنا قباء يؤنسنا قربه، المدينة هي محط موكب النبوة، وبها كان للإسلام قوة، منها سطعت شمس السنة، وفيها تمت المنة، وهي المدينة التي نصرت المختار، بسيوف الأنصار، بها حكم الشيخان، وولد السبطان، وعاش السعدان، وترعرع الزيدان، وأنشد الشاعران، كعب وحسان.

إذا دخلت المدينة فتذكر صاحب الملة السمعاء، والمحجة البيضاء، هنا مسكنه ومنامه، وممشاه وقيامه، ورمحه وحسامه، وشرابه وطعامه.

من المدينة خرج لبدر بجنوده، وزحف إلى أحد في حشوده، ومن المدينة بعث للملوك رسائله، وعلم الناس فضائله. هي بيت ضيافته، ودار خلافته، في كل مكان منها له ذكريات، وفي كل موضع له علامات.

أقبل القلب على سَفحِ اللوى

واقِفات راجفات مائلات

تنشيد الربيع وهل يُخبرها

دَارسُ فيه جلال الذكريات

المدينة تذكرك ببكاء أبي بكر في الصلاة، وورعه وتقواه، لو وُضع الصخر على بساطه لكاد أن يذوب، ولو زجر الشيطان بنصحه لأوشك أن يتوب. جمع الفضائل كأنه يسوقها بعصاه، وحب له في القلوب فلو أشار للجيش هيا إلى الموت ما عصاه.

والمدينة تذكرك الدولة العمرية، وتلك المناقب الأثرية، عدل صار في العالم قصة، وترك في حلق كل جبار غصّة، وزهد يقول فيه الزهد: لا نستطيع معك صبراً، وورع يقول له القلب: لا نعصي لك أمراً، عمر بن الخطاب، سلّ عنه الحراب، بكاء فيه وتفجّع، ونحيب وتوجّع، وإذا بصاحب هذه الدموع الآسرة، يهزّ بهيبته القياصرة والأكاسرة، يلبس بُردة مرقّعة، وحذاء مقطّعة، ثم تخفق قلوب الملوك على وقع حذائه، وينام العدل على طرف رداثه.

والمدينة تذكرك بالوقفات الإيمانية، في الحشايا العثمانية، والمعاهد العفانية، طهر يغتسل في نهره ماء الغمام، وحياء يصيد بوداعته ورق الحمام، وسخاء تضرب به الأمثال، وتعجز عن مجاراته الرجال.

والمدينة تذكرك بسيف الله المنتضى، وعبد المرتضى، عليّ بن أبي طالب أبي الحسن، والخطيب اللّسن، ناصر الدين والسّنن، بطل الأبطال حيدرة، هازم الكفرة، وصاحب السيرة العطرة.

مَا هَزَّنِي ذَكَرُ أَشْجَانٍ وَأَطْلَالٍ

أَوْ خَيْمَةٍ عَرَضَتْ أَوْ مَعْهَدٍ بَالٍ

لَكِنْ هُنَا الْمَجْدُ وَالتَّارِيخُ قَدْ جُمِعَا

فَاكْتُبْ بِدَمْعِي آهَاتِي وَتَسَالِي

حيّ دار الهجرة، وميدان النصر، وأرض الشهداء، وجامعة العلماء. في ثرى المدينة سيّد الشهداء، حمزة المقدام، وفيها غسّيل الملائكة الكرام، ومن

كَلَّمَهُ الرَّحْمَنُ، وَحَفَظَتَهُ الْقُرْآنَ، وَزَيْدٌ بْنُ ثَابِتٍ إِمَامُ الْفَرَائِضِ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ شَاعِرُ الرَّدُودِ وَالنَّقَائِضِ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ صَاحِبُ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَفِيهَا مِنْ اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ الْعَظِيمُ.

فِي الْمَدِينَةِ ذِكْرَى أَبِي ذَرٍّ، وَهُوَ يَقُولُ الْحَقَّ الْمُرَّ، يَدْفَعُ الْبَاطِلَ بِزَنْدِهِ، وَيُرَدِّدُ الدُّنْيَا بِزَهْدِهِ، وَفِيهَا ذِكْرَى بِلَالٍ وَهُوَ يَرْسُلُ صَوْتَهُ فِي سَمَاءِ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَفَضَاءِ الْعِبُودِيَّةِ، وَمَعْنَاهُ تَعَالَوْا إِلَى رَبِّكُمْ أَيُّهَا الْعِبَادُ، وَذَرُّوا الْجَاهَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ.

وَذِكْرَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِنَا، كَلِمًا قِيلَ: مَنْ لِهَذَا الْعَمَلِ؟ قَالَ: أَنَا، فَيُنَالُ بِشَرَفِ خِدْمَةِ الْمَعْصُومِ، مَا لَا يَنَالُهُ أَشْرَافُ أَهْلِ الدُّنْيَا لِجَلَالَةِ الْمَخْدُومِ، وَذِكْرَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، الْوَلِيِّ الْمَقْرَّبِ، يَنْهَلُ النَّاسَ مِنْ مَوْرِدِ عِلْمِهِ، وَيَعْبَأُ الْعِبَادَ مِنْ نَهْرِ فَهْمِهِ. وَذِكْرَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، إِذَا تَرَبَّعَ عَلَى كُرْسِيِّ الْعِلْمِ وَجَلَسَ، فَكَأَنَّ مَجْدَ الدُّنْيَا اخْتَصَرَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، يَوْمَ تَجْتَمِعُ عِظْمَةُ الْعِلْمِ وَعِظْمَةُ الطَّاعَةِ.

وَأَعْظَمُ مَنْقِبَةٍ لِلْمَدِينَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْكُنُ فِي سُؤْيِدَاءِ قَلْبِهَا، وَيَسْتَوْلِي عَلَى حُبِّهَا، وَهَذَا سِرٌّ مَكَانَتِهَا وَقُرْبِهَا. يَكْفِي الْمَدِينَةَ فَخْرًا، أَنْ أَجَلَّ الْبَشَرَ، وَسَيَّدَ الْبَدُوَّ وَالْحَضَرَ، شَرِبَ مَاءَهَا، وَاسْتَنْشَقَ هَوَاءَهَا، وَارْتَدَى سَمَاءَهَا، وَصَافَحَ ضِيَاءَهَا.

يَكْفِي الْمَدِينَةَ جَلَالَتهُ عَلَى مَدَنِ الْمَعْمُورَةِ، تِلْكَ الْمَنَاقِبُ الْمَأْتُورَةُ، وَأَجَلُّهَا مَشْيُ الْحَبِيبِ عَلَى ثَرَاهَا، وَتَقَلُّهُ بَيْنَ قُرَاهَا، كَلِمَا طَافَتْ عَيْنُكَ عَلَى رِبَاعِهَا، وَهَامَ قَلْبُكَ فِي بَقَاعِهَا، نَادَاكَ مُنَادِي الذِّكْرِيَّاتِ، يَقُولُ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ: هُنَا مُحَمَّدٌ سَجْدَ، هُنَا مُحَمَّدٌ قَعَدَ، هُنَا مُحَمَّدٌ رَقَدَ، جَلَسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، عَبَّرَ هَذِهِ

الوديان، هَرَوَل في هذا الميدان، نظر إلى هذه الجبال، رقى هذه التلال، شرب
من هذا الماء الزلال، زار هذه الدار، نام تحت هذه الأشجار، مضى من فوق
هذه الأحجار.

في الدَّارِ أَحْبَابٌ يَكَادُ حَدِيثُهَا

يَدْعُ الْفُؤَادَ وَمَا لَهُ سُلْوَانُ

شَوْقُ فُلُوَانِ الْحِجَارَةِ حُمِلَتْ

مَا فِي الْحَشَا لَتَصَدَّعَ الصُّوَانُ

يا أيتها النخل الباسقات، ربما مرَّ بكنَّ صاحب المعجزات، والصفات
الباهرات، فهل من حديث يُستفاد، وهل من ذكريات تُعاد؟ إن كنت تمدح
المدينة بسمو قصورها، وارتفاع دُورها، وعظمة جبالها، وكثرة تلالها، فقد
غلطت في الثناء، وقصرت في واجب الوفاء، إن للمدينة أسراراً، وإن لها
أخباراً. المدينة تخاطب القلوب قبل العيون، وتستثير الدِّفين من الشجون؛ لأن
ترابها يحتفظ في ذاكرته بمشاهد تذوب لها الأرواح، ولا يمحوها مرور الرياح.

ابكِ الدِّيَارَ وَالْأَفْئِدَةَ الدَّارَا

فإن في القلبِ أخباراً وأسراراً

لا تبخلنَّ بدمعٍ سوف تنفقه

إن شئتَ غصياً وإلا شئتَ مختاراً

على ترابها آثار أقدام المختار، وبصمات تنقله في تلك الديار، وعلى ثراها

دموع الأبرار، ودماء الأخيار، وفي سمائها تسبيحات المهاجرين والأنصار.

للمدينة صفحتان: صفحة الفرح، وصفحة الأحزان.

فصفحة الفرح بها معالم النبوة الطاهرة، وتلك الانتصارات الباهرة، نفرح إذا ذكرنا بركات الرسالة، ومواقف التضحيات والبسالة، ونفرح إذا عشنا المعاني الإيمانية، والنفحات الروحانية، والمشاهد القرآنية، ونفرح إذا تذكّرنا كيف انتصر الحق المبين، ودُمع الباطل المهين، وكيف استقبلت تلك القلوب أنوار الهداية، وكيف انتهى الكفر إلى غير رجعة هذه النهاية.

ولكننا نحزن يوم فارق الحياة أكرم الأحياء، ويوم انتقل إلى دار البقاء أجل الأتقياء، ونحزن لموت الصديق، صاحب العهد الوثيق، ونحزن إذا ذكرنا عمر الفاروق وهو بالخنجر يُمرّق، ودمه على ثيابه يتدفق، ونحزن يوم ذبح عثمان، بسكين الغدر والعدوان، نحزن إذا ذكرنا ذهاب ذاك الجيل القرآني الفريد، وذاك القرن المبارك المجيد، وتلك الطائفة الزاكية الراشدة، وتلك الجماعة الخيرة القائدة.

فصلّى الله وسلّم على من تشرفت به تلك الأرض، صاحب المقام المحمود يوم العرض، عليه الصلاة والسلام، ما هبّ نسيم الأسحار، وسرى حديث السُّمّار، عليه الصلاة والسلام، ما سال ماء، وهبّ هواء، وشعّ ضياء، وارتفع سناء، عليه الصلاة والسلام، ما حنّ إلف، وأوماً طرف، وما ذرّ شارق، وما لمع بارق، وما دام سعد، ودوى رعد، وحلّ وعد، وحُفظ عهد، عليه الصلاة والسلام، ما خطّ قلم، وزال ألم، ودامت نعم، وزالت نِقَم، وعلى آله وصحبه الكرام، ما دام في الأرض إسلام، والسلام.



المقامة النجدية

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾

[وَاحِرًا قَلْبًا يَا نَجْدُ]

نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدِ

أَطْوِيلُ طَرِيقَتُنَا أَمْ يَطْوِيلُ

وَكثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقُ

وَكثِيرٌ مِنَ زِدِّهِ تَعْلِيلُ

إذا ذكرت نجد، ثارَ الوجد، واستجاب المجد، يا نجد أنت مهبط وحي
العربية، ومسقط رأس الشاعرية، على رحابك سفكت دماء المُحِبِّين، وسالت
دموع المُعْجَبِينَ، وعلى بساطك رُصِّعت جواهر البيان، وبسقت لآلي العرفان.

يا نجد أنت أرض الحبِّ والغرام، والعشق والهيام، في رأسك ذاكِرة الأيام،
وفي صدرك مفكرة الأحلام، هنا ملاعب طسم وجديس، ومفاتن امرؤ القيس،
ومعاطن العيس، هنا سحر القافية يلعب بالأذهان، هنا للشعر سوق ومهرجان،
وللحبِّ روض ويستان، جدّد التوحيد في نجد فصار غضاً طرياً، وولد الحبِّ
نجدياً، وعاش الدين بها أبدياً، وصار الوفاء بها سرمدياً، لنجد في قلبي
منازل وخيام، وبيوت وأعلام، ولها في ذاكرتي صور وأفلام، ومشاهد وأحلام.

يقول الشاعر الدكتور العشماوي وقد أشجاني، وشعره أبكاني.

يَا عَائِضَ الْقَرْنِي مَا زَالَ الْهَوَى

نَجْدًا وَإِنْ زَارَ الْحِجَازَ وَأَتَهَمَا

قَالُوا قَدِمْتَ إِلَى الرِّيَاضِ فَمَرْحَبًا

أَلْفَا وَحَيًّا ذَاكَ الْمَقْدَمَا

يا صاحبيّ على نجد قفا نيك، ومن هواها هلمّاً نشتك، في نجد أم البنين الأربعة، وعامر بن صعصعة، والمطعمون الجفنة المددعة، والضاريون الهام يوم الجمعة. من نجد انطلق الموحدون، وأنشد فيها قيس بن ميمون، وفيها عشق عروة بن حزام والمجنون.

يَا صَاحِبِي قِفَا لِي وَاقْضِيَا وَطَرَا

وَخَدُّثَانِي عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ

هَلْ أَمْطَرْتَ رَوْضَةَ الْوَعَسَاءِ أَوْ هَدَيْتِ

حَمَامَةَ الْبَيْنِ أَوْ غَنَّتِ بِأَشْعَارِ

في نجد الخزامي والشّيح، والروض الفسيح، والشعر الفصيح، وشذا المسك تنشره الريح، نجد ثلاثة أحرف، نون، وجيم، ودال.

فالتون فنون، وشجون، وعيون، وفتون.

والجيم جلال، وجمال، وجهاد، وجلاد.

والدال دعوة، ودولة، ودليل ودوام، ودواء.

جاءتنا حمامة، من اليمامة، فأخبرتنا أن مُسليمة ترك إسلامه، وعصى
إمامه، فلبس خالد العمامة، وربط حزامه، وسلَّ حُسامه، ففصل من مُسليمة
الهامة، ودقَّ عظامه. فأهدت نجد المجدد، والموحد، والمسدد.

في نجد محمد بن عبد الوهاب، جدُّ للتوحيد الشباب، وألبسه أحسن
الثياب، فجزاه الله أوفر الثواب، وفي نجد الموحد حصن الهمة الحرير، وناشر
كتاب المجد الوجيز، الملك عبدالعزيز، وفي نجد الرجل المسدد الممتاز، الذي
حوى كل فضل وحاز، عبدالعزيز بن باز.

من حنجرة نجد انطلقت في الظهيرة، صرخة ودع هريرة، ومن نجد أقبل
الرجل المفضل، والداعية الرحال، ثمامة بن أثال. ونجد لا تقبل الرذيل، ولا
تعشق الدخيل، ولذلك قتلت العميل، عامر بن الطفيل، لأنه كذب بالتزليل.

أقول لصاحبي والخيل تجري

بنا بين المجرّة والضمّة ار

تزود من شميم عرار نجد

فما بعد العشيّة من عرار

حيث دمشق نجداً فقال شاعرها ابن الخياط:

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه

فقد كاد رباها يطير ربُّبه

وياكُما ذاك النسيمُ فإنه

إذا هبَّ كان الوجدُ أيسر خطبه

وحيث بغدادُ نجداً فقال شاعرها الشريف الرضي:

يا صاحبي قفأ لي واقضياً وطراً

وحدثاني عن نجدٍ بأخبار

وحيث القاهرة نجداً فقال أمير الشعراء أحمد شوقي:

جَبَلُ الثُّوبَادِ حَيَّاكَ الْحَيَا

وَسَقَى اللَّهَ زَمَانًا وَرَعَى

قَدِ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً

وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعًا

وحيث صنعاء نجداً فقال الأمير الصنعاني، والعالم الرياني، يرحب بإمام

التجديد، للتوحيد:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ

وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي عَلَى الْبُعْدِ لَا يُجْدِي

وحيث جبال السروات نجداً فقال الشاعر الخثعمي:

الَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجْتَ مِنْ نَجْدٍ

لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ

من نجد هبَّ جيش بكر بن وائل الشجعان، فهزموا صاحب الإيوان، كسرى

أنوشروان. وسوف يهبُّ من نجد بنو تميم، في جيش عظيم، لحرب الدجال الأثيم،

كما قال الرسول الكريم ﷺ: «أشدُّ أمتي على الدُّجَالِ بنو تميم».

من نجد هبّ عمرو بن كلثوم، بسيفه المثلوم، على الملك الغشوم، عمرو بن
هند الظلوم، ثم أرسل إلى الشعوب، قصيدته التي تعصف بالقلوب:

أَلَا هُبِّي بِصَاحِنِكَ فَاصْبِحِينَا

وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

فسارت في الناس مغربة مشرقة، وجعلتها العرب معلقة.

ومن نجد المحدث الكبير، والعالم الأثير، صاحب الدرّ النثير، يحيى بن
أبي كثير.

نَجْدُ الْهَوَى وَالسُّحْرِيَا أَرْضَ الْحِمَى

الْمَجْدُ فَوْقَ تَرَابِ صَهْوَتِكَ ارْتَمَى

قَيْسٌ وَوَيْلَى وَالْكَمَيْتُ وَجَرُولُ

وَدُمُوعُ عَشَاقِ الْعَقِيدَةِ قَدْ هَمَى

وإليك هذا التفجع والتوجع، يشيعه قلب يتقطع، وعين تدمع، وعقل من
الحب يُصرع، يقول عروة في عفراء، وهو في نجد ذات مساء:

جَعَلَتْ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ حِكْمَهُ

وَعِرَافُ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي

فَوَاللَّهِ مَا مِنْ رُقِيَةٍ يَعْلَمَانَهَا

وَلَا شَرِيَةٍ إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

فَقَالَ شَفَاكَ اللهُ وَاللهُ مَا لَنَا

بِمَكُونِ مَا تَحْوِي الضُّلُوعُ يَدَانِ

كيف تثبت أمام هذا الشعر هذه القلوب المسكينة، التي كأنها ذبحت من الجوى بسكينة. وضع يدك الآن على قلبك وناذ: السكينة السكينة.

من نجد خرج الأعشى يتمشئ، بعد أن تعشئ، فتوجه إلى المدينة ليعلن إسلامه، فلقية أبو سفيان فخاف مقامه، وأعطاه خطامه، ليعود لليمامة، فعاد بجمله، وأرخی زمامه، وأطلق خطامه، فأسقطه فكسرت عظامه، فباء بالخسران والندامة، وله قصيدة فريدة، يصف ويبعث فيها همومه المريدة، مطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ سَرْمَدَا

وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّيِّمِ الْمُسَهَّدَا

في نجد شعر عجب، كشعر امرئ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، وابن كلثوم إذا غضب. شعر امرئ القيس كالخمر المعتق، تكاد القلوب منه تتشقق، والعروق تتفتق، والدموع تتدفق، فإذا سمعته فترقق.

وشعر الأعشى، كالحمي، يتركك كالمغمي، أو كأنك أعمى، وهو من الغيث أهمى، ومن النجم أسمى. وشعر النابغة سحر حلال، يذهب عقول الرجال، وله روعة وجمال، وأبهة وكمال. وشعر زهير كالماء الزلال، فيه صدق واعتدال، وحق وجلال، بعيد عن السخف والإملاط. وشعر ابن كلثوم يسابق حسامه، كأنه بروق تهامة، لأن صاحبه طالب زعامة، يريد العزة والكرامة.

لَمَّا كَانَ الشَّعْرُ فِي رَوَابِي نَجْدِ الْخَضْرَاءِ، وَفِي فَيَافِيهَا الْفَيْحَاءِ، كَانَ آيَةً فِي الْحُسْنِ وَالنُّبْلِ وَالْبَهَاءِ. فَلَمَّا دَخَلَ الشَّعْرُ إِلَى الْقُصُورِ، وَسَكَنَ الدُّورَ، خَرَجَ كَأَنَّهُ جِلْدُ ثَوْرٍ، لَا يُطْبَخُ فِي الْقُدُورِ، وَلَا يَهْبِطُ مِنَ النُّحُورِ، يَحْتَاجُ الْبَيَانَ إِلَى خِيْمَةِ مَضْرُوبَةٍ، وَرَايِيَّةٍ مَنْصُوبَةٍ، وَخُضْرَةٍ وَخُصُوبَةٍ، لِتَرَى الْأَمْثَالَ الْمَضْرُوبَةَ، وَالْمَعَانِيَ الْمَرْغُوبَةَ، وَلَمَّا صَارَ الْقَلَمُ بِجَانِبِ التَّلْفَازِ، وَالْعَقْلُ بِجَوَارِ الْجِهَازِ، ذَهَبَ الْبَيَانُ وَالْإِعْجَازُ، وَغَرُبَ الْإِبْدَاعُ وَالْإِنْجَازُ.

وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدِ التَّوْحِيدِ، مَا تَرَدَّدَ تَغْرِيدُ، وَعَذِبَ نَشِيدُ، وَطَابَ قَصِيدُ، وَعَادَ وَعِيدُ، وَرَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ نَجْدٍ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ. وَفِي الْخَتَامِ أَرَدَّدَ
مَعَ الشَّاعِرِ:

يَا سَاكِنِي نَجْدٍ إِنَّا بَعْدَ بَيْنِكُمْ

كَأَنَّمَا قَدْ شَوَى الْأَضْلَاعَ سَفُودُ

فَادْعُو بِحَقِّ الْهَوَى أَنْ نَلْتَقِيَ بِكُمْ

فَإِنَّ أَيَّامَنَا مِنْ بَعْدِكُمْ سُودُ

يَا لَيْتَكُمْ تَبْصُرُونَ الصَّبَّ عَنْ كَثْبِ

حَتَّى تَرَوْا بِالَّذِي يَلْقَاهُ مَعْمُودُ

إِنِّي فَتِيٌّ وَلَكِنْ حَالَتِي عَجَبُ

كَأَنَّنِي مِنْ بَنِي السَّبْعِينَ مَوْلُودُ



obeikandi.com

مقامة الجزيرة

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ إِلَّا أَبِيْعَهُ

وَأَلَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكًا

عَهَدْتُ بِهِ شَرخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً

كَنِعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا

فَقَدِ الْفِتْنَةُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ

لَهَا جَسَدٌ لَوْلَاهُ غَوَدْتَ هَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ

عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لَذَالِكَا

الجزيرة أرض التوحيد، والمجد التليد، والنهج الرشيد. وهي أرض الإنسان، والبيان، والإيمان، والقرآن؛ لأنها دار الإنسان السوي، والمؤمن الرضي، التابع للمنهج المحمدي؛ ولأنها أرض البيان الخلاب، والأدب الجذاب، واللغة الحيّة، والموهبة الأدبية؛ ولأنها بلاد الإيمان فمنها أرسل الإيمان إلى العالم أنواره، وبعث إلى الدنيا قصصه وأخباره؛ ولأنها مهبط القرآن بها نزل جبريل، على المعلم الجليل، بآيات التنزيل.

في هذه البلاد، أعظم نادٍ للأجواد، وأكبر وادٍ للأجواد.

قال الموفق بن هادي: لا تلمني في حبّ بلادي، فإنها سرّ أنسي وإسعادي، فقد بُعثَ منها محمد المحمود، رسول الجود، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود. وفيها وُلِدَ أبو بكر، طيّب الذُكر، صاحب الشكر، نير الفكر.

ومنها عمر، جميل الخبر، وناشر العدل في البشر، وصاحب أحسن السّير. ومنها عثمان، جامع القرآن، ومُكرّم الضيّفان، وله من الرسول نوران. ومنها عليّ، البطل الوليّ، والسيف الجليّ، خائض الهول حتى ينجلي. ومنها الأسياد، والأجواد، والآساد.

فلما سمعنا كلام الموفق، وإذا هو بالدليل محقق، قلنا: ونسيت البترول، فإنه السيف المسلول، والشافع المقبول.

قال: كلا، لمن أعرض وتولّى، فخرنا بالرسول، لا بالبترول، وسعادتنا بالذكر المنزّل، لا بالديزل، وفرحتنا بالإسراء والمعراج، لا بالحديد والزجاج، وبهجتنا بالمقام والبيت، لا بالزيت، وتاريخنا بالإعجاز، والإنجاز، والامتياز، لا بالبترين والغاز.

فقلنا له: اترك من هلكوا وبادوا، وحدّثنا عن وصول الرادو، ودعنا ممّن يهمزون ويلمزون، وكلمنا عن بثّ التلفزيون، ومتى وصلكم التليفون، وما كنتم قبله تعرفون، بل بالجهل تُوصفون.

فقال: أخطأتم التقدير، وخطأ العاقل كبير، اعلّموا أننا قبل الصناعة، كنّا أهل البراعة، والشجاعة، والذاكرة اللّمّاعة، وأهل الأصالة، والرسالة، واليسالة.

نَحْنُ الَّذِينَ رَوَى التَّارِيخَ قِصَّتَهُمْ

وَنَحْنُ أَعْظَمُ مِنْ فِي أَرْضِنَا ظَهَرَا

أَمَا تَرَى الشَّمْسَ غَارَتْ مِنْ مَكَارِمِنَا

وَالْبَدْرُ فِي نُورِنَا الْعُلُويُّ قَدْ سَهَرَا

كان العالم قبل وصولنا غابة، كأن عليه جنابة، وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مآتم، تشكو وتتألم، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء، أشرقت بنوره الأرض والسماء، خيم العدل في بلادنا، وولد الشرف مع ميلادنا، مضرب المثل في الكرم من أوطاننا، وأشجع الناس من ودياننا. نحن بعثنا إلى الدنيا النور، وأزلنا منها الظلم والجور، أذنا في أذن الدنيا فأمنت، ومشينا على جبالها فتطامنت، كنا في الجاهلية الجهلاء، أهل العزة الشماء، فلما جاء الإسلام كنا الأعلام، والصفوة الكرام، شجاعة لو قابلتنا الأسود لهابت، وعزيمة لو طُرحت على الصخور لذابت، هنا دار الفضائل، ومنازل القبائل، عندنا قبلة المصلين، وكعبة الطائفين، وملاذ الخائفين، اختارنا الله لدينه أمناء، وعلى الأمانة أوصياء، من دارنا هبت كتائب الفتوحات، وسارت قوافل التضحيات، عندنا محبرة ومقبرة، محبرة لتقييد العلوم، وتسجيل نتاج الفهوم، ومقبرة للغزاة، والمحاربين الطغاة، نحن أول من حمل السيف، وأكرم الضيف، وأبى الحيف.

أرضنا بدماء الشهداء تفوح، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح، عندنا الذهب الأبيض والأحمر والأسود. فالأبيض علم ينعش الأحياء، من الشريعة السمحاء، والأحمر دماء في عروق الأحرار، وفي شرايين الأبرار، والأسود بترول مدفون في الثرى، يدلف بالحضارة للمدن والقرى.

اندهش الدهر يوم طالع صفحة جلالنا، وهامَ الزمان يوم أبصر لوحة
جمالنا، وتعجب كل جيل يوم قرأ مكارم أجيالنا، وتحطمت جماجم الغزاة
على جبالنا.

دافع الله عنا يوم قصدنا صاحب، الفيل، فعاد في ثوب ذليل، وردّ الله عنا
غارة الفرس الكفار، ومزّقهم في يوم ذي قار. وأنزل الله نصره علينا في بدر،
يوم صعب الأمر، وضاق الصدر، فأيد رسولنا بملائكة مسؤومين، وكرام
معلمين، نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب من وَّحد وتشهد،
وفي أيماننا سيوف تقطع بها رأس من تمرّد وألحد، عندنا قداسة الإنسان،
وقداسة البيان، وقداسة الزمان، وقداسة المكان.

فقداسة الإنسان: ماثلة في الرسول العظيم، والنبي الكريم، وقداسة
البيان: قائمة في القرآن، الذي أعجز الإنس والجان، وقداسة الزمان: كامنة
في عشر ذي الحجة ورمضان، وقداسة المكان: في الحرمين الطاهرين
والمسجدين الزاهرين، ليس للزمان بدوننا طعم، وليس للتاريخ سوانا رسم،
وليس للناس إذا أغفلنا اسم، نحن شهداء على الناس، ونحن مضرب المثل في
الجود والبأس. كأن النور وُلِدَ معنا، وكأنّ البشر لفظ ونحن معنى، جماجمنا
بالعزة مدجّجة، وخيولنا بالعزائم مسرجة، نحن الأمة الوسط، لا غلط في
منهجنا ولا شطط، وسط في المكان: فنحن قلب الكرة الأرضية وزعماء
الأخلاق المرضية، ووسط في الزمان: فلم نأت في طفولة الإنسانية ولم نتأخر
إلى شيخوخة البشرية، ووسط في العقيدة: فنحن أهل التوحيد والمذاهب
السديدة، فلم نعتق رهبانية النصارى، ولم نهج نهج اليهود الحيارى، بل أمّتنا
معصومة من الضلالة، مصونة من الجهالة.

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لِمَنَاجِيهِمْ

وَالْحَرْبُ تُسْقِي الْأَرْضَ جَاماً أَحْمَراً

جَعَلُوا الْوُجُوهَ إِلَى الْحِجَازِ وَكَبَّرُوا

فِي مَسْمَعِ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ وَكَبَّرُوا

أليس في بلدنا الركن والمقام، والبلد الحرام، وعندنا عرفات، ومنى حيث الجمرات، وزمزم والحطيم، والمشعر العظيم، وفي أرضنا غار حراء، مشرق الشريعة الغراء، ونزل في أرضنا جبريل، على المعلم الجليل، وحمى الله بيته من الفيل، بطير أبايل.

ومناً خالد بن الوليد، وأسامة بن زيد، وطلحة بن عبيد.

مناً قائد القادسية، الذي أسقط العجم في الخانة المنسية، ومناً قائد اليرموك، الذي أذهب من رؤوس الروم الشكوك، وصبغ وجوههم بالدم المسفوك.

أَبْدَأُ بِنَا فِي رَأْسِ كُلِّ صَحِيْفَةٍ

أَسْمَاؤُنَا فِي أَصْلِهَا عُنْوَانُ

وَإِذَا كَتَبْتَ رَوَايَةَ شَرْقِيَّةً

فَحَدِيثُنَا مِنْ ضِمْنِهَا تِجَانُ

نحن أرسلنا بني أمية، ملوكاً للديار الشامية. وبعثنا إلى بغداد بني العباس، أهل الجود والبأس. وجيش العجم ما أسلم، حتى بعثنا له قتيبة بن مسلم.

ومددنا للهند السيف الحاسم، محمد بن القاسم.

مَنْ كَتَبَ التَّارِيخَ وَأَهْمَلَ الْجَزِيرَةَ، فَقَدْ ارْتَكَبَ كَبِيرَةَ، وَأَتَى بِجَرِيرَةَ، كَيْفَ يَهْمَلُ الرَّسُولَ وَالْأَصُولَ، وَأَهْلَ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ؟ كَيْفَ يَأْخُذُ الْبَدْنَ بِلا رُوحٍ، وَيَجْرُدُ الْبَسْتَانَ مِنَ الدُّوْحِ؟ كَيْفَ يَبْنِي الْقَصْرَ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ، وَيَقِيمُ الْجِسْمَ بِلا رَأْسٍ؟

تريد المسجد بلا محراب، والمدرسة بلا كتاب، نحن الفصول والأبواب، ونحن السيف والنَّصاب، لسجلِّ المكرمات كُتَّاب، ولأرقام المجد حُسَّاب، وعلى قصر الرسالة حُجَّاب.

نحن قلب المعمورة، وأصحاب المناقب الماثورة، العالم يتجه إلى قبيلتنا كل يوم خمس مرات، والدنيا تنصت لندائنا بالصلوات، والكون يستمع لتلاوتنا بالآيات، زارنا بلال بن رباح، فصار مؤذن دولة الفلاح، وجاءنا سلمان من أرض فارس، فلما أسلم صار كأنه على قرن الشمس جالس، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم، فأصبح من سادات القوم، من بلادنا تشرق شمس المعارف، ويُقام للعلم متاحف، وتُتشرُّ للهدى مصاحف، حتى ماؤنا يفوق كل ماء، فماء زمزم شفاء، ومن كل داء دواء، ونحن بيت العرب العرياء، وعندنا سادات الكُرماء، ولدينا أساطين النجباء، وأساتذة الحكماء، إن ذكرت الحرب فنحن وقودها، وإن ذكرت الملة فنحن أسودها، وإذا سمعت بالرسالة فنحن جنودها.

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ

يَدٌ سَلَفَتْ، وَدَيْنٌ مُسْتَحِقُّ

وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرِبُ بِالْمَنَايَا

إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقَوْا

ولا يبني الممالك كالضحايا

ولا يدني الحقة فوق ولا يحق

ففي القتلى لأجيال حياة

وفي الأسرى فدى لهم وعيتق

وفي دارنا عائشة أم المكرمات، المبرأة من فوق سبع سماوات، وفاطمة
البتول، بنت الرسول، طيبة الأصول. وفي أرضنا الحرمان، والبيتان، والعمران،
والهجرتان، والبيعتان، والسبطان، والقرآن، والإيمان، والبيان.

نحن أهل عذوبة الألفاظ، والجهايزة الحفاظ، وفي بلادنا سوق عكاظ.

نحن الذين على خطى أمجادهم

وقف الزمان بذلة مبهورا

تيجان عزتنا النجوم فلا ترى

غير الوفاء وصارماً مشهوراً

في بلادنا البطحاء، حيث انطلقت الشريعة السمحاء. وعندنا نجد الأبيّة،
مطلع شمس العربية، ومنبع المواهب الشاعرية، والخطابية.

ولدينا عسير، حيث المسك والعبير، والجمال منقطع النظير، والذكاء
الشهير.

ولدينا حائل، أهل الفضائل، أحفاد حاتم الطائي شرف القبائل.

ولدينا الحجاز، أهل الفضل والامتياز، والكرم والاعتزاز.

ولدينا الأحساء، دار الشرفاء، وبيت الأوفياء.

فَغَرِينَا أَرْضَ النُّبُوَّةِ المَحْمُودِيَّةِ، وَالسُّنَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ، أَرْضَ قَدَمَتِ لِلعَالَمِ
أَشْرَفِ هَدِيَّةٍ. وَشَرْقِنَا أَرْضَ الخَيْرَاتِ، وَبِلْدِ المَسْرَّاتِ، وَدَارِ الهِبَاتِ،
وَالأَعْطِيَاتِ. وَوَسَطْنَا دَارَ المَلِكِ وَالإِمَارَةِ، وَبَيْتِ الجِدَارَةِ، وَمَحَلِّ الوِزَارَةِ،
وَالسَّفَارَةِ. وَشَمَّالْنَا أَرْضَ الجُودِ، وَالنَّدِّ وَالعُودِ، وَالأُسُودِ، وَحَفِظَ العُهُودِ، وَإِكْرَامِ
الْوَفُودِ. وَجَنُوبْنَا أَرْضَ الهِمَمِ الوَثَابَةِ، وَالطَّبِيعَةِ الخَلَابَةِ، وَالأَخْلَاقِ الجَذَابَةِ،
وَالفَهْمِ وَالنَّجَابَةِ، وَالشُّعْرِ وَالخَطَابَةِ.

نَحْنُ كَتَبْنَا التَّارِيخَ بِالدِّمَاءِ، وَوَصَلْنَا الأَرْضَ بِالسَّمَاءِ، أَنْجَبْنَا العُلَمَاءَ،
وَأَنْتَجْنَا الحُكَمَاءَ، وَأَرْسَلْنَا لِلعَالَمِ الزَّعَمَاءَ، وَأَهْدَيْنَا الدُّنْيَا الحُلَمَاءَ.

إِذَا لَمْ يَبْدَأِ التَّارِيخُ بِنَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنكُوسٌ، وَإِذَا لَمْ يُثْنِ عَلَيْنَا سِيفِ المَكَارِمِ
فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنكُوسٌ. عَسَكْرُنَا سَيُوفُنَا فِي بَدْرٍ، عَلَى رُؤُوسِ أَهْلِ الكُفْرِ، ثُمَّ
أَرْسَلْنَا شَطَايَاهَا لِصَلَاحِ الدِّينِ، فِي حَطِّينَ، فَفَقِهَرْنَا بِهَا المُلْحِدِينَ. رَدَدْنَا فِي أَحَدٍ
﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فَسَحَقْنَا مَنْ جَحَدَ، وَقَطَعْنَا دَابِرَ مَنْ فَسَدَ.

إِذَا بَلَغَ الرُّضِيعُ لَنَا فِطَامًا

تَخَرُّهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْوًا

وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا



المقامة الجنوبية

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾

كُنَّا جِبَالاً فِي الْجِبَالِ وَرُبَّمَا

سِرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ بِحَارَا

بِمَعَايِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانَ أَدَانَا

قَبْلَ الْكُتَائِبِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا

سكّم على السراة، وعلى الجنوب مُدْنِهِ وَقُرَاهُ، لتكون مع التاريخ صادقاً، وبالحق ناطقاً. في السراة رجال تكاد الأسود أن تقول من شجاعاتهم رفقاً يا ناس، ويكاد السحاب ينادي جبالها لا مساس.

بها وُلِدَ أبو هريرة سيّد المُحدِّثين، وهي ديار أئمة النحويين، من السّراة سارت قوافل الوفود، إلى رسول الوجود، تعاهد على نصره الإسلام، ومُتَابَعَةُ الإمام. منها وفد جرير سيد بجيلة، صاحب المواقف الجليلة، ومنها أطلّ الطفيل سيّد دوس، مُوقِدِ الحرب الضُّروس.

في جبال السروات نظم الشنفرى الأزدي لامِيَّتِهِ العصماء. وفي روايبها سجّل الخثعمي داليَّتِهِ الغراء. أما علمت أنها أرض القرني أويس، وبلاد أسماء بنت عميس.

في السراة كل خطيب وشاعر، لأن الشعر من المشاعر.

السراة حيث خصوبة التراب، ونداوة الضباب، وهمع السحاب.

كأن الطلّ بديارهم دموع حبيب، وكأن الظلّ بأرضهم برد قشيب.

أَرْضٌ إِذَا طَاوَلْتَ هَامَ جِبَالِهَا

قَالَتْ تَوَاضَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

وَإِذَا دَخَلْتَ غِيَاضَهَا وَرِيَاضَهَا

غَنَى الْحَمَامُ وَصَفَّقَ الرِّيحَانُ

فيها مدرسة الحفظ لأن الحفظ هريري دوسي، وهي إيوان الزهد لأن الزهد أويسي.

هنا الشعر الفصيح، والنسب الصريح، والوجه المليح، خطباء حُفَاط، يغار منهم قسٌ في سوق عكاظ، لروعة تلك الألفاظ، مع القمم همم، ومع الشجاعة كرم، لا تتكر أخلاقهم البديعة، فكما قال ابن خلدون: الأخلاق تتبع الطبيعة. ذكرهم الهمداني في الإكليل، فكان قلمه بالثناء يسيل.

بلادهم ديار الجود، وعرين الأسود، البخل عندهم ذنب لا يُغْفَر، وعدوهم بالثرى يُغْفَر، أريحية يهتزّ منها النسيم، وحاتمية ينشأ عليها الفطيم، مشاعر جياشة، وأرواح هشاشة، ووجوه بشاشة، ماء البشر في صفحات الوجوه يترقق، ودم البطولات في شرايين الأبوة يتدفق، إصرار على القيم، وحفاظ على الشيم.

قلوب حُشِيَتْ بالإيمان إلى الأعماق، فليس بها مكان للكفر ولا للنفاق.

ما دخلها فيلسوف، لأن صوت القرآن بها يطوف، وما حلها زنديق، لأن
أسد الرسالة في الطريق.

إِذَا كَبَّرَ الْأَزْدِي فِي حَوْمَةِ الْوَعَى

رَأَيْتَ شُجَاعاً سَيِّداً وَابْنَ سَيِّدٍ

وَيُطْرِبُهُمْ وَقَعُ الرَّمَّاحِ فَمَا لَهُمْ

سَمَاعُ لِعُودٍ أَوْ غِنَاءُ لِمَعْبَدٍ

أَوْ سَيِّئَةٌ دُوسِيَّةٌ عَزَمَاتِهِمْ

كَتَائِبُهُمْ تَسْعَى لِنُصْرَةِ أَحْمَدٍ

عروبة صريحة صراحة اللبن المذاب، والسنة فصيحة فصاحة الفجر
الجداب.

هم أعمام حسان، وأخوال سحبان، وأجداد غسان.

بديهتهم أسرع من الضوء إذا سرى، وذاكرتهم أغزر من السيل إذا جرى،
ما قطر للإلحاد في ديارهم قطرة، لأنهم على الفطرة.

لو رأى جمال أرضهم كنفشيوس المسكين، لما نظم قصيدة مرحباً يا بكين،
ولو أبصرها هوميروس اليونان، لما أنشد إلياذة ملاحم الميدان.

فَالطَّيْرُ يُرْسِلُ لِلْعُشَّاقِ اغْنِيَةَ

وَالْغُصْنُ يُعْزِفُ وَالْأَرْوَاحُ فِي طَرْبٍ

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى عَيْدًا بِأَرْضِهِمْ

فَالسُّحْرُ وَالشُّعْرُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

أَرْضٌ إِذَا جِئْتَهَا أَهَدَتْكَ زِينَتَهَا

حَمَّالَةَ الْوَرْدِ لَا حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

طاب الهوى ورقَّ الهواء، وازدانَ الظلَّ وعذب الماء، أرض تصنع بها القوافي، مع الودِّ الصافي، والجمال الضافي. كأن وحي البيان، أرسل لطير البستان، فالتقى سحر الكلام، مع نشيد الحمام، ودمع الغمام.

رَفَقًا بِقَلْبِي يَا جَنُوبُ فَإِنِّي

بَشَرٌ وَهَذَا السُّحْرُ يَخْلِبُ عَيْنِي

قَتْلُ الْمُحِبِّ يَجُوزُ فِي شَرِّ الْهَوَى

لَوْ كَانَ دِينُكَ فِي الصَّبَابَةِ دِينِي

ولو عدل صاحب البوصلة لوجهها للجنوب النفيس، وذاك الروض الأنيس، وترك هضبة مغناطيس. ولو رأى نابليون جبال الجنوب ووديانه، لأراحنا من هيامه بجزيرة هيليانة.

والجنوب لم تدخله الباطنية، ولا مذهب الظاهرية، بل تلك الديار سنيّة سلفيّة، وقد رحّبوا بدعوة التوحيد، التي أطلقها المجدّد الفريد، صاحب النهج السّديد، وتقبّلوا هذه الدعوة بقبول حسن، وصاروا على أحسن سنن.

وقد ردّوا كل نحلة لا تصحّ، لأنه نُهيّ أن يورد المَرَضِ على المُصَحِّ، وعاش أجيالها إلى اليوم على كتب ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، وكتب مجدد الدعوة السلفية.

وقد آتاهم الله أذهاناً بالبديهة سائلة، والسنة بالفصحى قائمة، ينظم أحدهم الأرجوزة، في جلسة وجيزة، ويُنشئ أحدهم القصيدة، بموهبة فريدة. شاركوا في القادسية، وقادهم جرير، وأنزلوا رستم من السرير، ما عرض الإسلام على أحدهم إلا أسلم، وما نُودي يوم الرّوع إلا تقدم، دعا الرسول ﷺ الأزدي أبا ضماد، فأجابه إلى الإسلام والجهاد. وذكر ابن القيم وفد الأزد فأطنب في ذكرهم، وأحسن في شكرهم. وذكر حديثاً يُروى عنه ﷺ أنه قال في وفدهم:

«عُلَمَاءٌ، حُلَمَاءٌ، كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءً.»

ومنهم محمد بن واسع الزّاهد العابد، العالم المجاهد، صاحب الكلمات الفاصلة، التي هي إلى القلوب واصلة. ومنهم المناذرة الملوك، ومجدهم بالجود محبوبك. وعلى بساطهم وقعت المساجلات، وفي ديوانهم حصلت المناظرات والمحاورات.

ومنهم الفساسنة ملوك الشام، أهل القلم والحسام، حتى قال حسان:

إِنْ تَسَالَيْنَا فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُجُبٌ

الْأَزْدُ نَسَبَتْنَا وَالْمَاءُ غَمْسَانُ

ومنهم آل المهلب أسرة الشرف والريادة، والكرم والسيادة.

واعلم أن أصول كثير من العلماء السُّرَّة، من جبال السُّرَّة. فعبد الفني الأزدي الحافظ الشهير، أبأوه من السُّرَّوات بلا نكير، والطحاوي صاحب العقيدة، من تلك البلاد المجيدة، بل ذَكَرَ الشيخ المنسي في كتابه في تاريخ الرجال، أن مئات المحدثين من تلك الجبال، واحتفل النسابة الجاسر، بذكر مواطن القوم والمآثر، وطالع ما كتبه عن رجالهم الذهبي في السُّرِّ، وما سطره أهل التاريخ والخبر.

وفيهم ثلاث فضائل، لم تجتمع في غيرهم من القبائل:

سلامة الصدور، كماء الطهور، فليس عندهم ضغائن، ولا دفائن؛ بل غضب الواحد في لسانه، ثم يعود إلى إحسانه. ومنها ذكاء وقَّاد، وطبع في الفهم منقاد، مع غزارة في القريحة، وأخلاق مليحة.

ومنها فصاحة وبيان، كأن على طرف كل لسان سَحْبَان، وعلى شفتي كل منهم حسان. والحمد لله الذي سلمهم من برص الإسماعيلية، وسرطان النيرية، وداء البطائحية، وحمق الصوفية، وتجهُّم الجهمية، فطريقتهم سُنَّة محمدية.

وليس عندهم صَلَف الخوارج المارقين، ولا عتوُّ الروافض المتحرِّقين، وليس للزندقة عندهم قرار، وما للبدعة بيلدهم دار، بل هم أهل سَكينة ووقار، كما وصفهم بذلك المختار. ولم تدخلهم العجم الجُفَاء، ولا طيش الأعراب الحُفَاء، فهم أهل جنَّات وعيون، وأهل أدب وشجون.

وقد مدحهم الداعية الشهير القرعاوي، وذكرهم بحُسن المساعي، وإجابة
 الداعي، وسطرّ فيهم الشعراء أحسن قصائدهم، ودبّج فيهم الخطباء أجود قلائدهم.
 وسكّل أهل العلم ممّن زارهم، وحلّ دارهم، فإنه ينقلب إلى أهله مسروراً،
 بعد أن ملؤوه حبوراً. لم يدفعني لما قلته عصبية، أو حميّة مذهبية، بل كلمة
 حق، وشهادة صدق، وقد ذكرت فضائل غيرهم من أهل البلدان، وما تنقصت
 بسببهم غيرهم من سكان الأوطان، وانظر الإنصاف والإتحاف في المقامة المكيّة،
 والمقامة النجدية، واليمنيّة، وغيرها من المقامات، وهذا من الاعتراف بالحسنات.
 واعلم أن مئات المؤرّخين والأدباء، سبقوني إلى ذكر مناقب جبال السروات
 الشّمَاء، وأهلها الكرماء، وقد نظم لبيد قصيدة في تباله، وحطّ ابن بطوطة
 في السّرة رحاله، ولما زارها تأبّط شراً، مدحها وقد تأبّط خيراً، وقد قال
 أحد شعرائها، ينوّه بمجد فضائلها:

نَحْنُ وَجْهُ الشَّمْسِ إِسْلَامٌ وَقُوَّةٌ

نَسَبُ حُرٍّ وَمَجْدٌ وَفُتُوَّةٌ

نَحْنُ أزدُ اللهِ فِي يَوْمِ الرَّدَى

قَدْ وَضَعْنَا الكُفْرَ فِي سَبْعِينَ هُوَّةً

وَأوَيْسُ جَدُّنَا مِنْ قَرْنٍ

أَوْ مَا تَلَمَّحُ مَجْدًا فِي البُنُوَّةِ

وَالسُّيُوفُ البَيْضُ فِي أَيْمَانِنَا

يَوْمَ ضَرَبَ الهَامُ مِنْ دُونِ النُّبُوَّةِ



obeikandi.com

المقامة الفليجية

﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

إِنْ يَخْتَلَفُ مَاءُ الْغَمَامِ فَمَاؤُنَا

عَذِبُ تَحْدُرٍ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ

إِنْ يَفْتَرِقَ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا

دَيْنُ أَقْمَانِهِ مَقَامُ الْوَالِدِ

كنت في أمر مريج، حتى دخلت الخليج، فقلت: أين المجالس النديّة، والأخلاق الوديّة، والأمانى الوردية؟ قالوا: في السعودية.

بِنَفْسِي تَلِكَ الْأَرْضُ مَا أَحْسَنَ الرِّيَا

وَمَا أَحْسَنَ الْمِصْطَافَ وَالْمُتَرَيِّعَا

قلت: جاش حبيّ وفاض، وليس لي على رسول الحبّ اعتراض، فاقض ما أنت قاض، إذا هبطت الرياض.

رِيَاضُ الْخُلْدِ فِي جَفْنَيْكَ سِرٌّ

عَلَيْكَ مِنْ جَلَالَتِهِ بِهِاءُ

ولا تلم من حنّ قلبه إلى قطر، وصار دمه مثل المطر، فكم للمُحِبِّينَ من غدوة وزوحة، إلى روابي الدوحة.

الدَّمْعُ يَهْمِلُ مِنْ جُفُونِي كَالْمَطَرِ

مُتَنَكِّراً أَهْلَ الْمَوَدَّةِ فِي قَطْرِ

وسلم على عمّان، أهل الشعر والبيان، وإكرام الضيفان، وهم يوم الرّوع شُجعمان.

وَعُمَّانُ دَفَتَرُ حُبِّنَا وَسُطُورُهُ

تُرَوِّي حَدِيثَ الْأَهْلِ وَالْجَبْرِانِ

وسبحان من ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾. أحرزوا ذروة المجد وسنامه، ونصبوا خيام الجود في المنامة.

قُلْ لِلْمَنَامَةِ هَلْ أَيَّامُنَا جَمَلَتْ

أَعْلَى إِلَى قَلْبِنَا مِنْ يَوْمِ لُقْيَاكَ

ودخلنا أبو ظبي فوجدنا أسودها تحمي ظبائها، والحسن قد ملأ سماءها. فحمى الله الإمارات، من الغارات، فقد حققت في العلياء انتصارات، وشيدت للعلم منارات.

اطَّرَحَ رُومًا وَمِنْ فَضْلِهَا

فَأَبُو ظَبْيٍ مُنَانًا وَدُبِّي

فَهُنَا رَوْضٌ وَعَمِيشٌ رَائِقٌ

كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ حَاتِمٌ طَيِّ

كم مُحِبٌّ يَقُولُ مِنَ الْحَبِّ انْكُوتِ، فاسألوا عني الكويت، حمّاه الله من العدوان، وصانها من حسد الجيران، ومن غيرة الإخوان.

حَيِّ الْكُوَيْتَ فَفِيهَا الْمُتَلَقَى الرَّحْبُ

وَالرَّأْيُ وَالْعَزْمُ وَالْأَبْطَالُ وَالنُّجُبُ

وقد جمعنا حفل بهيج، بجامعة الخليج، في مدينة الكويت، فسلمت

عليهم وحييت، وقلت من قصيدة لي:

لِي فِي الْجَزِيرَةِ آمَالٌ مُجَنَّحَةٌ

فِي نَجْدِنَا حَيْثُ يَسْمُو الشُّعْرُ وَالخُطْبُ

حَيِّ الْكُوَيْتَ فَلَنْ نَنْسَى مَوَدَّتْهَا

مَحْفُوظَةٌ مَا ذَهَابَ الْهَوْلُ وَالْعَطْبُ

وَفِي الْمَنَامَةِ سَفَرُ الْحُبِّ نَقَرُوهُ

عَلَى خُدُودِ الْهَوَى مِنْ حُبِّنَا عَتَبُ

بَلَّغْ عُومَانَ تَحِيَّاتٍ مُبَارَكَةً

أَزْدِيَّةً وَلَهَا فِي أَرْضِنَا نَسَبُ

وَطَفَّ عَلَى دَوْحَةِ الْأَحْبَابِ مِبْتَهَجًا

بَيْنَ الرَّئْيِ إِنَّ قَلْبَ الصَّبِّ مُلْتَهَبُ

أَمَّا الْإِمَارَاتُ فَالْأَشْوَاقُ تَحْمِلُنَا

لأَرْضِهَا وَعَلَيْهَا تَشْهَدُ الْكُتُبُ

خَلِيجُ مَا عَرَفَ الْأَحْبَابُ غُرْبَتَنَا

وَقَدْ أَسَاءَ لَنَا الْحُسَّادُ إِذْ كَذَّبُوا

في الخليج دمع يترقرق، وماء يتدفق، ذكاء وامتياز، وزيت وغاز، وبنزين وقاز. وفي الخليج ضيافة حاتميّة، ودعوة إسلامية، وصحوة عالمية، تغذّيها كتب ابن تيمية. في الخليج مكة الرسالة، ونجد البسالة، ومنامة الشهامة، ودوحة الكرامة، ومسقط الزعامة، وفي الكويت سلّ المجد حُسامه، وبلغ العزّ في «أبو ظبي» تمامه. الخليج أرض الأنبياء، ودار الأولياء، وروضة العلماء، وسرادق الكرماء، وديوان الشعراء.

من الخليج محمد الرسول الخاتم، مُصلح العالم، ومنها حاتم المكارم، وخالد صاحب العزائم، الملحق بالأعداء الهزائم.

من الخليج شعراء المعلقات، والملاحم الشرقيّات، وتلك المثل الرأقيّات. وفيها الرجال، والجمال، والمال، والسُحر الحلال.

في الخليج الشدّة والرخاء، والحدائق والصحراء، والجفاف والماء، والأرض والسماء، والدهماء والعلماء. هنا طائرة وباخرة، وحضارة فاخرة، وصحراء ساخرة، ودنيا وآخرة. بيع وشراء وقرض، إيراد وتصدير وعرض، عمار وبناء فوق الأرض، وثروات وخيرات تحت الأرض. لحركة التعمير ضجيج، وللبتروول رغاء ونشيج، وللبساتين عطاء من كل زوج بهيج.

في الخليج يلتقي التاريخ والجغرافيا، لترى الحب في ماء الخليج صافياً، وتقرأ الودّ في عيون الخليجيين وافياً. لا يكره الخليج إلا حاسد، أو جاحد، أو جامد.

فالحاسد غلبه هواه، وحسده أغواه، وقد خاب مسعاه.

والجاحد أنكر الجميل، وأكثر من القال والقليل، والكثير من الإحسان

عنده قليل.

والجامد، بارد الإحساس، واهم القياس، اختلط عليه أمر الناس.

في الخليج فصاحة وقافية، وعين صافية، وقيم وافية، وصيدلية شافية، وكنوز كافية. وفد العالمُ إلى الخليج بالملايين، فالعامل جاء يبحث عن الرزق، والجيولوجي أقبل من أجل التعدين، والخواجة أتى ينقّب عن البنزين. جاء الهندي إلى الخليج بالرز، وجاء الألماني بالبنز، وجاء الإيطالي بالبنز. والكل يطلب العزّ والكنز.

في الخليج بئر وبعير، وأعاصير ومواصير. وشبكات وشيكات وشركات، وريال ورجال، ودينار ودولار، وجواد وحمار.

أيها الخليجيّون: ليس فخركم أنكم بلد البترول، إنما الفخر أنكم بلد الرسول، فلا تفرحوا لأن الزيت في أرضكم ظهر، لكن افرحوا لأن الدين من أرضكم انتشر.

أيها الخليجيّون: ليس شرفكم زيت دفق، لكن الفخر أن في دياركم رسولاً صدق، وبالحق نطق.

العالم يتجه إليكم خمس مرات، ليصلّي إلى كعبة المسرّات، لقد صرتم بهذا الحرم سادة العالمين، وفي دنيا الأمجاد مُبدعين، ولأجل عين تكرم ألف عين، فكونوا إخوة أجمعين، ولا تطيعوا الشيطان اللعين.



obeikandi.com

المقامة اليمانية

«الإيمانُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ،

«قبُلاتٌ على جبينِ صنعاء،

دخلنا صنعاء، بعد ما قرأنا الدعاء، فوجدنا صالح بن مقبول، ينشد ويقول:

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةَ يَمَنِيَّةَ

لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانِ

فَقَالَتْ وَارْخَتْ جَانِبَ السُّتْرِ بَيْنَنَا

لَأَيَّةِ أَرْضِ أَمِ مِنَ الرَّجُلَانِ

فَقُلْتُ لَهَا: أَمَا رَفِيقِي فَقَوْمُهُ

تَمِيمٌ وَأَمَا أُسْرَتِي فَيَمَانِ

رَفِيقَانِ شَتَى أَلْفِ الدَّهْرِ بَيْنَنَا

وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

فقال أهل اليمن: أنت ممن؟ قلت: النسبة أزدية، والملة محمدية. قالوا:

انزل غير بئيس، ولا تعيس، فإن منكم القرني أويس. قلنا: كفاكم قول من جاء

بالشرائع الإيمانية، حيث يقول: الإيمان يمان، والحكمة يمانية. قالوا: ﷺ كلما

فاح ورد، وثار وجد، وتلي حمد، وحل سعد. قلنا: كيف الحال، يا معاشر

الأقيال - اسم الملوك اليمن -، يا أهل الخطب الطوال، ويا أصحاب البديهة

والارتجال، ويا رواد الأشعار والأزجال؟

إلا أيها الركبُ اليمَانونُ عرُجوا

علينا فقد اضحَى هَوَانًا يَمَانِيَا

نُسَائِلُكُمْ هل سَالُ نَعْمَانُ بَعْدَنَا

واحبيبِ إينَا بَطْنِ نَعْمَانِ واديَا

وقد قيلت فيكم المدائح، التي سالت بها القرائح، وحفظها عنكم التاريخ، فوصل بها مجدكم المريخ، أنسيتم ما ذكره في مدحكم الهمداني، وما سجّله في مجدكم صاحب الديباج الخسرواني، أليس يُنسَبُ إليكم السيف الهندواني، وسُمِّيَ باسمكم ركن البيت اليماني، وسهيل أحد النجوم الدواني، ومنكم محدث العصر الأمير الصنعاني، والعلامة الرّبّاني، الإمام الشوكاني، وتاج العلماء الكوكباني، وسيد الأولياء أبو إدريس الخولاني، ومفتي الديار العلامة العمراني، وابن الديبع الشيباني، وشيخ الشيوخ الأرياني، والقاضي أحمد الحضراني، وخطيب الخطباء البيحاني، وأستاذ الإعجاز الزنداني، وقد أثنى عليكم شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني، لما شرح حديث «الإيمان يماني»، ومجدكم ابن رجب بالفقه في المعاني، وحسبكم مدح الرسول العدناني، فإنه خصّكم بعلم الحكمة في المثاني، ومنكم شاعر الرسول ﷺ حسّان، وملك العرب النعمان، وخطيب الدنيا سحبان، ومنكم سيف بن ذي يزن في غمدان، أما سمعت الشاعر حيث يقول:

إلا لا أحبُّ السَّيْرَ إلا مُصَاعِدًا

ولا البَرْقَ إلا أن يَكُونَ يَمَانِيَا

فمَيِّزَ بَرَقِكُمْ عَن كُلِّ بَرَقٍ لِأَنَّهُ صَدَقَ، يَأْتِي بِالغَيْثِ وَالوَدُقِ، وَذَكَرَ
أَمْرًا الْقَيْسِ التَّاجِرِ الْيَمَنِيِّ فِي لَامِيَّتِهِ فَقَالَ:

فَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْعَبِيْطِ بَعَاغَهُ

كَفَعَلَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ

منكم الأوس والخزرج، والملكان الحارث والأعرج، وعمرو بن معديكرب
المقدام المدجج، ومنكم الملكة بلقيس، وأسماء بنت عميس، وأبو موسى عبدالله
ابن قيس، وعلى ألسنتكم تسيل القوافي، وفي ضيافتكم تشبع العوافي،
بديهتكم سريعة، وذاكرتكم بديعة، وفيكم الفصاحة والصباحة، والسماحة
والملاحة، ودعا لكم المعصوم فقال: «اللهم بارك لنا في يمننا»، وأقول: ووفق
أهل صنعانا وعدتنا.

قال الزبيدي في قصيدة الوطن، يخاطب اليمن:

مَرْقُومِي يَا رِيحُ ثُمَّ انْتُرِي

أشلاء جسمي في جوتلك المغاني

وزعميني على الجبال والغدران

بين الحُقُولِ والأغصان

وصلي جيرتي وأحباب قلبي

وقصني عليهم ما دهاني

هل بكاني هزارها هل رثاني

طيرها هل شجاء ما قد شجاني

ليت للروض مقلّة فلعل الدهر

يبكيه مثلمأ أبكاني

وقد ذكر الذهبي في النبلاء، في سيرة همام بن منبه أحد العلماء، أن رجلاً من قریش، صاحب سفاهة وطيش، قال لرجل من أهل اليمن، ثقة مؤتمن: ما فعلت عجوزكم؟ قال عجوزنا بلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وعجوزكم يا قرشي «حمالة الحطب» دخلت النار مع الداخلين، فغلب القرشي وأفحمه، وفي كل كرب أقحمه. والمتنبي شاعر المعاني، أثنى على السيف اليماني، فقال في نونية رائعة، وفي قصيدة ذائعة:

بِرْغَمِ شَبِيبِ فَارِقِ السَّيْفِ كَفُّهُ

وَكَاْنَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِكَفِّهِ

رَفِيقَكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي

وذكروني بشاعر معاصر وإليه ردوني، أعني به شاعركم عبدالله البردوني، حيث يقول مخاطباً الرسول ﷺ:

نَحْنُ الْيَمَانِيُّنَ يَا طَلَّةَ تَطِيرُنَا

إِلَى رَوَابِي الْعُلَا أَرْوَاحُ أَنْصَارِ

إِذَا تَذَكَّرْتَ عَمَّارًا وَسِيرَتَهُ

فَأَفْخَرْنَا إِنَّنَا أَحْقَادُ عَمَّارِ

وقد رفعتم رؤوس العرب، لما انتصر سيف بن ذي يزن وغلب، على أبرهة حامل الكذب، فزارتكم الوفود بمن فيهم عبدالمطلب، فأشاد بكم أمية بن أبي الصلت في لامية عصماء، أبهى من نجوم السماء يقول:

اجلس برفق عليك التَّاجُ مُرْتَضِعاً

بقَصْرِ غِمْدَانَ دَارِ مَنْكَ مُحَلَّلاً

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبْنٍ

شَيْباً بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاً

وأطعتم معاذ بن جبل، ورفعتموه في المحل الأجلّ، ونصرتم عليّ بن أبي طالب، صاحب المناقب والمواهب، فقال:

وَلَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ

لَقُلْتُ لَهُمْ دَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

وقتلتم الكذاب الأسود العنسي، فصار في التاريخ المنسي، ومنكم المقدام يوم القادسية، الذي سحق الجموع الفارسية، ومنكم الشاعر وضّاح، الذي هزّ بشعره الأرواح، وأنتم أرقّ الأمة قلوباً، وأقلّها عيوباً، وأطهرها جنوباً، وفيكم سكينه ووقار، وفقه واعتبار، ومنكم أولياء وأبرار، ويكفي أن منكم الأنصار، مع تواضع فيكم وانكسار، ومنكم مؤلّف الأزهار، وصاحب السيل الجرّار، ومدبج الغطمطم التيّار، ومنكم المحقّق الشهير، والمجتهد الكبير، أعني ابن الوزير صاحب العواصم والقواصم والروض الباسم، خطيبكم إذا تكلم بزّ الخطباء، وأسرها وسحرها فإما ممّناً بعد وإما فداء، وشاعركم إذا حضر غلب الشعراء، وصارت أفئدتهم من الذهول هواء، الضاد بأرضكم ميلادها، والعروبة عندكم أولادها، والحميريّة أنتم أحفادها، أما قال الشاعر:

يَمْنِيُونَ غَيْرَ أَنَا حُفَاةٌ

قَدْ وَطَّنَا تَيْجَانَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ

قد رَوَيْنَا الْأَمْجَادَ جِيالًا فَجِيالًا

جَدْنَا صَاحِبَ الْحَضَارَاتِ حَمِيرَ

عندكم الجبال، والجمال، والسحر الحلال، والبلاغة في الأقوال، مع سلامة صدور، ويُعد عن الكبر والغرور، وخفة أرواح، ودعابة ومزاح، وقدرة على الحفظ، وسبك اللفظ، وجودة خاطر، بكل لذيذ عاطر، مع بسمة وبشاشة، ونفوس بالحب جيّاشة، عانقت جبالكم السحاب، واحتضن شجركم الضباب، وقبل ريحانكم التراب ونادت غدرانكم: ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، كأن بُنِّمَ إذا مُزِجَ بالهيل، وخُلِطَ بالزنجبيل، فيض من السلسبيل، كأنه يقول للشاربين: جئتمكم ﴿مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ﴾، وبأرضكم الأقيان، يُضاحك الريحان، وبلبل البستان، كأنه يتكلم بلسان، في كل صباح يصيح، كأنه خطيب فصيح، مَنْ دخل روضكم ظن أنه في إيوان كسرى، يسري به النسيم فسبحان من أسرى:

أَرْضُ ثَرَاهَا لَوْلُو وَتُرَابُهَا

مِسْكٌ وَطِينَةٌ أَرْضِيهَا مِنْ عُنْبُرٍ

يَتَلَوُّ بِهَا الْقُمْرِيُّ آيَاتِ الْهَوَى

وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبَّرٍ

طلع الزهر بها كأنه جُمان، وفي أرض سبأ كانت الجنتان، فصار ملكها لسليمان، تباكرها الصَّبَا الشمالية، لا شرقية ولا غربية، فيا أنصار الرسالة في قديم الزمان، أنتم أنصارها الآن، فعضوا على التوحيد بالنواجذ، فأنتم

الأبطال الجهابذ، وانصروا سُنَّةَ المختار، في تلك الديار، وانهجوا نهج السلف،
فإنكم نعم الخلف، وارفعوا للملة العلم، فمن يشابه أبه فما ظلم، ففيكم علماء
وعباد، ولكم نوافل وأوراد، وتديئكم سريع، وفهمكم بديع، وقد قلتُ في صنعاء،
من قصيدة لي تحمل الحب والوفاء:

صَنَعَاءُ صُغْنَا لَكَ الْأَشْعَارَ وَالْكَتُبَا

لَكَ الْوَفَاءُ فَلَا تُبَدِي لَنَا الْعَتَبَا

عَلَى جُفُونِكَ قَتَلَى الْحُبُّ قَدْ صُرِعُوا

حَتَّى الَّذِينَ بَقُوا قَتَلَى وَمَنْ ذَهَبَا

رَوَايَةَ السُّحْرِ فِي عَيْنِكَ اغْنِيَةَ

وَالْحُسْنَ فِي وَجْهِكَ الْوَضَّاحُ قَدْ سَكَبَا

لَيْتَ الْهَوَى تَرَكَ الْأَرْوَاحَ سَالِمَةَ

فَهُوَ الَّذِي رَدَّ بِالْأَلْحَاطِ مَا وَهَبَا

إِنْ كُنْتَ تَبْكِينَ يَا صَنَعَاءُ مِنْ وَلَهْ

فَقَدْ سَكَبْنَا عَلَيْكَ الْغَيْثَ وَالسُّحْبَا

اسْتَغْفِرِي أَنْتِ مِمَّا تَفْعَلِينَ بِنَا

هَذَا الْجَمَالَ الْيَمَانِي يَقْتُلُ الْعَرَبَا

ولمّا تقدّم الجيش البريطاني، يريد احتلال أوطاني، في بلد جيرانني

افترجوا إنكلتِراً في بلادِ اللهِ

أرضاً ومَـوطنناً وخُلُوداً

كذبت - والإله - ما كان حتى

نملاً الأرض والسَّمَاءَ جُنُوداً

بعد أن تُسْفَكَ الدَّمَاءُ على الأرضِ

وتُروى سُـهولها والنُّجُوداً

ما خضعنا للترك مع قُربهم في

الدين منَّا فكيف نرضى البَعِيداً

وهم في الأنام أشجع جيشِ

فاسألوهم قد صادفونا أسوداً

يا بني قومنا سراعاً إلى الموتِ

فقد فاز من يموت شهيداً

والبسوا حلة من الكفنِ الغالي

وبيعوا الحياةً بيعاً مجيداً

سارعوا سارعوا إلى جنةٍ قد

قام من جاءها سعيداً حميداً

سلام على شوكاني، ورحمة الله على إرياني، وبركاته على كوكباني،
ومغفرته على عمراني، وتحياته على خولاني، وفضله على همداني. لأن
التفسير الصحيح شوكاني، والشعر المليح إرياني، والخطاب الفصيح كوكباني.
والعقل الرجيح عمراني، والوجه الصبيح خولاني، والكفّ السّميح همداني.
وصرف الله النّقم، عن جبل نُقم، لأنه أنتج لنا ابن الوزير، صاحب التعبير
والتحريير.

شُكْرًا لِيَتِلَكَ الْأَرْضِ لَوْ أَنَّ الدَّمَـا

تُسْقَى بِهَا الْأَوْطَانُ أَسْقَيْنَاهَا

اليمن مشتق من الإيمان لأنهم صدّقوا بالرسالة، وأظهروا البسالة،
وأكرموا رسول الرسول، وقابلوه بالقبول، وجمعوا بين المعقول والمنقول.
واليمن مشتق من اليُمن؛ لأنه كان ميموناً بجنوده، مُعيناً بحشوده.
واليمن مشتق من الأمانة لأن رجاله فدوا الملة بالنفوس، وقدموا للشريعة الرؤوس.

أُمَّةٌ أَمَهَرَتْ الْمَجْدَ النَّفُوسَا

بَدَلَتْ لِلدَّعْوَةِ الْكُبْرَى الرَّؤُوسَا

واليمن مشتق من اليمين، فهم ميمنة كتائب الجهاد، ساعة الجلال،
بالسيوف الحداد.

عَلَى الْمِيَامِنِ تَلَقَانَا جَحَاجِحَةً

بِعْنَا مِنْ اللَّهِ أَرْوَاحَا وَأَبْدَانَا

إذا رأيت من ينتقص اليمن فاعلم أنه يستحق التوبيخ، لأنه يجهل
أبجديات التاريخ.

روى الطبراني، عن الرسول العدناني، في مدح اليماني: «إِنَّ نَفْسَ رَبِّكُمْ
مَنْ الْيَمَنِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ نَجْدَةِ وَفِطْنٍ». (نَفْسٌ: الفرج من الله بعد الشدة).

اليمن بلد الأقيال، والجبال، والجمال، والجلال.

فالأقيال: طردوا الأحابيش، وهزموا كل جيش. والجبال: صدت الغزاة
المحاربين، ودمرت الإنجليز الكاذبين. والجمال: رسائل سحر من الطبيعة، في
حجاب الشريعة. والجلال: إيمان في قوة، وعلم مع فتوة. تعانق في اليمن التاريخ
والجغرافيا، عناقاً كافياً شافياً، وتصافح بها الفقه والحديث، والقديم والحديث.

إذا سأل على حدائق الأزهار، السيل الجرّار، ظهر لك أهل التقليد وحملة
الآثار، وإذا أردت الدليل، على فضل هذا البلد الجليل، عليك بالإكليل.

واعلم أنني ما أسرفت في المديح بل قصّرت، وما طوّلت في الثناء بل
اختصرت، وكفى لأهل اليمن مدح المصطفى، وإنما أردنا أن نكتب في ديوان
الوفاء، وفي سجل الصفاء.

يا صنعاء! نريد منك جيلاً ربّانياً، وشباباً محمدياً، وعزماً يمانياً. وشكراً
يا عدن، على ترحابك بأتباع النبي الأمين، وطرديك لعبيد لينين، وأذئاب
إستالين، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

سَلِّمْ عَلَى الدَّارِ مِنْ شَجْوٍ وَمِنْ شَجْنِ

وَانظُرْ إِلَى الرُّوضِ مِنْ سِحْرِ وَمِنْ حَسَنِ

يا لَوْحَةَ نُسِجَتْ فِيهَا مَدَامِئُنَا

قَلْبِي بِرُوعَةِ هَذَا الْوَجْدِ فِي الْيَمَنِ

وما كتبت هذه المقامة، حتى طالعت كتب القوم في الجبال وتهامة، فقرأت كتب ابن الوزير، وكتاب رياح التغيير، وسامرت كل مرجع، وراجعت تاريخ الأكوغ، ورافقت كتاب البدر الطالع، فإذا هو جامع مانع، وألف أحد المستشرقين كتاب «اليمن من الباب الخلفي»، وفيه ما يكفي ويشفي، وقد نظم الشعراء في اليمن إلياذات، وكُتِبَتْ على القلوب من حبها أبيات، ولهم في هذا القطر مؤلفات ومصنّفات، ومن لطف أهل اليمن تسميتهم لشجرة البن لأن فيها بناء مودات. وتسميتهم القات، لأنها تُذهب الأوقات، وتَأْكُل الأوقات.

واليمن مورد عذب، وميدان رحب، فالقومي باليمن يفخر، لأنها بلد الجدّ حمير، والمؤرّخ يتشجع، لأنه عثر على موطن تبع، وصاحب الآثار له من اليمن أمداد، لأن فيها ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ **(٧)** الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿، وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ، لَهُمْ مِيلٌ إِلَى تِلْكَ الْأَوْطَانِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ، فَاحْفَظْ أَخْبَارَهُمْ، وَرَدِّدْ أَشْعَارَهُمْ، وَاكْتُبْ إِنْشَاءَهُمْ، وَلَا تَبْخُسْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.

واعلم أن اليمن أهدت لسليمان بلقيسَ العرش، وقتلت الأسود العنسي، وألبست العروبة المنن، بسيف ذي يزن، حتى زاره عبدالمطلب، نيابة عن العرب، فبشّره بالنبي المرتقب، وأعلى منزله كما يجب.

وألفت اليمن في الأصول، إرشادَ الفحول، وفي التفسير فتحَ القدير، وفي سُنَّةِ أَبِي الْقَاسِمِ الرُّوضِ الْبَاسِمِ، وفي فن الطلب نيل الأرب، وفي الأحكام سُبُلُ السَّلَامِ، وفي فقه الآثار نيل الأوطار، وتاج العروس أصله من زبيد، وعندهم

كل عالم مفيد، وشاعر مجيد . وقد أغناهم الله بالحديث عن فلسفة اليونان، وبالفقه عن كلام مبتدعة خراسان، وبالتفسير عن خيالات فارس وملكهم ساسان، وهم من أكثر العباد خشوعاً، ومن أغزرهم دموعاً، وليسوا بعباد درهم، وليس من أرضهم الجعد بن درهم، ولم يدخل ديارهم الجهم بن صفوان، بل أهدوا للسنة طاووس بن كيسان، وكان العلم يطلب من أوطانهم سنيماً، وقد سلموا من غلطات الفارابي وابن سينا .

ولله تاريخهم ما أحسنه، لأن هناك لين القلوب وصدق الألسنة، وشجرة مجدهم لا تتبت إلا على الأنهار الشرعية، ولذلك اجتثوا من بلاد جرثومة الشيوعية، لأنهم موحدون لا ملحدون، فهم بلد الوفاق والإنفاق، لا بلد الرفاق والنفاق والشقاق، فيا حمام بلغهم منّا السلام، وقُل لهم إلى الأمام، والصلاة والسلام على صفوة الأنام، وآله وصحبه الكرام .

وقبل الوداع، أطرق الأسماع بمقطوعة فاتة وأبيات ساخنة لشاعركم محمد محمود الزبيري يخاطب فيها اليمن يقول:

الشَّاعِرِيَّةُ فِي زَوَائِعِ سِحْرِهَا

أنتِ التي سَوَّيْتِهَا وصنعتِهَا

ما لي بِهَا جُهْدٌ فأنْتِ نَسَجْتِهَا

ونَشَرْتِهَا بينَ الوَرَى وأدعَتْهَا

أنتِ التي بِسَنَّاكَ قد عَطَّرْتِهَا

وكتبتِهَا في مُهجَّتِي وأشعتِهَا

أبعَدْتَنِي عن أُمَّةٍ أَنَا صَوْتُهَا
 العَالِي فَلَوْ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعْتُهَا
 مَا قَالَ قَوْمِي آهٍ إِلَّا جِئْتَنِي
 وَصَهَرْتَ أَحْشَائِي بِهَا وَلَسَّعْتَهَا
 عَذَّبْتَنِي وَصَهَرْتَنِي لِيَقُولَ عَنْكَ
 النَّاسُ هَذِي آيَةٌ أَبَدَعْتَهَا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المقامة المصرية

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

يَا مِصْرُ كُلِّ حَدِيثٍ كُنْتُ أَحْفَظُهُ

نَسِيْتُهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّلِّ وَالنَّارِ

جَرَّتْ دُمُوعِي عَلَى أَعْتَابِ دَارِكُمْ

يَا مِصْرُ كُلُّ الْهَوَى فِي نَيْلِكَ الْجَارِي

يا مصر، أنتِ كوكبة العصر، وكتيبة النصر، وإيوان القصر، أنتِ أم الحضارة، ورائدة المهارة، ومنطلق الجدارة، وبيت الإمارة، ومقر السفارة، ومهبط الوزارة.

من أين نبدأ يا مصر الكلام، وكيف نلقي عليك السلام، قبل وقفة الاحترام، لأن في عينيك الأيام، والأعلام، والأقلام، والأعوام.
يا مصر أنتِ صاحبة القبول والجاه، كم من قلب فيك شجاه ما شجاه، ونحن جئنا ببضاعة مزجاة.

سَارَتْ إِلَى مِصْرٍ أَحْلَامِي وَأَشْوَاقِي

وَهَلْ دَمْعِي فَصِرْتُ الشَّارِبِ السَّاقِي

وَفِي ضُلُوعِي أَحَادِيثُ مُرْتَلَّةٌ

وَمِصْرُ غَايَةِ أَمَالِي وَتِرْيَاقِي

يا ركب المحبين أينما حللتهم وارتحلتم، وذهبتهم، وأقبلتم، اهبطوا مصر فإن
لكم ما سألتهم. يا أرض العز، يا بلاد العلم والقطن والبيز.

سلامٌ عليكِ يا أرضَ النيل، ويا أمَّ الجبل، الحبُّ لكِ أرضَ والجمالِ سقف،
والمجد لكِ وقف، ويا داخلِ مصرِ منك ألف، ما أحسنَ الجفنَ والجيدَ والكفَّ،
التقى الطيبَ والكافورُ في مصر، لَمَّا التقى أبو الطيبِ وكافور في القصر. قبل أن
يدخلَ جوهر الصقلي مصرَ كان عبداً مملوكاً، فلما دخلها صار يحكم ملوكاً.

أَرْضُ إِذَا مَا جِئْتَهَا مُتَقَلِّباً

فِي مِحْنَةٍ رَدَّتْكَ شَهْمًا سَيِّدًا

وَإِذَا دَهَائِكَ الْهَمُّ قَبْلَ دُخُولِهَا

فَدَخَلْتَهَا صَافِحَتِ سَعْدًا سَرْمَدًا

قل للأخيار المكرمين، الوافدين إليها مغرمين، والقادمين عليها مسلمين:
ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

في مصر تعانقت القلوب، وتصافح المحبُّ والمحبوب، والتقى يوسف
بيعقوب، فطفق الدهر ليوسف منشداً، وغنى الزمان له مفرداً، ﴿وَخَرُّوا لَهُ
سُجْدًا﴾.

في مصر ترعرع الشعر، وسالَ القلمُ البليغُ بالسحر، فكأن الفضاءَ لكتاب
مصر صفحة بيضاء، يكتب فيه كل ما يشاء، صارت العقول في ذهول، من
روعة المنقول والمعقول، وأذعنت القلوب في قبول، ترحب بالشاعر المصقع،
والقلم المبدع، والرأي المقنع.

دَخَلْنَا مِصْرَ وَالْأَشْوَاقُ تَتَلَى

وَكُلُّ الْأَرْضِ أَنْسَاءُ أُمَّ وَطَلُّ

جَمَالٍ يَسْلُبُ الْأَبَابَ حَتَّى

كَأَنَّ الْقَتْلَ فِيهَا يُسْتَحَلُّ

في مصر القافية السائرة، والجملة الساحرة، والمقالة الأسرة، والفكرة العاطرة، عالم من الجنود، والبنود، والرفود.

دنيا للقادة، والسادة أهل الإفادة، والإجادة، والرفادة، ديوان للكتاب، والحساب، والأصحاب، والأحباب.

مِحْرَابٍ لِلْعِبَادِ وَالزَّهَادِ، وَالْأَمْجَادِ وَالرُّوَادِ، عُلَمَاءَ وَحُكَمَاءَ، وَكُرَمَاءَ وَحُلَمَاءَ، وَشُعْرَاءَ وَأُدْبَاءَ، وَأَطْبَاءَ وَخُطْبَاءَ، وَنُجَبَاءَ وَأَذْكَيَاءَ، وَأَوْلِيَاءَ وَأَصْفِيَاءَ وَأَوْفِيَاءَ.

هنا الدهر يكتب من ذكرياته فنوناً، هنا التاريخ يبث من صدره شجوناً، هنا الجمال يسكب من إنائه فتوناً، هنا خطأ الزمان تتسارع، والحضارات تتصارع، والأهرام تقصّ علينا خبر الأيام، وأحاديث الأقسام، وما فعلته الأعوام.

أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانُ مِنْ بُنْيَانِهِ

مَا يَوْمَهُ مَا ذَكَرَهُ مَا الْمِصْرَعُ

تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا

يَوْمًا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ

هنا سحق الطفيان، ومزق جنود الشيطان، ودمر فرعون وهامان، وأحرقت وثيقة الزور والبُهتان، وارتفعت ملة الرّحمن.

هنا عمرو بن العاص، رحّب به العوام والخواص، وفرّ الظلم في قدومه وغاص، هنا تكتب الدموع على الخدود رسائل الأموات إلى الأحياء، وخطاب الأرض المفتوح إلى السماء، وهنا تلتقي الظلماء والضياء، والظمأ والماء، والصفاء والوفاء، ويتعانق الضحك والبكاء، والفراق واللقاء، لتصبح الحياة في مصر مهرجاناً لآلاف الصور والمشاهد، والذكريات مساجد ومعابد ومعاهد وجامعات وكليات وشركات وأمسيات ومحاضرات وندوات، ولقاءات ومحاورات ومعاهدات.

دَارُهَايَ الْأَرْضُ إِلَّا أَنَّهُـا بَلَدٌ

فِيهَا الزَّمَانُ وَفِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

تَجْمَعُ الدَّهْرُ فِي أَرْجَائِهَا جَنَدًا

وَالغَيْثُ دَاعِبُهَا وَالنَّهْرُ وَالشَّجَرُ

صباح الخير يا أرض الكنانة، وناصرة الديانة، وحاملة التاريخ بأمانة، وحافظة عهد الإسلام في صيانة، ورعاية الجمال في رزانة. أدب خلّاب، وجمال سلّاب، وسحر جذّاب، وذكاء وثّاب، وظلّ مُستطاب، وأمان عذاب، نهر يتدفق، وحُسن يترفق، ودموع تترقرق، وزهور تتفتق، وأكام تتشقّق، ومقاصد تتحقّق، وجد الإسلام فيكم يا أهل مصر أعياده، كنتم يوم الفتح أجناده، وكنتم مدده عام الرمادة، وأحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده، وحطّتم خط

بارليف وعتاده، وكنتم يوم العبور آساده وقواده. فتفضلوا الشكر والإشادة
وخذوا من القلب حبه ووداده.

ثَمَّنَ الْمَجِيدُ دَمَ جُودَتِنَا بِهِ

فَاسْأَلُوا كَيْفَ دَفَعْنَا الثُّمَنَا

منكم أمير الشعراء، وكبير البلغاء، وشيخ الفصحاء، وسيد الخطباء،
وأستاذ النجباء، وأكبر الأطباء. يسلك العقل في مصر سبيله، ويحفظ الفؤاد
من مصر نيله، وتعيد الذاكرة في مصر قصة ألف ليلة وليلة.
في مصر لطف الهواء، وطيب الغذاء، ونفع الدواء، وصفاء الماء.

النيلُ مائي وفي أرضِ الكِنَانَةِ مَا

يُشْجِي مِنَ الْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ تَزْدَانُ

فِيهَا الْحَضَارَةُ وَالْأَمْجَادُ مَائِلَةٌ

عِلْمٌ وَفَقَهُمْ وَإِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

سلام على مصر في الآخرين، لأنها كانت خزانة المسلمين، ومدد
المجاهدين، وسلّة الخبز للجائعين، ومقبرة المستعمرين، أهلك الله أعداءها ثم
قال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

بوركت يا أرض السنابل، ويا روض الجداول، ويا بلاد الخمائل، لك في
قلوبنا من الحب رسائل، ومن الودّ مسائل.

من لِقَلْبِ حَلِّ جَرَعَاءِ الْحَمَى

ضَاعَ مِنِّي هَلْ لَهُ رَدُّ عَلَيَّ؟

فاسألوا سُكَّانَ مِصْرٍ إِنَّهُ

حَلَّ فِيهِمْ فَلْيَعُدْ طَوْعاً إِلَيَّ

لله أنت يا مصر، بَنُوكَ أهل سعة في الحفظ، وفصاحة في اللفظ، ومنهم سادات القراء، وأئمة الفقهاء.

إذا قرأ منهم القارئ كلام الباري، تكاد تبكي السواري، وينسكب مع ندى صوته الدمع الجاري.

وإذا خطب فيهم الخطيب، بذاك الكلام العجيب، سمعت البكاء والنحيب.
مصر بلد الحديث المحبّر، والحرف المسطر، والروض المعطر.

سقاها الله الغيث المدرار، وحماها من الأخطار، وصانها من لوثة الأشرار.
يحقّ لشوقي أن يقول فيك يا مصر، ذاك الدرّ:

وطني لوشُ فليت بالخلدِ عنه

نأزعتني إليه في الخلدِ نفسي

أحرامٌ على بلابله الدوحُ

حلالٌ للطير من كل جنسٍ

ولو أن شوقي مُبالغ، وهذا غير سائغ؛ ولكن تبقى مصر عروس العمورة، والحياة الميسورة، وحديقة الحب، وروضة الصبّ، ومهرجان النبلاء، ودار العقلاء، ومحطّ الرواد الأوفياء.



المقامة الطمّنتقية

«رفقاً بقلبي يا دمشق،

سَلامٌ من صِبابِ بَردي أرقُّ

ودمَعٌ لا يُكفِّفُ يا دَمِ شقُّ

ومعذرةِ اليَراعةِ والقَوافي

جَلالِ الرزءِ عن وَصفِ يدقُّ

دَخَلتَكَ والأصمِيلُ له أئْتِلاقُ

ووجهك ضاحك القسَماتِ طلقُ

السلامُ عليك يا أرضِ شيخِ الإسلامِ، ورحمةِ الملكِ العلامِ، أيُّها الحضور
الكرامِ، في دمشق الشامِ.

يا دمشق ماذا تكتب الأقالِمِ، وكيف يرتبُ الكلامِ، وماذا نقول في البداية
والختام؟

في دمشق الذكريات العلمية، والوقفات الإسلامية، والمآثر الأموية. وفيها يرقد
ابن تيمية، وابن قيم الجوزية. وفي دمشق حلقات الحنفية والمالكية والشافعية
والحنبلية. يحقُّ لحسان أن ينوح على تلك الأوطان، ويسكب عليها الأشجان.

للهِ دَرُ عِصَابَةٍ نَادَمَتْهُمُ

يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

ابناءُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ اَبِيهِمْ

قَبْرِ اِبْنِ مَاريةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وبنو غسان، والشعر والبيان، والمجالس الحسان. دمشق سماء زرقاء، وروضة خضراء، وقصيدة عصماء، وظل وماء، وعلو وسناء، وهمة شماء. ما أبقى لنا الشوق بقية، لما سمعنا تلك القصيدة الشوقية، في الروابي الدمشقية.

قَمَرُ دِمَشْقِيٍّ يُسَافِرُ فِي دَمِي

وَسَنَابِلُ وَخَمَائِلُ وَقِبَابُ

الْحُبُّ يَبْدَأُ مِنْ دِمَشْقٍ فَأَهْلُهُ

عَشَقُوا الْجَمَالَ وَذَوَّبُوهُ وَذَابُوا

والماءُ يَبْدَأُ مِنْ دِمَشْقٍ فَأَيْنَمَا

اسْتَدتْ رَأْسَكَ جَدُولٌ يَنْسَابُ

وَدِمَشْقٌ تُهْدِي لِلْعُرُوبَةِ لَوْنَهَا

وَيَبْأبِهَا تَتَشَكَّلُ الأَحْزَابُ

في دمشق أكباد تخفق، وأوراق تصفق، ونهر يتدفق، ودمع يتفرق، وزهر يتشقق.

دخلنا دمشق فاتحين، وصعدنا رباها مُسبحين. فدمشق في ضمائرنا كل حين. وهي غنية عن مدح المادحين. ولا يضرها قَدح القادحين.

آه يا دمشق كم في ثراك من عابد، كم في جوفك من زاهد، كم في بطنك
من مُجاهد، كم في حشاك من ساجد. أنت يا دمشق سفرِ خلود، وبيت جود،
منك تهبّ الجنود، وتحمل البنود. يُصنع على ثراك الأحرار، ويُسحق على
ترابك الاستعمار، ويحبك يا دمشق الأخيار. فأنت نعم الدار. تقطع إليك من
القلوب التذاكر، من زارك عاد وهو شاكِر، ولأيامك ذاكر، يكفيك تاريخ ابن
عساكر، صانك الله من كل كافر.

القَيْتُ فَوْقَ ثَرَاكِ الطَّاهِرِ الْهُدْبَا

فَيَا دِمِشْقُ لِمَاذَا تَكْثِرُ الْعَتَبَا؟

دِمِشْقُ يَا كَنْزَ أَحْلَامِي وَمَرْوَحَتِي

أَشْكُو الْعُرُوبَةَ أَمْ أَشْكُو لَكَ الْعَرَبَا

أَدَمَتَا سَيَّاطُ حُزَيْرَانَ ظُهُورَهُمْ

فَادَمَنُوهَا وَبَاسُوا كَفًّا مِنْ ضَرَبَا

وَطَالَعُوا كُتُبَ التَّارِيخِ وَاقْتَنَعُوا

مَتَى الْبِنَادِقُ كَانَتْ تَسْكُنُ الْكُتُبَا؟

في دمشق روضة العلماء، وزهد الأولياء، وسحر الشعراء، وحكمة أبي
الدرداء، وجفان الكرماء.

في دمشق عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد، والملك الزاهد، والوليّ
العابد، يطارد الظلم والظالمين، ويحارب الإثم والآثمين، فيذكر الناس بالخلفاء

الراشدين، ويُعيد للإسلام جماله في عيون الناظرين. في دمشق براعة ابن كثير، وعبقرية ابن الأثير، وتحقيق النووي، وفطنة ابن عبد القوي.

لولا دِمَشقُ لَمَا كَانَتْ بِلَنْسِيَّةِ

وَلَا زَهَتْ بِنِي الْعَبَّاسِ بَغْدَانُ

أَتَى يُصَفِّقُ يَلَقَّ أَنَا بِهَا بَرْدِي

كَمَا تَلَقَّاكَ دُونَ الْخَلْدِ رِضْوَانُ

يكفيك أيها الشام السعيد، أن فيك القائد الفريد، والبطل السديد، خالد بن الوليد. سيف الله الهمام، كاسر كل حُسام، أغمد في الشام، السلام عليك يا أبا سليمان، يا قائد كتيبة الإيمان، ويا رمز كتيبة الرحمن.

يَا ابْنَ الْوَلِيدِ إِلَّا سَيْفٌ تَنَاوَلْنَا

فَإِنْ أَسْيَافَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَشْبًا

لَا تُخْبِرُوهُ رَجَاءً عَنْ هَزَائِمِنَا

فَيَمْتَلِي: قَبْرُهُ مِنْ قَوْمِهِ غَضْبًا

صحح الألباني، المحدث الرياني، أحاديث في فضل تلك المغاني. وأول أبيات في الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. في وصف دمشق وتلك المياني. حيث يقول الشاعر:

الْقَصْرُ وَالْبَيْتُ وَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا

أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ أَبْوَابِ جِيْرُونِ

وقد نسي ابن كثير نفسه، وملأ بالمدح طرسه، لما تحدث عن دمشق، فقلمه بالثناء سبق، وبالإطراء دقق، وحرار الحكماء في وصف دمشق وطيب هوائها، وعذوبة مائها، واعتدال أجوائها، وذكاء علمائها، وبلاغة خطبائها، وتقدم شعرائها، وعدل أمرائها، وجمال نسائها، حتى إن بعض العلماء ذكر أن دمشق أم البلدان، وأنها في الدنيا جنة الجنان.

دَمَشِقُ الشَّامِ كُلُّ حَدِيثِ رَكْبٍ

يَقْصُرُ عَنْكَ يَا نُونَ الْعُيُونِ

كَأَنَّكَ جَنَّةٌ عَرْضَتْ بِدُنْيَا

أثارت من هوى قلبي شجوني

دخل دمشق الصحابة، كأنهم وبل سحابة، أو أسد غابة، فلقيتهم بالأحضان، وفرشت لهم الأجنان، فعاشوا على روابيها كالتيجان. في دمشق فنون وشجون، وعيون ومتون، وسهول وحزون، وتين وزيتون. دمشق جديدة كل يوم، وهي حسناء في أعين القوم، وقد بكى من فراقها ملك الروم. إذا دخلت دمشق تتمايل أمامك السنابل، وتتراقص في ناظريك الخماثل. وتصفق لقدمك الجداول، وترحب بطلعتك القبائل. دمشق أعيادها يومية، وأعلامها أموية، وأطيافها سماوية، وبسيوف أهلها محمية.

دمشق في الحُسن مُفرطة، وبجواهر الجمال مقرطة، وفي الطقس متوسطة، وجماع جمالها في الفوطة.

فَارَقَتْهَا وَطُيُورُ القَاعِ تَتَبَعُنِي

بِكُلِّ لَحْنٍ مِنَ الفُصْحَى تُغْنِينِي

كَأَنَّمَا الطَّيْرُ يَهْوَى حُسْنَ طَلْعَتِهِ

بَانَتْ دِمِشْقُ فَيَا أَيَّامَنَا بَيْنِي

الجمال دمشقي: لأنه لا بدّ له من روضة فيحاء، وخميلة غنّاء، وحبّة خضراء، وظل وماء. والحبُّ دمشقي: لأنه لا بد له من أشواق مسعفة، وأحاسيس مرهفة، والمعية ومعرفة.

كتب ابن عساكر في دمشق تاريخ الرجال، وسطرّ المزي في دمشق تهذيب الكمال، وألف الذهبي في دمشق ميزان الاعتدال، واحتسب ابن تيمية في دمشق الرّدّ على أهل الضلال، وأرسل لنا المتبّي من الشام تلك القصائد الطوّال، وذاك السحر الحلال.

قَالُوا تُرِيدُ الشَّامَ قُلْتَ الشَّامَ فِي

قَلْبِي بَنَتْ فِي دَاخِلِي أَعْلَامَا

هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا فَإِنْ أَحْبَبْتَهَا

فَالْحُسْنَ مَحْبُوبٌ وَقَلْبِي هَامَا

في دمشق رسائل الياسمين، ودفاتر اليقطين، ومؤلفات النسرين، للحمام بها رنين، وللعندليب بها حنين، كأنها تقول: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾.

ليس لدمشق الشام، دين غير الإسلام. فطُيرت الشام على الإيمان، ولذلك طردت الرومان، ورحّبت بحمّلة القرآن. ليس لقيصر الروم في دمشق قرار، ولذلك وتّى الأدبار، ولاذّ بالفرار، لأن الدار دار المختار، والمهاجرين والأنصار.

في الشام يرقد سيف الدولة الملك الهمام، وابن نباة خطيب الأنام، وابن
قدامة تاج الأعلام، وأبو فراس الحمداني الشاعر المقدام. وفي دمشق سكن
الزهري المحدث الشهير، والأوزاعي العالم النحرير، والبرزاني المؤرخ الكبير،
والسبكي القاضي الخطير.

أتانا من دمشق كتاب رياض الصالحين، وكتاب روضة المحبين، ونزهة
المشتاقين، وكتاب عمدة الطالبين، وكتاب مدارج السالكين، وكتاب أعلام الموقعين.
فسلام على دمشق في الآخرين.



obeikandi.com

المقامة البغدادية

« من لم يدخل بغداد لم يدخل الدنيا، »

لِبَغْدَادِ الْعِرَاقِ دُمُوعُ صَبَابٍ

عَلَى عَرَصَاتِهَا دُنْيَا غَرَامَا

تَذْكُرُكَ الرَّيُّوعُ حَيَاةَ قَوْمٍ

هُمْ كَانُوا لِدُنْيَانَا قَوَامَا

اجتمع أربعة أدباء، نُجباء، حُطباء، فتعاهدوا، وتعاقدوا، وتواعدوا، على أن

يصفوا بغداد، دار الأمجاد، وبيت الأجواد، وكوكبة البلاد.

فالأول: وصف علماءها، وفقهاءها.

والثاني: وصف خلفاءها، وأمرائها.

والثالث: وصف شعراءها، وأدباءها.

والرابع: وصف أرضها، وسمائها، وماءها، وهواءها، وبهاءها.

فبدأ الأول ويُدعى أبا قتادة، وهو صاحب ذكاء وإجادة، وعلم وإفادة.

فقال: والله لو كتبت بدمع العيون، على صفحات الجفون، ما أنصفتُ

بغداد على امتداد القرون، لكن سوف أصف ما كان فيها من علم وعلماء، بلغ

مجدهم الجوزاء:

مَا الدَّارُ بَعْدَكَ يَا بَغْدَادُ بِالدَّارِ

تَفَنَى عَلَيْكَ صَبَابَاتِي وَأَشْعَارِي

أنتِ المنى وحديثُ الشوقِ يَقتلُنِي

من أينَ أبداً يا بغدادُ أخباري

ولكن أقول، بعد الصلاة والسلام على الرسول: اعلم أن من بغداد أشرقت
شمس الرواية، وبزغ فجر الدرّاية، كانت في العلوم آية، وفي الفنون غاية.
فكان بها أهل الحديث، ولم يكن بها أيّ خبيث.

ولك أن تتخيّل مجلس أحمد بن حنبل، عمائم بيضاء، وهمّة قعساء،
وسكينة وحياء. إذا قال أحمد: حدثنا أو أخبرنا، أطرقت الرؤوس، وخشعت
النفوس، وتفتّحت أبواب السماوات، وتنزلت الرّحمت.

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تُغْنِ وَلَوْ سَقُوا

جِبَالِ سُلَيْمَى مَا سُقِيَتْ لَغَنَّتِ

ثم تذهب إلى مجلس فيه طائفة من الخاشعين، فتجد وسطهم يحيى بن
معين، يحدث عن رسول ربّ العالمين، يَجرحُ ويُعدّل، ويُجملُ ويُفصّل، كأنه
ميزان منزل.

لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدِ مُشَى

أَوْ مَيَّتِ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسَ خَطْبَا

ولله كم من ذكريات تُشجيني، إذا ذكرت علي بن المديني، ذاك البطل،
إمام العِلل، السليم من الزلّل، فتراه يفتّش الأسانيد، وينخل المسانيد،
بفهم دقيق، وعلم وتحقيق، يعرف العلة في المسند المستقيم، كما يعرف
الطبيبُ السقيم.

بِرَأْيِ مِثْلِ ضَوْءِ الْفَجْرِ ضَافٍ

كَأَنَّ بَرِيْقَهُ حَدُّ الْحُسَامِ

ولا تنسَ البخاري، الضياء السَّاري، والنهر الجاري، قيِّد الألفاظ، وأفحم الحُفَاط إن شكَّ في حديث علقه، وإن طال مَتته فَرقه، وإن لقيَ كاذباً مزَّقه، هو السيف الحاسم لسُنَّة أبي القاسم، اقرأ تبويبه، وافهم ترتيبه، لترى كل عجيبة.

مَنْ كَابُخَارِي إِذَا مَا قَالَ حَدَّثَنَا

أَوْ بَوَّبَ الْبَابَ أَوْ شَدَّ الْأَسَانِيدَا

كَأَنَّهَا هُوَ إِلَهَامٌ يُعَلِّمُهُ

أَوْ أَنَّهُ قَبَسٌ يُعْطَاهُ تَأْيِيدَا

بغداد تشرفَّت بالسَّفيانيين الثوري وابن عيينة، وأصبحت بالعلماء أجمل مدينة، وهي مدينة الكرخي معروف، والإمام الشافعي المعروف.

من بغداد أصحاب الصَّحاح والسُّنن، وأهل الذكاء والفِطْن. وهي للحديث دار الضرب والصلب، بها تُضْرَبُ الموضوعات للوضَّاعين، ولكن تصلُّب الكذَّابين على خشب السلطان المتين. قال بعضهم: مَنْ لم يدخل بغداد لم يدخل الحياة الدنيا، ومن لم يشاهد حُسْنَهَا ما شاهد النجوم العُليا.

فقام الثاني يصف الخلفاء والأمراء، الذي ملؤوا الدنيا بالعطاء والسخاء.

فقال: هذه مدينة السِّفاح، الذي خضب السيوف والرِّمَّاح، وكان لكل مجرم

بطَّاح، ولكل عدوٍّ نطَّاح.

هذه مدينة المنصور، صاحب الدُّور والقصور، الداهية الجسور، والأسد الهصور.
 هذه مدينة الرشيد، صاحب القصر المشيد، والمجد الفريد، والصيت البعيد.
 هذه مدينة المأمون، صاحب الفنون، وجامع المتون، ولكنه بالفلسفة مفتون.
 هذه مدينة المعتصم المغوار، الذي أوطأ الخيل أرض الكفار، وأورد
 نحورهم كل بتار.

بَغْدَادُ أَنْتِ حَدِيثُ الدَّهْرِ وَالْأُمَمِ

إِذَا مَدَحْتِكِ سَأَلَ السُّحْرُ مِنْ قَلَمِي

أَنْتِ الْمَنَى أَنْتِ لِلتَّارِيخِ مَلْحَمَةٌ

كَمْ مِنْ رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمٍ

ثم قام الثالث يصف الأدباء، ويثني على الخطباء.

فقال: في بغداد أكبر نادٍ للشعراء الأجواد، إذا شرب الشاعر من ماء
 الفرات، أتى بالمعجزات، وخَلَبَ الألباب بالأبيات، سَمَّ لي شاعراً ما دخل
 بغداد، اذكر لي أديباً ما تشرف بتلك البلاد.

بَغْدَادُ يَا فِتْنَةَ الشَّرْقِ الَّتِي خَلَبَتْ

بِسِحْرِهَا الْعَقْلَ وَالْأَقْلَامَ وَالْأَدْبَانَ

مَاذَا أَرَدْتُ يَا بَغْدَادُ مِنْ حَزْنِي

إِذَا ذَكَرْتُكَ بَعَثَ الِهْمُّ وَالنَّصَبُ

من بغداد أبو تمام، والبحثري الهمام، وترنح بها المتنبى بعض عام.

سجل بها ابن الرومي رواياته، وأبدع إلياته، وأروع أبياته.

وفي بغداد أبو العتاهية، الشاعر الداهية، منذر القلوب اللاهية، وصاحب الرسائل الباهية، الأميرة الناهية. وهي أرض بشّار، ناسج أجمل الأشعار، والمفتون بعبادة النار!!

من بغداد انطلقت في البحار والبراري، رائعة ابن الأنباري: علو في الحياة وفي الممات. من بغداد استمع الدهر في عجب، لدويّ: السيف أصدق أنباء من الكتب.

بغداد مهرجان أدبي كبير، لكل أديب نحري، فيها شعر ونثر، وحصباء ودرّ، وصديق وزنديق، وحرّ ورقيق، وموحدّ ومُلحد، وحنوت ومسجد، وبارة ومعبد، ومقبرة ومشهد، جدّ وهزل، وحبّ وغزل، كأن التاريخ كله في بغداد اجتمع، وكأن الدهر لصوتها يستمع. وكأن ضوء الشمس من بغداد يرتفع.

فقام الرابع فقال: كأن الأرض أخذت من بغداد جمالها، أفدي بنفسي سهلها وجبالها، دجلة له خريز، والفرات له هدير، والنسيم فيها له زئير، كأن الهواء سرق من المسك أريجها، وكأن الماء أخذ من العاشق نسيجه. تغار من زهر بغداد الزهراء، وتحمرّ خجلاً من حُسن بغداد وجنتي الحمراء.

كأن السحاب في سماء بغداد مع الشفق خضاب، وكأن بريق الفجر في مشارف بغداد ذهب مُذاب. كان وجه بغداد مُشرقاً، فلما دخلها الرفاق، كُتب على بغداد الشقاء والإخفاق.

لله يَا بَغْدَادُ أَنْتِ نَشِيدَةٌ

غَنَّتْ بِكَ الْأَعْصَارُ وَالْأَمْصَارُ

مَنْ لَمْ يَشَاهِدِ ذَا الْجَمَالَ فَإِنَّهُ

ضَاعَتْ عَلَيْهِ مَعَ الْمَدَى الْأَشْعَارُ

أظن بغداد أصابها عين أو دخلها لعين، ما لها قتلت المبدعين، وطردت

اللامعين؟

مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادُ بِالْعَيْنِ

أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قُرَّةَ الْعَيْنِ؟

وأنا عاتب على بغداد، والعتاب لا يغيّر الوداد، لأنه جُلِدَ بها أحمد، وقُتِلَ بها أحمد، وأكْرِمَ بها أحمد. فجُلِدَ بها أحمد بن حنبل، الإمام المجلل، وقُتِلَ بها أحمد بن نصر الخزاعي، الإمام الواعي، وهو إلى الحق داع، وإلى البرّ ساع، وأكْرِمَ بها أحمد بن أبي دؤاد، داعية البدعة والعدا، والفتنة والفساد.

لكن بغداد لها حسنات يُذهِبْنَ السيئات. ونهر الفرات ودجلة يطْرَآن من الحدث، وإذا بلغ الماء قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبْثَ.



المقامة الفلسطينية

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾

اطْفَالُ يَافَأُ يَصْرُخُونَ وَمَا لَهُمْ

عَمْرٍو وَلَا سَعْدٌ وَلَا خَطَابُ

يَا رَبُّ يَا رَحْمَنُ فَاَنْصُرَا مُمَّةً

قَدْ أُغْلِقَتْ مِنْ دُونِهَا أَبْوَابُ

زارنا رجل من فلسطين، فجلس على الطين، قلنا: اجلس على السرير.

قال: كيف اجلس على السرير، والقدس أسير، بأيدي إخوان القردة
والخنازير.

قلنا: فهل عندك من القدس خطاب؟

قال: معي من القدس سؤال يريد الجواب.

قلنا: ما هو السؤال؟

قال: ينادي أين الرجال، أين أحفاد خالد وسعد وبيلال؟ يا حُفَّاطُ سورة

الأنفال، أين أبطال القتال؟ أين أسود النزال؟

قلنا: هؤلاء ماتوا من زمان، وَخَلَّتْ مِنْهُمُ الْأُوطَانُ، وَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

لَهُمْ هِمَمٌ ضَعِيفَةٌ، وَاهْتِمَامَاتٌ سَخِيفَةٌ، وَأَحْلَامٌ خَفِيفَةٌ.

ثم سأل حامل الرسالة، أين أهل البسالة؟ أين الإباء؟ لماذا تغيّر الأبناء عن الأباء؟

قلنا: الآباء كانت بيوتهم المساجد، ما بين راعع وساجد، وخاشع وعايد، وصائم ومُجاهد.

والأبناء بيوتهم المقاهي، ما بين مُغنٍّ ولامٍ، ومن بماله يُباهي، ومن وقع في الدّواهي، إلا من رحمه إلهي.

كُنَّا أَسْوَدًا مَلُوكُ الْأَرْضِ تَرَهَّبْنَا

وَالآنَ صَرْنَا فَوَيْر الدَّارِ نَخْشَاهُ

ثم قلنا للرجل في عجل: سلّم على القدس، وقل: نفديك بالنفس، متى العودة إلينا؟ والسلام علينا.

قال: إذا عدتم إلى الله عدنا، وإن بعدتم عنه بعدنا.

نِسَاءُ فِلَسْطِينَ تَكْحَلْنَ بِالْأَسَى

وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ قَاصِرَاتٌ وَقُصُرُ

وَلَيْمُونُ يَا فَا يَا بَسُ فِي حُقُولِهِ

وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظُّلْمِ يُثْمَرُ

قلنا: لماذا عدت لعمر؟

قال: لأنه صاحب أثر، صادق في الخبر عادل في السيّر.

قلنا: ولماذا جئت مع صلاح الدين؟

قال: لأنه بطل حطّين، ووليّ لربّ العالمين، وأحد العابدين المجاهدين.

قلنا: يا قدس هل من لقاء؟

قال: إذا أطعتم ربّ الأرض والسماء، وأخلصتم في الدعاء، وتدرّبتم على الجهاد صباح مساء، وتبّتم من كل معصية وفحشاء.

قلنا: كيف حالك الآن؟

قال: في هموم وأحزان، وغموم وأشجان، سجين في زنزانة الطفليان، بعد ما فارتقت أهل الإيمان، وحَمَلَة القرآن.

من حاله وهو في حبسٍ تُرْلزلهُ

مَصَائِبُ البينِ لا يرثي له أحدُ

ثم قال: أما ترون خدّي شوّه بالنجمة السّداسيّة، وداسّت على وجهي الدولة الإبلّيسية، أين أحفاد مصعب بن عمير، لينقذونا من أبناء جولداماثير؟ أين أمثال عمر بن عبدالعزيز، ليُطلقونا من قبضة بيريز؟ أين عبّاد الديّان، ليمسحوا عن جبيني وشّم ديّان؟ أين طلاب عبدالله بن مسعود، ليطردوا إخوان القروود، ويفكّوا عن قدمي القيود؟

أيا فلسطين قد أهديتنا عتبا

متى اللقاء عسى ميعادنا اقتربا

نعم اتينا وفي أيماننا قُضِب

مَسْلُولَة تُمطرُ الأهوال والغضبا

ثم قالت: أنا القدس السليبية، كنت إلى الرسول حبيبة، ومن قلب كل مؤمن قريبة، وأنا الآن في بلاء ومصيبة، وأحوال عجيبة.

مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ

هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ الْحَرَابِ مَرْوَانُ

تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ

عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعُجْبَانُ

فَسَلَا الْأَذَانَ أَدَانٌ فِي مَنَائِرِهِ

مَنْ حَيْثُ يُتْلَى وَلَا الْأَذَانَ أَدَانُ

فلسطين في قلوب المسلمين، تُناديهم من سنين، وليس فيهم من قال: لبيك جئنا فاتحين، لكننا تعبنا من محبة أهل الإرجاء، تمدح وادعاء، وفلسطين تصرخ صباح مساء.

إذا لم تكن هنا حَمِيَّةً إِسْلَامِيَّةً، فأين النخوة العربية؟

أُمَّتِي هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ

مِنْبَرٌ لِسَيْفٍ أَوْ لِقَلَمٍ

أَتَلَقْنَاكَ وَطَرْفِي مُطْرَقُ

خَجَلًا مِنْ أَمْسِكِ الْمُنْصَرِمِ

وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا

بِبِقَّةِ أَيَاكِ بَرِيَاءِ الْأَلَمِ

أُمَّتِي كَمْ غُصَّةٌ دَامِيَّةٌ

خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكَ فِي فَمِي

أَيُّ جُـرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ

فَأَتَهُ الْآسِي فَلَمْ يَلْتَمِمْ

الْإِسْمَ رَائِلٌ تَعْلُوْرَايَةً

فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلَّ الْحَرَمِ؟

كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَيَّ الدُّلَّ وَلَمْ

تَنْفُضِي عَنكَ غُبَارَ التُّهْمِ؟

أَوْ مَا كُنْتَ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى

مَوْجَةَ مَنْ لَهَبٍ أَوْ مَنْ دَمٍ؟

فِيمَ أَقْدَمْتِ وَأَحْجَمْتِ وَلَمْ

يَشْتَفِ الثَّارَ وَلَمْ تَنْتَقِمِي؟

اسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانِيِّ وَاطْرَبِي

وَانظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وَابْسُئِمِي

وَدْعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا

تَتَفَانِي فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ

رُبَّ (وَأُمُوتِصِمَاه) انطلقت

مِلءِ أَفْوَاهِ الصَّيْبَايَا الْيُتَمِّ

لَا مَسْتُ أَسْمَاعَهُمْ لَكُنْهَا

لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

أُمَّتِي كَمْ صَنَمَ مَجْدَتِهِ

لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهُورَ الصَّنَمِ

لَا يُلَامُ الذَّنْبُ فِي عُدْوَانِهِ

إِنْ يَكُ الرَّاعِي عُدَّوُ الْغَنَمِ

فَأَحْبَبِي الشُّكُورَى فِلَوْلَاكِ لِمَا

كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدَّرْهَمِ

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود، أبوه مفقود، وأخوه في القيود، لجند الجنود ولدأس اليهود. لو طرقت سمع المعتصم وأمامه، لضاقت عليه أرضه وسماه، ولقأد الكماة، ولأخرج فلسطين من زناينة الطغاة البغاة.

فلسطين تتادي حطين: هل عندك من صلاح الدين؟ فإننا يا أختاه في الحبس مرتين، ولنا أنين.

رفيق صلاح الدين هل لك عودة

فإن جيوش البغي تنهى وتأمرو

رَفَاقَكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ

وَجَيْشِكَ فِي حِطِّينَ صَلُّوا وَكَبَّرُوا

خمسون عاماً، ونحن نرى أيتاماً، ونشاهد أيامي، ونُبصِرُ آلاماً، ثم
نتعamy، ولا يحرك فينا هذا كله إبهاماً.

من أراد أن يُطلق القدس من الأسر وأن يفكّه، فليأخذ دستوره من مكة،
القدس إسلامية ما ترطن، ولا تنتظر النصر من واشنطن.

يحرر الأرض، ويحمي العرض، من أدّى الفرض، وخاف يوم العرض.

دونك مليار مسلم آيسون بائسون، أمام من قيل فيهم: ﴿كُونُوا قِرْدَةً

خَاسِينَ﴾.

مَهْلًا فُدَيْتَ أَبَا تَمَّامٍ تَسْأَلُنِي

كَيْفَ احْتَفَّتْ بِالْعِدَا حَيْضًا أَوْ النَّقَبُ

الْيَوْمَ تَسْعُونَ مَلِيونًا وَمَا بَلَّغُوا

نُضْجًا وَقَدْ عَصِرَ الزَّيْتُونُ وَالْعِنَبُ

وَاطْفَاتُ شُهْبِ الْمِيرَاجِ أَنْجَمْنَا

وَشَمْسَنَا وَتَحَدَّتْ نَارَهَا الْخَطْبُ

تَنْسَى الرُّؤُوسُ الْعَوَالِي نَارَ نَخْوَتِهَا

إِذَا امْتَطَّاهَا إِلَى أَسْيَادِهِ الدُّنْبُ

ما يحزّر فلسطين إلا طلاب العزّ بن عبدالسلام، وتلاميذ عزّ الدين القسام.
 افهمها بالمكشوف، ما يحزّر فلسطين طلاب سخاروف، ولا يردها لأهلها
 أهل الدّفوف، إنما تعود على أيدي من يصليّ ويطوف، ويُجاهد في الصّفوف.
 يا شجر الفرقد، جاء الموعد، ليعود المسجد، تحمي القروء، وتخبّيء
 اليهود من الأسود، كل الشجر بوادينا، ينادينا، إلا أنت تعادينا.
 خمسون عاماً مؤتمرات أو مؤامرات، ومشاورات أو مشاجرات، ومناورات
 أو مهاترات.

شَجْباً وَنُكْرًا وَتَنْدِيداً بِغَارَتِهَا

لِللّهِ كَمْ نَدَدُوا يَوْمًا وَكَمْ شَجَبُوا؟

مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كَالرُّجَالِ وَلَمْ

نَصْدُقْ وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالْخُطْبُ

الكلّ يطوف، بمجلس الخوف، ونحن وقوف في صفوف، ننتظر ماذا يقول
 بوش وغورباتشوف.

خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم، بمنّ ظلم، وهدم الحرم، وخان في
 القسم.

يا معشر العرب: منّ أصابته مصيبة، فلم يأخذ الحلّ من طيبة، عاد
 بالخيبة، وكان الفشل نصيبه. فلسطين لا تعود بالكلام، ولا بحفلات السلام،
 ولكنها تعود بالحُسام، وبضرب الهام، وتمريغ الباطل بالرّغام.

سَيَصْغِي لَهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ نَاصِرٌ

وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخِرُونَ وَخَزَجُ

فلسطين إسلامية النسب، وليست عربيّة فحسب، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبدالحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد:

بِعَهَا فَأَنْتَ لِمَا سِوَاهَا أْبَيْعُ

لَكَ إِثْمُهَا وَلَهَا الْمَكَانُ الْأَرْفَعُ

لا تعود فلسطين عن طريق الملحدّين، ولا عن طريق المفسدين، وإنما تعود تحت رايات الموحّدين.

هل تظن أن اليهودي العنيد، والإسرائيلي المرید، سوف يُطْرَدُ بمؤتمر مدريد، كلا وعِزَّةِ الحميد المجيد، لا يزول إلا بكتائب التوحيد، وأحفاد خالد ابن الوليد.

يا فلسطين انتظري كتائبنا مع الصباح، تنادي حيّ على الفلاح، ليعود الحق إلى أصحابه، والسيف إلى نصابه، ولتعود الوديعة إلى واليها، والطفلة إلى أبيها، والدار إلى راعيها، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بنصر الله القريب، إنه سميع مجيب.

فلسطين غاب سلاطينها، فأفلسَ طينها، لا يطرد الغزاة من غزّة إلا أهل الغزّة، أطفال حيفا حُفَاة، واليهود جُفَاة، فهل من يلبّي النداء، يقدم روحه فداء، يا من أراد الجنة، لا تتبع ما أنفقت بالأذى والمنّة، وماذا عليك لو قتلتك

اليهود فأنت شهيد، البيع قد جرى، والله اشترى، فاهبط سوق القتال، وقل
 هيا إلى النزال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
 اللَّهِ فَاسْتَشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

لا تُهَيِّءْ كَفَنِي مَا مِتُّ بَعْدُ

لم يزل في اضلعي برق ورعد

أنا تاريخي إلا تعرفه

خالد ينبض في قلبي وسعد



المقامة الأندلسية

«جمال يسلب الأذهان، وسرور يُذهب الأحزان، ومشاهد تُثير الأشجان،
طيور وأغصان، حمام وأفنان، زهر وريحان، وفاكهة ورُمان، وشيح وأقحوان،
وياقوت ومرجان، وملاعب صبيان، ومعاهد فتیان»

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى

يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ

لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلْمًا

فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ

حدثنا محمود بن أنس، قال: لما دخلنا الأندلس، وهي في ثياب الجمال
تتبهرج، ولسانها من الخجل يتلجلج، قلنا: كيف الحال، يا موطن الرجال؟ أنت
بلسم الفؤاد، وأرض الآباء والأجداد، ومهبط جيش طارق بن زياد، فقالت:
أهلاً بالأخوة من النسب، أهل الكرم والحسب، وبيننا سبب الإسلام أعظم
سبب، ثم التفتنا إلى ثلاثة شباب، وقد ارتدوا أجمل الثياب، فقام أحدهم
مُعَرِّفًا بأسمائهم، ونسبهم إلى آبائهم، فقال:

أما الأول: فاسمه عبدالرحمن بن طارق بن زياد.

والثاني: عبدالله بن موسى بن نصير.

والثالث: عبدالسلام بن عبدالرحمن الداخل.

فقلنا: يا أبناء الأجواد، وأحفاد الأسياد، حدثونا عن هذه البلاد؟.

فقال عبدالرحمن: أما قرأتكم التاريخ، وما فيه من مديح وتوبيخ، أما علمتم أن أجدادنا دخلوا الأندلس فاتحين، مُكَبَّرِينَ مُسَبِّحِينَ، عَظَّمُوا اللَّهَ فِي الْقُلُوبِ، فَمَلَّكَهُمُ الشُّعُوبَ، نَشَرُوا رِضَاءَ بِالْدمَاءِ، فَرَفَعَ رَأْيَهُمْ فِي السَّمَاءِ، صَدَقُوا فِي الدِّيَانَةِ، فَشَرَّفَهُمْ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ، نَشَرُوا الْعَدْلَ، وَطَرَدُوا الْجَهْلَ، فَهَمَّ كَالغَيْثِ عَلَى الْمَحَلِّ، فَلَمَّا خَلَفَ بَعْدَهُمْ جَيْلٌ، وَضَلُّوا السَّبِيلَ، أَصْبَحُوا فِي الذَّلِيلِ، ثُمَّ بَكَى وَأَنشَدَ:

هَلْ سَأَلْتَ الدَّهْرَ عَنَّا يَوْمَ كُنَّا

كُنْجُومَ اللَّيْلِ لِلْجَوْزَا وَصَلْنَا

وَنَشَأَرْنَا فِي بِلَادِ اللَّهِ نُورًا

نَقَلْتَ أَخْبَارَ أَهْلِ الْفَصْلِ عَنَّا

فقام عبدالله، فقال: يا الله، كيف كنا، وكيف أصبحنا؟! بعدما قصرنا في ديننا ما أفلحنا، كانت المنائر تؤذّن بدعوتنا، والمنابر تضحّ بخطبتنا، كنّا بالإيمان سادة، وللشعوب قادة، لأننا أطلعنا الرحمن، وحكّمنا القرآن، وحاربنا الشيطان، فلما قعدنا عن الجهاد، عصينا ربّ العباد، ووقعنا في الفساد، صرنا ما بين طريد وشريد، وقتيل وفقيد، ثم بكى وأنشد:

هَذَا جَزَاءُ أَنْاسٍ بِالْهَوَى غَلَبُوا

وَقَصَّرُوا فِي أُمُورِ الدِّينِ فَاسْتَلَبُوا

كَانُوا شُمُوساً عَيُونَ النَّاسِ تَرْمُقُهُمْ

لَكِنَّهُمْ بَعْدَ طُولِ الدَّهْرِ قَدْ غَرَبُوا

ثم قام عبد السلام، فاندفع في الكلام، وقال: لما اتبعنا الأثر، حكمنا
البشر، وبلغ مجدنا القمر، وفرح بنا البدو والحضر، فلما وقعنا في الترف،
وأدمننا السرف، ودعنا الشرف، وصرنا كالصدف، ثم أنشد:

يَا رَبِّ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ لِلدِّينِ فِي

أَرْضٍ فَتَحْنَاهَا بِرَسْمِ الدِّينِ

شِدْنَا بِهَا صِرْحَ الْعُلُومِ فَأَصْبَحَتْ

تَاجاً لِكُلِّ مُوَحَّدٍ مَأْمُونِ

قال الراوي محمود: ثم دخلنا غرناطة، والقلب قد هُدَّ نياطه، فوجدناها
قد كُتِبَ على بابها: السلام على من اتبع الهدى، وأجاب النداء، أنا غرناطة
فاعرفوني، سُلبت من أيدي أهلي فارحموني، كنت مدينة العباد والزهاد
والأجواد، فأصبحت ملعب الأشرار، ومرتع الكفار، ومسرح الفجار، فرحم الله
عبداً ترحم عليّ، وأهدى ثواب حجّه إليّ، فبكينا مما رأينا، وكأنها تشكو إلينا.

ثم أتينا قرطبة، وهي عابسة مقطّبة، فوجدنا على بابها كتابة، كأنها
كُتِبَتْ بالسبابة، فقرأنا فإذا هي تقول: يا أهل الفهوم، أنا قرطبة دار العلوم،
سلبني الظلوم، ونهيني الغشوم، كنت داراً للعلماء، وكعبة للحكماء، ومزاراً
للكرماء، ومنزلاً للعلماء، واليوم أصبحت بارّة للخمّار، وحانوتاً للشطّار، بعد أن
كنت بيت الأبرار، وكهف الأخيار، فوقفنا نبكي، وإلى الله نشتكى.

ونادى مُنادينا، وصاح حادينا، فقال: أين القوم الفاتحون؟ أين الملأ
الناصحون؟ أين صقر قريش؟ أين قادة الجيش؟ أين الناصر والزهراء؟

أين الحاكم والحمراء؟ أين المنذر بن سعيد، صاحب الرأي السديد، والنهج الرشيد؟

أين ابن عبدالبرّ الذي نشر العلم في البحر والبر، ونثر الجواهر والدرّ؟
أين الاستنكار، من أنفع الكتب في الآثار؟ أين التمهيد الذي ما حمل مثله البريد؟

أين ابن حزم، صاحب العزم، إمام الظاهر، صاحب العلم الباهر، والقلب الطاهر، صاحب القدر المعلى، ومؤلف المجلى، والمحلّى، الذي بلغ الإمامة، وألّف طوق الحمامة؟

أين القرطبي صاحب التفسير؟ أين الشاطبي الإمام الشهير، حامل الفكر المستتير؟ أين ابن زيدون، وابن خلدون، وابن عبدون، وأهل الفنون؟ ما لهم لا ينطقون؟!

أين رائعة:

اضحَى التَّنَائِي بِدِيْلًا مِّن تَدَانِيْنَا

وَنَابَ عَن طِيْبِ ثُقَيَانَا تَجَافِيْنَا

أين السحر الحلال؟ والروعة والجمال في:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى

يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ

أين العويل والبكاء في أمّ الرثاء والقصيدة الغراء؟

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقَصَانُ

فَلَا يُغَرِّبُ طِيبَ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

أين لسان الدين بن الخطيب، ومؤلف نوح الطيب؟ وابن رشد الحفيد، الذكي الفريد، صاحب بداية المجتهد، ونهاية المقتصد؟ أين المنصور بن أبي عامر، البطل المُغامِر، صاحب العزم القاهر؟ لله كم من علم جليل، ورأي أصيل، ونسب نبيل، ووجه جميل، دفنناه في هذا الثرى، وتركناه آية للورى.

هنا تركنا أكبادنا ودفننا أولادنا، وقبرنا أجدادنا، هنا دموعنا سفحت، ودمائنا سُفِكت، هنا مرايع سمرنا، وديار شمسنا وقمرنا. هنا طرحنا نفوس الأبطال الأشداء، في بلاط الشهداء، هن أرواحنا خفاقة، على قتلى معركة الزلاقة.

ما كنا نظن أننا إلى هذا الحال نصير، بعد أمجاد موسى بن نصير. اسألوا الجبال والوهاد، اسألوا كل ناد، واستنطقوا كل واد، عن كتائب طارق بن زياد.

أَعِنْدَكُمْ خَبْرٌ عَنِ أَهْلِ أَنْدَلُسِ

فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

تِلْكَ الْفَجِيعَةُ أَنْتَ مَا تَقَدَّمَهَا

وَمَا لَهَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ صِنَوَانُ

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدِ

إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

السلام على كل الأندلس في الآخرين، وجمعنا بأهلها من المسلمين، في
جوار رب العالمين.

كُنَّا قِلَادَةَ جَيْدِ الدَّهْرِ وَانْفَرَطَتْ

وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا

كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِخَةً

لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا

فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفِ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا

شِزْرًا، وَتَخْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِينَا

حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاهُ وَلَا نَسَبُ

وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خَلٌّ يُوَسِّينَا



المقامة الأفغانية

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ﴾

بِهَائِيلُ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ

لأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ

هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَهُ

لجَارِهِمْ بَيْنَ السِّمَّاكِينِ مَنْزِلُ

لَمَّا دَخَلْنَا أَفْغَانِسْتَانَ، سَأَلْنَا عَنْ حُدُودِهَا، فَقِيلَ: يَحُدُّهَا بَاكِسْتَانُ،
وِطَاكِسْتَانُ، وَحَوْلُهَا بَلُوشِسْتَانُ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ أُوْزْبِكِسْتَانُ، وَوَرَاءَهَا
تُرْكِمَانِسْتَانُ، وَوَجَدْنَا شَبَابًا مِنْ قَحْطَانِسْتَانُ، وَزَهْرَانِسْتَانُ، وَشَهْرَانِسْتَانُ،
وَشَمْرَانِسْتَانُ، وَلَمَّا وَصَلْتُهَا وَجَدْتُ جُنْدَ الرَّحْمَلِينَ، وَكُتَيْبَةَ الْإِيمَانِ.

وَوَجَدْنَا الْمَوْتَ يَصْنَعُ الْحَتُوفَ، تَعْلَنُ كُلَّ وَقْتِ الْكَلَّاشْنِكُوفِ، مِنْ شَرِكَةِ
إِسْلَامُوفِ، لِيَقْتُلَ بِهَا كُلَّ مُلْجِدُوفِ، وَمَلْعُونُوفِ، مِنْ قَائِمَةِ غَرِبَاتَشُوفِ.

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَوَاعِمًا

مِنَ الْأَبْطَالِ: وَيَحَاكِ لِنَ تُرَاعِي

فِيَانِكَ لَوْ سَأَلْتِ بِقَاءَ يَوْمِ

عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لِنَ تَطَاعِي

فَصَبِرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبِيرًا

فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

سَبِيلِ الْمَوْتِ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ

فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِ

وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ

إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

ويل لمن قاتل الأفغان، وكيف يُمازح الأسدُ وهو غضبان؟. الأفغاني يأتي المعركة كأنه يأتي العرس، ويصبّ دمه كأنه يسكب حبراً على طرس، عنق الباكستاني أربع أصابع؛ لأن آخر من قتل من أجداده الجد السابع، وعنق الأفغاني سبع أصابع، لأنه لا يموت إلا في المعركة بسيف قاطع.

الأفغاني في الغالب لا يسمع الأغاني، ولا تُلْهِيه الغواني، لأنه مشغول بالمثاني، واستتباط المعاني.

وجدنا في أفغانستان رجالاً كالأُسُود، وكتائب كالأُسُود، أرضهم للملاحدة لُحُود، ورضاصهم لبلادهم حدود. الأفغاني قليل الدعابة، ظاهر المهابة، غزير النجابة، كأنه ليث غابة.

الأفغاني إذا غضب أحرق مزاجه، ورمى علاجه، وذبح الرجال كذبح الدجاجة.

أخرجت لنا شوارع سميراميس، فانتات في الحرير تَمِيس، وشباباً من أتباع أنطون وجرجيس، وأخرجت لنا جبال الكندوش، تلك الجيوش، فهذا الأصلي وذاك المغشوش. كَبَلت كابل أعداء الدين، وقهرت قندهار المُلْحِدِين،

وأخرجت جلال أباد المجاهدين. دخل شعب الأفغان الدين وأسلم، على يد قتيبة بن مسلم، وصاح شاعر الأفغان، مُحْتَجّاً على الطفيان، إذ يقول وهو يقاتل في الميدان.

نَامَنِي نَزَام شَرْقِيَّأ

نَامَنِي نَزَام غُرِّيَّأ

مُصْطَفَى مُجْتَبَى

مُحَمَّد حَبِيبِيَّأ

ومعنى أبياته أي أرفض النظام الشرقي، والنظام الغربي، وأريد نظام حبيبي محمد ﷺ المصطفى المجتبي.

العجم أهل مبالغة في الأحكام، إذا قالوا لك عن أحد هذا مولانا شيخ الإسلام، وعالم الأنام، فاعلم أنه يحفظ ثلاثة أحاديث من بلوغ المرام، وإذا قالوا عن عابد: هذا بركة الزمان، ونور الأكوان، ووليّ الرحمن، فاعلم أنه لا يزيد على صيام رمضان.

أبو إسماعيل الهروي الأنصاري أفغاني، وهو العالم الرياني، وقد أحيا الشاعر محمد إقبال الأفغان، في ديوانه المثاني. الأفغان شجعان، في الليل رهبان، وفي النهار فرسان.

تَأْبَى الرُّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسُرًا

فَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسُرَتْ أَحَادًا

قبل القتال كان في أفغانستان، عابدان، أي عابدون، وفي الحرب جاء مجاهدان، أي مجاهدون، وبعد الحرب ظهر طالبان، أي طلبة متعلمون، فهم في السلم عباد أولياء، وفي الحرب مجاهدون أشداء، وبعد النصر علماء حكماء.

المثنى عند الأفغان، جمع مذكر سالم عند العرب أهل اللسان، لأن واحدهم بعشرة في الميزان، تستورد الهند وباكستان، من أفغانستان، القادة والزعماء، وتصدران لها الرسّامين والشعراء، الأفغاني يفهم إشارة العينين، وبعض الناس لا بدّ في إفهامه من حركة اليدين، والبعض لا يفهم إلا باليدين والرّجلين.

احتلّ أفغانستان الروس، فرجعوا جُثّاً بلا رؤوس، لأن عند الأفغان مثل: «اقطع من الوردة رأسها، واترك أساسها».

لَمَّا التَّقِينَا كَشَفْنَا عَن جَمَاجِمِنَا

لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكَرْفَيْنَصَرِفُوا

قالوا: البقيّة، والهندي يُحصدهم

ولا بقيّة إلا السيفُ فانكشَفُوا

الأفغاني تريد الإتمام به وهو يريد القصر، قل له أجمل الدنيا الشام، يقل لكن أجمل منها مصر، إذا وقفت جلس، وإذا أفقت نعس، وإذا تثابت عطس، وافق الأفغانيّ إلا في الحرام، وأظهر له الحبّ والاحترام، يكن في يدك كالحُسام، وفي نصرتك كالغلام.

غضبُ بعضهم في بطنه، إذا غضب أكل أكل الدَّوَاب، وغَضِبُ البعض الآخر في لسانه إذا غضب ملاً الدنيا بالسُّبَاب، وغضب الأفغاني في يده إذا غضب حوّل كل شيء إلى خراب، لا تكلم الأفغاني وهو غضبان، ولا تُمازحه وهو تعبان، ولا تصافحه وهو جوعان.

إِذَا غَضِبَ الْأَفْغَانُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى

أَدَارُوا كُؤُوسَ الْمَوْتِ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ

وَيُطْرِبُهُمْ وَقَعُ الْقَنَائِلِ مِثْلَمَا

يُهَيِّجُ أَهْلَ الْوَجْدِ سَجْعَ الْحَمَائِمِ

يا أيها الأفغان، أطيعوا الرحمن، سوّوا صفوفكم، واغمدوا فيما بينكم سيوفكم، وسدّوا الفرج، وانتظروا من الله الفرج، ولكم منّا تحية إجلال، على حُسن الفِعال، ولن ننسى لكم تلك البطولات، وهذه التضحيات، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

واعلموا أنّ الوفاق والاتفاق، هو الطريق لحمل الميثاق، وأن الافتراق، هو باب الإخفاق.

أَنْتُمْ (الْمُخْلِصُونَ) لِلْوَطَنِيَّةِ

أَنْتُمْ الْحَامِلُونَ عِبَاءَ الْقَضِيَّةِ

أَنْتُمْ الْعَامِلُونَ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ

بَارَكَ اللَّهُ فِي الزُّنُودِ الْقَوِيَّةِ

و(بيان) منكم يُعادِلُ جيشاً
 بِمُؤَدَّاتِ زحفِهِ الحَرِيَّةِ
 و(اجتماع) منكم يَرُدُّ عَلَيْنَا
 غَابِرَ المَجْدِ من فَتُوحِ أَمِيَّةِ
 وَخِلاصِ البِلاَدِ صَارَ على البَا
 بِوَجَاءِ أعْيَادِهِ الوَرْدِيَّةِ
 مَا جَحَدْنَا (أفضالكم) غَيْرَ أَنَا
 لَمْ تَزَلْ في نَفْسِنَا أَمْنِيَّةِ
 في يَدِينَا بِقَرِيَّةِ من بِلادِ
 فَاسْتَرِيحُوا كَيْلا تَطِيرَ البَقِيَّةِ



المقامة الأمريكية

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

مَا جِئْتُ أَمْرِيكَ فَلَيْسَتْ فِي الْوَرَى أَهْلُ الْمَزَارِ
بَلْ جِئْتُ أَنْظُرُ كَيْفَ نَدْخُلُ بِالْكَتَائِبِ وَالشُّعَارِ
نُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ مِنْ رِقِّ الْمَذَلَّةِ وَالصَّغَارِ
وَنُعِيدُ لِلأَرْضِ الْبَرِيَّةِ طُورَهَا بَيْنَ الدِّيَارِ

قال الراوي: يا عائض، دعنا من الردود والنقائض، فإننا نرى الفجر وشيكاً، فحدثنا عن أمريكا. قلت: الله المستعان، وهو عظيم الإحسان، محمود بكل لسان. لقد سافرنا قبل مدة، من أبها إلى جدة، في صحبة بالصدق معروفون، وبالخير موصوفون، فكنا قرابة العشرة، قاصدين بلاد الكفرة، فلما ودعنا البلاد، وحملنا الزاد والمزاد، أنشد شاعرنا بصوت جميل، ودموعه تسيل:

سَقَى اللهُ أَرْضاً لَأَمْسَ الْوَحْيُ أَرْضَهَا

وَجَمَلَهَا بِالشُّيْحِ وَالنَّفْلَانِ

فَأَنْتِ الَّتِي أَسَكَنْتِ حُبَّكَ مُهْجَتِي

وَسِحْرُكَ فِي عَيْنِي وَمَلَأَ جَنَانِي

ثم مشينا مع الجموع السائرة، حتى ركبنا الطائرة، فرأينا الكابتن، كأن خده لبتن، أحمر الوجنتين، أزرق العينين، فلما طرنا مقلعين، وسافرنا

مُسرعين، قاربنا السحاب، وللطائرة أزيز وانتحاب، فنظرنا إلى القمر المُضاء،
وطالعنا كتاب الفضاء، فبهرنا ذاك الصنيع، والخلق البديع، من شمس تسطع،
وقُمُر تلمع، ونجوم زواهر، وبحار زواخر، الأرض مكورة، والسماء مُدورة،
والكون ليس عاطلاً، فسبحانك ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، وسمعت للركاب
تصدية ومكاء، قلت: أين أنت يا بكاء؟

اقرأ القُدرة في الكون البهيج

لَا تَكُنْ يَا صَاحِ فِي أَمْرِ مَرِيحٍ

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ

قَدَسَ الْبَارِي وَرَتَّلْ فِي نَشِيحٍ

فلما اقتربنا من تلك الولايات، قرأنا بعض الآيات، وأنشدنا شيئاً من
الآيات، وهبطنا في مطار جون كندي، ودثرت من شدة البرد جسدي،
وأصبحنا من البرد في ثلاجة، حين وصلنا ديار الخواجة، وانتظرنا في صفٍّ
عريض، بين سود وبيض، والجو من أفعال أولئك مريض، ثم سمعنا أمريكياً
يرطن، يقول: هيا إلى واشنطن، فغادرنا المحل والسكن، وركبنا مع شركة بان
أمركن، فحززنا أجسامنا بالرباط حزاً، وهزتنا الطائرة هزاً، لأن قائدها أهوج،
قلبه مثلج، فكل راكب بالخوف مدجج، فكأنها من الركاب فاضية، ونادي
بعضنا ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾، أما الأمريكان، فكأن شيئاً ما كان، فهم في
لهوهم يضحكون، وإذا مرّوا بنا يتغامزون، فما أدري، والطائرة تجري، هل
تعجّبوا من جزعنا، وسخروا من فزعنا، وأنكروا هلعنا، فليتهم يعلمون، وعن
غيهم يرجعون، أن أجدادنا نحن أهل الوجوه السمراء، والغتر الحمراء، كانوا

بالتوحيد فاتحين، وعلى أمواج البحار سابحين، قلوبهم مصاحف، وبيوتهم للفضائل متاحف، يحملون الأرواح على الرّاح، إذا نادى المنادي: السلاح السلاح، أما علمتم أنا أتباع محمد، خير من تعبد، وصام وتهجد، ومنّا الخلفاء الأصفياء، الأوفياء الشرفاء، ومنّا العلماء الكرماء الحُلماء، والسادة أهل الإفادة، والرفادة والوفادة.

نحن حملة المحابر، وأصحاب الدفاتر، ورواد المنابر، فضحكوا ساخرين، والتفتوا لقوم آخرين، وقالوا قطعتمكم الأماني، وأشغلتكم الأغاني، يا ضرابة العود، ويا رعاة القعود، ليلكم طرب، ونهاركم لعب، يا بلاد الفنانين والفنانات، والمغنين والمغنيات، الأحياء منهم والأموات،... قلنا: كذبتم وربّ المشارق والمغارب، ولا يكتم الحق إلا كاذب، أين أنتم يوم فتحت لنا السماء؟
وكتب تاريخنا الحكماء، يوم عشنا في العالم رُحماء، وحكمنا الدنيا حُلماء، وملأنا المعمورة علماء.

هَلْ أَشْرَقَ الْفَجْرُ إِلَّا مِنْ مَّأذِنِنَا

وَهَلْ هَمَى الْغَيْثُ إِلَّا مِنْ مَّأْقِنِنَا

حَتَّى النُّجُومُ عَلَى هَامَاتِنَا سَجَدَتْ

وَالشَّمْسُ فِي حُسْنِهَا قَامَتْ تُحْيِينَا

فقالوا: تلك أمة قد خلت، وحقبة سلفت، وقد نامت النعجة في مريض الأسد، لما نسيتم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أخذتم من الغرب قشوره، وما صنعتم للعالم طبشورة، وأخبار لعبكم ولهوكم منشورة،... قلنا: فاتكم الصواب،

وأخطأتم في الجواب، فأنتم الذين تركوا العالم هشيماً، أما دمّرتم نجزاكي وهيروشيما، أهلكتم النسل والذريّة، بالقنابل الذريّة، حكمتم بلا شريعة، وأحلّتم المخالفات الفظيعة، ونشرتكم كل عادة خليعة، هجرتم الذّكر، ونسيتم الشكر، وأبحتم السُّكر،... فقال قائل منهم، وتحدّث كاتب عنهم، فذكر لنا صناعتهم، وشرح لنا بضاعتهم، وقال: أما ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا، وحكمتنا البحر بقوة منّا، أما صنعنا الطيّارة، أما هندسنا السيّارة، أما سهّلنا التليفون، ويسّرنا التلفزيون، واستفدنا من ذبذبات الأمزون، أما صنعنا للعين زجاجة، وللطعام ثلاجة، وللطفل درّاجة، ضخّمتنا بالميكروسكوب الهباء، وأضأنا الليل بالكهرباء، أجدنا الدفاع والهجوم، وبلغنا بالاختراع النجوم، هبطنا على القمر، واكتشفنا الألماس من الحجر.

قلنا: رفضتم الإيمان، وهجرتم القرآن، وأطعتم الشيطان، هدمتم المساجد، وشيّدتم للفجور المعابد، أنفقتم المليارات على الباراة، وعرضتم للناس الغانيات، وملأتم المراقص بالمغنيات، المخمور في شوارعكم يخور، والكأس على رؤوسكم تدور، الأبيض عندكم مقدّس والأسود مقهور، البنوك لديكم مُرابية، والأسواق في بلدكم لاهية، ومجالسكم لاغية، مُلحدون لا مُوحّدون، متفرّقون لا متّحدون، ليس لديكم إسلام ولا صلاة ولا صيام، ولا حلال ولا حرام، شهواتكم وثّابة، وألسنتكم كذّابة، كأنكم في غابة، قتلت عندكم المبادئ في النوادي، في كل يوم للردّيلة لديكم ألف منادٍ، أين الاعتراف بالاعتقاف؟ أين الكفاف والعفاف؟ غارقون في المادة ومن الفضيلة أجلاف، لا وضوء ولا طهارة، ولا مسجد ولا منارة، بل أنتم أصحاب حانوت وخمّارة، للدماء سفتكم، وللأعراض هتكم.

تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْ أَعْيَالِكُمْ غَضَبًا

هَذِي السَّمَاءُ وَتَخْبُو مِنْكُمْ الشُّهُبُ

وَالجَوُّ يُظْلِمُ مِمَّا تَصْنَعُونَ فَيَا

وَيْحَ الْحَضَارَةِ إِذْ مَا صَانَهَا الأَدَبُ

فقال: دعنا من الأشعار، ولا تُلصِقِ بنا العار، فما يرتفع الدخان إلا من النار، أما تشاهدون تقدمنا أما ترون، ما لكم لا تنظرون، غزونا المَرِيخَ، وأنتم تُعيدوننا إلى التاريخ، فماذا فعلتم في قديم الزمان، تكلموا ولكم الأمان.

فقلنا: سبحان الملك القدوس، ما أظلم هذه النفوس. أليس على أرضنا الوحي هبط، وفي ديارنا غيث الرسالة سقط، ومنا عُرِفَت الهداية فقط.

أليس منا الصديق وعثمان، وعمر وثوبان، وعليّ وسلمان، وبلال وحسّان، منا خالد المقدم، والقعقاع الصمصام، ومنا همّام، وأبو تمام، ومنا أُويس، والأحنف بن قيس، وأسماء بنت عميس.

أما صفقّ لقدمنا الفرات والنيل، وهللّ لطلعتنا مضيق الدردنيل، نحن أساتذة الأكراد والترکمان، ومعلّموا الإنجليز والألمان، أما اندهش من عبقريتنا شارلمان، وبسماحة الصديق فتحنا الطريق، وبدرة الفاروق، أدبنا أهل العقوق، بصدق أبي ذر، قلنا الحق وهو مرّ، منا الرشيد الذي تحدّى السحاب، وملك من طنجة إلى البنجاب، ومنا المعتصم الذي فتح عمورية، ونسخ الدولة الآشورية، منا السعدان، والسعيدان، والسفيانان، والحمّادان، ومنا البخاري، وصاحب فتح الباري، ومؤلف لامع الدراري، وشارح هدي الساري، بُعثنا للعالم

مُبَشِّرِينَ، وخرجنا للناس مُيسَّرِينَ، أذقنا العباد طعم الحرية، أعتقنا العالم من المنظمات السريَّة، أذنا في الحمراء، وصلينا في الزهراء، ربطنا خيولنا على ضفاف اللوار - نهر في جنوب فرنسا -، وسجدنا في صحراء سنجار، وتلونا القرآن على جبال قندهار، رفعنا الإيمان في الهند، ونشرنا المعرفة في السند، أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم، تكبَّر فتسقط القلاع، نوذُن فتهتزُّ التلاع، ونقرأ فتطرق الأسماع. لبسنا الثياب المرقعة، والأحذية المقطَّعة، ففتحت لنا البلاد، ورحب بنا العباد، ليلنا قيام، ونهارنا صيام، في الدجى رهبان، وفي الميدان فرسان، على المنابر سادة، وفي المعارك قادة، ساوينا بين الأمراء، والحقراء، والكبراء، أنصفنا الشاة من الذئب، وعلمنا الوحوش التهذيب.

نحن شمس العلوم، ونجوم الفهوم، ربطنا على بطوننا الحجارة من الجوع، وبللنا مواطن السجود بالدموع، وكنا في صلاتنا كالسواري من الخشوع.

نتوضأ فتتناثر منَّا الخطايا، نغم فتسيل من أيادينا العطايا، نرتل القرآن فتقف على أصواتنا المطايا. نادى مُنادينا، على سُنَّة هادينا، يا أيتها النفوس من الموت اشربي، ويا خيل الله اركبي، فجمد الله لنا الماء، ظلل علينا الغمام في السماء.

منَّا من اهتزَّ لموته عرش الرحمن، ومنَّا من كلَّمه الله بلا ترجمان، ومنَّا من غسَّته الملائكة يوم التقى الجمعان، لا نكذب ولو أن السيوف على الرؤوس، ولا نسرق ولو أن الجوع يمزق النفوس، اسمعوا ماذا قال كاتبكم وله منكم مُعجبون، أعني جوستاف لويون: ما عرف العالم فاتحاً أعدل من العرب فهم أهل الرحمة والحلم والأدب، واستشهدوا الكتب:

نَحْنُ هَلْ تَدْرِي بِنَا لِلنَّاسِ فَجْرُ

قَصْدُنَا جَنَّةَ مَوْلَانَا وَأَجْرُ

قَدْ مَلَأْنَا الْأَرْضَ عَدْلًا وَارْفَاءَ

وَسِوَانَا فِي الْوَرَى عَجْرُ وَيُجْرُ

أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ تَخَلُّفِنَا هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَهُوَ لضعف تمسكنا بالإسلام، ملأنا الكروش، وشاهدنا الدشوش، وزيننا الرموش، وجمعنا القروش، اشتغلنا بالمراسلات، وسهرنا مع المسلسلات، فأصبحنا في سلّات المهملات، والخانات الفارغات، أحببنا الكرسي، وعشقنا التبسي، وأدمنا الببسي، وتعلقنا بالتاكسي، نحن في الأسواق أمواج، وفي الشوارع أفواج، أموالنا في شراء الدجاج، وأوقاتنا ذهبنا في الحراج، لما أتخمننا بالعصيدة أصبحنا لا ننظم القصيدة، أصبح طالبنا أبله، لأنه عاش مع طه والطبلة، حفظنا متن التيس والتميس، والكيس والكيس، أصبح نشاطنا بزفير وشهيق، وتشجيع للفريق، وللبواري هدير ونهيق. لا يصلّي الفجر منّا إلا قلة، ولا يحفظ القرآن إلا ثلّة، ونقول نحن أنصار الملة. مع العلم أن الاهتمامات دلة، وفلة، وسلّة، وشلّة.

كبارنا منهمكون في القيل والقال، وحبّ المال، إلا من رحم ذو الجلال، وشبابنا كالأطفال في الروضة، مشغولون بآخر موضّة، ولهم في الملعب ضجيج وفوضه، عقل أحدهم كأنه ريشة، وسلوّته السيجارة والشيشة.

رُحْمَاكَ هَلْ نَحْنُ أَحْفَادُ الْأَلَى رَكِبُوا

مَوْجَ الْبِحَارِ بَدِينِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

فَمَا دَهَانَا رَجَعْنَا الْقَهْقَرَى كَسَلَا

اشكُ يَا دَهْرُ فِي قَوْمِي وَفِي بَلَدِي

فو الذي زَيْنَ الشمس في ضحاها، وجَمَلَ القمر إذا تلاها، وحسن النهار إذا جلاها، ما أصابنا التخلّف، وما دهانا التوقّف، إلا يوم عصينا ربّ العباد، وتركنا الجهاد، وكثر فينا الفساد، كان مؤدّننا بلال، وملعبنا ميدان القتال، وقصدنا ذو الجلال، فأصبحنا لا طول لنا ولا حول، لأن همّنا كم سجّلنا من قول، فيا للهول، بالأمس كان شبابنا بالقرآن يفرحون، وللسنة يحفظون، ويشرحون، واليوم أصبحوا يسرحون ويمرحون، يفرهم الفنانون واللاعبون، أما تنظر إلى شعره إذا رصّه، وجعل له قصّة، ثم مسح شفتيه بالمكياج، ومشى وله ارتجاج، فكيف لو رآه الحجّاج، وما ترى لو دُبغ بكرياج.

لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ عَيْنًا مِنْهُمْ دَمَعَتْ

أَوْ أَنَّ لِلصَّخْرِ قَلْبًا نَابِضًا لَبَكَى

أَزْرُوا بِأَمْتِهِمْ مِنْ سُوءِ سَيْرَتِهِمْ

لَأَجْلَهُمْ كَمْ سَأَلْنَا الْمَوْتَ لَوْ فَتَكَ

فقالوا لنا: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾، وبيان الفرق، وظهر الصدق. فودّعناهم وكل واحد منهم كأنه فارة، وذهبنا للسفارة، ثم زُرنا مكتبة الكونجرس، وطرقنا الجرس، فما هو إلا وقت يسير، حتى خرج لنا خواجةٌ يسير، قلنا له: جدمورنج سير، فدخلنا مكتبةً هائلة، أدراجها مائلة، فيها كل الفنون، وملايين المتون، مما تبصرون ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، فناولونا هديةً في وعاء، وقالوا: لا تنسوننا من الدعاء.

قلنا: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تغادر منهم أحداً، لأنك لو علمت ما صنع الأمريكان، لاهتزت منك الأركان، فهي أم إسرائيل، وبيت كل داء وبيل، يستعيذ منها أبرهة صاحب الفيل، ناصرت اليهود، ولم تعترف بالحدود، وما ردعتها القيود، أمريكا أفتك من هتلر وتيتو، خدعت العالم بالفيتو، من أطاعها فهو خادم مهين، ومن عصاها فهو شيطان لعين، تنظر إلى الأيتام وهو يُنقلون، وتشاهد اللاجئين وهم يُقتلون، ولا تُسأل عمّا تفعل ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، غيرها من خيرها محروم، وهي ظالم في ثوب مظلوم، تريد أن تكون المنتصرة والعالم مهزوم، لكن لها يوم.

لَيْتَ الْبَرَائِكِينَ فِي أَرْجَائِهَا رَقَصَتْ

وَالرَّعْدُ يَا لَيْتَهُ فِي أَرْضِهَا خَطَبَا

وَلَيْتَ أَنْ صَدَى الزَّلْزَالِ زَعَزَعَهَا

حَتَّى تَصِيرَ عَلَى أَطْلَالِهَا لَهَبَا

الله يمزق سداها، وينصر عليها عداها، ويقصر مداها، ويظهر رداها، الله يُخليها من سكانها، ويقتلعها من مكانها، ويزلزلها من أركانها، فهي أم الكبائر، وجالبة الخسائر، أدعوا عليها في السجود، عسى أن يلحقها بعادٍ وثمود.

ثم قلنا من بحر الرجز، بعد أن كلَّ الفؤاد وعجز:

يَقُولُ عَائِضٌ هُوَ الْقَرْنِي

أَحْمَدُ رَيْي وَهُوَ لِي وَلِي

مُصَلِّياً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

مُنْذُكَرًا بِاللَّهِ كُلَّ لَيْلَةٍ

قَدْ جِئْتُ مِنْ أَبْهَاءِ صَبَاحًا بَاكِرًا

مُشَارِكًا لِحَفَافِكُمْ وَشَاكِرًا

وَحَمَلْتَنَا فِي السَّمَاءِ طِيَّارَةً

تَطْفَحُ تَارَةً وَتَهْبِطُ تَارَةً

قَائِدُهَا أَظُنُّهُ أَمْرِيكِي

تَرَاهُ فِي هَيْئَتِهِ كَالدَّيْكَ

يَا سَائِلَ الْأَخْبَارِ عَنْ أَمْرِيكََا

اسْمِعْ رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ يَضْتَبِكَا

وَهَذِهِ أَخْبَارُ هَذِي النَّشْرَةِ

مَسَافَةِ السَّيْرِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

مِنَ الرِّيَاضِ عَافِشْنَا رَبَّنَا

وَفِي نِيُويُورِكِ ضُحَى هَبْطْنَا

أَنْزَلْنَا فِي سُورَعَةٍ وَحَطْنَا

ثُمَّ قَصَدْنَا بَعْدَهَا وَاشْتَبْنَا

ثُمَّ رَكِبْنَا بَعْدَهَا سَيَّارَةً
 مُسْتَقْبِلِينَ جِهَةَ السُّفَارَةِ
 مَنْزِلُنَا فِي الْقَصْرِ أَعْنِي رِدْسِن
 يَا كَمْ لَقِينَا مِنْ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ
 فِي بَلَدِ أَفْكَارُهُ مِنْكُوسَةٌ
 تُثْقَلُهُ بِصَانِئِ مُطْمُوسَةٍ
 يَقْدُسُونَ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَا
 وَيُبْصِرُونَ غَيْرَهُمْ حَقِيرَا
 مَا عَرَفُوا اللَّهَ بِطَرْفِ سَاعَةٍ
 وَمَا أَعَدُّوا لِقِيَامِ السَّاعَةِ
 فَهُمْ قَطِيعَ كَشُوبِهِاتِ الْغَنَمِ
 جَدٌّ وَهَزْلٌ وَضَيَاعٌ وَنَغَمٌ
 مِنْهُمْ أَخَذْنَا الْعُودَ وَالسُّيُجَارَةَ
 وَمَا عَرَفْنَا نَصْنَعُ السُّيَّارَةَ
 اسْتَيْقَظُوا بِالْجِدِّ يَوْمَ نِمْنَا
 وَبَلَّغُوا الْفَضْلَاءَ يَوْمَ قَمْنَا

وبعدُ ذا زُرْنَا مَبَانِي الكُونَجَرَسِ

فَلَمْ نَجِدْ مُسْتَقْبَلًا إِلَّا الحَرَسِ

فِيهَا مَلَائِينَ حَوَتْ مِنَ الكُتُبِ

فِي كُلِّ فَنٍّ إِنَّهُ مِنَ العَجَبِ

وَمَعَنَا فِي صَحَابِنَا العَجَلَانُ

أَكْرَمَ بِهِ مَعَ العُلَا جَدْلَانُ

وَقَدْ صَحَبْتُ شَيْخَنَا السَّدْحَانَا

قَدْ صِرْتُ فِي صُحْبَتِهِ فَرِحَانَا

وَصَالِحُ المَنْصُورِ مِنَ بُرَيْدَةَ

يُشْبِهُ سَعْدًا وَأَبَا عُبَيْدَةَ

وَأَفَقْتُ فِيهِمْ فَالِحُ الصُّغَيْرَا

أَنَسْنَا جَدًّا وَكَانَ خَيْرَا

وَمَعَنَا عَبْدُ العَزِيزِ الغَامِدي

ابْنُ عَزِيزِ صَاحِبِ المَحَامِدي

وَالشُّهُمُ عَبْدُ القَادِرِ بْنِ طَاشِ

ذُو القَلَمِ السَّيَّالِ فِي انْتِعَاشِ

فهو أبونا في مقام الترجمة
 لأننا صرنا صُخُوراً مُعجَمة
 ثم هبطننا في مطار دنفيرا
 اكواتنا في البرد صارت كالضرا
 أيضاً وزرنا أهل تكسس في دلس
 عند شباب كالنجوم في الغلس
 بالمنقن أخت تراهوات التي
 كأنها باقية زهر جنة
 «ولكم» حفظناها بمعنى ويلكم
 «بليز» أي إبليس قد جاء لكم
 والحمد لله على السلامة
 حمداً يوافي دائماً إنعامه
 ثم صلاة الله ما هب الصببا
 على الرسول الهاشمي المجتبي
 وبيته والأل والصحابا
 والعذر إن لم أحسن الإصاابة



obeikandi.com

مقامة النساء

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾

«النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا فَعَلْتَ

نَامَتَ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدَهَا

وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ الْقَاهَا

رفقاً بالقوارير، فإنهن العصافير، لكل روض ريحان، وريحان روض الدنيا النسوان، هُنَّ شَقَائِقُ الرِّجَالِ، وأمّهات الأجيال، هُنَّ الْجِنْسُ اللَّطِيفُ، والنوع الظريف، يَلِدْنَ الْعِظْمَاءَ، وَيُنْجِبْنَ الْعِلْمَاءَ وَيُرِيَيْنَ الْحُلَمَاءَ، وينتجن الحكماء، المرأة عطف، ولطف، وظرف، سبابها سراب، وغضبها عتاب، من وَخَطَهُ الْمَشِيبُ، فليس له من وَدَّهْنٍ نَصِيبٍ، لو جعلت لها الكنوز مهراً، وقمت على رأسها بالخدمة دهرًا، ثم رأيت منك ذنباً قليلاً، قالت ما رأيت منك جميلاً، القنطار من غيرها دينار، والدينار منها قنطار، هي في الدنيا المتاع، والحسن والإبداع، وهي للرجل لباس، وفي الحياة إيناس.

بَنْتُمْ وِنَاءً فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا

شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا

تَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا

يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا

وهي الأم الحنون، صاحبة الشجون، خير من رثى وبكى، وأفجع من تألم وشكا، لبنها أصدق طعام، وحضنها أكرم مقام، تُديها مَوْرِدِ الحنان، وحشاها مهبط الإنسان، في عينها أسرار، وفي جفنها أخبار، في رضاعها معاني الجود، وفي ضمها الودّ المحمود، قُبَلَاتِهَا لطفها صلوات القلب، وبرّ طفلها لها مرضاة الرّبّ، شبعها أن لا يجوع وليدها، وجوعها أن لا يشبع وحيدها، غياب المرأة من الحياة وأد للسرور، واختفاؤها في مهرجان الدنيا قتل للحُبُور.

وَإِنِّي لِأَسْتَغْشِي وَمَا بِي غَفْوَةٌ

لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا

وَآخِرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي

أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِالسَّرِّ خَالِيَا

هي بيت الحسب والنسب، وجامعة المثل والأدب، ذهب بلا امرأة لهب، وجوهر بلا امرأة خشب، تقرأ في نظراتها لغة القلوب، وتعلم الحب من هجرها المحبوب، وبالمراة عرف الهجر والوصال، والاتصال والانفصال، والغرام والهيام، والبراءة والاتهام، تقتل بالنظرات، وتخطب بالعبارات، كلامها السّحر الحلال، ولفظها العسل السيّال، بسمتها اللذ من العنب والتوت، وهي أسحر من هاروت وماروت، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، كل مهجة فهي لنا مدينة، وأفضل النسوان، الحصان الرزان، ألفاظها أوزان، وعقلها ميزان، إذا

تحجبت فشمس في غمام، وظبي في خزام، هي رواية تترجمها الأرواح، وهي
مسك تذروه الرياح، في شفتيها ألف قصّة، وفي أعماقها سبعون غصّة، ليلى
جعلت نهار المجنون ليلاً، وصيرت عزة دموع كثير سيلاً.

ليلى وليلى نفي نومي اختلافهما

في الطول والطول طوبى لي لو اعتدلاً

يجود بالطول ليلى كلما بخلت

بالطول ليلى وإن جادت به بخلاً

على شفتيها المطبقات سؤال، وفي جفنيها مقال، أحرف الحب صامته
على محياها، وقصائد الغرام حائرة على رياها، حُسن الشمس من حُسنها
ينهار، والليل من شعرها يغار. من النساء خديجة رمز الأدب، لها قصر في
الجنة من قصب، لا صخب فيه ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، ومن النساء عائشة بنت
الصديق، صاحبة العلم والإتقان والتحقيق، المطهرة الطاهرة، صاحبة السجايا
الباهرة، والمحامد الظاهرة، ومن النساء فاطمة البتول، بنت الرسول، أم السبطين،
الحسن والحسين، سيدة نساء العالمين، المقبولة عند رب العالمين.

ولو أن النساء كمن عرفنا

ففضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيباً

ولا التذكير فخر للهلال

المرأة صحيفة بيضاء، يكتب فيها الرجل ما يشاء، من حُبٍّ وعتاب،
 وغضب وسُبَاب، وهي روضة خضراء، وحديقة فيحاء، فيها من كل زوج بهيج،
 ومن كل شكل مزيج، أمضى سَيُوفَهُنَّ الحُبُّ، يصرعن به ذا اللُبِّ، ويُقَارِع
 الجنود، ثم تغلبه ذات الخدود...١.

وترى الرجل يزهد في الحطام، ويصوم عن الشراب والطعام، ثم يصصره
 الهيام، وترى الشجاع يطرح الكماة، ويهزم الرِّمَاءَ، وإذا قَصَدَهُ مهابة.
 عنتره فُتِنَ بعبلة، فرأى بريق السيوف كثغرها فقَاتَل، ورأى سواد الهول
 كشعرها فنَازَل، حضر جيش فشمَّ طيب العطارة منشم، فيا خسارة من شم،
 فصار الجيش بطيها في هزيمة، ولأعدائه غنيمة.

يَا ظَبِيَّةَ البَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهِ

لِيَهْنِكَ اليَوْمَ أَنَّ القَلْبَ مَرَعَاكَ

المَاءُ عِنْدَكَ مَبْدُولٌ لِشَارِيهِ

وليس يرويك إلا مدمعي البَاكِي

المرأة ولو أنها في الخصام غير مبین، فدمعها أفصح شيء عند المُحِبِّين،
 سرِّ قَوَّتِهَا أنها ضعيفة، ولُغْزُ بَأْسِهَا أنها لطيفة.

يريد الغرب من المرأة أن تتبرَّج، وبالفتنة تتبهرج، وعلى الثلج تنزلج، ويريد
 الإسلام منها العفاف والستر، والتقوى والطهر، لتكون آية في الحُسن والقبول
 والأسر، يريد أهل الكفر منها أن تكون عالمة فيزياء، وعارضة أزياء، ولو فتنت
 رجالها، وعقَّت أطفالها، وضَيَّعت أجيالها، ويريد الإسلام أن تكون أمينة

حصينة ثمينة، الأمل من عينيها يشرق، والظمأ في دمعها يفرق، والسحر من بهائها يسرق، بكأؤها صرخة احتجاج، وصمتها علامة الرضا بالزواج، كان آدم في الجنة بلا أنيس ولا جليس، فطالت وحشته، وصعبت عليه غربته، فخلق الله له حواء، فتمّ بينهما الصفاء والوفاء، وحسن اللقاء، وجميل العشرة والحتفاء، فرجل بلا امرأة كتاب بلا عنوان، ومُلك بلا سلطان، وامرأة بلا رجل صحراء لا نبت فيها ولا شجر، وروضة لا طلع بها ولا ثمر.

شكراً يا آمنة بنت وهب لقد أهديت للإنسانية، وقدمت للبشرية، ابناً تضاءلت في عظمته الشمس في ضحاها، ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾، ابناً قال للوثية وهي تعرض تلك العروض، وتعرض تلك الفروض، «والذي نفسي بيده لو وضعت الشمس في يميني، والقمر في يساري لن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك دونه»، وكل من سواه من الناس دونه.

ويكفي النساء، ما أطلّ صباح وكرّ مساء، أن محمداً ﷺ من امرأة وُلد، ومن أنثى وُجد.

بُشْرَى مِنَ الْغَيْبِ الْقَتِّ فِي فَمِّ الْغَارِ

وحيأ وافضت إلى الدنيا بأسرار

بُشْرَى النُّبُوَّةِ طَافَتْ كَالشُّذَى سَحْرًا

واعلنت في الدنيا ميلاد أنوار

وشقت الصمت والأنسام تحمّلها

تحت السكينة من دار إلى دار

قدّمت المرأة للعالم الخلفاء الراشدين، والأبطال المُجاهدين، وعباقرة الدنيا والدين، المرأة إذا حسّنت آدابها، وطهّرت جليباها، ملأت القلب حناناً، والبيت رضواناً، والدنيا سكناً وعرافناً.

والبيت بلا امرأةٍ محراب بلا إمام، وطريق بلا أعلام، إذا اختفت المرأة من الحياة، اختفت منها القُبُلَات، والبسمات، والنظرات، والعَبَرَات. وإذا غابت المرأة من الوجود غاب منه الإخصاب والإنجاب، والكلمات العذاب، والعيش المُستطاب.

في الحديث: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُدُودَ»، والسرّ في ذلك أن تكثر الحشود، وتزداد الجنود، ويكاثُر بنا رسولنا ﷺ يوم الوفود.

يوم تخلع المرأة الحجاب، وتضع الجلباب، فقد عصت حكم الإسلام، وخرجت على الاحتشام، وقُل على العفاف السلام.

كيف يُسكن بيت بلا أبواب، ويحلّ قصر بلا حجاب، ويشرّب ماء ولغّت فيه الكلاب؟ من حق الدرّة أن تُصان، ومن واجب الثمرة أن تُحفظ في الأكنان، وكذلك المرأة بيتها أحسن مكان، ولكن المرأة إذا قلبت ظهر المجن، وعرضت نفسها للفتن، فهي ظالمة في ثوب مظلوم، عندهنّ من أصناف المكر علوم. كيد الشيطان ضعيف وكيدهنّ عظيم، وقوتهنّ واهية لكن خطرهنّ جسيم، هُنَّ صَوِيحِبَات يوسف ذوات السكاكين، وقاهرات الرجال المساكين، حتى قال الرشيد في بعض النشيد:

مَا لِي تَطَاوَعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا

وَاطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي

فاجعل بينهن وبين الشرّ لهباً، واملاً عليهنّ منافذ الفتنة حرساً شديداً وشهباً، فلا تعرّض اللحم على الباز، ولا تتشر القماش على البزّاز، فأنعم بحرز السّتر والصيانة، وأكرم بحجاب العفاف والحصانة.

وإذا رزقك الله بنات، فإنهن من أعظم الحسنات، حجاب من النار، وحرز من غضب الجبّار، فاحتسب النفقة فإنها صدقة، ولو أنه عُرفة من مرقّة، وتعاهدن بالبرّ والصلة، فإن رحمتهنّ للجنة موصلة، وكفاك أن الرسول المشرّع، رزق بنات أربع.

والمرأة هي بطلة الأمومة، ومُنجبة الأمة المرحومة، فضائلها معلومة، وهي معدن الحسب والكرم والأرومة.

وتعليمها الدين من أشرف خصال الموحّدين، لأنها تصيح لكتاب الله تالية، ذات أخلاق عالية، تتفقّه في الكتاب والسُنّة، لأنهما أقرب طريق للجنّة.

وأما علاّم الكفر، الذي أعان المرأة على المكر، وصرفها عن الذكر والشكر، فهو المسؤول عن عقوقها وتضييعها لحقوقها، وإصرارها على معصيتها وفسوقها.

جعلوا المرأة سلعة للدعاية والإعلان، وخطيبة في البرلمان، تشارك في التجارة، وتقاتل الجنود الجرّارة، جعلوها جندي شرطة، فوقعت من الإحراج في ورطة، تمتطي الدبّابة، وتطارد الكتائب في الغابة، يُستدرّ بهنّ عطف الجبابرة، وتُبرم بهنّ الخطط الماكرة، ويكفيك في ضلالهم، وسوء أعمالهم، أن الهدهد وهو طائر ممتهن، أنكر على بلقيس حُكم اليمن، وامرأة خلقها الله لمهمة، كيف يزجّ بها في أمور مدلهمة.

ونحن الرجال أُسندت إدارة الحياة إلينا، وكتب القتل والقتال علينا، وأما النساء في الإسلام فمقصورات في الخيام، محفوظات من اللثام، مصونات عن الآثام.

تَضَوُّعَ مَسْكَأَ بَطْنِ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ عَطِيرَاتِ

تَهَادِيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ مِنْ مِني

وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْثًا وَلَا غَبِيرَاتِ

يُخَبِّنُ أَطْرَافَ الْبِنَانِ مِنَ التُّقَى

وَيَقْتُلْنَ بِالْأَنْحَاطِ مُقْتَدِرَاتِ

وماذا فعل بالمرأة سقراط وبقرات وديمقراط، أهل الأوهام والأغلاط، جعلوها شيطانة، وسمّوها الفتانة، وإنما هي في بعض الأوقات قهرمانه، وريحانه. أما الفرس، البكم الخرس، فجعلوها خادمة للمال والنفس، بل قال بزرجمهر: المرأة ليست بإنسانة فلا تمول ولا تمهر، وهذا غاية التهور.

أما أهل الوثنية، ودعاة الجاهلية، فحرموها من الميراث، حتى جعلوها أرخص من الأثاث، ووأدوا البنات، وقتلوا الأخوات، وعقّوا الأمهات، وليس لها عندهم قيمة، فهي في منزلة البهيمة، فهي عندهم حقٌّ مشاع، للخدمة والمتاع.

أما الغرب فهي عندهم للمغريات ورقة رابحة، أبرزوها في صور فاضحة أخرجوها بلا أدب ولا دين، وعرضوا صورتها في الميادين، باعوها في سوق النخاسة، ووظّفوها للرّجس والخساسة، وأقحموها مغارات السياسة.

وما كَرَّمَ النساء، مثل صاحب الشريعة السَّمحاء، والمَلَّة الغرَّاء، فقد بيَّن بقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ»، ويا معاشر الأمم هل عندكم حديث «الله في النساء فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ».

وكان في بيته ﷺ أفضل الأزواج، دائم السرور والابتهاج، يملأ البيت أنساً ومزاحاً، وبشراً وأفراحاً، طيب الشذى، عديم الأذى، لطيف المعشر، جميل المظهر، طيب المخبر، لا يعاتب ولا يفاضب، ولا يُطالب ولا يُضارب، يُؤثر الصَّفح على العتاب، والحلم على السُّباب. ومن حبه للبنات، وعطفه على الضعيفات، يحمل أمانة، وهو في الإمامة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها، وكان يقوم لفاطمة الزهراء، والدرَّة الغرَّاء، ويُجلسها مكانه، ويطأ لها أركانها، فكان سرور الحياة صبَّ عليها، وكان الدنيا وضعت بين يديها.

هِيَ بِنْتُ مَنْ، هِيَ أُمُّ مَنْ

مَنْ ذَا يُسَاوِي فِي الْأَنْامِ عُلاَهَا

أُمًّا أَبُوهَا فَهوَ أَشْرَفُ مُرْسَلٍ

جَبْرِيلُ بِالتَّوْحِيدِ قَدْ رَأَاهَا

وَعَلِيٌّ زَوْجٌ لَا تَسَلُ عَنْهُ سِوَى

سَيْفِ غَدَا بِمِمينِهِ تِيَاهَا

وكان يجلس ﷺ للنساء من أيامه، فيفيض عليهن من برّه وإكرامه، وجوده وإنعامه، فكانه الغيث أصاب أرضاً قاحلة، والماء غمر تربة ماحلة، فإذا به يملأ القلوب حباً، والنفوس أنساً وقرباً، يبشّر من مات لها ولد بالنعيم المُقيم، فتتمنى كل امرأة أنها ذهب لها فطيم، لما سمعت من الأجر العظيم.

ويُخبر من تطيع بعلمها، وتُحسِن فعلها، بأن الجنّة مأواها، والفردوس
مَثَواها، يقف مع المرأة الشاكية، ويتفجّع للأنثى الباكية، فلو كانت الرحمة في
هيكل لكانت في مثاله، ولو كان الرفق في صورة لكان في سرياله، تأتيه المرأة
المُصابة في خوف وهول، وفي دهش وذهول، فما هو إلا أن ترى إشراق جبينه،
ويُسر دينه، ولطفه المتناهي، وخلقه الباهي، حتى تعود عامرة الفؤاد، حسنة
الفأل والاعتقاد .



مقامة المعاريض

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾

دَهَاءُ يُرِيكَ الْغَيْبَ فِي ثَوْبِ حَاضِرٍ

وَفَهْمٌ كَحَدِّ السَّيْفِ أَمْضَى وَأَصْوَبًا

إِذَا ظَنَّ ظَنَّاً صَارَ فِينَا حَقِيقَةً

وَإِنْ قَالَ قَوْلًا صَارَ لِلنَّاسِ مَذْهَبًا

إذا رأيت الرجل يعتاد المقاهي، لشرب الشيشة والشاهي، ومتابعة الملاهي، فاعلم أن الرجل فاسد الإرادة، ظاهر البلادة، لا يساوي جرادة، ولن ينفع بلاده.

وإذا رأيت الرجل ليلة الزواج، وهو فاسد المزاج، يبحث عن علاج، ويقول: فاضفر بذات الدين، فاعلم أنه ظفر بعابسة الوجنتين، خشنة اليدين، كل ما فيها شين، وإذا رأيت الرجل خرج من عند القاضي وهو يتلو: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾، فاعلم أن القاضي ردّ شهادته، وهو له من الغائطين، وإذا رأيت الرجل يجلس في الملهى يقرأ جريدة، أو ينظم قصيدة، فاعلم أن حياته غير سعيدة، أو أنه يبحث عن وظيفة، ولو سخيفة، وقد تقطعت به الحبال، وخابت منه الآمال.

وإذا سمعت الرجل ينشد كثيراً قول الشاعر:

وَمَنْ لَمْ يَنْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ

يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

فاعلم أنه جحد لأخيه فلوساً، وحلف عليها يمينا غموساً، وإذا سمعت الرجل يردد كثيراً قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فاعلم أنه خطب عند بعض الوجهاء، فردّ عليه بجفاء.

وإذا رأيت الرجل خرج من بيته غاضباً وهو ينشد:

أَنَا ابْنُ جَبَلٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا

مَتَى اضْعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

فاعلم أن زوجته ضربته ضرباً مبرحاً، وهو يعرض لثلاثين يكون مُصْرِحاً.

وإذا سمعت الرجل يقول كثيراً: الدنيا ملعونة، فاعلم أنه ذكر ديونه، وما وجد من أحد معونة، وإذا سمعت الرجل يكرر الآية، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فاعلم أنه طلب قرضاً من رجل فاعتذر منه فأخذ يعرض بالمذكور، وإذا سمعت الرجل يردد: الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، فاعلم أنه طلب من التجار قرضاً فرفضوا إلا برهان مقبوضة، وإذا سمعت المحاضر يردد في محاضراته: الحديث شيق، ولكن الوقت ضيق، فاعلم أنه ما حضر للمحاضرة، وقد كدّ ذهنه وخاطره.

وإذا سمعت المفتي يكرر كثيراً: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. فاعلم أنه قد احتار في الجواب، وخفي عليه الصواب.

وإذا سمعت الموظف يستشهد بقول الشاعر: لكل شيء إذا ما تم نقصان، فاعلم أنه قد فصل من عمله وهو حاقد غضبان.

وإذا رأيت الرجل يُكثر من قول فسد الشباب، وأصبحت أخلاقهم كأخلاق الكلاب، فاعلم أنه ما عنده إلا بنات، وهو يتمنى الأولاد من سنوات.

وإذا رأيت رجلاً وقد ذكر عنده أحد الدعاة، الذي نجح في دعوته ومَسعاه، فقال هذا الرجل: أهم شيء الإخلاص لله في القول والعمل، ومراقبة الله عز وجل، فاعلم أن الحسد قد أكل قلبه، وضيع لُبّه.

وإذا سمعت الرجل يحمد الله على أن لا يشعر بجوع ولا بظماً ولا تعب، وأن الصائم لا يشعر بنصب، فاعلم أنه صائم، فهو يُلَمِّح لك لتعلم أنه صائم.

وإذا سمعته يخبرك بأن الليل طويل أو قصير، ويخبرك أن الناس وقعوا في التقصير، وتركوا القيام وهو سنة البشير النذير، فاعلم أن الرجل في الليلة الماضية قام يصلي، ولكنه يريد أن يوضح لك الأمر ويجلي.

وإذا رأيت الرجل يُكثر من قوله: نحن في نِعَم وخيرات، وفي رغد ومَسرّات، فاعلم أنه قريب عهد بمال، أتاه هدية أو بسؤال، أو مُنح أرضاً في الواقع لا الخيال.

ومن يُكثر كل يوم من العناق، وذكر الاشتياق، والسؤال عن الأهل والرفاق، فاعلم أنه ثقيل، وعذاب وبيل، فما لك إلا البُعد عنه والرحيل، وإذا سلّمت على رجل فقال: من أنتم، وأين كنتم؟ فاعلم أن الرجل فيه إعجاب، وكبر على الأصحاب، وإذا رأيت الرجل يُكثر على طعامه من الترحيب والتبجيل، ويعتذر بأنه قليل، فاعلم أنه بخيل.

وإذا سمعت المتكلم يتفصّح، ويتبجّح، ويقول: إن الحقيقة تتطلق من أطر، وتبثق من بوتقة، وتتصهر في قوالب، وتلعب دوراً، فاعلم أنه قليل بضاعة، ما مدَّ إلى العلم باعه، وإذا سمعت الرجل يُكثر من قوله: الناس معادن وأصول، وفي الأنساب فاضل ومفضول، فاعلم أن الرجل أبوه شيخ قبيلة، وهو لا

يساوي فتيلة، وإذا سمعت من يُسأل مسائل في الشريعة، فيجعل الاحتياط له ذريعة، فاعلم أنه قليل العلم، بادر الضم.

من جاور المسجد فهجره، واستفاد من العالم وما شكره، وأخذ المعروف وكفره فهذا رجل مخذول، عقله مدخول، وقلبه مخبول.

إذا رأيت الرجل يُكثر من تاء المتكلم فيقول: دخلتُ، وخرجتُ، وقرأتُ، وكتبتُ، ولقيتُ، وقابلتُ، ودُعيتُ، وزرتُ، وقلتُ، وألفتُ: فاعلم أنه أحمق، وكلامه غير محقق، لكنه متفيهق، متشدق، متمنطق.

إذا رأيت الطالب يقول: ليس العلم بحفظ المتن، ولا بجمع الفنون، فاعلم أن ذاكرته في الحفظ تخون.



مقامة الحيوان

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾

قال الراوي: فحدثنا عن عالم الحيوان، فلعلك قرأت للجاحظ صاحب البيان، قلت: سمعاً وطاعة، والجاحظ صاحب فصاحة وبراعة، فاسمعوا وعُوا وفي رياض الذُكر فارتعوا. اجتمعت الحيوانات، في بعض الأوقات، فقالوا للحمار: يا أبا المغوار، أنت بطل الدار، وحمال الأثقال الكبار، فحدثنا عن الدنيا الدنيئة، قبل حلول المنية، فانتخب الحمار وبكى، وإلى إخوانه شكى، وقال: مَنْ عنده ستون صاعاً من شعير، وتبن كثير، فلا بأسف من الدنيا على صغير ولا كبير، فأطرقوا خاشعين، وأنصتوا سامعين، وشكروه أجمعين، ثم قالوا: من علّمك الحكمة يا أبا المغوار؟

قال: أنتم لا تعرفون السبب، ولذلك طال منكم العجب، أنا سافرت في طلب الحكمة إلى الهند، فأخطأت الطريق إلى السند، فلما قصدت السند مع أصدق رفيق، ضللت الطريق، فوقعنا في غابة، فأكلت نبات الروض وأعشابه، فلما شبعت رجعت، ونسيت لماذا سافرت، ولأي سبب غادرت، فلهذا صرت من الحكماء، لكثرة من لاقيت من العلماء. فقيل له يا أبا المغوار: ومن لاقيت من العلماء الكبار؟

قال: لقيت عالماً نسي اسمَه، وضيّعت رَسْمَه، هذا العالم يسكن في صنعاء عاصمة باكستان، وله ابن في الخرطوم إحدى مدن أفغانستان، وهذا العالم تزوّج من عمان، وهي قرية من قرى إيران. فقالوا له: يا أبا المغوار

عافاك الله من العين، وسلّمك من الدّين، ما ندري هل نعجب من حُسن نطقك
أو من سعة حفظك؟

فقال: من سهر الليالي، نال المعالي، قالوا: زادك الله علماً، ورزقك فهماً،
فما هي أُمْنِيَّتْكَ في هذه الدنيا القصيرة، فإنك صاحب بصيرة.

فقال: يا ليت لي حقل من برسيم، فأقع فيه وقعة والي مال اليتيم،
فأجعله كالريميم، ثم بكى حتى دمعت عيناه، وقال: يا سعادة من نال مناهُ.

ثم أنشد:

مَنْ يَذُمُّ الشَّعِيرَ عِنْدِي حَقِيرُ

فهُوَ بِالذَّمِّ وَالْمَلَامِ جَدِيرُ

هُوَ عِنْدِي الذُّمُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

لَيْتَ أَنَّ الْجِبَالَ جَمِيعاً شَعِيرُ

فبكى الجماعة، وراموا وداعه، فانصرف الجمع، وبُلى الخدّ بالدمع.

ثم قال الراوي: حدّثونا يا أهل التهذيب، عن التيس والذيب، لناخذ من
الحكمة بنصيب. فقلنا: مرّ الذئب، والتيس فوق منزل، فقال: يا جبان انزل،
فقال التيس: قاتلك الله يا إبليس، يا ابن الذّبيّة، وسُلالة الخيبة، يا قليل
الهيبة، فقال الذيب: عجيب، متى جاءت الشجاعة، يا رمز اللؤم واللكاعة،
أنسيت يوم أكلتُ عمّك قبل عامين، وقتلتُ لك ولدين، ما غرّك إلا محلك، وإلا
فإنه معروفٌ دُلك.

فإن كنت صادقاً، وبالحق ناطقاً، فاهبط إلى الميدان، لأجعلك طعاماً
للديدان، فردّ عليه وهو يقول، ويصول، وفوق السطح يجول: احرص يا
خسيس، فأنا التيس ابن التيس، فلو قاتلتك بالقرون، لطرحتك والناس
ينظرون، ثم أنشد:

قُرُونِي كَالرَّمَا حِ إِذَا انْتَضَاهَا

كَمَاءَ فِي الحُرُوبِ مُدْرِيُونَا

أَنَا ابْنُ الأَكْرَمِينَ أَبَا وَجْدًا

فَقُلْ لِلْقَوْمِ هَيْأًا جَرِيُونَا

فقال الذئب: خبرك لديّ، ولكن مكانك شجعك عليّ، فليت الأيام تدور،
فإن الدهر غرور، والزمان عثور، لترى يا جبان، قيمة الشجعان.

ثم أنشد الذئب، وفي صدره لهيب.

يَا تَيْسُ لَيْتَ لَنَا مَكَانًا نَلْتَقِي

فِيهِ لِيُعْرَفَ هَزْلُنَا مِنْ جَدْنَا

فَإِذَا لَعَرَفْنَاكَ أَنَا سَادَةٌ

نَلْنَا المَكَارِمَ كَأَبْرَأَ عَن جَدْنَا

فقالوا: حدثنا عن الصياد والحمامة، يا أبا العمامة، فأنت في أخبار
الحيوان علامة، قال: خرج الصياد، وقد وضع يده على الزناد، يريد أن
يصطاد، ففارق أصحابه، ودخل الغابة، وخلع جلبابه، ومدّ النظر، بين الشجر،

وقال: اللهم أتحفنا بصيد، إنك تعلم ما نريد، فكان كلما مرّ به سرب من الطيور، يأبى أن يقع لأنه يرى الرجل يدور، والطيور صاحب حذر، ودقّة نظر، لا يفترّ بكلام، ولا يخدعه سلام، ولا يركن إلى عهد، ولا يثق بوعد، وهذه صفة الذكي الأريب، والداهية الأديب، أما الأحمق، فإنه على كل صخر يُسحق، وبالأسرار يتدقق، وفي مذهبه لا يترفق.

فلما أيس الصياد، صاح: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾، حتى الطير أصبح يشكّ في الغير، ويظن ظنّ السوء في أهل الخير، ثم أنشد:

وهل مثلي يخونُ بعهدٍ خلٍ

إذا أعطى ويحنتُ في اليمينِ

فلو أنّ الحمّامة صدقتني

وقّيتُ ولو أقامت في يميني

ثم نادى الصياد: يا أيتها الطير، أن رجل من أهل الخير، اهبطي يا جند سليمان، ولك الأمان، فأنا مُشتاق لك من زمان، فردّت عليه، ونظرت إليه، متى كان لك عهد وميثاق، يا كثير النفاق، كيف نصدّك، وقد قتلت أمّهاتنا بالرصاص، بلا قودٍ ولا قصاص، ومتى تركت العادة، يا من أمسك زناده؟

فقال الصياد: تُبنا إلى ربّ العباد، وتركنا عادة أهل الفساد، وندمنا على ما سلف، وسوف نغرم ما تلف، فنزلن مأجورات مشكورات، وبالخير مذكورات.

فقال الطير: كلا يا عنيد، يا ذا البأس الشديد، فأنت عندنا كذاب مريد، ثم ذهب الطير ولم تهبط، وأسرعت ولم تسقط فأيس الصياد وملّ،

وهم أن يرتحل، وأن يترك المحل، فصاحت الحمامة الحمقاء، تردّد قاء قاء،
وتقول: يا صياد لست أنا هنا، فلا تشغلك المنى، ولا تكثّر من العنا، وأنشدت
تقول:

يا أيها الصيَّادُ لستُ هنا أنا

فارحل ودع عنك المشقّة والعنا

لو كنتُ عندك يا أخي ابصرتني

وكذاك أنتَ فلستَ أيضاً عندنا

فالتفت فرأها، فسدد رميته ورماها، فأدماها وأرداها، وهذا جزء من
نشر الأسرار وأفشاها، ولم يجعل صدره منتهاها.

قالوا: فحدثنا عن الدجاج والثعلبين، فقد صرنا بحديثك مُعجبين.

فقال: قصصُ النبلاء، تخفف كل بلاء، وسيّرُ الصالحين، سلوة في كل
حين، وقد مرّ ثعلبان، وهما يلعبان، بجماعة من الدجاج، داخل شبك من ساج،
قال أحدهما لصاحبه، وهو يحاوره، والتفت إليه وهو يسايره، ما رأيك في
حيلة، تكون لأكل هذا الدجاج وسيلة، فإن الخديعة، لأجدادنا شريعة، وهذا
زمان الماكرين، وقلة الشاكرين، وكما هو مكتوب في لوحة من إبريز، لشكسبير
شاعر الإنجليز، حيث يقول:

احتل لنفسك في زمان الحيلة

أظهر لمن تنوي الردى تهليله

وَاحْدَعِ فَأَنْتَ بِأُمَّةٍ مَخْدُوعَةٍ

فَنُقُوسُهُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ بِخَيْلَةٍ

فَالْمَكْرُفِيهِمْ سُنَّةٌ مَعْرُوفَةٌ

يَسْعَوْنَ لِلدُّنْيَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ

فقال الثعلب الصغير للكبير: يا أبا منير، يا مرشدنا في كل أمرٍ خطير، تقدم وتكلم فمنكم نتعلم، فأنت في الخير إمامٌ ملهم، فتقدم الكبير وقال: السلام عليكم أيتها الدجاج، أنا أبو منير وهذا أبو الحجاج، وكلُّ منا للآخر مُحتاج.

فقالت الدجاج: لا سلّمك الله يا محتال، يا كاذبٌ في الأقوال، يا سيئٌ في الأعمال، فردّ عليها وقال: أستغفر الله لي ولكم من الذنوب، وأعوذ بالله من العيوب، فإنه مُقلّب القلوب، ماذا سمعتم عني؟ وماذا دهاكم مني؟

قالوا: أليس أبوك قتل أبانا، وأخوك قبل عام سبانا؟

فقال: وما شأنني بأبي إذا ضلّ، وبأخي إذا زلّ، فالولد لا يحمل وزرَ الوالد، واللّيم لا يعدي الماجد.

فقالوا: الغدر فيكم طبيعة، والمكر لكم شريعة، وتاريخكم مليء بالأخبار الفظيعة، فقال: لستُ براضٍ عمّا صار، وأعوذ بالله من عمل أهل البوار، جعلهم الله وقود النار.

ثم أنشد:

لَزِمْتُ الْمُصَلَّى وَانْقَطَعْتُ إِلَى الذُّكْرِ

وَتَبْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ عَادَةِ الْمَكْرِ

وَالزَّمْتُ نَفْسِي الصُّدُقَ فِي كُلِّ حَالَةٍ

وَأشغلتُ بالإخلاقِ يَا صَاحِبِي فِكْرِي

فلما سمعت الدجاجة: قول الثعلب، قالت: نظنّه جاداً لا يعلب، صادقاً لا يكذب، فاسألوه ماذا يريد، بهذا النشيد والقصيد؟

قال: أريد أيها الدجاج، أن تفتحوا لي وأخي باب السّاج، لنطيل معكم السّمّر، في ضوء القمر.

فقالوا: أعطنا اليمين، أن لا تروغ علينا ضرباً باليمين.

فقال: والذي نصرنا عليكم بالحيلة، وفتح علينا بكل وسيلة، لا نترك عادتنا ولو حال بيننا وبينكم قبيلة، فما فهموا يمينه، وما عرفوا دينه، ففتحوا الباب، وقالوا: مرحباً بالأحباب، وخيرة الأصحاب، فلما دخل هو وأخوه، ردّوا الباب وأغلقوه، فلما سكنوا، وجلسا وتمكّنا، وأظلم الليل، وحضرت ساعة الويل، وبان الفجر وحنان، وقعا في الدجاج يذبحان، فصاح الدجاج: قيط قيط ما هذا يا عبيط، الله من ورائكم محيط، فقال الثعلب: لو ملأتم الدنيا قرقرة، حتى سمعكم أهل أنقرة، ما كفّفنا عنكم حتى نرى مهجكم معقّرة، فأنشدت دجاجة تقطر دماً، إذ أصبح جسمها مهتماً.

وَاحْسَرَتْاه كَيْفَ صَدَّقْنَا الْأَشْر

وَمَكْرُهُ بَيْنَ الْبَرَايَا مُنْتَشِر

هَذَا جَزَاً مِنْ صَدُقِ الْكُذَّابَا

وَأَمِنَ الرُّفْقَةَ الْأَصْحَابَا

وَصَاحِبُ الْعَقْلِ يَخَافُ الْعَاقِبَةَ

مُهَيِّئْنَا لِحُصْمِهِ مَخَالِيَهُ

فضحك الثعلب وقال:

مُوتِي بَغِيظِكَ يَا دَجَاجَةَ إِنِّي

كَيْدُ الْحَسُودِ وَنَاصِرُ الْإِخْوَانِ

رَأَيْتُ تَقَدَّمَ فِي الْحَيَاةِ شَجَاعَتِي

وَالرَّأْيَ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ

فلما شبع الثعلبان، وقاما يذهبان، فإذا الباب مغلق، والشبك مطبق، فإذا كلٌّ منهما مُطْرَق، فقال كبيرهما: وقعنا في بليّة، وأظنها دنت منا المنية، فكيف لو أن صاحب الدجاج أبصرنا، لقصدنا بالرصاص وأمطرنا، فقال الأصغر للأكبر: أنت أبو الدواهي، مُرْتَكِبُ المناهي، طويل الباع، في الحيل والخداع، فأخرجنا منها سالمين، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

فصمت الأكبر، وتأمّل وتفكّر، ثم هلّل وكبّر، وقال لصاحبه: علينا أن نغمض العيون، وننفخ البطون، وننام فمّن رأنا قال ميتون، فإن الناس أكثرهم لا يعقلون، ولا تفرك الصور، فإن أكثر من ترى بقر، فقال الأصغر: لا فُضَّ فُوك، وفداك شانئوك. ثم نام كأنهما أموات، وهجما في سُبَات، فجاء صاحب الدجاج فما وجد من دجاجة إلا الريش فصاح: إيش هذا إيش، والله لا طاب بعدها العيش، ثم نظر إلى الثعلبين، وقال: شأهت الوجوه الكاذبة، العاملة الناصبة، الناهية السالبة، فلو كنتما أحياء، لأسلّت منكما الدماء، جزاءً علي

فعلتكم النكراء، لكن سبقني الموت عليكما، وأسرع الفناء إليكما، فسبحان الله الموت أعجل، ثم سحبهما بالأرجل، فلما رماهما في الوادي، واستشهد على موتهما أهل النادي، قاما مُسرِعَيْن، وهربا ضاحِكَيْن، والتفتا مُنْشِدَيْن. فقال الأكبر:

أغبى من الناس عيني ما رأت أحداً

إلا القليل فلا تحفل بهم أبداً

هم كذبوا رسل الله الكرام فهل

تريد منهم على طول المدى سندا

أما تراهم وهذا الموت يطلبهم

لا هين في الأرض لا تانس لهم رُشداً

وأنشد الأصغر فقال:

لا تثق يا صاح في هذا البشر

فالغبا والجهل فيهم منتشر

هم عصوا خالقهم سبحانه

وهو المنعم والكافي الضرر

فقال صاحب الدجاج: أظن أنا تورطنا، فيا حسرتنا على ما فرطنا.

قالوا: فخبّرنا عن قصة الثيران والأسد، فما سمعناها من أحد.

فقال: حُباً وكرامة، وحقّ الصاحب كالغرامة، ونعود للحديث عن الحيوان

والعود أحمد، وما يطلب العلم إلا كل أمجد، فكان هناك ثلاثة ثيران أبيض

وأحمر وأسود، يرعون بجانب الغدير، وكل واحد منهم كأنه وزير، في منصب خطير، فمرّ بهم الأسد أبو أسامة، فعرفهم بالعلامة، ودعا لهم بالسلامة، وقال: كيف الحال يا إخوان؟

قالوا: بخير يا خوّان، فقال: علامَ هذا السَّبُّ عَلَامًا؟ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، فقالوا يا أبا حيدرة: كلُّ يعرف بيده، أنسيت كم أكلت منّا من ثور، يوم ساعدك الحظ العثور، ثم أنشد الثور الأبيض فقال:

لَا تَأْمَنِ اللَّيْثَ أَبَا أَسَامَةَ
فَإِنَّهُ سَلَّ لَنَا حُسَامَةَ
وَفَرَّ مِنْهُ فَهُوَ لَا يُحَايِي

وذكره قد جاء في الكتاب

ثم ارتجل الثور الأحمر منشدًا فقال:

أشجعُ كلِّ الكائنات حَيْدَرَةَ
سَمَّاهُ رَبِّي فِي الْكِتَابِ قَسْوَرَةَ
فَقَلْبُهُ فِي الرَّوْعِ أَقْسَى مِنْ حَجَرٍ
لَطَالَمَا أَقْسَمَ عَمْدًا وَفَجَّرَ

فقام الثور الأسود وأنشد:

هَذَا الْهَزِيرُ مَلِكٌ فِي الْغَابَةِ
كَشَّرَ لِلْمَوْتِ مُصْرًا نَابَهُ

تَبَّتْ يَدَا مَنْ أَمَّهُ وَنَازَلَهُ

وَيْلٌ لِمَنْ عَانَدَهُ وَقَاتَلَهُ

وكلما أقبل عليهم الأسد، ولقتلهم رصد، أقبلوا كلهم إليه، وتجمعوا عليه، والاتحاد قوة، وهو رمز الأخوة، والكثرة تغلب الشجاعة، والاتحاد دليل البراعة، فلما أيس من الثيران، لجأ لبعض الغيران، ووضع رأسه على عود، وزئيره كالرعود.

وأشدد يقول:

أَنَا الَّذِي أَرْهَبَ الدُّنْيَا بِصَوْلَتِهِ

وَلَمْ أَخَفْ عِنْدَمَا آتَى الرَّدَى بَشَارًا

وَالْيَوْمَ تَغْلِبُنِي التُّيْرَانُ عَنْ سَفْهِ

يَا جَاهِلًا عَنْ ثَبَاتِ اللَّيْثِ سَوْفَ تَرَى

فليس لي حيلة في هذه الطائفة، التي صارت بالألفة غير خائفة، إلا أن أشتت قلوبهم، وأظهر لبعضهم عيوبهم، وأخذ كل واحد على حدة، وأعدده عدة، لأترب يديه، فجاء إلى الثور الأسود والأحمر، في ليل مُقْمِرٍ، وقال: يا قوم، رأيتم اليوم، وأنتم في الروض ترعون، وإلى الغدير تسعون، فرأيت الثور الأبيض يسبقكم، وبعين الحسد يرمقكم، يستأثر عليكم بنبت السماء، ويُزاحمكم على الماء، فماذا ترون؟ ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾؟

قالوا: جزاك الله خيراً على النصيحة، يا صاحب اللغة الفصيحة، والكلمات المليحة، فأمرنا بما ترى، وقد خاب من افترى، فقال في نفسه: وقع

القوم في بليّة، حانت منهم المنيّة، ثم طلب منهم الوثوب إلى الثور الأبيض جميعاً، حتى يرى صريعاً، فقاموا على حردٍ قادرين، وللموت مُبادرين، فناطحوا الأبيض وحاصروه، وصارعوه وحاجروه، وبالعداوة كاشروه، ثم طرحوه أرضاً، ورضّوه رضاً.

فلما أحسنّ بالموت، وأيقن بالفوت، وفاته القوت، قال

هذه الحيلة من نسج الأسود

يَوْمَ يَلْقَانَا بِيْفِي وَحَسَدُ

مُصْرَعِي مَصْرَعُكُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ

غَيْرَ أَنَّ الرَّأْيَ مِنْكُمْ قَدْ فَسَدُ

فلما مات الأبيض سرّاً الأسد وفرح، وسعد وانشرح، ثم تركهم لزمان يسير، وهو يقودهم لسوء المصير، ثم أتى إلى الثور الأسود، وقال يا أبا أسعد: هذا الثور الأحمر، أظنه قد اغتر، يخفي لك الشر، أراه بقرونه يناطحك، وبالعداوة يصاركك، فماذا ترى لو عاوناك، ومن ظهره مكناك، لنشقّ نحره، ونفري ظهره، فسحبناه إلى الغدير، وليس له من وليٍّ ولا نصير، فلما أصبح في آخر رمق، وفؤاده يحترق، أنشد:

يَا عَثْرَةَ الرَّأْيِ هَذِي عَثْرَةُ الْقَدَمِ

وَيَا حَيَاتِي هَذِي سَاعَةُ النَّدَمِ

يَا فُرْقَةَ مَرْقَتِنَا حَاكَهَا لَبِقُ

صِرْنَا بِهَا ضِحْكَةً لِلْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

فبقي الأسود والأسد، فقام الأسد وقعد، وقال: كيف حالكم، يا رفيق السعد، ويا زينة البلد؟ فقال: بخير يا أبا أسامة، أدركنا من السرور تمامه.

فقال الأسد: يا غاية المنى، بقيت أنت وأنا، ونريد اليوم غداءً هنا، قال الرأي لك يا ملك الحيوان، ويا ثابت الجنان.

فقال له الأسد: اقترب مني لأناجيك، وادنُ مني لأشاجيك، فأدنى من الأسد الراس، وكتم على الأنفاس، فأنشب الأسد فيه أنيابه، ومزق جلابه، وخلع ثيابه، وقال: ذق يا ابن البقرة، يا سلالة الفجرة، عليك غبرة، وانفرد الأسد في البلد، وعلى كرسي الملك قعد. وأنشد:

وَحَارِبَ إِذَا حَارَبْتَ بِالرَّأْيِ وَالْقَنَّا

وَكُنْ وَاحِدَ الدُّنْيَا وَعَبْدًا لَوَاحِدٍ

وَلَا تَخْشَ مَخْلُوقًا فَرَيْكَ حَافِظُ

فَمَا انْقَادَتِ الْأَمْجَادُ إِلَّا لِلْمَاجِدِ

إن شئت الزيادة، وكثرة الإفادة، فعليك بالجاحظ، فإنه لأخبار الحيوان حافظ، واقرأ كليله ودمنة، لابن المقفع بلا منة، أو أسأل غيره وغيري، كالحيوان للدميري. وصل على المعصوم، الذي علمنا كيف نصلي ونصوم، ما مال الشيخ والقيصوم، واختلف الخصوم.



obeikandi.com

مقامة العولمة

Globalization

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

نَحْنُ الَّذِينَ اسْتَيْقَظَتْ بِأَذَانِهِمْ

دُنْيَا الْخَلِيقَةِ مِنْ تَهَاوِيلِ الْكَرَى

حَتَّى هَوَتْ صُورُ الْمَعَابِدِ سُجْدًا

لِحِلَالٍ مِنْ خَلْقِ الْوَجُودِ وَصَوْرًا

أنا أحب العولمة لأبلغ رسالتي للعالمين، وأبعث دعوتي للخائفين، وأنشر ديني للناس أجمعين، وأقدم بطاقة «لا إله إلا الله» في مهرجان الحياة، وأعرض ميراثي في سوق البشرية، وأخبرهم بقصة الفار والكعبة وزمزم. وأنا لا أريد العولمة هيمنة للكافرين، وسوطاً في يد الظالمين، ونافذة للمُكَلِّدِينَ، وقتلاً للأبرياء، ونكراناً للحقيقة، وجحوداً للميثاق.

وأنا أحب العولمة نتاج حضارات، وثمار اختراعات، وخلاصة اكتشافات، وجهود دراسات، أرحب بها جامعة ومستشفى وصيدلية وشركة وعقاقير وغذاء وكساء ودواء. لا أريد العولمة دعاية للفتانات، وشاشة للساقطات، ومسرحاً للمنكرات، وخشبة للراقصات، وإعلاناً للمخالفات والكُفريات والمُفريات.

أريد العولمة ليسمعوا كلامنا، ويعرفوا إسلامنا، ويتبعوا إمامنا. لا نريد العولمة عصاً في يد الجبروت، يُعَبِّد الطاغوت، وتهدم البيوت، ويخطف بها الأغنياء من الفقراء القوت.

نريد العولمة فرصة للحوار، لِنَسْمَعَهُمْ كلام الغفّار، وحديث المختار،
ورسائل العلماء الأبرار. وهم يريدون العولمة لا حدود ولا قيود ولا بنود ولا
عهود ولا شهود. يريدون عولمة بلا ديانة ولا أمانة ولا صيانة ولا رزانة. عولمتهم
شاشة لاقطة، وكلمة هابطة، وأغنية ساقطة.

نحن نريد العولمة لتحدّثنا عن السماوات والمجرّات والمحيطات، والآيات
البيّنات والحكمّ والعِظّات لتدلّنا على الواحد الأحد مُنْزِلُ البراهين الباهرات.
حرام أن يقتل الكبارُ الصغار، برصاص اليورو والدولار.

لا نريد عولمة العميان التي ترسل كالبركان وكأن شيئاً ما كان، وكأن
الأرض ليس بها سكان غير الأمريكيان.

عندهم العولمة أن يشبع اليونان واليابان والطلّيان، ولو مات من الجوع
أطفال الصومال، وعجائز السنغال، وتوسّد البُسْطَاءُ الرمال.

يريدون إدخال الفقراء منظمة القات، ليأكلوا هم القوت ولغيرهم الفئات،
فهم أحياء وسواهم أموات.

لا نريد عولمة الرّفق بالكلاب، والرحمة بالقطط والذئاب، وصرخات اليتامى
في الأكوان تسدّ الأذان. وآهات الأطفال في العالم تملؤ الأكوان. عولمة ترفع
قضية، على رجل دعس كلباً بغير قصد ولا نيّة، وتبيد البشرية بالقنابل الذريّة.

لا نريد عولمة عندها الجهاد إرهاب، وعلماء المسلمين أجلاف أعراب،
وعندها احتلال إسرائيل شرعي، ودفاع المسلمين عن أرضهم بدعي.

عولمة حملت الأقوياء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء. فالقائم
سدحوه، والقاعد بطحوه، والكادح كدحوه، والحيّ ذبحوه، والدم سفحوه،
والفقير رمحوه، والمسكين مسحوه.

نريد عولة بالإيمان، والقرآن، وطاعة الرحمن، ومحاربة الطغيان. نريد عولة ترفع الحيف، وتكرم الضيف، وتغمد السيوف، وتعطي الرغيف الضعيف، وتحافظ على الخلق الشريف، والأدب اللطيف، والسلوك العفيف. نريد عولة تحترم المساجد، وتحافظ على كل عابد زاهد، وتعلن أن الله واحد.

نحن لا نحارب العولة إلا إذا حاربت رب العالمين، وأقصت الدين، وأهملت المرسلين، وأهانت المؤمنين، وشطبت من قاموسها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. لا بأس أن نسكن القصر، ومعنا سورة العصر، وأن نركب الطائرة، ووجوهنا بالإيمان ناضرة.

أَيُّهَا الْعَالَمُ الَّذِي حَارَبَ اللَّهَ

بِعُودٍ وَشَاشَةِ وَرِيَابَةِ

أَنْتَ يَا كَوْنٌ فِي مَوَازِينِ رَبِّي

لَا تُسَاوِي لَوْ عَظُمَتْ ذُبَابَةَ

آمنت بالعولة دعوة ريبانية، ورسالة سماوية، وآداباً نبوية، وأخلاقاً مرضية، وصفات عليّة، وكفرت بالعولة يوم تدعو للإلحاد، وتشر الفساد، وتظلم العباد، وتخرب البلاد، وترفع شعار الهيمنة والعناد. وكفرت بها إذا دعت إلى الرذيلة، وأهملت الفضيلة، وكانت للاستعمار وسيلة، وللقهر حيلة.

الياباني يئنّ، وعلى التليفون يرنّ، ليرفع سعر الينّ.

الأمريكي له خوار، ينقب في الآثار، ليسيطر على الأقطار، ويستعمر

الديار، ويهيمن الدولار.

وقد عرفوا العوالة بتعريفات، أنقل بعضها عن الخواجات.

فقال بيتر ويلتسون: العوالة هي أن تصبح الدنيا الكبيرة قرية صغيرة.

وقال جوزيف آدمز: هي أن نجلس كلنا في غرفة واحدة - يقصدا لعالم كله -.

وقال جورج ويليم: العوالة هي أن لا تعيش وحدك؛ بل يعيش العالم معك.

وقال محرر صحيفة الواشنطن بوست: العوالة هي احتلال لأكبر بقعة في

العالم لكن بدون سلاح.

وقال هنري كيسنجر: العوالة لعبة لا يُجيدها إلا الكبار، أما الصغار

فسوف يُجرّون للميدان بقوة.

نكفر بالعوالة إذا حولت المساجد إلى بارات، والجوامع إلى حانات، والمجالس

إلى مراقص، والمصحف إلى مجلة، والحشمة إلى عهْر، والدين إلى رجعية.

نعم نريد صعود القمر لنتلو عليه ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ونريد

اختراق الآفاق لنقرأ: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾.

نقبل العوالة إذا رفعت «لا إله إلا الله» ووقّدت الوحي ووقّرت الرسالة،

وعظّمت الملة، واحترمت المسجد، ودعت إلى الطُّهر. ونرفض العوالة إذا كفرت

بالله، وهدمت المنارة، وألغت الصلاة، وذمّت الصَّيْم، وتمردت على الدين،

وداست الأخلاق.

أنا مع الأبيض والأحمر والأسود والأشقر، إذا رفعوا لافتة «لا حول ولا

قوة إلا بالله». وأنا عدوهم إذا نادوا لا رسالة ولا رسول ولا كعبة ولا مصحف

ولا محمد ولا جبريل.

أنا عالمي والدليل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وإخواني بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، لأنني وإياهم من معين الوحي واستقبلنا القبلة وحفظنا الفاتحة. وأنا أبغض أبا لهب الهاشمي، وأبا جهل المخزومي، وأمّية بن خلف القرشي، لأنهم حاربوا الله، وأطاعوا الشيطان، وسجدوا للوثن، ودخلوا حظيرة الكفر.

إن عولة الأغبياء مرفوضة وهي التي تمنح الامتياز للأبيض، وتدعو لحفظ كرامة الكلب، وتنادي بالرفق بالقطط، وتبغض من الأسود، وتطرف الفقراء، وتدوس على المستضعفين.

نريد عولة مفتاحها من الكعبة، ووسامها من غار حراء، ونشيدها من بدر، وتعاليمها من السماء، تُبنى على العدل، وتؤسس على الحق، وتنادي بالفضيلة، وتحبذ الطهر، وتنتهي عن الظلم، وتأبى الجور.

إن الأرض لله وليست لماركس ولا لينين ولا إستانلين ولا ماوسي تنق ولا جورج واشنطن ولا ديقول. إن العالم في قبضة الله وليس ملكاً لحلف الناتو ولا قاعدة للبتاجون ولا مكتباً للكرملن. إن القرارات المصيرية تصدر من قاعدة ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وليس من مجلس الكنجرس، ولا من مجلس العموم واللوردات، ولا من مجلس الأمن ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

إن الكون مُدعِن لخالقه؛ وليس لطغاة البشر وسفّاكي العالم وجلّادِي الناس ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

إن مصانع العولمة لن تنتج ذباباً واحداً، وإن خبراء الدنيا لا يخلقون بعوضة، وإن عباقره الاختراع لن يخترعوا نملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

نريد عولمة تصنع سيارة لا دبابة، وقاطرة لا قنبلة، وثلاجة لا صاروخاً. وتقدم وسائل الحياة لا أدوات الموت. لقد امتلأ العالم موتاً ودماراً وجوراً وبشاعة، نريد عالماً يملؤه الإيمان والعدل والسلام والإحسان.

نريد عالماً يُنتج قلمًا ودفترًا وماسة وطبشورة، ولا نريد عالماً يزرع لغماً وباروداً وقاذفة ومجنزرة. إن العالم بحاجة إلى لقمة من الخبز وجرعة الماء وقطرة الدواء، وليس بحاجة إلى مادة «تي إن تي» وإلى غاز الأعصاب والخرذل.

لا نريد عالم هتلر وموسوليني وبنقورين وسلوبودان ملوسفتش وبرجنيف وبلتسن. بل نريد عالم نوح وإبراهيم وموسي وعيسى ومحمد عليهم السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾.

نريد عالمية مكة حيث الوحي، والمدينة حيث الرسالة، والقدس حيث الإسراء والمعراج، وطور سيناء ديار الكليم. ولا نريد عالمية هيروشيما حيث الدمار، ولا نجزاكي حيث القضاء، ولا فيتنام حيث الموت.

لماذا تُقدم العولمة دفاتر ديكارت، وبيكون، وسارتر، وإنشتاين، ونيوتن؟ ولماذا ترفض قائمة صلاح الدين، ومحمد الفاتح، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب؟ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَأُسْتَوْنَ﴾.

رسالتنا عالمية للجنّ والإنس. ورسولنا عالمي للأبيض والأسود. وقرآنا عالمي للثقيلين. وإسلامنا للناس كافة. وقبيلتنا للعالمية جميعاً. فنحن الناس، ولنا الزمان والمكان، وعندنا القرآن، واللهنا الرحمن. ونحن بعثنا للإنس والجان ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، يريدون عولة تفصل الأرض عن السماء، والدنيا عن الآخرة، والدين عن الحياة، والمسجد عن المصنع، والروح عن الجسد، وهذه جناية كبرى، وخطيئة عظيمة.

يا مَنْ صعد إلى الكواكب أما سألت نفسك مَنْ الذي كوكبها، يا مَنْ وصل النجوم أما ناداك قلبك من الذي ركّبها، ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

أيها الغرب نحن الشرق حيث صلّى الأنبياء، وتهجّد المرسلون، وسبّح الخليل، وأخرج موسى يده بيضاء للناظرين، وتكلم عيسى في المهد، ووصل محمد سدره المنتهى، وبكى عمر، وأعتق سلمان، وأذن بلال، وغرق فرعون، وخسف بقارون، وسحق النمرود.

هل عرفتمونا الآن؟...



obeikandi.com

مقامة الفراق

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
وَأَلْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾

لقد لآمني عند القُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ

رَفِيقِي لِتِذْرَافِ الدُّمُوعِ السُّوَافِكِ

أمن أجل قَبْرِ بِالْمَلَأِ أَنْتَ نَائِحٌ

على كُلِّ قَبْرِ أَوْ على كُلِّ هَالِكِ

فَقَالَ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ

لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللُّوَى فَالدُّكَادِكِ

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا

دَعُونِي، فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرِ مَالِكِ

الموت هادم اللذات، ومُفَرِّق الجماعات، مُيْتَم البنين والبنات، مُخَرَّب الديار
العامرات، سقى النفوس، مرارة الكؤوس، وأنزل التيجان من على الرؤوس، نقل
أهل القصور إلى القبور، وسلّ على الأحياء سيفه المنثور، ألصق الخدود
باللحود، وساوى بين السيد والمسود، أسر الرُّسُل والأنبياء، وأخذ الأذكىاء
والأغبياء، فاجأ أهل الأفراح بالأتراح، ونادى فيهم الرُّوَّاح الرُّوَّاح، كم من وجه
بكفه لطمه، وكم من رأس بفأسه حطمه، يأخذ الطفل وفمه في ثدي أمه،

ويخفق النائم ورأسه على كُمِّه، ينزل الفارس من على ظهر الفرس، ويقتلع الفارس وما غرس، يخلع الوزير من الوزارة، ويحطُّ الأمير من الإمارة، إذا اكتمل الشباب، وماسَ في الثياب، وصار قوي الجنب، يُرجى ويهاب، عَفَّرَ أنفه في التراب، يدوس ذا البأس الشديد، والرأي الشديد، ويبطح كل بطل صنيدي، ولو كان خالد بن الوليد، أو هارون الرشيد، يسحب الملوك من العروش، ويركب الجيوش على النعوش، أسكت خطباء المنابر، وأذهل حَمَلَةَ المحابر، وشتت أهل الدفاتر، وطرح الأحياء في المقابر، كسر ظهور الأكاسرة، قصر آمال القياصرة، زلزل أساس ساسان، وما سلّم منه سليمان، وما نجا منه قحطان وعدنان، صبح عاداً وخرّب دار شداد وما شاد، وهدم ﴿إِرمَ ذاتِ العِمَادِ﴾ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿﴾، لا يترك السلاطين، حتى يوسدّهم الطين، لا تظن أنك منه ناج، ولو سكنت الأبراج.

وهذه الدارُ لا تُبقي على أحدٍ

ولا يدومُ على حالٍ لها شأنُ

أين الملوكُ ذوو التيجانِ من يمنٍ

وأين منهم أكاليلُ وتيجانُ

وأين ما شادهُ شدادُ في إرمٍ

وأين ما ساسهُ في الفرسِ ساسانُ

وأين ما حازهُ قارونُ من ذهبٍ

وأين عادُ وشدادُ وقحطانُ

أتى على الكلُّ أمراً مَرَدَّ لهُ

حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ

كَمَا حَكَى عَنِ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانِ

الموت ينادي كل صباح: الرُّوح، ويصيح كل مساء: يا حسرة على الأحياء،

ويقول للناس:

لِدُوا لَلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

فَكَلِّمُوا يَصِيرُ إِلَى تَرَابِ

يا مَنْ أعجبه شبابه، وألهته ثيابه، وأحاط به حرسه وحجَّابه، أنسيت

الموت وقد وصلك ركابُه، يا من أشغله السُّكن، وحبَّ الوطن، وأمن المحن، كأنك

بالموت زارك، وهدم دارك.

سَتَنْقُلُكَ الْمَنَايَا عَنْ دِيَارِكَ

وَيُبَدِّلُكَ الْبَلَاءَ دَاراً بِدَارِكَ

فَدُودُ الْقَبْرِ فِي عَيْنَيْكَ يَرَعَى

وَتَرَعَى عَيْنُ غَيْرِكَ فِي دِيَارِكَ

الموت كأس يدور على الأحياء، لا بدَّ أن يشربه أبناء حواء، الموت ليس له موعد

مناسب، فهو يأتي القاعد والماشي والراكب، في ليلة الزفاف، إذا اكتمل الأضياف،

يقدم الموت بحشوده، ويهجم بجنوده، يأخذ العريس أو العروس، لأن مهمته قطف

النفوس، يهنأ الإنسان بالإمارة، ويبارك له بالوزارة، ثم يشنُّ عليه الموت غارة.

يولد المولود، ويعود المفقود، ثم يفجؤ الموت الجميع بروعته، فتمتزج بسمة
المحبِّ بدمعته. يكتمل الاجتماع، ويلتقي الأحباب من كل البقاع، فإذا تمَّت
السعادة، وكل قلب بلغ ما أراه، وصل الموت ففرَّق الجمع، وأسبَلَ الدمع.

هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ مَلَاذٌ وَمَهْرَبٌ

مَتَى حَطَّ ذَا عَنِ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ

نُؤْمَلُ أَمَالًا وَنَرْجُو نَتَاجَهَا

وَعَلَّ الرَّدَى مِمَّا نَرْجِيهِ أَقْرَبُ

وقف أحد الصالحين على المقابر، ودمعه متناثر، فقال: يا موت ماذا فعلت
بالأحباب؟ وماذا صنعت بالأصحاب؟ ثم أجاب نفسه بنفسه، فقال: يقول الموت
أكلت الحدقتين، وأقنيت العينين، ونهشت الشفتين، وقطعت الأذنين، وفصلت
الكفَّين من الرِّسفين، والرِّسفين من الساعدين، والساعدين من العضدين،
والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الكعبين، والكعبين من الساقين،
والساقين من الفخذين، والفخذين من الوركين.

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا

أَيْنَ الْمُعْظَمِ وَالْمُحْتَقَرِ

تَفَانُوا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ

وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ

فِيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَضُوا

أَمَا لَكَ فِيمَا مَضَى مُعْتَبِرٌ

تَرُوحُ وَتَغْدُو بِنَاتِ الثُّرَى

فَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ

إذا رأيت قصرًا مشيداً، وملكاً عتيداً، وبأساً شديداً، فتذكر الموت فإذا
القصر تراب، والملك خراب، والبأس سراب.

إذا رأيت امرأة حسناء، أو حديقة غناء، أو روضة فيحاء، فتذكر الموت
فإذا الحُسن مسلوب، والجمال منهوب.

فضح الموت الدنيا، فلم يدع لذي لب فرحاً، ولكن أين من صحا، وأصلح
فصار مُفْلِحاً.

بَيْنَا تَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا

الْفَيْتَهُ خَبِرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

طَبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا

صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ

ويل لمن أشغله ماله، وألهاه جماله، وصدّه عياله. متى الإفاقة يا من بحبّ
الدنيا مخمور، وببهرجها مغرور، أما تذكر ﴿إِذَا بَعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩ وَحُصِّلَ مَا
فِي الصُّدُورِ؟

أين من رفرفت عليهم الرّايات، ورُفِعَتْ لهم العلامات، وأقيمت لهم
الحفلات، وانعقدت لهم المهرجانات؟

صَاحِ! هَذَا قُبُورُنَا تَمَلَأُ الرَّحَى

بِ فَأين القُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟

خَفَضَ الوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الأَ

رَضِ إِلا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ

سِرِّانِ اسْتَطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُوَيْدًا

لا اخْتِيالًا عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ

رُبًّا لِحَدِّ قَدْ صَارَ لِحَدًّا مِرْرًا

ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ

وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ

فِي طَوِيلِ الأَزْمَانِ والأَبَادِ

تَعَبُ كُلِّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعَمَّ

حَجَبِ إِلا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ

إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ المَوْتِ اَضْعَا

فَسُرُورٍ فِي سَاعَةِ المِيْلَادِ

أين من ولي وعزل؟ وأين من ظلم وأين من عدل؟ وأين من سجن وجلد
وقتل؟ أين من حفّت به الجنود، واجتمعت عليه الحشود، وخفقت على رأسه
البنود؟ أين من دارت عليه الكؤوس، وانخلعت من هيبتة النفوس، وطارت
بأوامره الرؤوس؟ أين من جمع ومنع، ووصل وقطع، واغتنى وافتقر،
وهزم وانتصر؟.

بَاتُوا عَلَى قَلْلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ

غَلَبَ الرِّجَالُ فَمَا اغْنَتْهُمْ الْقُلُلُ

وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ

إِلَى مَقَابِرِهِمْ يَا بَيْتَسَ مَا نَزَلُوا

تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً

مِنْ دُونِهَا تُضْرِبُ الْأَسْتَارَ وَالْحُلُلُ

نَطَامًا أَكَلُوا يَوْمًا وَكَمْ شَرِبُوا

فَأَصْبَحُوا فِي لُحُودِ الْأَرْضِ قَدْ أَكَلُوا

بعض السلف ذكر الموت فخارت قواه، وصاح أواه، وبعضهم كاد أن يطير

لبيته، وأن يتفطر قلبه.

إذا رأيت الإخوان والجيران والخلان، فتذكر ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

إذا أبصرت البستان والأفنان والأغصان، فتذكر ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

إذا شاهدت القصور والدور والحُبور والسرور، فتذكر ﴿إِذَا بَعِثَرَا مَا فِي

الْقُبُورِ ۝ وَحَصِلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

الله سمى الموت مصيبة، وأنت عنه في غيبة، أخذ القوي والضعيف،

والوضيع والشريف، والغالب والمغلوب، والسالب والمسلوب، قبر الغني جوار

قبر الفقير، وقبر المأمور بجانب قبر الأمير.

الموت مُباغت لا يستأذن، ومُهاجم لا يُؤمن، لا يترك شاباً ليكتمل شبابه، ولا صاحباً ليتمتع به أصحابه، ولا حبيباً يستأنس به أحبابه، يفصل الثوب فيأخذ صاحبه قبل أن يلبس، ويبني المجلس فيخترم الموت الباني قبل أن يجلس، تُزفّ المرأة لزوجها فيهاجمه الموت ليلة الزواج، يزرع الزّارع فيختلسه الموت قبل النّتاج، الموت له صور وأشكال، ومشاهد وأحوال، مرة يقتل بسيف أو برمح، أو داء أو جرح، أو بعرق ينبض، أو بعضو يمرض، أو بحرب هائلة، أو مجاعة قاتلة، المهم أنه لا بدّ منه، ولا مَحيص عنه ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ يصبّحكم أو يمسيكم، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، أو دونكم جنود مؤيّدّة، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الكريم، وكلّ حيٍّ فانٍ إلا الحيّ القيوم.

من لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

الموت يُسقط الطيور، ويخطف الصقور، ويلتهم النّسور، يصيد الموت كل عائمة، ويدرك كل هائمة، ويجتاح كل سائمة، يزحف على الحيوانات، والعجماوات، والحشرات، يدخل القصور والأكواخ، ويصرع الأطفال والأشياخ، فسبحان من خلق الموت آية، وجعله نهاية، وصيّره لكل حيٍّ غاية.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾

زار الرّسل والأنبياء، ووفد على الأصفياء والأولياء، وطاف على الحكّماء والعلماء والأدباء والشعراء، فسقى الجميع بكأسه، وهشم الكلّ بفأسه، فلا صاحب

القصر نجا، ولا مُحِبِّ الدنيا عمّر ولو رجا، ولا الكاره له سلم منه وإن ذمّه وهجا،
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

نُعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي

وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَال

وَنَرْتَبِطُ السُّوَابِقَ مُقَرَّبَاتِ

فَمَا يُنَجِّينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي

أخرج الموت وساوس ساسان، وما سلم منه سليمان، وخرّب ما شاده
شداد، وعاد بالكسر على عود ثمود وعاد، وحطّ قحطان، وأعدم عدنان.

الْمَوْتُ يَفْجَأُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ

أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لَا أَلُوكَ مَوْعِظَةٌ

عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْلِ وَالظُّفْرِ

هِيَ الْمَنَايَا وَقَاكَ اللَّهُ سَطَوْتَهَا

دَكَّتْ عُرُوشَ ذَوِي التَّيْجَانِ وَالخَطَرِ

وَمَرَّغَتْ قَيْصَرَ الرُّومِيِّ وَدَوْلَتَهُ

وَأَلصَّقتْ خَدَّ كِسْرَى أَضْيَقَ الحُفْرِ

لَيْتَ الْمَنَايَا رَعَتْ مِنْ كَأَنَّ ذَا هِمَمٍ
 وَزَلْزَلَتْ أَشْبَهَ الْأَحْيَاءِ بِالْبَقَرِ
 وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَّتْ عَمَرًا بِخَارِجَةٍ
 فَدَّتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ
 وَابْنِ الزُّبَيْرِ أَتَى بِالْبَيْتِ مُحْتَمِيًّا
 فَمَزَّقَتْهُ بِقُرْبِ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ
 قَدْ ذَاقَهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ مَا سَلِمُوا
 مِنْ قَتْلِهَا فَاعْتَبِرْ مَا جَاءَ فِي السَّيْرِ
 دَعِ اللَّيَالِيَّ مَعَ الْأَيَّامِ تَصْحَابِيْنَا
 فَالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ مِثْلَ الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ

وهذه قصة إعدام، لأحد الأعلام، نسوقها لذوي الأفهام، وهي قصيدة من أجمل المراثي إن لم تكن أجملها قالها الأديب العالم الشاعر أبو الحسن الأنباري، في الوزير العباسي ابن بقيّة، الذي قتله السلطان عضد الدولة، وصلبه ببغداد ظلماً وعدواناً وبغياً وحسداً فارتجت بغداد بكاءً وعويلاً على وزيرها المنفق الكريم المتصدق صاحب الأيادي البيضاء. وقام أبو الحسن الأنباري أصالة عن نفسه ونيابة عن الرجال والنساء والأطفال والأرامل من أهل بغداد وقدم هذه التعزية للوزير المقتول المصلوب المُفترى عليه الذي سلبت منه حياته واغتصبت منه روحه وسُرقت منه أيامه الخالدة، يخاطبه وجهاً

لوجه وهو على خشبة الموت مقطَّع الأوصال، ممزَّق الثياب، مُعْفَر الوجه، قاتم
المُحيا، ثائر الرأس، تتقاطر دماؤه على الأرض، وقد قابل الجمهور بقامته
المهيبة، ومدَّ يديه المسمرتين على الخشبة كأنه يُحيي ويشكر ويحضن مُحببيه.
والقصيدة لا تحتاج إلى شرح ولا إلى تعليق؛ لكن تحتاج إلى تأمل وتوقف
وإنصات، وهي فائقة إلي درجة أن القاتل وهو عضد الدولة سمعها فبكى،
وأرسل دموعه، وقال: وددت لو أنني قُتِلْتُ وصُلِبْتُ وقيلتُ فيَّ هذه القصيدة.
والآن إليكم هذه القصيدة الممتعة الرائعة:

عُلُو فِي الْحَايَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

لِحَقِّ أَنْتِ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا

وَقُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ

مَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِزَاءً

كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ

وَمَا ضِيقَ بَطْنِ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ

يَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَقَاةِ

أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا

عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ

لِعَظْمِكَ فِي النَّفْسِ تَبِيْتُ تُرَعِي

بِحُرَّاسٍ وَحُفَاظِ ثِقَاتِ

وتوقد حَوْلِكَ النَّيِّرَانَ لِيَلَا
 كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
 وتلك قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسُ
 تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْبِيرَ الْعِدَاةِ
 ولم أَرِ قَبْلَ جِدْعِكَ قَطُّ جِدْعًا
 تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
 اسَّاتِ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ
 فَأَنْتَ قَتَيْلُ ثَارِ النَّائِبَاتِ
 وَصَيَّرَ دَهْرَكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ
 إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
 وَكُنْتَ لِعَشْرٍ سَعِيدًا فَلَمَّا
 مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْحِسَاتِ
 غَلِيلِ بَاطِنِ لِكَ فِي فُؤَادِي
 يُخَفِّفُ بِالْأَدْمُوعِ الْجَارِيَاتِ
 وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامِ
 بِفَرْضِكَ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ

مَلَأَتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي
 وَيُحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
 وَلَكِنِّي أَصَابُ رُعْنَكَ نَفْسِي
 مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاتِ
 وَمَا لِكَ تُرِيَةُ فَأَقُولُ تُسْقَى
 لِأَنَّكَ نَصَبُ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ
 عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى
 بِرَحْمَاتِ غَوَادِ رَائِحَاتِ



obeikandi.com

الخاتمة

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

أيها الناس أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



obeikandi.com

مختبر المؤلف

* له أربعة دواوين شعرية هي:

- ١ - لحن الخلود .
- ٢ - تاج المدائح .
- ٣ - هدايا وتحايا .
- ٤ - قصة الطموح .

* أما مؤلفاته فهي:

- ١ - الإسلام وقضايا العصر .
- ٢ - تاج المدائح .
- ٣ - ثلاثون سبباً للسعادة .
- ٤ - دروس المسجد في رمضان .
- ٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله .
- ٦ - مجتمع المثل .
- ٧ - ورد المسلم والمسلمة .
- ٨ - فقه الدليل .
- ٩ - نونية القرني .
- ١٠ - المعجزة الخالدة .
- ١١ - اقرأ باسم ربك .
- ١٢ - تحف نبوية .
- ١٣ - حتى تكون أسعد الناس .
- ١٤ - سياط القلوب .
- ١٥ - فتية آمنوا بربهم .
- ١٦ - هكذا قال لنا المعلم .
- ١٧ - ولكن كونوا ربانيين .
- ١٨ - من موحّد إلى ملحد .
- ١٩ - إمبراطور الشعراء .
- ٢٠ - هكذا حدثنا الزمان .
- ٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم .
- ٢٢ - ترجمان السنة .
- ٢٣ - حدائق ذات بهجة .
- ٢٤ - العظمة .
- ٢٥ - لا تحزن .
- ٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق .

- ٢٧ - مقامات القرنى .
- ٢٨ - احفظ الله يحفظك .
- ٢٩ - أعذب الشعر .
- ٣٠ - المسك والعنبر .
- ٣١ - قصائد قتلت أصحابها .
- ٣٢ - ترانيم موحد .
- ٣٣ - طريقك إلى النجاح .
- ٣٤ - أربعون حديثاً في الأذكار .
- ٣٥ - مفتاح النجاح .
- ٣٦ - على بوابة الوحي .
- ٣٧ - على ساحل ابن تيمية .
- ٣٨ - أبيات سارت بها الركبان .
- ٣٩ - ضحايا الحب .

